

تفسير بيضاوى

في مناقب القاضي البيضاوي وكيفية ارشاده رحمه الله تعالى

وأما نسبة القاضي صاحب التفسير بالبيضاوي فوجهه أنه رحمه الله تعالى كان من محلة شيراز المسماة بالبيضا ولذلك
يقال له البيضاوي منسوبا اليها لما حقق في الفنون الادبية وافاد من العلوم العربية بحيث صار ممتازا بين اقرانه
ومرجعا لاخوانه ارتحل الى تبريز لينصب منصب القضاء فلما طال مدة ملازمته ولم ينفع كثرة ملازمته
استشفع من قطب العارفين في ذلك العصر الشيخ محمد بن كجاني فقال الشيخ اصبر حتى يأتي الى السلطان
بعد صلوة الجمعة فلما اتى على عادته قال ان هذا الرجل عالم فاضل مجتهد فيريد الاشتراك مع الامير
في السعير يطلب منكم مقدار السجادة في النار وهو مجلس الحكم قال الامير على رأسي وعيني فامر الكتاب فكتبوا له
وسلموا اليه قضاء فارس وعراق فلما ذهب الامير بكى القاضي من تأثير كلام الشيخ وترك المناصب الفانية
واختار المراتب العالية الباقية ولازم الخلوة والرياضة حتى ذاق من كمال الحب الالهي وسكر من شراب الوصل
وصنف التفسير المسمى بانوار التنزيل واسرار التأويل باشارة شيخه ومات في خدمته ودفن عند قدم
شيخه ودفن مولى العلامة الشيرازي رحمه الله تعالى عند قدم القاضي واوصى بان يكتبا على رأسه
وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد والآن هذه الآية مكتوبة في الحجر الذي عند رأس الشيخ اسمعيل البزازي
النقشبندي ابن الشيخ منبع الله تعالى ونفعنا بعلومهم وخدمهم آمين يا رب العالمين والحمد لله رب العالمين

وقف السلطان المعظم الاعظم والخليفة الخاقان الاكرم الامام
مصدر العدل والاحسان وموضح احكام الامور بالكرم والعرفان
السلطان ابن السلطان السلطان ابو الفتوح والمعالي محمود خان ابن السلطان
مصطفى خان جعل الله سبحانه دولته الطاهرة وخلافته
العلية الباهرة وايامه المعطرة لكنه سبحانه وتعالى مصطفى طاهر
المقصر باحكام الله لعبد المحرم
عمر كه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى باقصر سورة
من سوره مصاقع الخطبا من العرب العربا فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته من فصحا
عدنان وبلغا قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم
من مصالحهم ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن ايات
محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات هن رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا وابرز غوامض
الحقايق ولطائف الدقايق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت
ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص الايات والماعها
ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فهو في الدارين
حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه راسه واطفا نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا
واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة توازي غناءه وتجازي
عناءه وعلى من اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك
كراماتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا **وبعد** فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا
ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية وراسها ومبنى قواعد الشرع
واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها و
فروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسي بان
اصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظما الصحابة وعلما التابعين
ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها
انا ومن قبلي من افاضل المتاخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراات المشهورة
المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القرا المعتبرين الا ان قصور

بضاعتي

بضاعتي يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد
الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما اردته والاتيان بما قصدته ناويا ان اسميه بعد
ان اتممه بانوار التنزيل واسرار التاويل فها انا الآن اشرع وبحسن توفيقه اقول وهو
الموفق لكل خير ومعطي كل سؤل **سورة الفاتحة** وتسمى ام القران لانها مفتتحه ومبداه
فكانها اصله ومنشاه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من الثنا على الله والتعبد
بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي
هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعدا ومنازل الاشقيا وسورة الكنز
والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعا وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها
والصلوة لوجوب قراتها او استحبابها فيها والشافية والشفا لقوله عليه السلام هي شفاء
كل دا والسبع المثاني لانها سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية اية دون انعمت عليهم
ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة
لما حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بسم الله الرحمن الرحيم
من الفاتحة وعليه قرا مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم قرا المدينة
والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة فيه بشي فظن انها ليست
من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله لنا احاديث كثيرة
منها ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم
وقول ام سلمة رض قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
رب العالمين اية ومن اجلها اختلف في انها اية براسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين
كلام الله والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القران حتى لم يكتب امين
والبا متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرا لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل
ما يجعل التسمية مبدا له وذلك اولى من ان يضمر ابدا لعدم ما يطابقه ويدل عليه او ابتدائي
لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه
اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تعالى متقدم على القراءة
كيف وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله
عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدا فيه باسم الله فهو ابتر وقيل البا للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله
اقرا وهذا وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسال
من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت
لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينها وبين لام التاكيد والاسم عند البصريين
من الاسما التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها
مبتدا بها همزة الوصل لان من دابهم ان يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له
تصريفه على اسما واسامي وسمي وسميت ومجي سمى كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا

أنزل الله به تباركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له
ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد
بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم وقال باسم الذي
في كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير
قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك
وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى سبح اسم ربك المراد به
اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقايص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث
وسوء الادب والاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة
كما هو رأي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره
والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه
او للفرق بين اليمين والتيمن ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت
الباء عوضا عنها والله اصله الاه فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله
بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله في اصله لكل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه
من أله آلهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من أله اذا تحير اذ العقول
تتحير في معرفته او من ألهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن
الى معرفته او من أله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه او
هو يجيره حقيقة او بزعمه او من أله الفصيل اذا ولع بأمه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدائد
او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة
عليها استثقال الضم في وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة
وقيل اصله لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار
ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر: كحلفة من ابي رباح، يسمعها لاهه الكبار
وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم يجري عليه صفاته ولا
يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله
الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والحق انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره
وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الوصف عليه وامتناع الوصف به وعدم
تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر
فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله
في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى
والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف
الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف
الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر: الا لا بارك الله

في سهيل

في سهيل، اذا ما الله بارك في الرجال، والرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان
من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان
ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال
دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة
المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى
باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الاخرة لانه يخص
المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام
واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى
الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم
الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستفيض بلطفه
وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مزيح رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم
انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية و
الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من
خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول
ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤوس الآي والاظهر انه غير مصروف
وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا له بما هو الغالب في بابه
وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور
هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره
الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره الحمد لله
الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول
حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة
النعمة قولا وعملا واعتقادا قال: افادتكم النعماء مني ثلاثة، يدي ولساني والضمير المحجبا
فهو اعم منهما من وجه واخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها
لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه السلام
الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه
بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد
وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد
تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرف كل احد ان الحمد ما هو او
للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او بغير وسط
كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه
الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما

مستفيض: اي طالب الفيض بلطفه وانعامه على غيره وذلك اللطف اما جلب نفع او دفع ضر
اشار الى الاول بقوله يريد به اي بكل من اللطف والانعام جزيل ثواب من الله تعالى وفي نسخة او يزيح انفه
في العقبى الخ واشار الى الثاني بقوله او يزيح رقة الجنسية كمن يمسك ماله عن فقير يستحقه لبخل خسيسا
الخسة اي عارها والاستنكاف منها

يستعملون معاملته كلمة واحدة رب العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله
شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولهم
نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا
كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع
وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته
تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون
كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل
الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في
العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم الكبير ولذلك سوى
بين النظر فيهما فقال وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء
او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي
مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره مالك يوم الدين
قراه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله
وقرا الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من
التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر
والنهي في المامورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب
على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع
والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم
كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق
الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة او له الملك
في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة
وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما للتعظيم او لتفرده تعالى بنفوذ
الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه ربا للعالمين موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها
ظاهرها وباطنها عاجلها واجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق
بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته
له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا من
ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد
والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب
بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا
يقبل الشركة فيه وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين اياك نعبد واياك نستعين
ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم

معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل
على الاختصاص والترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود وكان المعلوم
عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من
الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في الائه والاستدلال بصنايعه على عظم شانه و
باهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة
فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر
ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى اخر تطرية له وتنشيطا للسامع
فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس تطاول
ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد
وذلك من نبا جاءني وخبرته عن ابي الاسود وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء
والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت
والكاف في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين
فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضمائر وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل
تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة
وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة
اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة
وهي اما ضرورية او غيرها والضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره و
حصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف
بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي
او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب
المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة
وحاضري صلوة الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط
حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم و
الاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما
هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه
الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه
وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه
حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك
فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال
ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على

الاستعانة ليتوافق رؤوس الآي ويعلم منه أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى
الإجابة وأقول لما نسب المتكلم العبادة إلى نفسه أوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه
فعقبه بقوله وإياك نستعين ليدل على أن العبادة أيضا مما لا تتم ولا تستتب له إلا بمعونة منه
وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم
فإنهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء إذا لم ينضم ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم
بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال كيف أعينكم فقالوا اهدنا أو إفراد لما هو المقصود الأعظم
والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم إلى صراط الجحيم على التهكم
ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى وأصله أن يعدى باللام أو إلى فعومل
معه معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع أنواعا لا يحصيها
عد لكنها تنحصر في أجناس مترتبة الأول إفاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء إلى مصالحه
كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة
بين الحق والباطل والصلاح والفساد وإليه أشار حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب وإياها عنى بقوله
وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وقوله إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والرابع أن يكشف على
قلوبهم السرائر ويريهم الأشياء كما هي بالوحي والإلهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص
بنيله الأنبياء والأولياء وإياه عنى بقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب إما زيادة ما منحوه من الهدى أو الثبات عليه أو
حصول المراتب المرتبة عليه فإذا قاله العارف الواصل عنى به أرشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا
ظلمات أحوالنا وتميط غواشي أبداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والأمر والدعاء
يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط
الطعام إذا ابتلعه فكأنه يسرط السابلة ولذلك سمي لقما لأنه يلتقمهم والصراط من قلب السين
صادا ليطابق الطاء في الإطباق وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون أقرب إلى المبدل عنه وقرأ
ابن كثير ورويس عن يعقوب بالأصل وحمزة بالإشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت
في الإمام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوي والمراد به
طريق الحق وقيل ملة الإسلام صراط الذين أنعمت عليهم بدل من الأول بدل الكل وهو في حكم تكرير
العامل من حيث إنه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على أن طريق المسلمين هو المشهود
عليه بالاستقامة على آكد وجه وأبلغه لأنه جعل كالتفسير والبيان له فكأنه من البين الذي
لا خفاء فيه أن الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين أنعمت عليهم الأنبياء وقيل أصحاب
موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من أنعمت عليهم والإنعام إيصال النعمة
وهي في الأصل الحالة التي يستلذها الإنسان فأطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله
وإن كانت لا تحصى كما قال وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي وأخروي

والأول

والأول قسمان موهبي وكسبي فالموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وإشراقه بالعقل
وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه
والهيئات العارضة له كالصحة وكمال الأعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها
بالأخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه
والمال والثاني أن يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في أعلى عليين مع الملائكة المقربين
أبد الآبدين والمراد من النعمة هو القسم الأخير وما يكون وصلة إلى نيله من القسم الآخر فإن ما
عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على معنى
أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال أو صفة له مبينة أو مقيدة على معنى أنهم جمعوا
بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك إنما يصح بأحد
تأويلين إجراء الموصول مجرى النكرة إذا لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله ولقد أمر على اللئيم
يسبني وقولهم إني لأمر على الرجل مثلك فيكرمني أو جعل غير معرفة بالإضافة لأنه أضيف
إلى ماله ضد واحد وهو المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على
الحال من الضمير المجرور والعامل أنعمت أو بإضمار أعني أو بالاستثناء إن فسر النعم بما يعم القبيلين
والغضب ثوران النفس إرادة الانتقام فإذا أسند إلى الله تعالى أريد به المنتهى والغاية على ما مر
وعليهم في محل الرفع لأنه نائب مناب الفاعل بخلاف الأول ولا مزيدة لتأكيد ما في غير من معنى النفي
فكأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز أنا زيدا غير ضارب كما جاز أنا زيدا
لا ضارب وإن امتنع أنا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن
الطريق السوي عمدا أو خطأ وله عرض عريض والتفاوت ما بين أدناه وأقصاه كثير
قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى
لقوله تعالى قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه أن يقال المغضوب عليهم
العصاة والضالون الجاهلون بالله لأن المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير
للعمل به فكان المقابل له من اختل إحدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق
مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى
فماذا بعد الحق إلا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء
الساكنين آمين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وجاء مد ألفه وقصرها قال
ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال أمين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القرآن وفاقا لكن
يسن ختم السورة به لقوله عليه السلام علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال
إنه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء
عبده يقوله الإمام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر أنه عليه السلام كان إذا
قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن أبي حنيفة أنه لا يقوله والمشهور عنه أنه

بجُفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والمأموم يؤمّن معه لقوله عليه السلام اذا قال
الامام ولا الضالين فقولوا امين فان الملائكة تقول امين وان الامام يقول امين
فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لابيّ الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية والانجيل والقران
مثلها قال بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي
اوتيته وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه ملك فقال
ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة
لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في
الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية مائتان وست وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم

الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخول
حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه
صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود انه عليه السلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله
حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد
به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم
مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها ليكون تأديتها بالمسمى
اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل
موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب
مبنى الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين الساكنين ولم تعامل معاملة اين وهؤلاء
ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي تركب منها افتتحت السور بطائفة
منها ايقاظا لمن تحدى بالقران وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم
فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان
بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف
مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة
كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه
وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد فيها الالف
حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها
فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفة نصفها الحاء
والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة
الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس

على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والطاء والضاد والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة
نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها
ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك
الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل
ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي على ما ذكره سيبويه احد عشر واختار
ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد
بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط والفاء في
جدف والعين في اعن والثاء في ثروغ والباء في باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر
منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب
وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد
والفاء والظاء والشين والزاي والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي ثلاثة عشر الباقية نصفها
الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة
ومن الاربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاي والسين والفاء
نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل
والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر
ثلثيها ولما كانت ابنية المزيد لا يتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها
اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت
الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية
ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة
من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلث مفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام
الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل
بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعه في كل واحد من الاقسام
الثلاثة على ثلثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي
الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلاثة
في ثلث عشرة سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلثة عشر عشرة للاسماء وثلثة
للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا
كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القران لهذه الفائدة
مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى هذا المتحدى به مؤلف
من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها
اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله لم تتساقط مقدرتهم دون
معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم

بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت
مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه
اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان
القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم
لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف اخر كما قاله قطرب او اشارة
الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف كما روي عن ابن عباس
انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه
ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل
والميم من محمد اي القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليهما السلام او الى مدد اقوام وآجال
بحساب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روي انه عليه السلام لما اتاه اليهود وتلا عليهم الم
البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ فان تلاوته
اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة و
ان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكوة و
السجيل والقسطاس او دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله
ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية
بثلثة اسماء فصاعدا مستنكرة عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تاخر الجزء
عن الكل من حيث ان الاسم يتاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه
والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك
ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ
واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة
الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ
لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه
تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل
عليها والتسمية بثلثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما
اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر
وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم
من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق
للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد
فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك اخبر عنها بالكتاب
والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق

وقيل

ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو
وسطها والميم من الشفة وهي اخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه
واخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استاثره الله تعالى بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم
من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها
افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن او السور كان
لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله
لافعلن بالنصب وغيره كما ذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتاتى الاعراب لفظا والحكاية
فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانه كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود
اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه
الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها
منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها
ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة
والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها وليس شيء
منها اية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم ويس وحم اية
وحم عسق ايتان والبواقي ليست بايات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه ذلك الكتاب ذلك
اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القرآن فانه لما تكلم به وتقضى
او وصل من المرسل الى المرسل اليه اشير اليه بما يشار الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة
لتذكير الكتاب فانه صفته او خبره الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود
انزاله بقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ونحوه او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به
المفعول للمبالغة او فعال بني للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه
مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث
لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب
فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية فانه ما ابعد الريب
عنهم بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية
جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه
لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب
في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك
لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك
ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهدى
في الاصل مصدر كالتقى والسرى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه
جعل مقابل الضلال وقيل في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي

الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصبه وان
كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال تعالى هدى للناس اولانه
لا ينتفع بالتأمل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات والنظر في المعجزات وتعرف
النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة
واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا
ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان المراد منه والمتقي اسم فاعل
من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره
في الآخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبرء عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم
كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف
باسم التقوى في الشرع والمعني بقوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه
عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله اتقوا الله
حق تقاته وقد فسر المتقون ههنا على الاوجه الثلثة واعلم ان الآية تحتمل اوجها من الاعراب
ان يكون الم مبتدأ على انه اسم القرآن او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان
اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تأليفه
البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدأ
محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته وريب في المشهورة مبني لتضمنه
معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء
لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى
لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمة او صفته و
للمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب
على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ
والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستأهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده
خبره والجملة خبر الم او يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا على الكتاب
صفته والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل
العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك
الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي ولا ريب فيه جملة ثالثة تشهد بانه الكتاب المنعوت
بغاية الكمال ثم سجل على كماله بنفي الريب عنه اذ لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين
بما يقدر له مبتدأ جملة رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بانه هدى للمتقين
او تستتبع كل واحدة منها ما يليها استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على
اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ
حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك

(هامش: او يستتبع السابقة منها اللاحقة نسخة)

والشبهة

والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة
ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة
تأخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده
منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا
وتفخيما لشانه الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان
فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة
ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات
من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية و
المالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلوة والسلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة
الاسلام او مسوقة للمدح وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا
لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او
هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين
تاما والايمان في اللغة التصديق مأخوذ من الامن كان المصدق آمن المصدق من التكذيب
والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق
صار ذا امن ومنه ما آمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما
في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث
والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين
والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فمنافق ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل
بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج خارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة
والذي يدل على انه التصديق وحده [عند اهل السنة] انه سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم
الايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى
وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في
القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير وانه اقرب الى الاصل متعين
الارادة في الآية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب كاف
لانه المقصود او لا بد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم
المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب
مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض
والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل [اصله قيّل] والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس
ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح
الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو

(هامش: اي يجعله امينا من التكذيب والمخالفة نسخة)

(هامش: اي المنخفض اسم مكان)

المراد به في الآية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على
تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين
الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن
المؤمن به لما روي ان ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من ايمان بغيب
ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث
للآلة ويقيمون الصلوة اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها
من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها
نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ
عليها كان كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كان كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون
لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده
قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر
عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد
لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن و
حقوقها الباطنة كالخشوع والاقبال بقلبه على الله لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون
ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة
فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص
بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل في ركوعه وسجوده
واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه
وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون
الرزق في اللغة الحظ قال تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص
الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام
لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى
اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام
لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارأيتم ما انزل الله
لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض
على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول
الرزق له بقوله عليه السلام في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله
عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به
طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة الا على الله رزقها وانفق الشيء و
انفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على الذهاب

صح في الارض

والخروج

والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره
بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه وخصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وهي الصلوة وتقديم المفعول
للاهتمام به والمحافظة على رؤوس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه
ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة
ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم
به من انوار المعرفة يفيضون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنوا
اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون
معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين آمنوا عن شرك وانكار
وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس او على المتقين وكانه
قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الملل ويحتمل ان يراد بهم الاولون
باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة
في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون
بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان
بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا
اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة اشارة بذكرهم وترغيبا
لغيرهم والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة
لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا
او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول ويلقيه عليه والمراد بما انزل اليك القرآن باسره و
الشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد
او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن
لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك سائر الكتب السابقة والايمان
بها جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن
على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش وبالآخرة هم يوقنون اي
يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان
النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره
وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب و
بان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشبهة عنه
نظرا واستدلالا ولذلك لا يوصف به العلم القديم ولا العلوم الضرورية والآخرة تأنيث
الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء
لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الى مؤسى وجعدة اذ اضاءهما

الوقود أولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا
عن المتقين خبر له وكأنه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين
يؤمنون الى اخر الآيات والا فاستئناف لا محل لها وكأنه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة
او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد
صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته
المذكورة وهو ابلغ من ان يستأنف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضى وتلخيصه فان
ترتب الحكم على الوصف يؤذن بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى
واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل وغوى
واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج
والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكأنه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه
ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت
على لحم واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة
وأولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل
واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف
مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل
بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا تناسب العطف
وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ
والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كأنه الذي انفتحت له
وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلي يدل على الشق
والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة
او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تأمل كيف نبه
سبحانه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة
للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء
اثرهم وقد تشبث به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين
الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له رأسا
ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح
عقبتهم اضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يغني عنهم الآيات والنذر
ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما
في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم
وانهماكهم في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح
ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله

الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه
وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع
قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه
عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها
ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسألونك عن
ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول
من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب
سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به
ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا من صمم على الكفر
وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليهم وهو سواء عليهم والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر
بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم
بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على
التكذيب فان من صدق الرسول عليه السلام لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها و
احتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة مخبر عنه واجيب
بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم أأنذرتهم
ام لم تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال تعالى تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل ان الذين كفروا
مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما
يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث
المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى واذا قيل
لهم آمنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما عدل ههنا عن المصدر
الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده
فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حرف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص
في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من عقاب الله وانما
اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع في القلب واشد تأثيرا في النفس من حيث ان دفع الضر اهم
من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين و
تخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين على غير
حده وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها
والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا
محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج
به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو آمنوا

انقلب خبره كذبا وشمل ايمانه الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف
بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه
غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله
هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول عليه السلام
فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم
ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص
باعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق
وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره
نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على
الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم
هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم
في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف
استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الايات المنصوبة لهم في الانفس و
الافاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه
على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها باشياء ضرب حجاب بينها
وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه
وبالاقساء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى
واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم
وقوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الاية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة
عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن
ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم
بقلوب البهائم التي خلقها الله خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي
اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر
لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان
اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر
ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على ترامي
امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة
يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما و
استهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الاية السادس ان ذلك في الاخرة وانما اخبر عنه بالماضي
لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما السابع ان المراد

بالختم

بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج
كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف
على قلوبهم لقوله وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك
من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار
لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر
الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن
عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف
مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة
وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الاية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية
وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن
كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير
وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية
وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم اليه والمعنى
وختم على ابصارهم بغشاوة وبالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر
مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان
لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه
الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على
كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه
من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض
الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما
يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الاية ان على ابصارهم غشاوة ليس
مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الايات ولهم من الالام العظام نوع لا يعلم كنهه الا الله
ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب وساق
لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين
محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة راسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين
وهم الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله
لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم
وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن اخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس
لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك
لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال

إذ لم يثبت فُعال في أبنية الجمع مأخوذ من أَنِس لأنهم يستأنسون بأمثالهم أو آنس لأنهم ظاهرون
مُبصَرون ولذلك سُمّوا بشراً كما سُمّي الجن جناً لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة إذ
لا عهد وكأنه قال ومن الناس ناس يقولون وقيل للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة
مراد بها ابن أُبَيّ وأصحابه ونظراؤه فإنهم من حيث إنهم صمّموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار
المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس
فإن الأجناس إنما تتنوع بزيادات تختلف فيها أبعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيماً للقسم الثاني
واختصاص الإيمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الأعظم من الإيمان وادعاء
بأنهم احتازوا الإيمان من جانبيه وأحاطوا بقطريه وإيذان بأنهم منافقون فيما يظنون
أنهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لأن القوم كانوا يهوداً وكانوا يؤمنون بالله
واليوم الآخر إيماناً كلا إيمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وأن الجنة لا يدخلها غيرهم
وأن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة وغيرها ويرون المؤمنين أنهم آمنوا مثل إيمانهم وفيه
لتضاعف خبثهم وإفراطهم في كفرهم لأن ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم
عقيدتهم لم يكن إيماناً فكيف وقد قالوه تمويهاً على المسلمين وتهكماً بهم وفي تكرير الباء ادعاء الإيمان
بكل واحد على الأصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى
المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي والمذهب مجازاً والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر
إلى ما لا ينتهي أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنه آخر الأوقات المحدودة
وما هم بمؤمنين إنكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا إثباته وكان أصله وما آمنوا ليطابق قولهم
في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيداً ومبالغة في التكذيب لأن إخراج
ذواتهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفي الإيمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك أكد النفي بالباء
وأطلق الإيمان على معنى أنهم ليسوا من الإيمان في شيء ويحتمل أن يقيد بما قيدوا به لأنه جوابه
والآية تدل على أن من ادعى الإيمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمناً لأن من
تفوّه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه أو ينافيه لم يكن مؤمناً والخلاف مع الكرامية في الثاني
فلا تنتهض حجة عليهم يخادعون الله والذين آمنوا الخدع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه
من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب إذا توارى في جحره وضب خادع و
خدع إذا أوهم الحارش إقباله عليه ثم خرج من باب آخر وأصله الإخفاء ومنه المخدع للخزانة و
الأخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس
على ظاهره لأنه لا يخفى عليه خافية ولأنهم لم يقصدوا خديعته بل المراد إما مخادعة رسوله
على حذف المضاف أو على أن معاملة الرسول معاملة الله من حيث إنه خليفته كما قال من يطع الرسول
فقد أطاع الله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وإما أن صورة صنعهم مع الله
من إظهار الإيمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده
أخبث الكفار وأهل الدرك الأسفل من النار استدراجاً لهم وامتثال الرسول والمؤمنين

احتازوا أي جمعوا

وهو قولهم يد الله مغلولة

امر الله

أمر الله في إخفاء حالهم وإجراء أحكام الإسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين
ويحتمل أن يراد بيخادعون يخدعون لأنه بيان ليقول أو استئناف بذكر ما هو الغرض منه
إلا أنه أخرج في زنة فاعلت للمبالغة فإن الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه
كان أبلغ منه إذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ
يخدعون وكان غرضهم في ذلك أن يدفعوا عن أنفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وأن يفعل
بهم ما يفعل بالمؤمنين من الإكرام والإعطاء وأن يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على أسرارهم و
يذيعوها إلى منابذيهم إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد وما يخادعون إلا أنفسهم قراءة
نافع وابن كثير وأبو عمرو والمعنى أن دائرة الخداع راجعة إليهم وضررها يحيق بهم أو أنهم
في ذلك خدعوا أنفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم أنفسهم حيث حدثتهم بالأماني الفارغة
وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما يخدعون لأن المخادعة لا تتصور
إلا بين اثنين وقرئ وما يُخَدِّعون من خدّع ويَخِدّعون بمعنى يختدعون ويُخدَعون ويُخادَعون على البناء
للمفعول ونصب أنفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لأن نفس الحي
به وللقلب لأنه محل الروح أو متعلقه وللدم لأن قوامها به وللماء لفرط حاجتها إليه وللرأي
في قولهم فلان يؤامر نفسه لأنه ينبعث عنها أو يشبه ذاتاً تأمره وتشير عليه والمراد بالأنفس
ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على أرواحهم وآرائهم وما يشعرون لا يحسّون بذلك لتمادي
غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره إليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى إلا على
مؤوف الحواس والشعور الإحساس ومشاعر الإنسان حواسه وأصله الشعر ومنه الشعار في قلوبهم
مرض فزادهم الله مرضاً المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب
الخلل في أفعاله ومجاز في الأعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد
والضغينة وحب المعاصي لأنها مانعة عن نيل الفضائل أو مؤدية إلى زوال الحياة الحقيقية الأبدية
والآية تحتملهما فإن قلوبهم كانت متألمة تحرقاً على ما فات عنهم من الرياسة وحسداً على ما يرون
من ثبات أمر الرسول عليه السلام واستعلاء شأنه يوماً فيوماً وزاد الله غمهم بما زاد في إعلاء
أمره وإشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عليه السلام
ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع أو بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان
إسناد الزيادة إلى الله تعالى من حيث إنه مسبب من فعله وإسنادها إلى السورة في قوله فزادتهم
رجساً لكونها سبباً ويحتمل أن يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا
شوكة المسلمين وإمداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد
لرسوله عليه السلام نصرة على الأعداء وتبسطاً في البلاد ولهم عذاب أليم أي مؤلم يقال ألم فهو أليم
كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جدّ جدّه
بما كانوا يكذبون قرأها عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم أو ببدله جزاء لهم وهو قولهم
آمنا وقرأ الباقون يكذّبون من كذّبه لأنهم كانوا يكذبون الرسول صلى الله عليه وسلم بقلوبهم

٧ ويخادعون م

قائم

واذا دخلوا الى شطار دينهم او من كذب الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموتت
البهائم او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد و
الكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب
عليه وما روي ان ابرهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في
صورته سمي به واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او يقول وما روي عن
سلمان ان اهل هذه الاية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهلها ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون
من بعد من حاله حالهم لان الاية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال
والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب و
الفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد
ما في الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال
بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او
الرسول او بعض المؤمنين قالوا انما نحن مصلحون جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى
انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد
لان انما تفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك
لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله
فرآه حسنا الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون رد لما ادعوه ابلغ رد للاستئناف
به وتصديره بحرفي التأكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا
دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى ولذلك لا تكاد
يقع الجملة بعدها الا مصدرة بما تلقى به القسم واختها اما التي هي من طلائع القسم وان المقررة
للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك
بلا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع الامرين الاعراض
عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا كما آمن
الناس في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس
والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا
يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان
ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله اذ الناس ناس والزمان زمان
او للعهد والمراد به الرسول عليه السلام ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى
آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول
توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الهمزة
فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم
لاعتقادهم فساد رأيهم او لتحقير شأنهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب

وبلال

وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه
خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون
رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة
من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون
والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق و
الباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن
وتأمل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لمعاملتهم مع
المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي
ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء
عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا
بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله فنزلت واللقاء
المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه
جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك
ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين
معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم
اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية
على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من
شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة
الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان
وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا
به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف
ما قالوه مع الكفار انما نحن مستهزؤن تأكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر
على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استئناف فكأن الشياطين قالوا
لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك
والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله
الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقة تهزأ به اي تسرع
وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة
سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء
عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض
منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم

ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم

بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الاخرة فبان يفتح لهم وهم
في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى
فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استونف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى
تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل
الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا
فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال او لا يرون انهم
يفتنون في كل عام مرة او مرتين ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده
وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتها بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه
يعدى باللام كاملي له ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام
على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم و
اصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب
المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله
اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة
ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغي فقال واخوانهم يمدونهم في الغي
وقيل اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا
وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا
وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العصيان
والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة
كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى
بالجاهلين العمه اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها
به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين تصورته بصورة الثمن
فباذله مشتر واخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده
محصلا به غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه اخذت بالجمة رأسا ازعرا وبالثنايا
الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل
للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر
الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى
فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم
ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري والتجارة طلب الربح
بالبيع والشراء والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي شفا واسناده الى التجارة وهو
لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران
وما كانوا مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا

الطلبتين

العمه جمع عامه اي ... طرق مشتبه على العواد ليس فيه جاده او منار
يهتدى به ... ان يكون ثمنا وبدله
فاما تعيين من حيث انه او يطلب لعينه ... العوضين
اشتراء واية فاي العوضين

الطلبتين لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالة
بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال
فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للاصل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء
بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع
للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال
وفشت في كلام الانبياء والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه
وشبه وشبيه ثم للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة
ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله
مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد
نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما
جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي
صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع
كما لم يجمع اخواتها فيستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة
المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته
استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين و
المفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي
في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان
فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت ما حوله اي النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا
امكن ان تكون مسندة الى ما والتأنيث لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة
في معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام
حول لانه يدور ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال
بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استئناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم
شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين
للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالباس واسناد
الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح
او مطر او للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك
يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي
هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة و
بقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا الا ترى كيف قرر ذلك واكده بقوله وتركهم
في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها
بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير

تجري مجرى افعال القلوب لقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه و
الظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية و
ظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين
ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة كانها ظلمات
متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك وكان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله لمن
آتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنه
الاية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من
الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول
له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما آمن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب
الله عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء
وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة
ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب
نورها صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم
ويتبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم اذا سمعوا
خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله
حين اريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر
المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى اسد شاكي
السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه
صفحا كما قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء وههنا وان طوي ذكره
بحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق به ونظيره اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير
الصافر هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الاية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين
فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم
بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله
صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة
السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه
والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون
لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا
يدرون ايتقدمون ام يتأخرون والى حيث ابتدؤوا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان
اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم او كصيب من السماء عطف على الذي استوقد
اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق
للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد

التساوي

التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين
مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت
والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ واسحم دان صادق
الرعد صيب وفي الاية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة
على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء
قال ومن بعد ارض بيننا وسماء امد به ما في صيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل
المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق ان اريد بالصيب
المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد
والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه
مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من
السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا ساقتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع
من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في
آذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز
ان يعول عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق
السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استيناف فكانه لما ذكر ما يؤذن
بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل
للمبالغة من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة
قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد
يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او
شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف
يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاقعة وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد
او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة حذر الموت نصب على
العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله
خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين
لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها
يكاد البرق يخطف ابصارهم استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد
من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او
لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها
مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان لتوكيد القرب بالدلالة
على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف من خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة
والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم

ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء ويخطف لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف كلما
اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي
خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم
ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا
منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول وقول ابي تمام يصف نفسها
اظلما حالي ثمة اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من المحدثين لكنه
من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام
اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا
وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم و
ابصارهم اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما
فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في
الشيء المستغرب كقوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة
على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لاذهب
باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع
لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط
بمشيته تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته وقوله ان الله على كل شيء قدير
كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ
يتناول الباري تعالى كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده فهو
موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا
مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر
عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد
الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى
عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء
على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع
الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما يقتضيه مشيته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه و
الممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور الله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور
والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة المركبة وهو ان يشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه
وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها
الاية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة
والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من انطفت ناره بعد ايقادها
في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق

ويمكن جعلها من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله وما يستوي
الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس كان قلوب الطير
رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان تشبه في الاول ذوات المنافقين
بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة
الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب
باهلاكهم او بافشاء حالهم وابقائهم في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب
بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات
ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا
ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الاذان
من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من
المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها
فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين
لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقران وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب الحيوة
الابدية بالصيب الذي به حيوة الارض وما ارتكبت بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها من
الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الايات الباهرة
بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها
مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد
يدركونه او رفد يطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم
في الامر حين يعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء
الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى
والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الاجلة ولو شاء الله لجعلهم
بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين
وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا
له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع
لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب و
يا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة
الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام
فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى
واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود و
اقحمت بينهما هاء التنبيه تاكيدا او تعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه وانما كثر النداء على
هذه الطريقة في القران لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث

انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق
بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد
ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون
واستدلال الصحابة بعمومها شايعا ذايعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا
ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت
الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس
فمكي ويا ايها الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان
المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو
الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء
وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة
بل يجب رفعه والاشتغال بها عقبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها
على ان الموجب للعبادة هي التربية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد و
التوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها اربابا
والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها
بالمقياس والذين من قبلكم متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او بالزمان منصوب معطوف
على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن
سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من
العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كما اقحم جرير
في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير
في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح
المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شيء
سوى الله الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى
يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف
عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه
وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا
وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو
ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته
واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته
عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر
قبل العمل الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ
خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا

يتعدى

ای الخلق قد يكون ابتداء فی ذاته ثم اوجد وابدع ...

يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى
الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله جعل
لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد اخرى ومعنى جعلها فراشا
ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين
الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لان يقعدوا وينامو عليها كالفراش المبسوط وذلك
لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الافتراش
عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار
والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امرأته
لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا
لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب
سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها
على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما
انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب
والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنايع وحكم يجدد فيها لاولي الابصار عبرا
وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب
فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدأ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت
عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا
ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني
ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم
وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل الثمار كل
المرزوق او للتبيين ورزقا مفعول به بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا و
انما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك ادركت
ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض
كقوله كم تركوا من جنات وقوله ثلاثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم
صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم
فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان
جواب له او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات
فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا له
ندا او بالذي جعل ان استانفت به على انه نهي وقع خبرا على تأويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء
للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدأ معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام
ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير اتيما تجعلون الى ندا وما تيم لذي حسب

ندید

المخالف فی کفر باطنا

من ندّ نُدُودا اذا نفر ونادَدْتُ الرجل خالفته خصّ بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوى
للمماثل فى القدر وتسمية ما يعبد المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه
فى ذاته وصفاته ولا انها تخالفه فى افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها الهة
شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله
وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنّع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون
له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربّا واحدا ام الف رب ادين اذا
تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وانتم تعلمون حال من
ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطرح اى وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الرأى فلو تأملتم
ادنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات
او منوى وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ
وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن
من العلم سواء فى التكليف واعلم ان مضمون الايتين هو الامر بعبادة الله والنهى عن الاشراك به
والاشارة الى ما هو العلة والمقتضى وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها
العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه فى معاشهم من
المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من المأكول والمشروب
ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهى عن الاشراك به
ولعله سبحانه اراد من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى
تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعانى والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض
والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية
المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات
المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل
اية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة لما
قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد عليه الصلوة
والسلام وهو القران المعجز بفصاحته التى بذّت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته
من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم فى المضادة والمضارة وتهالكهم على
المعازة والمعارة وعرّف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال
مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما ترى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما
حكى الله عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة وكان الواجب تحديهم على
هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه
مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطائفة من القران المترجمة
التى اقلها ثلث ايات وهى ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة

اى انقادة

جمع مصقع الفصيح

المعارة المغالبة

القران

من القران مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما
فيها او من السورة التى هى الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة فى المجد ليس غرابها بمطار
لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ ولها مراتب فى الطول والقصر والفضل
والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التى هى البقية والقطعة من الشئ
والحكمة فى تقطيع القران سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ
وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفّس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع
ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من القران حظا تاما وفاز بطائفة
محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد من مثله صفة سورة
اى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اى
بسورة مماثلة للقران فى البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اى بسورة كائنة ممن هو
على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد والرد الى
المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة مثله ولسائر ايات التحدى ولان الكلام فيه
لا فى المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا
بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ فى التحدى من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى به هذا اخر
مثله ولانه معجز فى نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا
بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته
ولا يلائمه قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم و
يعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكأنه سمى به لانه
يحضر النوادى ويبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل
للمقتول فى سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى
مكان من الشئ ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اى خذه من
ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اى فى الشرف ومنه الشئ الدون
ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد وتخطى امر الى اخر قال تعالى لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين اى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية
يا نفس ما لك من دون الله من واق اى اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن
متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم و
الهتكم غير الله فانه لا يقدر ان يأتى بمثله الا الله او ادعوا من دون الله شهداء يشهدون
لكم بان ما اتيتم مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة
او شهداءكم الذين اتخذتموهم من دونه اولياء او الهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيمة او الذين
يشهدون لكم بين يدى الله على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهى دونه
ليعينوكم وفى امرهم ان يستظهروا بالجماد فى معارضة القران غاية التبكيت والتهكم بهم

وقيل من دون الله اي من دون اوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم
ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله
ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق
وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك
لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما
علمه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس
والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون امر الرسول عليه السلام وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل
رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان
بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن
كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته
على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز
وصدر الشرطية بان التي للشك والحال يقتضي اذا التي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن
شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم
فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع
متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع فكانه
قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف
مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان وعند
الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر
بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر
سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد
المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع
جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها
طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار لمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض
ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون
بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت
وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث
تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رضي الله عنه
فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الاية
مدنية نزلت بعدما نزل قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح
تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت

لهم

لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استئناف او حال باضمار
قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الايتين
ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة
بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القرآن
ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة
والتجأوا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انهما تتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم
لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر
والثالث انه عليه السلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض
فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن وبشر الذين
آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من
آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من
ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف
الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم
اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب
ومن امن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول
او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب
الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنؤوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على
البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور
في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني
بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما
قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات
جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك
صالحة من ال لام بظهر الغيب تاتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل
الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان
السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي
هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه
ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف
على نفسه ولا على ما هو داخل فيه وان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره
مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على
الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة
قال زهير كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان

لما فيها من الأشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لأنه
ستر في الدنيا ما أعد فيها للبشر من أفنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من
قرة أعين وجمعها وتنكيرها لأن الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة
النعيم وجنة عدن ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة
منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الأعمال والعمال واللام يدل على استحقاقهم
إياها لأجل ما ترتب عليه من الإيمان والعمل الصالح لا لذاته فإنه لا يكافئ النعم السابقة فضلا
من أن يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الإطلاق بل
بشرط أن يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فأولئك حبطت أعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن أشركت ليحبطن عملك وأشباه ذلك
ولعله سبحانه لم يقيد هنا استغناء بها تجري من تحتها الأنهار أي من تحت أشجارها كما تراها
جارية تحت الأشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق أنهار الجنة تجري في غير أخدود واللام
في الأنهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري أو للعهد والمعهود هي الأنهار المذكورة
في قوله تعالى أنهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون
البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الإضمار أو المجاز أو المجاري
أنفسها وإسناد الجري إليها مجاز كما في قوله تعالى وأخرجت الأرض أثقالها كلما رزقوا منها
من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة
كأنه لما قيل إن لهم جنات وقع في خلد السامع أثمارها مثل ثمار الدنيا أم أجناس أخر فأزيح
بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الأولى والثانية للابتداء واقعتان
موقع الحال وأصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة
قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الأولى رزقا
وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل أن يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في
قولك رأيت منك أسدا وهذا إشارة إلى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا إلى نهر جار هذا الماء
لا ينقطع فإنك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه
وإن كانت الإشارة إلى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل
ذاته ذاته كقولك أبو يوسف أبو حنيفة من قبل من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس
ثمر الدنيا لتميل النفس إليه أول ما ترى فإن الطباع مائلة إلى المألوف متنفرة عن غيره و
يتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه إذ لو كان جنسا لم يعهد ظن أنه لا يكون إلا كذلك
أو في الجنة لأن طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن أن أحدهم يؤتى بالصحفة فيأكل
منها ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد
والطعم مختلف أو كما روي أنه عليه السلام قال والذي نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة
ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة إلى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم إذا رأوها

على الهيئة

على الهيئة الأولى قالوا ذلك والأول أظهر لمحافظته على عموم كلما فإنه يدل على ترديدهم
هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم إلى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من
التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة وأتوا به متشابها اعتراض
يقرر ذلك والضمير على الأول راجع إلى ما رزقوا في الدارين فإنه مدلول عليه بقوله هذا الذي
رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أي بجنسي الغني والفقير
وعلى الثاني إلى الرزق (أي في الجنة) فإن قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا و
الآخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من أطعمة الدنيا إلا الأسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة
التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في إطلاق التشابه هذا وإن للآية محملا
آخر وهو أن مستلذات أهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة
في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل أن يكون المراد من هذا الذي رزقنا أنه ثوابه ومن تشابهها
تماثلها في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تعملون
في الوعيد ولهم فيها أزواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من أحوالهن كالحيض والدرن
ودنس الطبع وسوء الخلق فإن التطهير يستعمل في الأجسام والأخلاق والأفعال وقرئ مطهرات
وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال شعر وإذا
العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والإفراد
على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة أبلغ من طاهرة ومتطهرة
للإشعار بأن مطهرا طهرهن وليس هو إلا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والأنثى وهو في الأصل
لما له قرين من جنسه كزوج الخف فإن قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة
المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر
أحوالها إنما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى بأسمائها على
سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد
عين فائدتها وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود في الأصل الثبات المديد دام
أم لم يدم ولذلك قيل للأثافي والأحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الإنسان على حاله ما دام
حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله خالدين فيها أبدا لغوا
واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا أو مجازا والأصل ينفيهما
بخلاف ما لو وضع للأعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كإطلاق الجسم على الإنسان مثل قوله تعالى
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام هنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات
والسنن فإن قيل الأبدان مركبة من أجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية إلى الانفكاك
والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت إنه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة
بأن يجعل أجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على إحالة الآخر
متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما نشاهد في بعض المعادن هذا وإن قياس

ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم
انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه
الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال
كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الاخرة بابهى
ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور

ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الايات السابقة متضمنة لانواع
من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له
من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل
انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد
فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من
طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات
البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم
من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة
السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من
مخ البعوض لا على ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين
واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب
واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما
ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من امن
به بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل
بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم
وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو
انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية
فيردها عن افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وخشي اذا اعتلت نساه وحشاه و
اذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه
ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد
به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه
اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن في
بسبت في اناء من الورد وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الاية خاصة
ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم واصله
وقع شيء على اخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه
بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد

كقوله

كقولك اعطني كتابا ما اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة
ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القران كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه
وانما وضعت لان يذكر مع غيره فتفيده وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه
وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما
مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدأ وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان تكون
موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تمام على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك و
محلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدأ كانه لما ردّ استبعادهم ضرب الله
الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من
ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار وديناران والبعوض فعول من البعض وهو
القطع كالبضيع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان
جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه
والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا
وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين
ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه
يحتمل ما يجاوز الشوكة في الالم كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه السلام
ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة فاما الذين امنوا فيعلمون
انه الحق من ربهم اما حرف تفصل ما اجمل وتؤكد ما به صدر وتضمن معنى الشرط ولذلك
تجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة
وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط
فادخلوا الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين و
اعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت
الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم
حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون كان من حقه و
اما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا
واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا اراد الله
بهذا مثلا يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته و
المجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما
اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة
نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول
مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف

في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساهٍ ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا
لم تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر
الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب
هذا الترجيح وهى اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفى هذا استحقار واسترذال و
مثلاً نصب على التمييز او الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا جواب
ماذا اى اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد

اى هداية كثير

او بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده
والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا باعتبار
المقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادى
الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف
كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا وقال ان الكرام كثير فى البلاد وان قلوا كما غيرهم قل
وان كثروا وما يضل به الا الفاسقين اى الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين
هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة
فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق فى الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث
الاولى التغابى وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها
غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى
خططه خلع ربقة الايمان ولابس الكفر وما دام هو فى درجة التغابى والانهماك فلا يسلب عنه
اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذى هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده
جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتى المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما فى بعض الاحكام و
تخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذى اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال
وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل
الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ
يُضَل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم
وتقرير للفسق والنقض فسخ التركيب واصله فى طاقات الحبل واستعماله فى ابطال العهد من حيث
ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل
كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل فى ثبات
الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها
على انه اسد فى شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شأنه ان يراعى
ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ و
هذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب

وجوده

وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل على
الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم
يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره
وقيل عهود الله ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه
على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذ على العلماء بان يبينوا الحق
ولا يكتموه من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهى الاحكام والمراد
به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون
بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة
بين الانبياء عليهم السلام والكتب فى التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض
خير او تعاطى شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل
والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمى الامر الذى هو واحد
الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال
شأنت شأنه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره
والثانى احسن لفظا ومعنى ويفسدون فى الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع
الوصل التى بها نظام العالم وصلاحه اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن
النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن فى الآيات بالايمان
بها والنظر فى حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب
بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التى يقع عليها على
الطريق البرهانى لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال
يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى فى انكار الكفر من أتكفرون واوفق
لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال
خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبرونى
على اى حال تكفرون وكنتم امواتا اى اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا
ومضغا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء
لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقى ثم يميتكم عند تقضى آجالكم ثم يحييكم
بالنشور يوم ينفخ الصور او للسؤال فى القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم
او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا
انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما
لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم فى ازاحة العذر سيما وفى الآية تنبيه على ما يدل على صحتها
وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر على ان يحييهم ثانيا فان بدأ الخلق ليس باهون عليه

من اعادته او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعد
على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعد
عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف يعد الاماتة
من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال تعالى
وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة
باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لكل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل
وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى
كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت
المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا
مجاز في القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل
والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال تعالى
قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم
والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرأ
يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القران هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى
مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه
بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح
ابدانكم بوسط او بغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من
لذات الاخرة والامها على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض
من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها
ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل
ما في الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من
الموصول الثاني ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا
قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال
لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى
وملك قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة
المعدى بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو
وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين امنوا
لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تأخر
دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان يستأنف بدحاها مقدرا

لنصب الارض فعلا اخر دل عليه أنتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك
لكنه خلاف الظاهر فسواهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء
ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا
سبع سموات بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك
قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي
لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق
ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق
العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن
الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعدما
تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث
لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق
عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الايتين اما الاولى
فهو ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة عليها بدل واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا
فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها
بذاتها وما بالذات يابى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر
على جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتها بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا
واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير
تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته
جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو وهو فهو تشبيها له بعضد
واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان
خلق ادم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع
لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب
اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة
ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله واذكر اخا عاد
ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله
في الاية قالوا او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القران كثيرا او
مضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة
على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل
والتاء لتانيث الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله
وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم
على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة

على التشكل بأشكال مختلفة مستدلين بأن الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من
النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للأبدان وزعم الحكماء أنها جواهر
مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة إلى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في
معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل و
النهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض
على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الإلهي لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون
وهم المدبرات أمرا فمنهم سماوية ومنهم أرضية على تفصيل أثبته في كتاب الطوالع والمقول
لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الأرض وقيل إبليس ومن كان
معه في محاربة الجن فإنه تعالى أسكنهم في الأرض أولا فأفسدوا فيها فبعث إليهم إبليس
في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما
في الأرض خليفة عمل فيهما لأنه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند إليه ويجوز أن يكون بمعنى
خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء للمبالغة والمراد به آدم عليه السلام لأنه
كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة الأرض وسياسة الناس و
تكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول
فيضه وتلقي أمره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا ألا ترى أن الأنبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء
ولو لم تمسسه نار أرسل إليهم الملائكة ومن كان منهم أعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى
في الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة أن العظم لما عجز
عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب
لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذاك أو خليفة من سكن الأرض قبله أو هو وذريته لأنهم يخلفون
من قبلهم أو يخلف بعضهم بعضا وإفراد اللفظ إما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر
أبي القبيلة في قولهم مضر وهاشم أو على تأويل من يخلف أو خلفا يخلف وفائدة قوله هذا للملائكة
تعليم المشاورة وتعظيم شأن المجعول بأن بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه
وإظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان أن الحكمة تقتضي إيجاد ما يغلب
خيره فإن ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير إلى غير ذلك قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و
يسفك الدماء تعجب من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يفسد فيها أو يستخلف مكان
أهل الطاعة أهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد و
ألغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض
على الله تعالى ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة فإنهم أعلى من أن يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل
عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وإنما عرفوا ذلك بإخبار من الله تعالى
أو تلق من اللوح أو استنباط عما ركز في عقولهم أن العصمة من خواصهم أو قياس لأحد الثقلين على الآخر

والسفك

والسفك والسبك والسفح والشن أنواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع
والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من أعلى والشن في الصب عن فم القربة ونحوها
وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع إلى من سواء جعل موصولا
أو موصوفا محذوفا أي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة
لجهة الإشكال كقولك أتحسن إلى أعدائك وأنا الصديق المحتاج والمعنى أتستخلف عصاة و
نحن معصومون أحقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على
الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكأنهم علموا أن المجعول خليفة ذو ثلث
قوى عليها مدار أمره شهوية وغضبية تؤديان به إلى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه إلى
المعرفة والطاعة ونظروا إليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين
لا تقتضي الحكمة إيجاده فضلا عن استخلافه وأما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع
منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين إذا صارت
مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والإنصاف ولم
يعلموا أن التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالإحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات و
استخراج منافع الكائنات من القوة إلى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف وإليه أشار تعالى إجمالا
بقوله قال إني أعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الأرض
والماء وقدس في الأرض إذا ذهب فيها وأبعد ويقال قدس إذا طهر لأن مطهر الشيء مبعده عن
الأقذار وبحمدك في موضع الحال أي متلبسين بحمدك على ما ألهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك
تداركوا به ما أوهم إسناد التسبيح إلى أنفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لأجلك كأنهم
قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو أعظم الأفعال الذميمة
بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة وعلم آدم الأسماء كلها إما بخلق علم ضروري
بها فيه أو إلقاء في روعه ولا يفتقر إلى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم
غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم أعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الأدمة أو الأدمة
بالفتح بمعنى الأسوة أو من أديم الأرض لما روي عنه عليه السلام أنه تعالى قبض قبضة من جميع الأرض
سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه أخيافا أو من الأدم والأدمة بمعنى الألفة تعسف
كاشتقاق إدريس من الدرس ويعقوب من العقب وإبليس من الإبلاس والاسم باعتبار
الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه إلى الذهن من الألفاظ والصفات والأفعال
واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا أو مفردا مخبرا عنه أو خبرا أو رابطة
بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة والمراد
في الآية إما الأول أو الثاني وهو يستلزم الأول لأن العلم بالألفاظ من حيث الدلالة متوقف
على العلم بالمعاني والمعنى أنه تعالى خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لإدراك أنواع
المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات وألهمه معرفة ذوات الأشياء وخواصها

واسماءها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير
فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف
عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات
فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات
الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن
او مسمياتها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف
والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق
محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري
مجرى كل واحد منهما ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم
واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم و
التصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار
وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف
بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان
لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار الشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما
اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل
الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ
في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال و
لذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك
اني كنت من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل
الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تأكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز
مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز
يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ
بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على
وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر
لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو
ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون
استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة
واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير
واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة
بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه

بمن يحترف

بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها
ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان
يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم
والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء
منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم
افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
لما انبأهم باسمائهم وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا
عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق
ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة
الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى
الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طأطأ رأسه
وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو
الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشأنه او سببا لوجوبه وكأنه تعالى لما خلقه بحيث
يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني
وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات
امرهم بالسجود تذللا لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته
واللام فيه كاللام في قول حسان أليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن
او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له
كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم
والكلام في ان المامورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى
واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه
بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى
الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وكان من الكافرين اي في علم الله
او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا
يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية
تدل على ان آدم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة
والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن
لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملائكة ضربا

وهو العلم بما لا يعلمون

اى الملائكة

يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان
جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مأمورين
مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مأمورون
بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مأمورون به والضمير في فسجدوا راجع الى
القبيلين وكانه قال فسجد المأمورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم
وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا
من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة و
الفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قال ابن عباس فلذلك
صح عليه التغير عن حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس كان من الجن
ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت
عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار
لانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر
مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة
مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت [رجعت] عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفي
نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى
ومن فوائد الاية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره
وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر فهو كافر
على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا
الاشعري رحمه الله وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار
ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على ان المقصود
بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها
لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا
لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا
منها رغدا واسعا رافها صفة مصدر محذوف حيث شئتما اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر
عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات
التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية
وميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم
فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء
تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او

شجرة

شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الاية لعدم توقف
ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء فازلهما الشيطان عنها
اصدر [اظهر] زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري
او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى
غير ان ازل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى
وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته
اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على
طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من
الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء
وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم
الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله فاخرجهما مما كانا فيه
من الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحواء لقوله قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير
لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها
للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء بعضكم لبعض عدو حال استغنى فيها عن الواو بالضمير
والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم في الارض مستقر موضع استقرار
او استقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت او القيامة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها
بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته
وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك
وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس
قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال
الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة
الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع
عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب
والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حواء كانت تبعا له في الحكم
ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر القرآن والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة
او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا
عن المعصية واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ
في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر
للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها
ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك
والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان يعوقه

عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما
كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو
كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي
اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤا جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به
ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن معنى الطلب فيه والمعنى ان ياتينكم مني هدى
بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى كائن لا محالة
لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول
وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا
خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع
والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على اكد وجه وابلغه وقرئ هدي
على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون عطف على من تبع الى اخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا
باياته او كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور
والاية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع و
علمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القران المتميزة عن غيرها واشتقاقها من اي لانها تبين
اياً من اي او من اوى اليه واصلها اية او اوية كتمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس او ايية
او اوية كرمكة فاعلت او ائية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد باياتنا الايات
المنزلة او ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم السلام
من وجوه الاول ان ادم عليه السلام كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني
انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه
تعالى اسند اليه العصيان والغي وقال وعصى ادم ربه فغوى والرابع انه تعالى لقنه التوبة
وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو
لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان
والثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى
له واما اسناد الغي والعصيان اليه فسياتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله تعالى وانما
امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله
للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب
بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم
قدرهم كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل او

ادى

ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجاهل
بشانه لا يقال انه باطل بقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين لانه ليس فيهما ما يدل
على ان تناوله حين ما قال له ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة
لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام اقدم عليه
بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول
من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه السلام اخذ حريرا
وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تفظيعا
لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة
مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان
غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد
والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث
محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على
ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة
المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك تدل على انه قادر
على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله
عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه فقال
يا بني اسرائيل اي اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه
فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله
وقيل عبد الله وقرئ اسرائيل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم اي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود
بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر
الى ما انعم به عليه حمله حب النعمة على الرضى والشكر وقيل اراد بها ما انعم على ابائهم من الانجاء
من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم
وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من
لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة
والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول
فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعد لهم بالثواب
على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله
حقن الدم والمال واخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن
غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس اوفوا بعهدي في اتباع محمد
اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر

وهو المراعاة لحكم الله فزالت بسبب النسيان

اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم
فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من
الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة
واياي فارهبون فيما تأتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو اكد في افادة
التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على
تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني والرهبة خوف معه تحرز
والاية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي
ان لا يخاف احدا الا الله وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر به
والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب
الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى
التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من
جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة
الى زمانها مراعى فيه صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك
قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان
به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به بان الواجب ان تكونوا اول من امن به
ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر
وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به
كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب قلت المراد به
التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول
كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر
من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير
قياسي او أول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا
بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما
يفوت عنكم من حظوظ الاخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم و
هدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوا
يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه واياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض
عن الدنيا ولما كانت الاية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الاية الثانية فصلت
بالرهبة التي هي مبدأ التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدأ
السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا
الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا

الحق

الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او ولا تجعلوا الحق ملتبسا
بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله وتذكرونه في تأويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت
حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق
والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل
وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار
بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم لابسون كاتمون
فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم
فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على
ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكا الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة في المال
ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل
واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة
لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع
والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما
والدهر قد رفعه اتأمرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر
وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة
الاقارب وبر في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس
انها نزلت في احبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل
كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وانتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون
اي تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون
قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل
الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس
تدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث
نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه
شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع
الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المأمور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر
واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة و
ترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار
النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة و
تصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية
والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيها والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة
واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق و

قراءة القران والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المارب وجبر المصائب روى انه عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء
وانها اى الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله كبر على المشركين
ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين اى المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم
ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اى يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله تعالى فيجازيهم ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم
فى الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط
ما بين الشراسيف جائف وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها
متوقعة فى مقابلتها ما تستحقر لاجله مشاقها وتستلذ بسببه متاعبها ومن ثمه قال عليه السلام
وجعلت قرة عينى فى الصلوة يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم كرره للتوكيد
وتذكير التفضيل الذى هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها
واخل بحقوقها وانى فضلتكم عطف على نعمتى على العالمين اى عالمى زمانهم يريد به تفضيل
ابائهم الذين كانوا فى عصر موسى وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم من العلم والايمان والعمل
وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف واتقوا
يوما اى ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزى نفس عن نفس شيئا لا تقضى عنها شيئا من الحقوق
او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين
ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلى والجملة صفة
ليوما والعائد منها محذوف تقديره لا تجزى فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع
فيه فحذف عنه الجار واجرى مجرى المفعول به ثم حذف من قوله اوما قال اصابوا ولا يقبل منها
شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالاية
نفى ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول
النصرة والثانى اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثانى اما باداء ما كان
عليه وهو ان يجزى عنه او بغيره وهو ان يعطى عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له
كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية
سمى به الفدية لانها سويت بالمفدى وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتاء ولا هم ينصرون يمنعون
من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة
وتذكيره بمعنى العباد والاناسى والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة
بهذه الاية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث
الواردة فى الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان

ابائهم

ابائهم تشفع لهم واذ نجيناكم من ال فرعون تفصيل لما اجمله فى قوله اذكروا نعمتى التى انعمت
عليكم وعطف على نعمتى عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل ال اهل
لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولى الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب
لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكى الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل
اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون
يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه
خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب فى طلب الشئ سوء العذاب افظعه فانه
قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة
حال من الضمير فى نجيناكم او من ال فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان يسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف
وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى فى المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب
بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا وفى ذلكم بلاء اى محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم
ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة
وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما
من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفى الاية
تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر
على مضاره ليكون من خير المختبرين واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى
حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم
والتريبا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثنى عشر بعدد الاسباط فانجيناكم
واغرقنا ال فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل
شخصه كما روى ان الحسن كان يقول اللهم صل على ال محمد اى شخصه واستغنى بذكره عن ذكر
اتباعه وانتم تنظرون ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة
او جثثهم التى قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روى انه تعالى امر موسى بان يسرى
ببنى اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله اليه
اضرب بعصاك البحر فضربه فظهرت فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى
نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر
ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم
اجمعين واعلم ان هذه الوقعة من اعظم ما انعم الله به على بنى اسرائيل ومن الايات الملجئة
الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل فى الفطنة والذكاء وسلامة النفس
وحسن الاتباع عن امة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة

يذكركما انه ذكيا واخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره واذ واعدنا
موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه
التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور
وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي و
وعد موسى المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا من بعده من بعد موسى
او مضيه وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا
درس من بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون لكي تشكروا عفوه واذ اتينا موسى
الكتاب والفرقان يعني التورية الجامع بين كونه كتابا وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل
اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى وبين الكفر والايمان وقيل الشرع
الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد يوم
بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الايات واذ قال موسى لقومه يا قوم
انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى
من خلقكم بريئا من التفاوت ومتميزا بعضها عن بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب
لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه
او الانشاء كقولهم برأ الله ادم من الطين او فتوبوا فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع
او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل
بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل يرى بعضه وقريبه
فلم يقدر المضي لامر الله فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون
من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين
الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة
من الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته
من كلام موسى عليه السلام لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم او عطف على محذوف
ان جعلته خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم فتاب عليكم
بارئكم وذكر البارئ وترتب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا
عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق
بان تسترد منه النعمة ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب انه هو التواب الرحيم الذي
يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن
نؤمن لك لاجل قولك او لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل مصدر قولك
جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او حال من
الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فتكون
حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة الاف من قومه و

المؤمنين به

المؤمنين به ان الله الذي اعطاك التورية وكلمك او انك نبي فاخذتكم الصاعقة
لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته
رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن ان يرى رؤية
منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الاخرة وللافراد من الانبياء في بعض الاحوال في
الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا
صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون ما اصابكم بنفسه او اثره ثم بعثناكم من
بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم لقوله تعالى ثم بعثناهم
لعلكم تشكرون نعمة البعث وما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة وظللنا عليكم
الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى
الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم
السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من
طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا
هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره واذ قلنا
ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا
واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب اي باب القرية او القبة التي كانوا
يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام سجدا منطامنين مخبتين
او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة
من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا
اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم
خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله
خطائي كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان
فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت
الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء
وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد
ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي
قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا
على الذين ظلموا كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع
غير المأمور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا
من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف
عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به
في ساعة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا

اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت
تنبع من كل وجه ثلث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف
وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا او حجرا اهبطه ادم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا
او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه من الادرة فاشار
اليه جبريل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف
بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضرب بعصاه اذا نزل
فينفجر ويضرب به اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله
اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان
ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في
الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او
فضرب فانفجرت كما مر في قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه
قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول من
رزق الله يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل
ما ينبت به ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب
في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا
راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا
ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن
ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا
يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب وتصييره ماء بقوة التبريد ونحو
ذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى
وبوحدته انها لا تختلف ولا تتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انها لا
تتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا
فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا
يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة مما تنبت الارض من
الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها
وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته
الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل
الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه قال اي الله تعالى او موسى اتستبدلون الذي
هو ادنى اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما
استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة بالذي هو
خير يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي اهبطوا مصرا

انحدروا

انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم
والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون
وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائيم فعرب
فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت
عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود في غالب
الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان يضاعف جزيتهم وباؤ
بغضب من الله رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به
واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء
بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم
بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار
العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان واية الرجم والتي فيها نعت محمد عليه السلام
من التوراة وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم
اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا
كما اشار اليه بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء
فيه الى الكفر بالايات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها
كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر للاشارة للدلالة على ان
ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل
الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا
على تأويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق
كأنه في الجلد توليع البهق والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها
ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ان الذين امنوا بالسنتهم يريد به المتدينين
بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك
الكفرة والذين هادوا تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي
من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا وكانهم سموا باسم اكبر
اولاد يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما
في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة
فسموا باسمها او من اسسها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين
نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن
صبا اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم
مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل من امن بالله واليوم الاخر
وعمل صالحا من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى

شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في الاسلام دخولا صادقا
فلهم اجرهم عند ربهم الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن
مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه
معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى
ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم
باتباع موسى والعمل بالتوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى
عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وأبوا قبولها
فامر جبرئيل فقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم
من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه
فانه ذكر بالقلب واعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين
ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا
ثم توليتم من بعد ذلك ثم اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم
ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين
المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع
الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم
الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده
وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة
للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه
للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم
كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر
الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول
وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة
خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما
مسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا
وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا
كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز فجعلناها
اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين
يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت
قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل
تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين

من قومهم

من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اول
هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلالها
بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة
الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتله بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب
المدينة ثم جاؤوا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر
بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا مكان هزو واهله او مهزوا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء
استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم
بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزء في مثل
ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة
استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان
يقولوا اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على
حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول
انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض
وهو القطع كأنها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف
قال نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اي ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين
فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل
على ان المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد
بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص
ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي
عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله
عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي ما تؤمرونه
بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع
نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده
الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديد الصفرة
صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك
خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها
من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع
تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ان البقر
تشابه علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا

وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالتاء والياء وتشابه
بطرح التاء وادغامها على التذكير وتشابهت وتشابهت مخففا ومشددا وتشبّه بمعنى
تتشبه ويشبّه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومشبّه ومتشبّه وانا ان شاء الله لمهتدون
الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بيّنت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا
على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد
الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال
انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث
ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا
ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت
برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي من اسقى مسلّمة سلّمها الله من العيوب واهلها
من العمل او اخلص لونها من سلّم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون
جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن
جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحقيقتها لنا وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام والآن
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصّلوا البقرة المنعوتة
فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل
او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها
لابني حتى يكبر فشبّت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها
بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع
لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح
انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما
اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا
كالمضطر الملجأ الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادّارأتم فيها
اختصمتم في شانها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه
الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما
كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه
حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادّارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير
على تأويل الشخص او القتيل ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها
اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه
فحيي والخطاب مع من حضر حياة القتيل او نزول الآية ويريكم آياته دلائله على كمال قدرته
لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس
كلها او تعملون على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء

الواجب

الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب
ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه انه ضحى
بنجيبة بثلاثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر
لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان
يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر
وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من مقابحها
بحيث يصل اثره الى نفسه فتحيى حياة طيبة وتعرب بما ينكشف الحال ويرتفع ما بين
العقل والوهم من التدارؤ والتنازع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ
مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد
ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدّد من الآيات فانها مما يوجب لين القلب فهي كالحجارة
في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زائدة عليها فيها او انها
مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة
الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد
القسوتين واشتمال المفضّل على زيادة او للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها
بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه
الماء وان منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر وتنفعل
فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا
لما اراد الله به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن امر الله والتفجر التفتح بسعة وكثرة
والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها
وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير بالياء
ضما الى ما بعده افتطمعون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم
ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة
من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التورية ثم يحرفونه كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية
الرجم او تأويله فيفسرونه بما يشتهونه وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله
حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه
الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق
لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومتقدميهم
كانوا على هذه الحالة فما طمعك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة
في ذلك واذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق ورسولكم
هو المبشر به في التورية واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين
على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد صلى الله عليه وسلم

او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في
كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي
ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله
وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر
ربكم او بما عند ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيمة وفيه نظر اذ
الاخفاء لا يدفعها افلا تعقلون اما تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم
يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون
حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او
كليهما او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم
الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن
مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا
التورية ويتحققوا ما فيها او التورية الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي
في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى
وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة
سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليله
تمنى داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم
الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع و
ان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال
انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك
مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون
الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة بايديهم تأكيد كقولك كتبته
بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا
فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني
المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد به الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة
بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده الا اياما معدودة
محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما
وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل
اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال و
الباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا
فلن يخلف الله وعده وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون

ام معادلة

ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما
او منقطعة بمعنى بل تقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس النار
لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب
النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات
والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطأ والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة
على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته اي استولت عليه وشملت جملة
احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في شان الكافر لان
غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها
السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله
والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه
فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا
لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان
كذبوا بايات الله وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام
فيهما فاولئك اصحاب النار ملازموها في الاخرة كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا
هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والاية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب
الكبيرة وكذا التي قبلها والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
جرت عادته سبحانه على ان يشفع وعده بوعيده ليرجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل
على الايمان يدل على خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله
اخبار في معنى النهي كقوله لا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من
ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا الا الله وعطف
قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وتدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق
او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال وحلفناهم لا يعبدون
وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء
لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او واحسنوا وذي القربى
واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل
ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا و
سماه حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب حسنا وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة
اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل
الخطاب مع الموجودين منهم في عهد الرسول عليه السلام ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق

تمامه وان اشهد اللذات هل انت مخلدي

ورفضتموه ثم توليتم الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم
وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب
عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون
انفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء
وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا وقيل
معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم و
يصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي
داركم فانه الجلاء الحقيقي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد
كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم
فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار
به والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون
كقولك انت ذاك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار
ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون
فريقا منكم من ديارهم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد
والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتّلون على التكثير
تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او مفعوله او كليهما والتظاهر
التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين وقرئ باظهارهما وتظهرون
بمعنى تتظهرون وان ياتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير
حلفاء الخزرج فاذا اقتتلوا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا
اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين
تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتأمرون الناس بالبر
وتنسون انفسكم وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه كسكرى و
سكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من
المصدر واخراجهم تاكيد او بيان افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض
يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا كقتل
قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى منه و
لذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله
بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد اي الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ
عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم في رواية ابي

اى لم يوجب المكلف فى لا تعبدون

ويعقوب

ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة
اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا و
التعذيب في الاخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية
وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى
يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب واتينا عيسى
ابن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار
بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء
كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل واتيناه
قويناه وقرئ ايدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق
اراد به جبريل وقيل روح عيسى ووصفه بها لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله
ولذلك اضافه الى نفسه او لانه لم يضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث او الانجيل او اسم
الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القران افكلما جاءكم
رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوى بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح
هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك
بهذا وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم
عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او التفصيل وفريقا
تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها
في النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حولتم قتل محمد
لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة
باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل
اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية للعلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما
تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت
على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انها تاب
قبول ما تقوله لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة
ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا
يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم
ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القران مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال
من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي اخر الزمان المنعوت
في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة
والاشعار بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا

تمامه ضليل اهواء الصبي مندمه

وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين أي عليهم وأتى بالمظهر للدلالة على أنهم لعنوا
لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز أن يكون للجنس ويدخلون فيه دخولا أوليا لأن الكلام
فيهم بئسما اشتروا به أنفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته
ومعناه باعوا أو شروا بحسب ظنهم فإنهم ظنوا أنهم خلصوا أنفسهم من العقاب بما
فعلوا أن يكفروا بما أنزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو
علة يكفروا دون اشتروا للفصل أن ينزل الله لأن ينزل أي حسدوه على أن ينزل
الله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالتخفيف من فضله يعني الوحي على من يشاء من
عباده على من اختاره للرسالة فباؤا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو أفضل
الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى أو بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد
به إذلالهم بخلاف عذاب العاصي فإنه طهرة لذنوبه وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله يعم
الكتب المنزلة بأسرها قالوا نؤمن بما أنزل علينا أي بالتورية ويكفرون بما وراءه حال
من الضمير في قالوا ووراء في الأصل مصدر جعل ظرفا ويضاف إلى الفاعل فيراد به ما يتوارى به
وهو خلفه وإلى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الأضداد وهو الحق
الضمير لما وراءه والمراد به القرآن مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فإنهم
لما كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين
اعتراض عليهم بقتل الأنبياء مع ادعاء الإيمان بالتورية والتورية لا تسوغه وإنما أسنده
إليهم لأنه فعل آبائهم وأنهم راضون به عازمون عليه ولقد جاءكم موسى بالبينات
يعني الآيات التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم العجل
أي إلها من بعده بعد مجيء موسى بالرسالة أو ذهابه إلى الطور وأنتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل
ظالمين بعبادته أو بالإخلال بآيات الله أو اعتراض بمعنى وأنتم قوم عادتكم الظلم و
مساق الآية أيضا لإبطال قولهم نؤمن بما أنزل علينا والتنبيه على أن طريقتهم مع الرسول
عليه السلام طريقة أسلافهم مع موسى عليه السلام لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها وإذ أخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا أي قلنا لهم خذوا ما
أمرتم به في التورية بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا أمرك وأشربوا
في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ
الثوب والشراب أعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الإشراب كقوله إنما يأكلون في بطونهم
نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لأنهم كانوا مجسمة أو حلولية ولم يروا جسما أعجب منه
فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما يأمركم به إيمانكم أي بالتورية والمخصوص بالذم
محذوف نحو هذا الأمر أو ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلاث إلزاما عليهم
إن كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم الإيمان بالتورية وتقديره إن كنتم مؤمنين بها لما
أمركم بهذه القبائح ولا رخص لكم فيها إيمانكم بها أو إن كنتم مؤمنين بها فبئسما أمركم به إيمانكم

بها لأن المؤمن ينبغي أن لا يتعاطى إلا ما يقتضيه إيمانه لكن الإيمان بها لا يأمر به فإذا
لستم بمؤمنين قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل
الجنة إلا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار من دون الناس سائرهم أو المسلمين و
اللام للعهد فتمنوا الموت إن كنتم صادقين لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاقها وأحب
التخلص إليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا أبالي سقطت على الموت أو
سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن ألاقي الأحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين
احتضر جاء حبيب على فاقة لا أفلح من ندم أي على التمني سيما إذا علم أنها سالمة لا يشاركه
فيها غيره ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد عليه السلام والقرآن
وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالإنسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه و
منها أكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة أخرى وهذه الجملة إخبار بالغيب وكان كما
أخبر لأنهم لو تمنوا لنقل واشتهر فإن التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو أن يقول ليت
كذا وإن كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص
كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الأرض والله عليم بالظالمين
تهديد لهم وتنبيه على أنهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم
أحرص الناس على حيوة من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه هم وأحرص وتنكير حيوة
لأنه أريد فرد من أفرادها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ باللام الحيوة ومن الذين أشركوا محمول
على المعنى فكأنه قال أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وأفردهم بالذكر للمبالغة فإن حرصهم
شديد إذ لم يعرفوا إلا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فإنه لما زاد حرصهم
وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بأنهم صائرون إلى النار ويجوز
أن يراد وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة الأول عليه وأن يكون خبر مبتدأ محذوف صفته
يود أحدهم على أنه أريد بالذين أشركوا اليهود لأنهم قالوا عزير ابن الله أي ومنهم ناس يود
أحدهم وهو على الأول بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر ألف سنة
حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان أصله لو أعمر فأجري على الغيبة لقوله يود كقولك
حلف بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر الضمير لأحدهم وأن يعمر فاعل
مزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره أو لما دل عليه يعمر وأن يعمر بدل منه
أو مبهم وأن يعمر موضحه وأصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم
سانهته وتسنهت النخلة إذا أتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما
يعملون فيجازيهم قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا وأشدها
أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل
وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فلا يسلطكم عليه وإلا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضي الله عنه

مدراس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا
وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما
من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا
كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو واحد منهما فهو عدو
الله ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر
وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهورة جبريل كسلسبيل قراءة حمزة و
الكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم في رواية
ابي بكر وجبريل كقنديل قراءة الباقين واربع في الشواذ جبرائل وجبرائيل وجبرال و
جبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله فانه نزله البارز الاول لجبريل
والثاني للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته
لم يحتج الى سبق ذكره على قلبك فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه
على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله بامره او تيسيره
حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله
والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف
او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا
للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزله
عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال من كان عدوا
لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله
مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله
والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكين بالذكر لفضلهما كانهما جنس اخر والتنبيه
على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله وان من عادى
احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة
كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة
الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال
كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكائل ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر
بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل
على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة
للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ
بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا اوكلما عاهدوا وقرئ عوهدوا و
عهدوا نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق

لان

لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او
ان من لم ينبذ جهارا فانهم يؤمنون خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم
كعيسى ومحمد عليهما السلام نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التورية
لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان
بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول كالقرآن وراء ظهورهم مثل لاعراضهم
عنه راسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه
كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين
على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب
وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها
وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا
بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها حقيقة
عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على نبذ
اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرأها او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او
منهما على ملك سليمان اي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع و
يضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس و
فشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم
وانه تسخر به الانس والجن والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن
السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين
كفروا باستعماله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين يعلمون
الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله
بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه
في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام وبهذا تميز الساحر عن النبي
والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب
خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي
سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار
او به نوع اخر اقوى منه او على ما تتلو وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس
وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة
يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي
عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان
سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف
على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل و

اي ولقد انزلنا الى كانهم لا يعلمون

انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما
للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما
من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت
وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان
احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم و
توقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر
وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا
انا مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين
المرء وزوجه اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله
لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على اضافته
الى احد وجعل الجار جزأ منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون
به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع
في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين
بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له في الاخرة من خلاق نصيب
ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون
قبحه على التعيين او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل
الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا
يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم امنوا بالرسول والكتاب
واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله
لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل
على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه
وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ
لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون
ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا
وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون للرسول راعنا اي
راقبنا وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين
نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي
المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى نظر
الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ
راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج
لما شابه قولهم راعنا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا يفتقروا الى طلب

المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا
الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من
اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم
يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يودوا ومن
الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به
وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله
يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق
والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق
فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من اية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود
الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة
عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما
كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم
المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ
منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر ما ننسخ من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها
منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النسء وقرئ ننسها اي ننس احدا اياها
وننسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين نأت بخير منها او مثلها
اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم
ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والاية دلت على جواز
النسخ وتاخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام
شرعت والايات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف با
لاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من
منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتي به بدلا والسنة
ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم والاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة
مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث
القران فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى
القائم بالذات القديم الم تعلم الخطاب للنبي والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده
لانه اعلمهم ومبدأ علمهم ان الله له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق
بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور ام تريدون

ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك
الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت
اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في
اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك
حتى تنزل علينا كتابا نقرأه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن
ترك الثقة بالآيات البينة وشك فيها فاقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في
الكفر بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال الى
البعد عن المقصد بتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل ود كثير من اهل الكتاب
يعني احبارهم لو يردونكم ان يردونكم فان لو ينوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد
ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز ان
يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او
بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت
المذكورة في التورية فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى
يأتي الله بامره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بني النضير
وعن ابن عباس انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ان الله على كل شيء قدير
فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر
والمخالفة والتجأ الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة
وقرئ تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده
عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا
هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر
وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهو ان لا
ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في
الاية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني
كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في
دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة
من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره
الذي وعد له على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان
كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله
بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من
اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء

وقالت

وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون
الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك
مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على
المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس
بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الاخر من اصله والكفر بنبيه
وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان
يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى
في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله
او المشركين لما منعوا رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي
منع وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اي المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين
ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق
ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله
وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه
النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة ومنعه مالك وفرق الشافعي
بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب
عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا
يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم
الارض مسجدا فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته
التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه
ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم و
اعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم
عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبين خطاؤهم وعلى هذا لو اخطأ
المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون
في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قال اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح
ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله
ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه و
الحاجة وسرعة الفناء الا يرى في الاجرام الفلكية في امكانها وفنائها لما كانت باقية
ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا
بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق

ما في السموات والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون
على مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له
ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون
على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز
ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة
والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك
ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات
والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته وارضه
من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال
مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون
والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب
الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على
البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء
قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق ارادة
الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث
فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة
بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان
اتخاذ الولد يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون
بالنصب واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون
الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه
هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا
ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اي
جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة
او يوحي الينا بانك رسوله او تاتينا اية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني
جحود لان ما اتاهم ايات استهانة به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية
مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد
بينا الايات لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة
ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الايات او لطلب مزيد يقين وانما
قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق متلبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان
اصروا وكابروا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع و

يعقوب

يعقوب ولا تسأل على انه نهي للرسول عليه السلام عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم
لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع
خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عليه السلام عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه
حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال
قل تعليما للجواب ان هدى الله هو الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى
الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم اراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله لعباده
على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى رأي يتبع الشهوة بعد الذي جاءك
من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه
وهو جواب لئن الذين اتيناهم الكتاب يريد به مؤمني اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة
اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او
خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين
ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا
تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر
قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة واهوالها
كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القضية والمقصود من
القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل التكليف بالامر
الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير
لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق
على المعاني فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله التائبون العابدون
وقوله ان المسلمين الى اخر الايتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت
بها في قوله فتلقى ادم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سنته وبمناسك الحج وبالكواكب و
القمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنه
الايات التي بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل
هذا البلد امنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام فاتمهن فاداهن كملا وقام بهن
حق القيام لقوله وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخرى الضمير لربه اي اعطاه جميع
ما دعاه قال اني جاعلك للناس اماما استئناف ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل
فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره
من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة
معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامه

عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مأمورا باتباعه قال ومن ذريتي
عطف على الكاف اى وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب ساكرمك والذرية نسل الرجل
فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او
فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة قال لا ينال عهدي
الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة
لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل
على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى
واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اى الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة
للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره
وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد وامنا وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله حرما امنا
ويتخطف الناس من حولهم او يأمن حاجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا
يؤاخذ الجاني الملتجي اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى
على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا
اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد عليه السلام وهو امر استحباب ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه
اثر قدمه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت و
هو موضعه اليوم روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه
مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى
جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا
من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج و
اتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي
عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا
الى ابرهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد
معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله
والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اى المصلين جمع راكع
وساجد واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا يريد به البلد او المكان بلدا امنا ذا امن كقوله
في عيشة راضية او امنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله
واليوم الاخر ابدل من امن من اهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف على من امن
والمعنى وارزق من كفر قاس ابرهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة
دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن معنى الشرط
فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا
بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار

وبئس

40

اى الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر
او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابرهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر
فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة
واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون
العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابرهيم القواعد من
البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى
الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه
ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف
قاعدة ما يوضع فوقه وبرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه و
دعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشأنها واسمعيل كان يناوله الحجارة
ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب
ربنا تقبل منا اى يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم
بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم
اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين
على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك
اى واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا
صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة
الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله فانه مما يشوش المعاش
ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد عليه السلام ويجوز
ان يكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف
والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن اى ومثلهن من الارض وارنا
من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج
او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة
وقرأ ابن كثير والسوسي عن ابي عمرو ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان
الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط
منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم
لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد
صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا
امي يتلو عليهم اياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة
ويعلمهم الكتاب القران والحكمة ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن
الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له

الساف يقال لكل عرق من الحائط

ومن يرغب عن ملة ابرهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الا من سفه
نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد و
بالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه
نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب
عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع
على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه
في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له
بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه
اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف
لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى
الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين
دعاه ربه واخطر بباله دلائله المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها نزلت
لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر
ووصى بها ابرهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال
وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او
لقوله اسلمت على تأويل الكلمة او الجملة وقرأ نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف
على ابرهيم اي ووصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابرهيم يا بني على
اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة
اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين
ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي و
يهوذا ويشسوخور وزبولون ودونا ونفتوني وكودا واوشير وبنيامين ويوسف
ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله فلا تموتن الا
وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا
على تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير
العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم و
نظيره في الامر مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست
تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه
ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء
وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ
قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد

والاسلام

والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا
عرف خص العقلاء من اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب
قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته و
وجوب عبادته وعد اسمعيل من ابائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه السلام
عم الرجل صنو ابيه كما قال في العباس رضي الله عنه هذا بقية ابائي وقرئ اله ابيك على انه جمع
بالواو والنون كما قال ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا او مفرد وابرهيم وحده
عطف بيان الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح
بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتاكيد او نصب
على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا
تلك امة قد خلت يعني ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة
لان الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا
يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه السلام لا
يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون
بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب لاهل
الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت
النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابرهيم اي بل نكون ملة ابرهيم اي
اهل ملته او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئت بالرفع اي ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى
نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا
ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم
يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان آمنوا بمثل
ما آمنتم به وما انزل الينا القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا سبب للايمان
بغيره وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وهي وان
نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا
منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة
يعقوب وابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى التورية
والانجيل افردهما بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق
والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم
منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض
واحد لوقوعه في سياق النفي عم فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله مسلمون
مذعنون مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت
كقوله فأتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل

الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان
وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق او مزيدة للتأكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى
فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله اى عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذي آمنتم به وان تولوا فانما هم
في شقاق اى ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو
المناوأة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر
فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناواهم وهو
السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة
او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله
اى صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة
حلية المصبوغ او هدانا الله هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه
صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او
للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون
هو تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء
وقيل على البدل من ملة ابرهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون
تعريض بهم اى لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله
في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او
اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل
اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شأنه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان
اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم
لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم
اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحلونه افحاما و
تبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة
حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص وكما ان لكم اعمالا
ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدون نخلصه
بالايمان والطاعة دونكم ام يقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن
عامر وحمزة والكسائي بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اى الامرين
تأتون المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء قل أانتم اعلم ام الله وقد
نفى الامرين عن ابرهيم بقوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله
وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا

ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة
عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة
او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها
ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ
بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون
تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم
وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي هذه الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في
الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم
او استمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين
واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب ما ولاهم
ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان
من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة قل لله المشرق والمغرب
لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة
بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة
وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى
الآية المتقدمة اى كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل
القبل جعلناكم امة وسطا اى خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل
اسم المكان الذي تستوي اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها
بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق
على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف
بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اى لتعلموا بالتأمل
فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل
وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات و
الاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روي ان
الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة
على المنكرين فيؤتى بامة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا
ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسأل
عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه السلام
كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول
شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اى الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه عليه السلام

وكان حقه ان يقول شهيدا لكم بحسب الاصل لكنه عدل عنه لهذه النكتة

كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود او الصخرة لقول
ابن عباس رض كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر عنه
على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة و
ما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن
الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة ابائه او
لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه
وما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه و
ضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه
باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله
والمؤمنون لكنه اسنده الى نفسه لانهم خواصه او لنميز الثابت عن المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث
من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول
والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب اي لنعلم
من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة
وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي
كنت عليها من الجعلة او الردة او التحويلة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة
الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع
ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روي انه عليه السلام
لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس
لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة
على الفواصل قد نرى ربما نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعا
للوحي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى
الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود
وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها
من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضيها تحبها وتتشوق
اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله وحكمته فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام
نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور اي منفصلة
عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع
عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه السلام كان في المدينة والبعيد
يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روي انه عليه السلام قدم المدينة
فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين
وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل

الرجال

الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص
الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتأكيدا لامر القبلة
وتحضيضا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم
جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي
الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين
ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة
للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر وقد سد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك
لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم
فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا
له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما
بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم
كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك
من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك
الوحي انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم
وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء
الذين آتيناهم الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق
ذكره لدلالة الكلام عليه او للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اي
يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر انه سأل عبد الله بن سلام
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك
في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون
تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستأنف والحق اما مبتدأ خبره
من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى
ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ
محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او
مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق
عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عليه السلام عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس
بقصد واختيار بل اما التحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب
المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من
المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين
محذوف اي هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة
والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتأكيد جبر لضعف العامل

وقرأ ابن عامر مولّاها اى هو مولّى تلك الجهة وقد وليها فاستبقوا الخيرات
من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهى المسامتة
للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا فى اى موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع
الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال
يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم
كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شئ قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث
خرجت ومن اى مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان
هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى
ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجرى العادة الالهية على ان يولى كل
اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن
بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها
شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحرى ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة
بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى
الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت فى التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا و
يتبعنا فى قبلتنا والمشركين بانه يدعى ملة ابرهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء
من الناس اى لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول
الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان
يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقونه مساقها وقيل الحجة بمعنى
الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن
فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استيناف
بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشونى فلا تخالفوا
ما امرتكم ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف اى وامرتكم لاتمام النعمة عليكم
وارادتى اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشونى لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتى
عليكم او لئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضى الله عنه تمام النعمة الموت على
الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اى ولاتم نعمتى عليكم فى امر القبلة او
فى الاخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى
يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره
فى دعوة ابرهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر
والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحى وكرر الفعل ليدل على انه جنس اخر فاذكرونى
بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لى ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان

الامر

الامر يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر عن المعاصى وحظوظ النفس والصلوة
التى هى ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر
واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات اى هم اموات بل احياء اى بل هم
احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حيوتهم ليست بالجسد ولا من جنس
ما يحس به من الحيوانات وانما هى امر لا يدرك بالعقل بل بالوحى وعن الحسن ان الشهداء
احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على
ارواح ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية نزلت فى شهداء بدر وكانوا
اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من
البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الايات
والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة
ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون
للقضاء بشئ من الخوف والجوع اى بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه
ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم فى الاخرة
وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات
عطف على شئ او الخوف وعن الشافعى رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص
من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن
النبى صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدى فيقولون
نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك
واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين
اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول عليه السلام او لمن تتأتى
منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلام كل شئ يؤذى
المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل به وبالقلب بان يتصور ما خلق
لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه
فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة الصلوة فى الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها
والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبى صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله
مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب
حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله
من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهى العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار
الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان
يطوف بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما

اسم صنم
اسم صنم

فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع
على انه مشروع في الحج والعمرة انما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس رض
لقوله فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في
معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي انه ركن
لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا
كان او نفلا او زاد على ما فرض من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة
وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل
لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل
يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود
ما انزلنا من البينات كالآيات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى وما
يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التورية
اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين
الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك
وبينوا ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن
انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب
الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن
لم يتب من الكاتمين حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر
عليهم لعن الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ
والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب
زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او النار
واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة
والهكم اله واحد خطاب عام اي المستحق منكم للعبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد
او يسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا
يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها
وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران اخران لقوله
الهكم او لمبتدأ محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت باية نعرف
بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض وانما جمع السموات وافرد الارض
لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار
تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي
بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر

لانه

لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب او لان
منشأهما البحر في غالب الامر وتأنيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل
او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى
للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض
بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر و
تكون النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيى فان الدواب ينمون بالخصب
ويعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرأ
حمزة والكسائي على الافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان
الطبع يقتضي احدهما حتى يأتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله واشتقاقه
من السحب لان بعضه يجر بعضا لآيات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها
بعيون عقولهم وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة
هذه الايات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل
انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز
مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير
المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه
لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه
حكمته وتقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه
فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان
لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الاخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع
والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي الاية تنبيه
على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا
ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله
كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب
من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله
ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله
في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين امنوا اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم لله
بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا
يعدلون عن الهتهم الى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره
ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب
اذا عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى اصحاب الجنة

ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القدرة
لله جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان
والتقدير لو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر
غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى الذين على انه خطاب للنبي عليه السلام اي
ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر
وكذا وان الله شديد العذاب على الاستيناف او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي
تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل
عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او رأوا والحال والاول
اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض
الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت على البناء للمفعول
وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء
اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم
حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما
هم بخارجين من النار وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط
عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا
على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال
مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة
اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى
فتحرموا الحلال وتحلوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة وابو بكر والبزي بتسكين الطاء
وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء
كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة
عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم
الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته
واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء
ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام
العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما يتجاوز الحد
في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من
اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعي فوجوبه
قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله

الضمير

الضمير للناس وعدل عن الخطاب عنهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء وقال
لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا ما وجدناهم
عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله من الحجج والايات فجنحوا
الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام
اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال او للعطف والهمزة للرد
والتعجيب وجواب لو محذوف اي لو كان اباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون
الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير
في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس
بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء
ونداء على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا
كبهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى
عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت
ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع اباءهم على
ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في
دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن
لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل
المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين
امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى
ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا
لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تختصونه بالعبادة وتقرون
انه مولى النعم فان عبادته لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه
وهو عدم عند عدمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والانس والجن في
نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اكلها او الانتفاع
بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها ما ابين من حي والسمك والجراد اخرجهما العرف
عنها او استثناء الشرع عنها والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا
الا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه
معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت
عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما جرت
العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رؤي سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت و
ان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر اخر ولا عاد سد الرمق
او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي

فقالوا اتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا
واعلم ومع هذا اغنيتم مما انزل الله النعية لذهابها ايضا
تدعو الى الاسلام ح

بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي رحمه الله فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما
فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر
قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار
كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشيا ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل
الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما ياكلون في بطونهم
الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانهم اكلوا النار
كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني الدية او
في المآل اي لا ياكلون يوم القيمة الا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه
واكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة
عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم ولا يثني
عليهم ولهم عذاب اليم مولم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب
بالمغفرة في الاخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجب
من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها
كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة
والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل
الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه
اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما
الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله
مكانه اي حرفوا ما فيها واما الى القران واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر
واساطير الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض
في امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال
ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بيناه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين
اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيرها
وقرأ حمزة وحفص البر بالنصب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب
والنبيين ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من امن بالله او ولكن ذا البر من امن و
يؤيده قراءة ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القران وقرأ نافع
وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر واتى المال على حبه اي على حب المال كما قال عليه السلام
لما سئل اي الصدقة افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر وقيل
الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى يريد المحاويج
منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى لان ايتاءهم كما قال عليه السلام اثنتان

صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان

صدقة وصلة

صدقة وصلة والمساكين جمع المسكين وهو الذي اسكنه الخلة واصله دائم السكون
كالمسكير لدائم السكر وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع
ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين الذين الجأهم الحاجة الى السؤال
وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه وفي الرقاب وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين
او فك الاسارى وابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة واتى الزكوة
يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله واتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان
مصارفها وبالثاني اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات
او حقوقا كانت في المال سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من امن والصابرين في الباساء والضراء نصبه على المدح
ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهري الباساء في الاموال كالفقر والضراء
في الانفس كالمرض وحين الباس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا في الدين
واتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل والاية كما ترى
جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة
في ثلثة اشيا صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من
امن الى النبيين والى الثاني بقوله واتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة
الى اخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا
بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه الاية فقد استكمل
الايمان يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد
والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دما وكان لاحدهما طول
على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا
الى رسول الله عم فنزلت وامرهم ان يتباؤوا ولا يدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر
بالانثى كما لا يدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم
وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره
لما روي عن علي رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول عليه السلام ونفاه سنة ولم يقده
وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر
كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم
دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله ان النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ ما في
القران واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير
يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ
كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذلك كل فعل جاء في القران فمن عفي له من اخيه شيء
اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في الاسقاط

رضي الله عنهما

القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه
بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال
عفا الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الاية كانه قيل
فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية
والاسلام ليرق له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن
اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف
والمعفو عنه بان يؤديها بالاحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية
احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر باداءها على مطلق العفو وللشافعي رحمه الله في المسئلة
قولان ذلك اي الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل
والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيّر هذه الامة
بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك قتل
بعد العفو واخذ الدية فله عذاب اليم في الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة
لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة
والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرّف القصاص ونكّر الحيوة ليدل على ان في هذا
الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون
سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة
بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه
اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه
في الدنيا لم يؤاخذ به في الاخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان
يكون احدهما خبرا والاخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص
عليكم من حكم القتل حيوة او في القران حيوة للقلوب يا اولي الالباب ذوي العقول
الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم
تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل
كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته ان ترك خيرا اي مالا وقيل
مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه
وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضي الله عنها ان
رجلا اراد ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة الاف فقالت كم عيالك قال اربعة
قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين
والاقربين مرفوع بكتب وتذكير الفعل للفصل او على تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك
ذكّر الراجع في قوله فمن بدّله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل
مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها

وردّ بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ باية
المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه
نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا و
الحديث من الاحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسّر
الوصية بما اوصى الله به من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء
المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا
يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء
والشهود بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء
المغير والتبديل الا على مبدله لانه الذي حاف وخالف الشرع ان الله سميع عليم وعيد
للمبدل بغير حق فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء جنفا ميلا
بالخطأ في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع
فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى الحق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم
وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا
كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن ادم وفيه توكيد
للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي
الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصي فان
الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدأها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال
باداءها لاصالتها وقدمها اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من
المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا
لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء
وثلثة ايام من كل شهر او بكما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل
معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد
او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان
اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه
ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام المرض او
السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف اليه للعلم بهما وقرئ بالنصب اي فليصم عدة
وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة وعلى الذين
يطيقونه وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر
او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك اول الامر لما
امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر باضافة الفدية
الى الطعام وجمع المساكين وقرئ يطوّقونه اي يكلفونه او يقلّدونه من الطوق بمعنى الطاقة

اوالقلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه
ويطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطوقونه
وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز
في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم
وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا
ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته
المريض والمسافر خير لكم من الفدية وتطوع الخير او منهما ومن التاخير للقضا ان كنتم
تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي
اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير لكم من ذلك
شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من
الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار
صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من اياما معدودات ورمضان
مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون
كما منع دأية في ابن دأية علما للغراب للعلمية والتانيث وقوله عليه السلام من صام رمضان
فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش
او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حيثما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة
القديمة الذي انزل فيه القرآن اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر وانزل فيه جملة
الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام
وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابرهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين
والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ او صفته والخبر
فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه
لوجوب الصوم فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اي انزل
وهو هداية للناس باعجازه وايات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل
بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم
فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على
الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه
على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون ومن كان مريضا او على سفر
فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره
لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد
ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة و
لتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي

وشرع

وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضا ومراعاة عدة ما افطر فيه
والترخيص لتكملوا العدة الى اخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة
العدد ولتكبروا الله علة الامر بالقضا وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص
والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا
ما تعملون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون
ليطفؤا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير
يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اي الذي هداكم اليه وعن عاصم و
لتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل
لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان
اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب
دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا
دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات والدوام
عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها
واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير و
الشكر عقبه بهذه الاية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم
على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث
الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا
العشاء او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله عليه
وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت ليلة الصيام
الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح
بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه
ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين
سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة
ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي
اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او لان كل منهما يستر حال صاحبه
ويمنعه عن الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب
وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم
لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالان باشروهن لما نسخ عنكم
التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة
كني به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم واثبته في اللوح من الولد
والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح

لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتي والتقدير وابتغوا المحل التي كتبه
لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول
ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى
ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة
الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت ولم
ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينا
لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز او
اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة
الى الصبح الدلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل
بيان آخر وقته واخراج الليل عنه فينبغي صوم الوصال ولا تباشروهن وانتم عاكفون
في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة
الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك
وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطء يحرم فيه
ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت فلا
تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى
كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه
وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك
مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا تأكلوا
اموالكم بينكم بالباطل اي ولا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب على الظرف
او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على النهي او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء
اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بما
يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون
فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي
قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم
به فقرأ عليه السلام ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين و
سلم الارض الى عبدان فنزلت وهي دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله
انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فاقضي له بنحو
ما اسمع فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقطع له قطعة من نار يسألونك عن الاهلة
سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي
ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج انهم سألوا عن الحكمة في
اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون

معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة تعرف بها اوقاتها وخصوصا
الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين
المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبداها الى منتهاها والزمان
مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها
ولكن البر من اتقى كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه و
انما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه
ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا
عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد
او انهم لما سألوا عما لا يعنونه ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنونه و
يختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال
ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال وتمثيلهم بحال من ترك
باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر
من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله وأتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول بر او باشروا
الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا
بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم
قيل كان قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين
يناصبونكم القتال او يتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء
او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة
ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام
وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجأة به
من غير دعوة والمثلة وقتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير
واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك
الشيء علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني
فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي مكة وقد فعل ذلك بمن
لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن
اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم
عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم
بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثمة فانهم
الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى
حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل

بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب
فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا
يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر
عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام
الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل
لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل
حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا
بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار فلا تعتدوا الى
ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم وانفقوا في سبيل الله
ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش
او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم و
يؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا
الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي
الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح
الشيء وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة
والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك
وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول
واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا
الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على
وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة وما روى جابر انه قيل يا رسول الله العمرة
واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض بما روي ان رجلا قال لعمر رض
اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال
انه فسر وجدتهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما
لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس
وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرد
لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال
حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو
عند مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر الا

حصر

حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه عليه السلام
من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مأول بما اذا شرط الاحلال به لقوله
عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر
من الهدي فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى
ان المحصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث
احصر عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة رح
يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله
ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى
الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه
حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي دليل عدم القضاء وقال ابو حنيفة
يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ
من الهدي جمع هدية كمطي في مطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى
من راسه كجراحة وقمل ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان
لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك
قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او
انسك شاة والفرق ثلثة اصوع فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع
بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج
في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم
بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم
بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام
ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين
الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر و
ايام التشريق عند الاكثر وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم
من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة
ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس
الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب
وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لها كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة
في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به ينتهي الاحاد وتتم
مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع
عند ابي حنيفة اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم
جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فان

من كان على اقل فهو مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة و تسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا وبالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلث على قصد النهي للمبالغة وللدلالة على انها حقيقة بان لا يكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرأ عن كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتأنيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكين وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التأنيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث

صحح به

او بتاء

او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابرهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان ادم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمور بها بقوله ثم افيضوا ومقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب ولا مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا لقوله تعالى وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع اي المزدلفة وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد ادم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر ابائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى واذكروا الله ذكرا كذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من ابائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لابائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا اتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق نصيب وحظ لان همه مقصور

ومضيق

بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة و
الكفاف وتوفيق الخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار
بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة
الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة و
في الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار
امثلة للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا
اي حظ وهو جزاؤه او من اجله لقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه
ما قدرناه فسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد
على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس
فبادروا الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروه
ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن
استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي
الجمار عندنا وطلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تاخر فلا اثم عليه ومن
تاخر في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة رحمه الله يجوز تقديم رميه
على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجل والتاخر التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية
فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او من
الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه
منها واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء
بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم
في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق
بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء
المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك
في الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على
ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد
العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب
بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق
يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر
وانصرف وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك
الحرث والنسل كما فعل الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او
كما يفعل ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك
الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له

اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر
باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته
جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب
ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش
وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها يبذلها في الجهاد او يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب
ابن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت
معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى
المدينة والله رؤوف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم
لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح
الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي
وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها
تؤنث كالحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع والمعنى
استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام
بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا
السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا
والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب
للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الآيات
والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا
بحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا الا ان ياتيهم الله اي ياتيهم
امره او باسه لقوله او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا او ياتيهم الله ببأسه فحذف
الماتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك
وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب فيه لانه مظنة
الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب
فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون
على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم
وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء
الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرأه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم
على انه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتانيث غير يعقوب على انه من الرجوع
وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول عليه السلام او لكل

واحد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة او آية
في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة
ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها
ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي آيات الله فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم
بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ من بعد
ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها
ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل نعمة فان الله شديد العقاب فيعاقبه
اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت في
اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين
على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء
للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلقه الله فيها من الامور البهية و
الاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال
وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على
العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية منهم والذين اتقوا
فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في
مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال
الذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى
والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا
تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس
او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح فبعث الله
النبيين مبشرين ومنذرين اي فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا
فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل
منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب
يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب
يخصهم وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا
به ليحكم بين الناس اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق الذي اختلفوا فيه
او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل
لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد
ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين
آمنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه
بامره او بارادته ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم

ان تدخلوا

ان تدخلوا الجنة خاطب به النبي والمؤمنين بعدما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد
مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار
ولما يأتكم ولم يأتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد مثل
الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له على الاستئناف
وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين
آمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع بالرفع
على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتأخره
الا ان نصر الله قريب استئناف على ارادة القول اي فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم
من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى و
اللذات ومكابدة الشهوات والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار
بالشهوات يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصاري كان
هما ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما
انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل
عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان
في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما
انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اي ان تفعلوا
خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكوة لتنسخ به كتب
عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او
فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه
على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها
وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو
مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه
فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا
ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل
على ان الاحكام الراجحة وان لم تعرف عينها يسئلونك عن الشهر الحرام روي انه عليه السلام
بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا
لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا
العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت
قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويتذعر فيه الناس الى معايشهم و
شق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم
العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهو اول

يقول م

الشدائد

تتبع المصالح م

غنية فيه سلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب
السرية قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال بتكرير العامل قل قتال فيه كبير
اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا
لعطاء وصد صرف ومنع عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات
وكفر به اي بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي دواد اكل
امرئ تحسبين امرأ. ونار توقد بالليل نارا. ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف
قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يتقدم العطف على الموصول على العاطف على الصلة ولا
على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل
المسجد وهم النبي والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر
عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل مما يستوي فيه الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل اي ما يرتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه
من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة
الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله
حتى ادخل الجنة ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على
قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردوهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت
وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو
مذهب الشافعي رحمه الله والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا
لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والاخرة بسقوط الثواب
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين امنوا نزلت ايضا
في السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء
اولئك يرجون رحمة الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع
في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطأ وقلة احتياط رحيم باجزال
الاجر والثواب يسألونك عن الخمر والميسر روي انه نزلت بمكة قوله ومن ثمرات النخيل
والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر من
الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية
فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام
احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت ولا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من
يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا و
تناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا

فنزلت

وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الاية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا فان قتالا فيه نكرة في حيز مثبت فلا تعم م

لقوله م

فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب
والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه
يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهو حرام مطلقا عند اكثر العلماء
وقال ابو حنيفة رحمه الله نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل
شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير
بيسر او سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما قل فيهما اي في تعاطيهما اثم
كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المأمور به وارتكاب المحظور ومنافع للناس
من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان
وتوفر المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشأ منهما
اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت
على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر ويسألونك ماذا ينفقون
قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سأل اولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية
الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر
بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي
حين اغضب روي ان رجلا اتى النبي عليه السلام ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم
فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها
فخذفها خذفا لو اصابه لشجه ثم قال يأتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس
انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الايات اي مثل ما بين ان العفو اصلح
من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا
مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تأويل القبيل والجمع لعلكم
تتفكرون في الدلائل والاحكام في الدنيا والاخرة في امور الدارين فتأخذون بالاصلح
والانفع منها وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر ما ينفعكم ويسألونك
عن اليتامى لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم
والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح
لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على
المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة
المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعد ووعيد لمن خالطهم لافساد واصلاح
اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي
كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب
يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما يقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين المشركات

لمخالطتهم

أو اصلاح م

نعم الكتابيات لأن أهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات
من الذين أوتوا الكتاب روي انه عليه السلام بعث مرثدا الغنوي الى مكة ليخرج منها
أناسا من المسلمين فأتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت ألا تخلو فقال ان الاسلام
حال بيننا فقالت هل لك أن تتزوج بي فقال نعم ولكن أستأمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاستأمره فنزلت ولأمة مؤمنة خير من مشركة أي ولامرأة مؤمنة حرة كانت
أو مملوكة فإن الناس عبيد الله وإماؤه ولو أعجبتكم بحسنها وشمائلها والواو للحال
ولو بمعنى إن وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات وهو على
عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في
مواصلة المؤمنين أولئك إشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون
الى النار أي الكفر المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله أي و
أولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه تفخيما لشأنهم يدعوا الى
الجنة والمغفرة أي الاعتقاد والعمل الموصلين إليهما فهم الأحقاء بالمواصلة بإذنه بتوفيق الله
وتيسيره أو بقضائه وإرادته ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا أو ليكونوا
بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسألونك عن
المحيض روي أن أهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس
واستمر ذلك الى أن سأل أبو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض
مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه إنما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لأن السؤالات
الأول كانت في أوقات متفرقة والثلاثة الأخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها
بحرف الجمع قل هو أذى أي الحيض مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء
في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن اذا
حضن ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم وهو الاقتصاد بين إفراط اليهود
وتفريط النصارى فإنهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وإنما وصفه بأنه أذى
ورتب الحكم عليه بالفاء إشعارا بأنه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تأكيد للحكم و
بيان لغايته وهو أن يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي
وعاصم في رواية ابن عياش يطهرن أي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فإذا تطهرن
فأتوهن فإنه يقتضي تأخر جواز الإتيان عن الغسل وقال أبو حنيفة إن طهرت لأكثر الحيض
جاز قربانها قبل الغسل من حيث أمركم الله أي المأتي الذي أمركم به وحلله لكم إن الله يحب
التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والأقذار كمجامعة الحائض
والإتيان في غير المأتي نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في أرحامهن
من النطف بالبذور فأتوا حرثكم أي فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله تعالى

فأتوهن من حيث أمركم الله أنى شئتم من أي جهة شئتم روي أن اليهود كانوا يقولون
من جامع امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها أحول فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وقدموا لأنفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية عند
الوطء واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه واعلموا أنكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون
به وبشر المؤمنين الكاملين في الإيمان بالكرامة والنعيم الدائم أمر الرسول عليه السلام أن
ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل أمره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن
تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت في الصديق لما حلف أن لا ينفق على مسطح
لافترائه على عائشة رضي الله عنها أو في عبد الله بن رواحة حلف أن لا يكلم ختنه بشير بن
النعمان ولا يصلح بينه وبين أخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق لما يعرض
دون الشيء وللمعرض للأمر ومعنى الآية على الأول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من
أنواع الخير فيكون المراد بالأيمان الأمور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت
على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وأن مع صلتها عطف
لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز أن يكون للتعليل ويتعلق أن
بالفعل أو بعرضة أي ولا تجعلوا الله عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز أن يكون
للتعليل ويتعلق لأن تبروا لأجل أيمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لأيمانكم
فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وأن
تبروا علة للنهي أي أنهاكم عنه إرادة بركم وتقواكم وإصلاحكم بين الناس فإن الحلاف مجترئ
على الله والمجترئ على الله لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في إصلاح ذات البين
والله سميع لأيمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم اللغو الساقط
الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان أو تكلم به جاهلا
لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت
قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما
أو بأحدهما بما قصدتم من الأيمان وواطأت فيها قلوبكم ألسنتكم وقال أبو حنيفة رحمه الله اللغو
أن يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما أخطأتم فيه من الأيمان ولكن يعاقبكم
بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة
على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم أي يحلفون على أن لا يجامعوهن
والإيلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص
أربعة أشهر مبتدأ ما قبله خبره أو فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف
أضيف الى الظرف على الاتساع أي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا
طلاق ولذلك قال الشافعي لا إيلاء إلا في أكثر من أربعة أشهر ويؤيده فإن فاءوا رجعوا
في اليمين بالحنث فإن الله غفور رحيم للمولي إثم حنثه إذا كفر أو ما توخى بالإيلاء من ضرار

المراة ونحوه بالفئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان الله
سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء في اربعة اشهر فما دونها وحكم ان
المولي ان فاء في المدة بالوطء ان قدر وبالوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطئ ان يكفر والا
بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه
الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الايات والاخبار
ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار بانه
مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في
الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدا يزيده فضل تاكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن
على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص
ثلاثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو
للحيض لقوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين لقول
الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به
في الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قال الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن
اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة
تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها
ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان
يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر
بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين
مكان الاخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها
ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة
وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله و
اليوم الاخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان
فان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل وبعولتهن اي ازواج المطلقات
احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية التي تتلوها
فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة
جمع بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن
البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل هنا بمعنى
الفاعل في ذلك اي في زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المراة
وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار
ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في
الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق

فضيلة

فضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها
او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج
ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام
حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان اي التطليق الرجعي اثنان لما روي انه عليه السلام
سئل اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي
تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة
فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان
بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدا وتخيير مطلق
عقب تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا اي من
الصدقات روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت
ابن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي و
راسه شيء والله ما اعتبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه
بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة
واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ
والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده
خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ
يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله بترك اقامة احكامه من مواجب
الزوجية وقرا حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل اشتمال
وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما
فيما افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المراة في اعطائه تلك
حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها فلا تعتدوها بالمخالفة ومن
يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم
ان ظاهر الاية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق
الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امراة سالت زوجها طلاقا
في غير باس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عليه السلام قال لجميلة اتردين عليه حديقته
فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن
نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه تعالى سماه
افتداء واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج
بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة
لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض
وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض

بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان
طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره
حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر
على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روى ان امرأة
رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن
ابن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية
مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا
من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة
ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة
وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا
جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الاخر بالزواج ان
ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حدده الله وشرعه من حقوق
الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم
ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك
حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها
فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى
اجله والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد
في الاية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك
بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير
تطويل وهو اعادة الحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن
ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها لتطول
العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال
بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة
بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا
تتخذوا ايات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن
لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهي عن الهزؤ واراد به الامر بضده وقيل
كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام
ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمة الله
عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد عليه السلام بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل

عليكم

عليكم من الكتاب والحكمة القران والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به
بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم
النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق
البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روي انها نزلت
في معقل بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا
على ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد
النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد
مضي العدة ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل
الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد
بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة
اذا نشبت بيضها ولم يخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن
او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروة حال عن الضمير المرفوع او صفة
مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من
غير كفو غير منهي ذلك اشارة الى مضى ذكره والخطاب للجمع على تاويل القبيل او كل واحد
او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول
على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد
يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر لانه المتعظ به
والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الاثام والله
يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن
اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي
الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات تعم المطلقات وغيرهن
وقيل تختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه
لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق
بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى
مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اي
الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى
المقتضي لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف
في استيجار الام فجوزه الشافعي رحمه الله ومنعه ابو حنيفة رحمه الله ما دامت زوجة او
معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها
تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه
وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب

أي لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف وأصله على القراءتين تضارر بالكسر على
البناء للفاعل أو الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الأول يجوز أن يكون بمعنى تضر والباء
من صلته أي لا تضر الوالدة بالولد فتفرط في تعهده وتقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار
بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على أنه من ضاره يضيره وإضافة
الولد إليها تارة وإليه أخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على أنه حقيق بأن يتفقا على استصلاحه
والإشفاق فلا ينبغي أن يضرا به أو يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله
وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث
الأب وهو الصبي أي تمان المرضعة من ماله إذا مات الأب وقيل الباقي من الأبوين من قوله عليه السلام
واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي إذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد
وقيل وارث الأب الطفل وإليه ذهب ابن أبي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب أبي حنيفة
وقيل عصباته وبه قال أبو زيد وذلك إشارة إلى ما وجب على الأب من الرزق والكسوة
فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور أي فصالا صادرا عن التراضي منهما و
التشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة والمشورة استخراج
الرأي من شرت العسل إذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك وإنما اعتبر تراضيهما
مراعاة لصلاح الطفل وحذرا أن يقدم أحدهما على ما يضر به لغرض وإن أردتم
أن تسترضعوا أولادكم أي تسترضعوا المراضع أولادكم يقال أرضعت المرأة الطفل
واسترضعتها إياه كقولك أنجح الله حاجتي واستنجحته إياها فحذف المفعول الأول للاستغناء
عنه فلا جناح عليكم فيه وإطلاقه يدل على أن للزوج أن يسترضع للولد ويمنع الزوجة
من الإرضاع إذا سلمتم إلى المراضع ما آتيتم ما أردتم إيتاءه كقوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة
وقرأ ابن كثير ما أتيتم من أتى إليه إحسانا إذا فعله وقرئ أوتيتم أي ما آتاكم الله وأقدركم
عليه من الأجرة بالمعروف صلة سلمتم أي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف
دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الأولى والأصلح
للطفل واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في أمر الأطفال والمراضع
واعلموا أن الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون
أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا أي وأزواج الذين أو والذين يتوفون
منكم ويذرون أزواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون
بفتح الياء أي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لأنها غرر الشهور والأيام
ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا إلى الأيام حتى إنهم يقولون صمت
عشرا ويشهد له قوله إن لبثتم إلا عشرا ثم إن لبثتم إلا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير
أن الجنين في غالب الأمر يتحرك لثلاثة أشهر إن كان ذكرا ولأربعة إن كان أنثى واعتبر

من الأصول والفروع

فإنه يدل على أن المراد بالعشر عشرة أيام

أقصى الأجلين

أقصى الأجلين وزيد عليه العشر استظهارا إذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا
يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي والحرة
والأمة كما قاله الأصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للأمة والإجماع
خص الحامل عنه لقوله تعالى وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن وعن علي وابن
عباس أنها تعتد بأقصى الأجلين احتياطا فإذا بلغن أجلهن أي انقضت عدتهن
فلا جناح عليكم أيها الأئمة أو المسلمون جميعا فيما فعلن في أنفسهن من التعرض للخطاب
وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه أنهن
لو فعلن ما ينكر فعليهم أن يكفوهن فإن قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون
خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح
إيهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لأسلم عليك
والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل و
كثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير أن المضمومة خصت بالموعظة
والمكسورة بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها أن يقول
لها إنك جميلة أو نافقة ومن غرضي أن أتزوج ونحو ذلك أو أكننتم في أنفسكم أو أضمرتم
في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله أنكم ستذكرونهن ولا تصبرون على
السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك
عن محذوف دل عليه ستذكرونهن أي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا أو جماعا
عبر بالسر عن الوطء لأنه يسر ثم عن العقد لأنه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر
على أن المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن إلا أن تقولوا قولا معروفا وهو
أن تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف أي لا تواعدوهن مواعدة إلا مواعدة معروفة
أو إلا مواعدة بقول معروف وقيل إنه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لأدائه إلى قولك
لا تواعدوهن إلا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز
تعريضها إن كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والأظهر جوازه ولا
تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد أي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح
وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فإن أصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب أجله
حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم من العزم على ما لا يجوز
فاحذروه ولا تعزموه واعلموا أن الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم
لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لأنه لا بدعة في
الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن أن فيه حرجا
فنفي إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أي تجامعوهن أو تفرضوا لهن فريضة إلا أن تفرضوا
أو حتى تفرضوا أو وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى

وانظر الى وجهك الكريم
ومقصوده طلب الإحسان

مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة
على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولكن سمى لها فنصف المسمى فمنطوق
الاية نفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخيرتين و
متعوهن عطف على مقدر اى فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش
الطلاق وتقديرها مفوض الى رأي الحاكم ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره
اى على كل من الذي له سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه السلام
لانصاري طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها امتعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة رحمه الله
هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل
ومفهوم الاية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي
في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم متاعا تمتيعا بالمعروف
بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا
على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع
وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم
لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها اى فلهن او فالواجب
نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثمة تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير
لانه قسيمها الا ان يعفون اى المطلقات فلا يأخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتأنيث
والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك
لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اى الزوج المالك
لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل
المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي
يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعي وان تعفوا
اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الاخر عبارة
عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقوا المهر الى النساء
عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه
وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا
احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض
ان الله بما تعملون بصير اى لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات
بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج
لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها والصلوة الوسطى اى الوسطى بينها او الفضلى منها
خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة
العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة

وقيل

ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليها المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة

المفوضة التي فوضت نفسها من غير مهر

وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله
عليه السلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلاتي النهار والليل والواقعة
في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد وترا النهار
وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عائشة انه عليه السلام
كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوة من الاربع خصت بالذكر
مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص وقوموا لله قانتين ذاكرين
له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح
فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين وراكبين ورجال جمع راجل
او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب
الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال
خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن او اشكروا على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما
علمكم من الشرايع وكيفية الصلوة حالتي الامن والخوف او شكرا يوازيه وما مصدرية او
موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم قرأها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير
والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية وكتب الله عليهم وصية او الزم
الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول
مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير وصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين
يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها وقرأ الى متاع
لازواجهم متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمر والا فبالوصية وبمتاع على قراءة
من قرأه لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما
تقول او حال من ازواجهم اى غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا
قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك اول الاسلام
ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة فهو متأخر
في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا
لابي حنيفة فان خرجن عن منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن
كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها
ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين
الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات
متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعد ما اوجبها لواحدة
منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم و
لذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم

قوله حافظوا على الصلوات اى داوموا على ادائها لاوقاتها ...

في الصلوة

المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرير القضية
كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدد يبين الله لكم اياته وعد بانه سيبين
لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون
تفهمونها فتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب
وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجب الى الذين
خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا
هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره
وقيل قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية
ايام ثم احياهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل
متألفون جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له
فقال لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة
رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيئته وقيل ناداهم ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا
وتهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت
اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع للمسلمين على الجهاد
والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس
حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس
لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار
وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع
امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله
سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي
يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله
واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص
وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله
فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب
على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد
وقرأ ابن كثير يضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة كثرة لا يقدر قدرها
الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب
او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه
للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا
تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر

الى الملا

اي الاشراف والرؤسا شهاب الدين

الى الملأ من بني اسرائيل الملأ جماعة يجتمعون للتشاور لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض
من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون
او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اي اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال
يدبر امره ونصدر فيه عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال
اي ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا
قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط
والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما
هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد
اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه و
يحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من
العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر روم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل
فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما
كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم
بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت
ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه
روي ان النبي لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها
الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستاهل ونحن
احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة
وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما كانت النبوة في اولاد لاوي والملك في اولاد يهوذا
وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه
رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح
منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة
البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم
وقد زاده فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك
على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه
عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه
اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت الصندوق فعلوت
من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلته نحو سلس وقلق
ومن قرأه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة
يريد به صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع

قوله فلما كتب عليهم القتال بعد سؤال النبي ذلك وبعث الملك تولوا اي اعرضوا وتخلفوا لكن لا في ابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته كما يجيء تفصيله وانما ذكرهنا مآل امرهم اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين ابو السعود

قوله وقال لهم نبيهم شروع في تفصيل ما جرى بينه وبينهم ... الى مصير حالهم اي قال لهم بعدما اوحي اليه ما اوحي ان الله قد بعث لكم طالوت الخ ابو السعود

وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك

في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة او للتابوت
اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه
فتسكن نفوس بني اسرائيل فلا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت
لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو
وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم
الى محمد عليه السلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص و
اتيانه مصير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون
رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او انفسهما
وآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد
موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به
حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت فاصابهم
ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة
الى طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي وان
يكون ابتداء خطاب من الله فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة
واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج
معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت
قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم
معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي
ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا او مشروبا قال وان
شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار
النبي الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية
بها كما قدم والصابئون على الخبر في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة
في القليل دون الكثير فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه
ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم
وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة
وثلثة عشر رجلا وقيل ثلثة الاف وقيل الفا روي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته
ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة
فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض
لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله
اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه وعلموا انهم يستشهدون عما
قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخزلين عنه

اعتذارا

الجزء الثالث

اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكأنهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الخبر والاستفهام فمن مبينة او
مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها
فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده
اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين التجأوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ
الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه
ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره او
مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشى في عسكر
طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى
نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمه في الطريق ثلثة احجار وقالت
له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتاه
الله الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما
يشاء كالسرد وكلام الدواب ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض
ولكن الله ذو فضل على العالمين ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين
على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم
تلك آيات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت
وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي لا
يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير
تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكور قصصها في السورة او
المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان
خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى وقيل موسى ومحمد
عليهما السلام كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين
او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان
الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على
غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد عليه السلام فانه خص بالدعوة
العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل
العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف
المستغني عن التعيين وقيل ابراهيم خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله
ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات
وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه

وجعل معجزاته سبب تفضيل لانها ايات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو
شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم
البينات المعجزات الواضحات لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن
اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه
ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء
فضلا ويخذل من يشاء عدلا والاية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه
يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان
الحوادث بيد الله تابعة لمشيئته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا
انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة
ولا شفاعة من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه
اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى تعينكم
عليه اخلاؤكم او يسامحونكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا
حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم
لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او
وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا
وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات الكفار لقوله
وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر والمعنى انه المستحق
للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد
الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة
والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه
لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع · وسنان اقصده
النعاس فرنقت · في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء
اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث يقف الحواس الظاهرة عن
الاحساس راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة
نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مئوف الحيوة
قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات
وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد
فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله السموات والارض
وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه
او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا او

مناصبة

مقابلة

مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل
المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة او عكسه او ما يحسونه و
ما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات وما في الارض لان
فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا الذي من الملائكة والانبياء ولا يحيطون بشيء من
علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده
بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض تصوير
لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه
او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا
محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي
الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله
الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد
وكانه منسوب الى الكرس وهو الملبد ولا يؤوده ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو
الاعوجاج حفظهما اي حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول
وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه
وهذه الاية مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد
في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه
المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا
يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو
البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم بالاشياء كلها جليها وخفيها
كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤوده شاق
ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه السلام ان
اعظم اية في القران اية الكرسي من قراها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته
الى الغد من تلك الساعة وقال من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من
دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ
مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين
اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد
من الغي تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان
رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل
متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج
الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام

منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما
روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما
وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله
او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد
وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة
الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لمتمسك المحق من النظر الصحيح والراي القويم
لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال
عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين امنوا محبهم او متولي امرهم و
المراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات
ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى
الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او
منهما او استئناف مبين او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي
الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرها يخرجونهم من النور الى الظلمات
من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او
من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد
الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا ياباه تعلق قدرته تعالى وارادته به اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم
لشانهم الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه تعجيب من محاجة نمروذ وحماقته ان اتاه الله
الملك لان اتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة وحاج لاجله شكرا له على
طريق العكس كقولك عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان اتاه الله الملك و
هو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابرهيم ظرف لحاج او بدل
من اتاه على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت بخلق الحيوة والموت في الاجساد وقرا
حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل قال ابرهيم فان الله
ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب اعرض ابرهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة
الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول
عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته وهو في الحقيقة عدول التي يعجز عن الاتيان بها
غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمروذ زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه
ابرهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابرهيم
الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه فبهت
الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابرهيم الكافر والله لا يهدي القوم

الظالمين

الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم
محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية تقديره
او ارايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء
كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير
الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر
كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابرهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او
ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث
ويؤيده نظمه مع نمروذ والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج
منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي خاوية على عروشها خالية
ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور
عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا
ان كان كافرا وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته
الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء
قال كم لبثت القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه امن بعد البعث
او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان و
قيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم
التفت فراى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام
فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة
والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن
من الحماء المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير
لان الطعام والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او
لبنا وكان الكل على حاله وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما
في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول
ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك اية للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك اية
روي انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرا التورية من الحفظ ولم
يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا
واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام
يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها نحييها او نرفع بعضها
على بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشز والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها
من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده

تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير
فحذف الاول لدلالة الثاني عليه او ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة
والكسائي قال اعلم على الامر والامر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت
واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل
لما قال نمروذ انا احيي واميت قال له ان احياء الله برد الروح الى بدنها فقال نمروذ
هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير اخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن
قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن باني قادر على الاحياء
باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعرف الناس في الايمان ليجيب
بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى امنت ولكن
سألت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال قال
فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل
الحمام وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتأتى باماتة حب الشهوات
والزخارف الذي هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل
المتصف بها الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بها الحمام وانما خص الطير
لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك
فاملهن واضممهن اليك لتتأملها وتعرف شأنها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء
وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها
وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن
بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية
وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال
التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله يأتينك
سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها
ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل
ذلك فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن و
فيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية
فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بدعوة
العقل والشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابرهيم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب
في السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان
اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله
ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة
او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة

وقرأ ابو بكر جزؤا وجزءا بضم كذا حيث وقع

اسند

اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت
على الحقيقة هو الله والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة
فيها مائة حبة فيها وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي
البر في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب حال
المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجل ذلك تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا
يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان رض فانه
جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي صلى الله
باربعة الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول
عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه
معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف
رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاجة او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو
من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح
الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة
من يمن ويؤذي بالعقوبة يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم
الاخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه ولا يريد به رضا الله ولا ثواب الاخرة او
مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول له
او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاقا رئاء فمثله فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان
كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا من
التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون
ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او الجمع كما في قوله ان الذي حانت
بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء
والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين
ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان
فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها
كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق
للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاة
كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم
بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فاتت اكلها

عليه وسلم

اخرج
هم القوم كل القوم يا ام خالد

ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب
الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل
اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها او فالذي
يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير
القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت
باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون تمثيلا لحالهم عند الله بالجنة على الربوة
ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير
تحذير عن الريا وترغيب في الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة
من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع
ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات
ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع
واصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب والواو للحال او
للعطف حملا على المعنى فكأنه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على
اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة
كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء
في الحسرة والاسف اذا كان يوم القيمة واشتدت حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا
شانه واشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص
على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين
الله لكم الايات لعلكم تتفكرون اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين امنوا
انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات
ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث
منه ولا تقصدوا الردي منه اي من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت
فيه اكثر وقرئ ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا
ويجوز ان يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه ولستم باخذيه اي و
حالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه
مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين
وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني
عن انفاقكم وانما يأمركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر
في الانفاق والوعد في الاصل شايع في الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين
وفتحتين ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي

والله

والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل
مما انفقتم في الدنيا او في الاخرة والله واسع اي واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه
يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثاني
ومن يؤت الحكمة بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اي ومن يؤته الله فقد
اوتي خيرا كثيرا اي خير كثير اي حيز له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص من
الايات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة
الا اولوا الالباب ذووا العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة
الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق او باطل او نذرتم من نذر
بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين
ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور من انصار
من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وان تخفوها وتؤتوها
الفقراء اي تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم
يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة
السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من
سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قرأه ابن عامر وعاصم في رواية
حفص بالياء اي والله يكفر او الاخفاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش
ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتدأة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء
اي ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء
مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك
هديهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على
المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء
صريح بان الهداية من الله وبمشيئته وانها تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا
من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه
ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا
من خير فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله
اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي
في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تأكيد
للشرطية السابقة او ما يخلف المنفق استجابة لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل لمنفق
خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في
اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفعوهم فنزلت وهذا في

غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اى لا تنقصون
ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف اى اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه
للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون
لاشتغالهم به ضربا فى الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا
نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم
والعبادة وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل
بحالهم اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف و
رثاثة الحال والخطاب للرسول عليه السلام او لكل احد لا يسألون الناس الحافا الحاحا
وهو ان يلازم المسئول حتى يعطيه من قولهم لحفنى من فضل لحافه اى اعطانى من فضل ما
عنده والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفى للامرين
لقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال
وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب فى الانفاق وخصوصا على هؤلاء الذين
ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اى يعممون الاوقات والاحوال بالخير
نزلت فى ابى بكر تصدق باربعين دينارا عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر
وعشرة بالعلانية وقيل فى على لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم
نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل فى ربط الخيل فى سبيل الله والانفاق عليها
فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر للذين ينفقون والفاء للسببية
وقيل للعطف والخبر محذوف اى ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين ياكلون
الربوا اى الاخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شايع
فى المطعومات وهو زيادة فى الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل و
فى العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على
لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا
كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون
ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء
من المس اى الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجنى يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل
جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اى لا يقومون من المس الذى بهم بسبب اكل الربوا او
بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم و
لكن لان الله اربى فى بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما
البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع فى سلك واحد
لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن
عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى

ای علی نغم من نغم

درهمين

درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين فلعل مساس
الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا انكار
لتسويتهم وابطال القياس لمعارضته النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله
وزجر كالنهى عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهى فله ما سلف تقدم اخذه بالتحريم
ولا يسترد منه وما فى موضع الرفع بالظرف ان جعل من موصولة وبالابتداء ان جعلت
شرطية على راى سيبويه اذا الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه
ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم فى شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد
الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله
الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه ويربى الصدقات يضاعف ثوابها
ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربى احدكم
مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب لا يرتضى ولا يحب
محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك فى ارتكابه ان الذين امنوا
بالله ورسله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم من ات ولا هم يحزنون على فائت يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا
واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله
امتثال ما امرتم به روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال
والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اى فاعلموا بها من
اذن بالشىء اذا علم به وقرا حمزة وعاصم فى رواية ابن عياش فاذنوا اى فاعلموا
بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك
يقتضى ان يقاتل المربى بعد الاستتابة حتى يفىء الى امر الله كالباغى ولا يقتضى
كفره روى انها لما نزلت قال ثقيف لا يدى لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من
الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون
بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم راس مالهم وهو سديد على
ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فىء وان كان ذو عسرة وان وقع غريم
ذو عسرة وقرئ ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة
وهى الانظار وقرئ فناظرة على الخبر اى فالمستحق ناظرة بمعنى منتظرة او صاحب
نظرة على طريق النسب وعلى الامر فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرا نافع وحمزة
بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند
الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا وان تصدقوا بالابراء خير لكم
اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد

اول
بان الخليط اسحرة فتبددوا

بالتصدق او الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له
بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت فتأهبوا لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح
التاء ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب
وتضعيف عقاب وعن ابن عباس انها اخر اية نزل بها جبرئيل وقال ضعها في رأس
المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدى وعشرين
يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين امنوا اذا
تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او
اخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل و
الحال وانه الباعث على الكتبة ويكون المرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام و
الاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه
استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف
وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة
امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع
ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة
الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابه كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله
اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد ما نهى عن الاباء عنها تاكيدا ويجوز
ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي
عليه الحق وليكن المملل من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد
وليتق الله ربه اي المملل او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق او
مما امل عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا
او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل
باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا
او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة
في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين و
اطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل
اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة يسمع شهادة
الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل
وامرأتان فليشهدوا او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا
وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم
ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما ان

ضلت

ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما
كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه و
كانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن
وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب
فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا
شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا
تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم
عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت صغيرا
او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت
حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا
واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير
قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب
لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله
والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح
الا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او
عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس
ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر فالاسم مضمر
تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا
كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها او على
كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر
التي في هذه الاية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها
ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البنائين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر
بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او
النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب
جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كانت وان تفعلوا الضرار وما نهيتم عنه فانه
فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله
احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل الثلث لا
ستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه
ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اي مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهن
مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس
هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عليه السلام

رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير أخذه لأهله بل لإقامة التوثيق
بالارتهان مقام التوثق بالكتب في السفر الذي هو مظنة إعوازها والجمهور على اعتبار
القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى
مرهون وقرئ بإسكان الهاء على التخفيف فإن أمن بعضكم بعضا أي بعض الدائنين
بعض المديونين واستغنى بأمانته عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن أمانته أي دينه
سماه أمانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذي ايتمن بقلب الهمزة ياء والذيتمن
بإدغام الياء في التاء وهو خطأ لأن المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم وليتق الله
ربه في الخيانة وإنكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة أيها الشهود أو
المديونون والشهادة شهادتهم على أنفسهم ومن يكتمها فإنه آثم قلبه أي يأثم قلبه أو قلبه
يأثم والجملة خبر إنه وإسناد الإثم إلى القلب لأن الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية
والأذن زانية أو للمبالغة فإنه رئيس الأعضاء وأفعاله أعظم الأفعال وكأنه قيل تمكن
الإثم في نفسه وأخذ أشرف أجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه
والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السموات وما في الأرض خلقا وملكا وإن تبدوا
ما في أنفسكم أو تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه
يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على من أنكر الحساب كالمعتزلة والروافض
فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب
وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستئناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب
الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا منه بدل البعض من الكل أو الاشتمال كقوله متى تأتنا
تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وإدغام الراء في اللام لحن إذ الراء
لا تدغم إلا في مثله والله على كل شيء قدير فيقدر على الإحياء والمحاسبة آمن الرسول
بما أنزل إليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة إيمانه والاعتداد به وأنه
جازم في أمره غير شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
لا يخلو من أن يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا
إلى الرسول والمؤمنين أو يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين فقط وباعتباره يصح وقوع
كل بخبره خبر المبتدأ ويكون إفراد الرسول بالحكم إما لتعظيمه أو لأن إيمانه عن مشاهدة
وعيان وإيمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن أو الجنس
والفرق بينه وبين الجمع أنه شائع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب
أكثر من الكتب لا نفرق بين أحد من رسله أي يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق
بالياء على أن الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل أتوه داخرين
وأحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله وما منكم من أحد عنه حاجزين ولذلك دخل
عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا أجبنا وأطعنا أمرك

غفرانك

هذا خطأ عظيم فإنه تواتر قراءة أبي عمرو به في رواية السوسي وكذا في رواية الدوري بخلاف عنه قوله إذ الراء لا تدغم إلا في مثلها أي في القياس وهو كذلك أما في السماع على خلافه كما في أبي بأبي ونظائره وتخفيفه في شرح الجعبري للشاطبية وإنما إدغام الباء المجزوم في الميم هنا فقرأ به جمهور القراء. اهـ

غفرانك ربنا اغفر غفرانك أو نطلب غفرانك وإليك المصير المرجع بعد الموت
وهو إقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا إلا وسعها إلا ما تسعه قدرتها
فضلا ورحمة أو ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها كقوله يريد الله
بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت
من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها و
تخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لأن الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس
وتنجذب إليه وكانت أجد في تحصيله وأعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا
أو أخطأنا أي لا تؤاخذنا بما أدى بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط وقلة مبالاة
أو بأنفسهما إذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فإن الذنوب كالسموم فكما أن تناولها
يؤدي إلى الهلاك وإن كان خطأ فتعاطي الذنوب لا يبعد أن يفضي إلى العقاب
وإن لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز أن يدعو الإنسان به
استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن أمتي
الخطأ والنسيان ربنا ولا تحمل علينا إصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه أي يحبسه في مكانه
يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا
حملا مثل حملك إياه من قبلنا أو مثل الذي حملته إياهم فيكون صفة لإصرا والمراد
ما كلف به بنو إسرائيل من قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة في اليوم والليلة
وصرف ربع المال للزكوة أو ما أصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به من البلاء والعقوبة أو من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو
يدل على جواز التكليف بما لا يطاق وإلا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا
لتعدية الفعل إلى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا
ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا أنت مولينا سيدنا
فانصرنا على القوم الكافرين فإن من حق المولى أن ينصر مواليه على الأعداء أو
المراد به عامة الكفرة روي أنه عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه
عليه السلام أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي
سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من
قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره أن
يقال سورة البقرة وقال ينبغي أن يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام
السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فإن تعلمها بركة و
تركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا إله إلا هو
إنما فتح الميم في المشهور وكان حقها أن يوقف عليها لإلقاء حركة الهمزة عليها ليدل

أي قيل له عند كل كلمة قد فعلت. تش

على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم
واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة عليها لا لتفا الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم تحرك
في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء
بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عليه السلام قال ان اسم الله الاعظم في ثلث سور
في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي ال عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم
وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القران نجوما بالحق بالعدل
او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا
لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما
من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك
انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب من قبل من قبل تنزيل القران
هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به
قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل
ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر ما يفرق به
بين الحق والباطل او الزبور او القران وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما و
اظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به
بين المحق والمبطل او المعجزات ان الذين كفروا بايات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم
عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر
على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به
بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا
عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في
العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما
وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها و
هو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور
المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين
وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم
غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته
وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران
لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف
وثمانين اية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك
الكتاب منه ايات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال هن ام الكتاب
اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تأويل كل واحدة او على ان الكل

بمنزلة

بمنزلة اية واحدة واخر متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة
ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا
في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب
القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما
قوله الر كتاب احكمت اياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ
واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته
لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لانه في معنى المعرف او عن اخر من
فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون
بظاهره او بتأويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك
والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تأويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه
ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحد منهما على التعاقب
والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تأويله الذي يجب ان يحمل
عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله
فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص
الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما
هو المراد يقولون امنا به استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته
مبتدأ كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب
مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء
الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الاية بما قبلها من حيث انها في
تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن
تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم
لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه واجيب بانه مصور الاجنة كيف يشاء
فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور
ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج
الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال عليه السلام قلب ابن ادم بين اصبعين
من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا
تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق او الايمان بالقسمين محكم ومتشابه وبعد نصب على
الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة
تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب
انك انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه
متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه

وذلك القيومية كما ان عبارة عن كونه الموجد قائما بنفسه بحيث
لا يحتاج في ذاته ولا في شيء من اوصافه الى سواه
عبارة عن كونه مقوما لكل ما عداه كانه قيل فادرا
من الموجودات فهذه الاية تدل على انه تعالى فقيم جميع الكائنات
جميع الممكنات
شيخ زاده

قوله الى نيف قال الجوهري في الصحاح النيف الزيادة يخفف ويشدد
واصله من الواو يقال عشرة ونيف ومائة ونيف وكل
ما زاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثاني شيخ زاده

كالدر

أو لجزائه لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على أن معظم غرضهم
من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فإنها المقصد والمآل إن الله لا يخلف الميعاد
فإن الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به
الوعيدية وأجيب بأن وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدليل منفصل كما هو
مشروط بعدم التوبة وفاقا إن الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد
نجران أو اليهود أو مشركوا العرب لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا
أي من رحمته أو طاعته على معنى البدلية أو من عذابه وأولئك هم وقود النار حطبها وقرئ
بالضم بمعنى أهل وقودها كدأب آل فرعون متصل بما قبله أي لن تغني عنهم كما لم تغن عن
أولئك أو توقد بها ولئك أو استيناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم
في الكفر والعذاب وهو مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه فنقل إلى معنى الشأن والذين من قبلهم
عطف على آل فرعون وقيل استيناف كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم حال بإضمار
قد أو استيناف بتفسير حالهم أو خبر إن ابتدأت بالذين من قبلهم والله شديد العقاب
تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم
أي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فإنه عليه السلام جمعهم بعد بدر في
سوق بني قينقاع فحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك أنك أصبت أغمارا
لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده
بقتل قريظة وإجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة
وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على أن الأمر بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه
وبئس المهاد تمام ما يقال لهم أو استيناف وتقديره بئس المهاد جهنم أو ما مهدوه
لأنفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش أو لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا
يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون
المؤمنين مثلي عدد المشركين وكان قريبا من ألف أو مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة و
بضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم في أعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا إليهم فلما
لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين أو يرى المؤمنون المشركين
مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة أمثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به
في قوله إن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء
وقرئ بهما على البناء للمفعول أي يريهم الله أو يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل
من فئتين والنصب على الاختصاص أو الحال من فاعل التقتا رأي العين رؤية
ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما أيد أهل بدر إن في ذلك
أي التقليل والتكثير أو غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة
آية أيضا يحتملها ويحتمل وقوع الأمر على ما أخبر به الرسول عليه السلام لعبرة لأولي الأبصار

لعظة

هم الذين يقولون مرتكب الكبيرة مخلد في النار وهم طائفة من المعتزلة

اي لا تنفعهم على انه من الغناء بالفتح والمد وهو النفع يقال اغنى عنه اي نفعه ودفع عنه الضر وفي القران ما اغنى عنه ماله والغنا بالكسر والقصر ضد الفقر والمعنى ان الذي ينفع للانسان انما هو دينه اي طاعته او رحمته ومن اثر بدلها اموالا واولادا بناء على ظن ان ينتفع بها بدل رحمة الكريم فهو خائب في ظنه محروم في طلبه شيخ زاده

قوله قينقاع بفتح القاف وسكون الياء وضم النون وفتحها وكسرها وهم رهط عبد الله بن سلام رضي والاغمار جمع غمر بضم و السكون او بفتحتين وهو من لم يجرب الامور قوله لا علم لهم بالحرب صفة كاشفة للاغمار وقولهم نحن الناس من قبيل زيد الرجل وعمرو الشجاع شيخ زاده

لعظة لذوي البصائر وقيل لمن أبصرهم زين للناس حب الشهوات أي المشتهيات سماها
شهوات مبالغة وإيماء على أنهم انهمكوا في محبتها حتى أحبوا شهوتها كقوله أحببت حب الخير
والمزين هو الله تعالى لأنه الخالق للأفعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء أو لأنه يكون
وسيلة إلى السعادة الأخروية إذا كان على وجه يرتضيه الله أو لأنه من أسباب التعيش
وبقاء النوع وقيل الشيطان فإن الآية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة و
الأنعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة ألف دينار
وقيل ملء مسك ثور ذهبا واختلف في أنه فعلال أو فنعال والمقنطرة مأخوذة منه
للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة أو المرعية
من أسام الدابة وسومها أو المطهمة والأنعام الإبل والبقر والغنم ذلك متاع
الحيوة الدنيا إشارة إلى ما ذكر والله عنده حسن المآب أي المرجع وهو تحريض
على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الأبدية بالشهوات المخدجة الفانية قل
أؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير أن ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين
اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير
ويجوز أن يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها
بدلا من خير وأزواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قرأه عاصم
بضم الراء وهما لغتان والله بصير بالعباد أي بأعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء
أو بأحوال الذين اتقوا فلذلك أعد لهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعمه فأدناها
متاع الدنيا وأعلاها رضوان الله لقوله ورضوان من الله أكبر وأوسطها الجنة ونعيمها
الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين
أو للعباد أو مدح منصوب أو مرفوع وترتيب السؤال على مجرد الإيمان دليل على أنه كاف
في استحقاق المغفرة أو الاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين
والمستغفرين بالأسحار حصر لمقامات السالك على أحسن ترتيب فإن معاملته مع الله
إما توسل وإما طلب والتوسل إما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل
والصبر يشملهما وإما بالبدن وهو إما قولي وهو الصدق وإما فعلي وهو القنوت
الذي هو ملازمة الطاعة وإما بالمال وهو الإنفاق في سبيل الخير وأما الطلب
فبالاستغفار لأن المغفرة أعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة
على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها أو لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الأسحار
لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة لأن العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى والروع أجمع
سيما للمتهجدين قيل إنهم كانوا يصلون إلى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله
أنه لا إله إلا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وإنزال الآيات الناطقة

بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك
في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه
وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم
اللبس كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اي
تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل و
هو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ القائم بالقسط
على البدل من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة
ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف
بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير
او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة
فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة
وهي دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة
مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع
الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان
او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني
واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف
الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال
قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى
وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى
الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج
بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بآيات الله
فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين او جادلوك فيه
بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره
وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعا اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس
لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن
للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي
العرب أأسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل
انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا
انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ
ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون
بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس

فبشرهم

فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعوهم
وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي عليه السلام والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله
في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان
كليت ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كقولك
زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من ناصرين
يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية او جنس الكتب
السماوية ومن للتبعيض او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى
كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله القرآن او التورية لما
روي انه عليه السلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت
فقال على دين ابرهيم فقالا له ان ابرهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها
بيننا وبينكم فأبيا وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف
فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد
لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض
والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة ذلك اشارة الى التولي والاعراض
بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم
لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار
لن تمسهم الا اياما قلائل وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام
ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام
لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية
ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الاشهاد ثم يأمر
بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط
وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها
فاذا هي بعد الخلوص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان
قل اللهم الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه
مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف
النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك تتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك
وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك
ممن تشاء تعطي منه ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك الاول عام والآخران بعضان
منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء
في الدنيا والآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك
على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر

جرثومة مالم يتضمن خيرا كليا ولمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام وقع فيه
اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا
يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء
ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت
لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور
الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبرئيل ان امتي
ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل و
يخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق
من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في
النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء
بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة
فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه
والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الاخر بالتعقيب او
الزيادة والنقص واخراج الميت من الحي وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها
او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لا يتخذ
المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة وصداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون
حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية
من دون المؤمنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة
الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء اي من ولايته في شيء
من ولاية في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعاديين لا يجتمعان قال
تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة
الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى
تحذروا وتخافوا وقرا يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات
كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة ح جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا
وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه
وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم يشعر بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم
ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا
ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها
ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم و
الله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والاية بيان لقوله

الحيرة بكسر الحاء بلدة بظاهر الكوفة

اي ليكن جسدك بين الناس وقلبك في جانب

ويحذركم

ويحذركم الله نفسه فكانه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات
كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية
الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اي
تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان
بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير
في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا يكون ما شرطية
لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان يكون شرطية ولكن الحمل على الخبر
اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره
للتوكيد والتذكير والله رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة
بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على
ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من
نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي
ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع
الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي
يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم
في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم
لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه
وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده
انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول
فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى
عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر
وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى
ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية و
الجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة
لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة
وال ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وال عمران
موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه
مريم بنت عمران بن ماثان بن ابيعازر بن ابي يود بن زربابل بن شالتان بن
يوحنا بن اوشا بن اموذن بن ميشكن بن حارقيا بن يوثام بن عزريا بن يورام

عليه السلام

بن يوزام

ابن ساقط بن ايشا بن اينا بن رحبعم بن سليمان بن داود بن ايشى بن عويد بن سلمون
ابن باعز بن نحشون بن عميناداب بن رام بن حضروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب وكان بين
العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهما
ومن نوح اى انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض فى الدين و
الذرية الولد تقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرأ ابدلت همزتها ياء
ثم قلبت الواو وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم وافعالهم فيصطفى من
كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأت عمران
رب انى نذرت لك ما فى بطنى فينتصب به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهى حنة بنت
فاقوذ جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن ان المراد
زوجها وترده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع و
كان يحيى وعيسى ابنى خالة من الاب روى انها كانت عاقرا عجوزا فبيناهى فى ظل شجرة
اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا ان رزقتنى
ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا
النذر مشروعا فى عهدهم للغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا
لخدمته لا اشغله بشىء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل منى ما نذرته انك انت السميع
العليم لقولى ونيتى فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى الضمير لما فى بطنها وتأنيثه لانه
كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد
او على تأويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو
ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اى بالشىء الذى وضعت و
هو استيناف من الله تعالى تعظيما وتجهيلا لها بشانها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم و
يعقوب وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اى ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا
وقرئ وضعت على خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله تعالى والله اعلم اى
وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من
قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس وانى سميتها
مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا
اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم فى لغتهم
بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة وانى اعيذها بك
اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمى بالحجارة
وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل
من مسه الا مريم وابنها فان الله عصمها ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضى
بها فى النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر

اوتسلمها

او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روى ان حنة لما ولدتها
لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت
رؤس بنى اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندى خالتها فابوا الا القرعة
وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا
ورسبت اقلامهم فكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اى بذى قبول
حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها فى جميع احوالها وكفلها
زكريا شدد الفاء حمزة والكسائى وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم فى رواية
ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اى كافلها وضامنا لمصالحها
وخفف الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اى الغرفة
التى بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمى به لانه محل محاربة الشيطان
كانها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه
روى انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها
فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق
الآتى فى غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل
ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعده قيل
تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان
يكون من كلامها وان يكون من كلام الله روى ان فاطمة رضى الله عنها اهدت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمى يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا
هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء
بغير حساب فقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع عليا و
الحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقى الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك
دعا زكريا ربه فى ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما
رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها
لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه فى غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من
الشيخ فسأل وقال هب لى من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب
المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اى من جنسهم كقولهم زيد يركب
الخيل فان المنادى كان جبريل وحده وقرأ حمزة والكسائى فناداه بالامالة والتذكير
وهو قائم يصلى فى المحراب اى قائما فى الصلاة ويصلى صفة قائم او خبر او حال اخر
او حال عن الضمير ان الله يبشرك بيحيى اى بان الله وقرأ نافع وابن عامر بالكسر

على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم عجمي و
ان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اى بعيسى
سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر
او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم
وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا مبالغا في حبس النفس عن
الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب
خلقت ونبيا من الصالحين ناشيا منهم او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا
صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة او استعظاما او
تعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في
وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي عاقر لا تلد من
العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الولادة قال كذلك الله يفعل ما يشاء اى يفعل
ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما
انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتداء
وخبر اى الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر محذوف
اى الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل لي اية علامة اعرف بها الحبل
لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال ايتك ان لا تكلم الناس
ثلثة ايام ان لا تقدر على تكليم الناس ثلثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة
ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكأنه قال ايتك ان تحبس لسانك
الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اشارة بنحو يد او رأس
واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام
ما دل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه
ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا
واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر
بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل من
العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح
الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفيك وطهرك
واصطفيك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم
ان ذلك كانت معجزة زكريا او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى
لم يستنبئ امرأة لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء
الاول تقبلها من امها ولم يقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق
الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة

وقيل السيد من يكون له ثلث صفات كونه عليما وحليما وعادلا وان لم يكن مستحقا للسيادة

اليها

اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق
الطفل وجعلها وابنها اية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع
الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم
السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب
او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين
وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما
يحذر الاخرة وبالسجود الصلوة كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات

الخضوع

ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اى ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها
الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا بأقلامهم
التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه
فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم
فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق
بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اى يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل وما كنت
لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى و
ما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع
كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم المسيح
لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك
وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب
او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض تعلوه حمرة
تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلكها
ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدأ فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد به الذي يعرف
به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز
ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها
على انه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الاباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب
وجيها في الدنيا والاخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة و
تذكيره للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الاخرة الشفاعة ومن المقربين من الله
وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس
في المهد وكهلا اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر
سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر
احواله المختلفة المتنافية ارشادا الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث
من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب واستبعاد

عادية او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل
جبريل او الله وجبريل حكى لها قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر
ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل كلام مبتدأ
ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او
عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان بالذكر لفضلهما
ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره
ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى
النطق وكانه قال وناطقا بانى قد جئتكم وتخصيص بنى اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على
من زعم انه مبعوث الى غيرهم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل من انى قد جئتكم
او جر بدل من اية او رفع على هى انى اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير
فانفخ فيه الضمير للكاف اى فى ذلك المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا
بامر الله نبه به على ان احياءه من الله لا منه وابرئ الاكمه والابرص الاكمه الذى ولد اعمى
او الممسوح العين روى انه كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه
عيسى وما يداوى الا بالدعاء واحيى الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لتوهم
الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون
فى بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التى لا تشكون فيها ان فى ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين
موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا
لما بين يدى من التورية عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه
قد جئتكم اى وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود على قوله قد جئتكم
باية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذى
حرم عليكم اى فى شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل
فى السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا
للتورية كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ فى الحقيقة
بيان وتخصيص فى الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله
ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اى جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهى قولى
ان الله ربى وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبى و
الساحر او جئتكم باية على ان الله ربى وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض
والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم اى جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم
والاول لتمهيد الحجة والثانى لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا
الله واطيعون اى لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والايات الباهرة فاتقوا الله فى

الثروب الشحم الذى على المعا

المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع فى الدعوة واشار اليها بالقول المجمل
فقال ان الله ربى وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذى
غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة
التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهى ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين
هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل امنت بالله ثم استقم فلما
احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصارى
الى الله ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصارى مضمنا
معنى الاضافة اى من الذين يضيفون انفسهم الى الله فى نصرى وقيل الى ههنا بمعنى مع
او فى او اللام قال الحواريون حوارى الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص و
منه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن حوارى الرجل خالصته سمى به اصحاب عيسى
لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود
وقيل قصارون يحورون الثياب اى يبيضونها نحن انصار الله اى انصار دينه
امنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيمة حين يشهد الرسل لقومهم و
عليهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اى مع
الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد
فانهم شهداء على الناس ومكروا اى الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه
من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل
والمكر من حيث انه فى الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على
سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر
من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل ذلك وقع يا عيسى
انى متوفيك اى مستوفى اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك
من الارض من توفيت مالى او متوفيك نائما اذ روى انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات
العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه
ذهبت النصارى ورافعك الى الى محل كرامتى ومقر ملائكتى ومطهرك من الذين كفروا من
سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم
بالحجة او السيف فى غالب الامر ومتبعوه من امن بنبوته من المسلمين والنصارى والى
الان لم تسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الى مرجعكم الضمير لعيسى ومن
تبعه وكفر به وغلب المخاطب على الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من الدين
فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين و
اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له والله
لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ

اى البنات التى تكون فى الحضر

عليه السلام

خبره نتلوه عليك وقوله من الايات حال من الهاء ويجوز ان يكونا خبر ونتلوه حالا
على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه
والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القران
وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم ان شانه الغريب كشان ادم خلقه
من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق ادم من
التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى
خلق قالبه من التراب ثم قال له كن اى انشاه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا اخر وقدر
تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخى الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق
من ربك خبر محذوف اى هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره اى الحق المذكور من الله
فلا تكن من الممترين خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم على طريقة التهييج لزيادة الثبات او
لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه فى عيسى من بعد ما جاءك من العلم اى من البينات
الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأى والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم
وانفسنا وانفسكم اى يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى
المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم
ثم نبتهل اى نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك
من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه
بيان روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب
وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل فى امر صاحبكم
والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا
فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة
تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر
النصارى انى لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا
فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله وبذلوا له الجزية الفى حلة حمراء وثلثين درعا
حديدا فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير و
لاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل
على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اى ما قص من نبأ عيسى ومريم لهو
القصص الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره فى شأن عيسى ومريم حق
دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلته لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها
ان تدخل المبتدأ وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد على
النصارى فى تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه فى القدرة
التامة والحكمة البالغة ليشاركه فى الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين

وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولى عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد
للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب
يعم اهل الكتابين وقيل يريد وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا و
بينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وتفسرها ما بعدها ان لا نعبد الا الله ان
نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له فى استحقاق
العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله
ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل
لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روى انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون
لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا
اشهدوا بانا مسلمون اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم
كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى فى هذه القصة
من المبالغة فى الارشاد وحسن التدرج فى الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور
عليه من الاطوار المنافية للالوهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما رأى
عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا
بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى
ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم
وعلم ان الايات والنذر لا تغنى عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون
يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت
اليهود والنصارى فى ابرهيم وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى
وكان ابرهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون
المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف
تنبيه نبهوا بها على حالهم التى غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى
مبينة للاولى اى انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه
فى التورية والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به
ولا ذكر فى كتابكم من دين ابرهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم
اصله أانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم
فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح
بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا
لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين

تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعا المشركين انهم على ملة
ابرهيم ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين
اتبعوه من امته وهذا النبي والذين امنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة
وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم والله ولي
المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون
الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم
او ما يضلون الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب
لم تكفرون بايات الله بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد عليه الصلوة والسلام
وانتم تشهدون انها ايات الله او بالقران وانتم تشهدون نعته في الكتابين او
تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل
في صورة الحق او بالتقصير في التميز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء
اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد
ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي
انزل على الذين امنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقران اول النهار واكفروا
اخره لعلهم يرجعون واكفروا به اخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم
لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما
لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار
ثم صلوا الى الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا
عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا اخره نظرنا
في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه
يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل
دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم
قل ان الهدى هدى الله يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما
اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم
على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم
ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام
وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان
على ان الهدى بدل من الهدى وقراءة ابن كثير اان يؤتى على الاستفهام للتقريع ويؤيده
الوجه الاول اي الان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة
اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم

عند ربكم

عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند
ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو
الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تامنه
بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا
فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء
استودعه قرشي اخر دينارا فجحده وقيل المامونون على الكثير النصارى اذ الغالب
فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة الا ما دمت عليه
قائما الا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة
البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله بانهم قالوا بسبب قولهم
ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس علينا في شان من ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا
على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم
كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة
وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث
تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها
كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة
الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى
فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور
لمن او لله وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك
الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان
الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات
وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع
الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا
وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله واياته والظاهر انه كناية
عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره واستهان به اعرض
عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه
ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار حرفوا
التورية وبدلوا نعت محمد وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل
نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشتر به وقيل في
ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي
وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي يلوون السنتهم بالكتاب

يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون
على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه
من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء
والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله وما هو
من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اى ليس هو
نازل من عنده وهذا لا يقتضى ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على الله الكذب
وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله
الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله تكذيب ورد
على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظى والسيد النجرانى قالا يا محمد اتريد ان نعبدك
ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نامر بغير عبادة الله فما بذلك
بعثنى ولا بذلك امرنى فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا
على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغى ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم
واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والربانى منسوب
الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحيانى والرقبانى وهو الكامل فى العلم والعمل بما كنتم
تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم
دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرّسون من التدريس وتُدرسون
من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى
على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون لا مزيدة لتاكيد معنى
النفى فى قوله ما كان اى ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر
باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا
يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستيناف
الامر بالعبادة
ويحتمل الحال ايامركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل
على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبيا كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى
اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق
الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذى وثقه الانبيا على اممهم
وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنوا اسرائيل وسماهم نبيين تهكما لانهم
كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب والنبيون كانوا منا واللام فى لما

موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن سادّ مسد
جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرا حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اى لاجل ايتائى
او للموصولة
اياكم بعض الكتاب ثم مجئ رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او
موصولة والمعنى اخذه للذى اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين
اتيتكم او لمن اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلث
استثقالا قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصرى اى عهدى سمى به لانه يؤصر اى يشد
وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا
قال فاشهدوا اى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا
معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير
عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون
المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة
بينهما للانكار او محذوف تقديره اتتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول
لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابى عمرو وعاصم فى رواية حفص ويعقوب
وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها
اى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام
كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين او
مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضى عليهم واليه ترجعون وقرئ
بالياء على ان الضمير لمن قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول صلى الله عليه وسلم
بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقران كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط
تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على
طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهى الى الرسل يعدى بعلى لانه من
فوق وانما قدم المنزل عليه عليه السلام على المنزل على سائر الرسل عليهم السلام لانه المعرف
له والمعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون
منقادون او مخلصون فى عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اى غير التوحيد و
الانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين الواقعين فى الخسران
والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران بابطال
الفطرة السليمة التى فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ
لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفى قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره
ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان
الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعدما

وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار وذلك يقتضي ان لا تقبل
توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او
حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن
حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال
بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك
جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم
وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن
الهدى مايوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم
فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها
في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد و
اصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله
غفور رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت في الحرث بن سويد حين ندم على ردته فارسل
الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالاية فرجع الى المدينة
فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى و
الانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن او كفروا بمحمد
بعدما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع
اليه وننافقه بالظهار لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشفوا
على الهلاك فكني به عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة
حال الايسين من الرحمة او لان توبتهم لا يكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم
ولذلك لم تدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا
وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لما كان الموت على الكفر
سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملؤه و ذهبا
نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول
على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف
على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا
ولو افتدى به من العذاب في الاخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين
ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في
حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل
منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة
للاستغراق لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا

٧ يقبل توبتهم

نقض الميثاق بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان
ولقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا

بر الله

80

بر الله الذي هو الرحمة والرضا والجنة حتى تنفقوا مما تحبون اي من المال او ما يعمه
وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله روي
انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها حيث
اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح او رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين
وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبه فقال هذه في سبيل الله فحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسامة فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال عليه السلام ان الله قد قبله
منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان
الاية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من
للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء من اي شيء محبوب او غيره ومن لبيان
ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام اي المطعومات والمراد اكلها كان
حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث قال تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها
قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم يأكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه
وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد و
للمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التورية اي
من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك
رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا عليهم كل ذي ظفر الايتين بان قالوا لسنا
اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت
علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول عليه السلام موافقة
ابرهيم بتحليله لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين
امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما
روي انه عليه السلام لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته
فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على
بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمهم الحجة فاولئك هم الظالمون الذين
لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله تعريض بكذبهم
اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اي
ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابرهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي
اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات
احلها لابرهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد
الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود

ان اول بيت وضع للناس اى وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى
ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذى ببكة للبيت الذى ببكة وهى لغة فى مكة
كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هى موضع المسجد ومكة
البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روى انه
عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس
وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم ثم هدم فبناه قوم
من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس فى الطوفان
ثم بناه ابرهيم وقيل كان فى موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة
فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع فى الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به
ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الاية وقيل المراد انه اول بالشرف لا بالزمان
مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن
فى الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة كما قال فيه ايات
بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضوارى السباع
تخالط الصيود فى الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب
الفيل والجملة مفسرة للهدى وحال اخرى مقام ابرهيم مبتدأ محذوف خبره اى منها مقام
ابرهيم او بدل من ايات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد به اثر
القدم فى الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين
الصخار وابقاؤه دون سائر اثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة
ويؤيده ان قرئ اية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة
قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان امنا
جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه فى معنى امن من دخله اى ومنها
امن من دخله او فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من
الايات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الى من دنياكم ثلث الطيب
والنساء وقرة عينى فى الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما فى الدارين بقاء الاثر
مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال عليه السلام من مات فى احد الحرمين بعث يوم
القيمة امنا وعند ابى حنيفة من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن
الجئ الى الخروج ولله على الناس حج البيت قصد للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ
حمزة والكسائى وعاصم فى رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه
سبيلا بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة
بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعى انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على
الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشى

والكسب

والكسب فى الطريق وقال ابو حنيفة انها بمجموع الامرين والضمير فى اليه للبيت او الحج
وكل ما اتى الى الشئ فهو سبيله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين وضع كفر موضع
من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات و
لم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج فى هذه الاية من وجوه
الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه فى الصورة الاسمية وايراده على وجه
يفيد انه حق واجب لله فى رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح
بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة و
ذكر الاستغناء فانه فى هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين
بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار
بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال
والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روى انه لما نزل صدر الاية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت
به خمس ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اى باياته السمعية
والعقلية الدالة على صدق محمد فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب
بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم
كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم
عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله
من امن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة فى التقريع ونفى العذر لهم واشعارا بان
كل واحد من الامرين مستقبح فى نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق
المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى
اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم فى الجاهلية من التعادى والتحارب ليعودوا
لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اى باغين طالبين لها اعوجاجا
بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحوهما او بان يحرشوا بين المؤمنين ليختلف كلمتهم ويختل امر دينهم
وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل
ملتكم يثقون باقوالكم يجهرون ويستشهدونكم فى القضايا وما الله بغافل عما
تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر فى الاية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله
والله شهيد ولما كان المنكر فى هذه الاية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه
ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا
من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت فى نفر من الاوس والخزرج
كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودى فغاظه تألفهم واجتماعهم

فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه
وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا
وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام
وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من
عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول
عليه السلام وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب
اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم
وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في
حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله و
من يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى
لا محالة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ
الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم لقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن
ابن مسعود هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان
ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي
عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة
والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا
ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى
وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدين الاسلام او بكتابه
لقوله عليه السلام القران حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب
للنجاة عن التردي كما ان التمسك بالحبل سبب السلامة عن التردي والوثوق به والاعتماد عليه
الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع
الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او ولا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا
او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية
والتوفيق للاسلام المؤدي الى التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين
فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة
في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت
الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم برسوله عليه السلام
وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت
في تلك الحالة لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا
وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى شفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب

والجانبة

والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك
التبيين يبين الله لكم اياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى
وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه
لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام
ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم
ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم
وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون لقوله كنتم خير امة
اخرجت للناس تامرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او
دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله
واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه السلام سئل من خير الناس
فقال امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف
يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع
حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط
بترك احدهما وجوب الاخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى
اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الاخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الايات
والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول
دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة ولقوله من اجتهد فاصاب فله اجران ومن
اخطأ فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه
بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر و
بياض الوجه وسواده كناية عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق
ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد
ذلك فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال
لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا
برسول الله بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا به حين
اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والايات فذوقوا العذاب
امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم
ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان
استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب
ان يقدم ذكرهم ولكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم
هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستئناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال

هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق
ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين إذ يستحيل الظلم منه لأنه
لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لأنه المالك على الإطلاق
كما قال ولله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور فيجازي كلا
بما وعد له وأوعد كنتم خير أمة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرء كقوله
وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله أو في اللوح أو فيما بين الأمم المتقدمين
أخرجت للناس أظهرت لهم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استئناف بين به
كونهم خير أمة أو خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الإيمان بكل ما يجب أن يؤمن
به لأن الإيمان به إنما يحق ويعتد به إذا حصل الإيمان بكل ما أمر أن يؤمن به وإنما أخره
وحقه أن يقدم لأنه قصد بذكره الدلالة على أنهم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر إيمانا
بالله وتصديقا به وإظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على أن الإجماع حجة لأنها
تقتضي كونهم آمرين بكل معروف ناهين عن كل منكر إذ اللام فيهما للاستغراق فلو
أجمعوا على باطل كان أمرهم على خلاف ذلك ولو آمن أهل الكتاب إيمانا كما ينبغي لكان خيرا
لهم لكان الإيمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام وأصحابه وأكثرهم
الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد
لن يضروكم إلا أذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار
ينهزموا ولا يضروكم بقتل وأسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون أحد ينصرهم عليكم أو
يدفع بأسكم عنهم نفى إضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بأنهم لو قاموا إلى
القتال كانت الدبرة عليهم ثم أخبر بأنه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا
عطف على يولوا على أن ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه
الآية من المغيبات التي وافقها الواقع إذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع
ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والأهل أو ذل التمسك بالباطل والجزية
أينما ثقفوا وجدوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من أعم عام الأحوال أي
ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا معتصمين أو متلبسين بذمة الله أو كتابه الذي
آتاهم وذمة المسلمين أو بدين الإسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤوا بغضب من الله
رجعوا مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم إحاطة البيت المضروب على أهله
واليهود في غالب الأمر فقراء أو مساكين ذلك إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة
والبوء بالغضب بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق بسبب
كفرهم بالآيات وقتلهم الأنبياء ذلك أي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون
بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فإن الإصرار على الصغائر يفضي إلى الكبائر
والاستمرار عليها يؤدي إلى الكفر وقيل معناه أن ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في

الآخرة

الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث أنهم
مخاطبون بالفروع أيضا ليسوا سواء في المساوي والضمير لأهل الكتاب من أهل الكتاب
أمة قائمة استئناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من أقمت العود
فقام وهم الذين أسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون القرآن
في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون أبين وأبلغ في المدح
وقيل المراد صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها لما روي أنه عليه السلام أخرها
ثم خرج فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما إنه ليس من أهل الأديان أحد
يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات أخر لأمة وصفهم بخصائص
ما كانت في اليهود فإنهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون
في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون
عن الخيرات وأولئك من الصالحين أي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت أحوالهم
عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما يفعلوا من خير فلن يكفروه فلن يضيع ولا
ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته إلى مفعولين
لتضمنه معنى الحرمان والله عليم بالمتقين بشارة لهم وإشعار بأن التقوى مبدأ
الخير وحسن العمل وأن الفائز عند الله هو أهل التقوى إن الذين كفروا لن تغني عنهم
أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا من العذاب أو من الغناء فيكون مصدرا وأولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة
أو مفاخرة وسمعة أو المنافقون رياء وخوفا في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر
برد شديد والشائع إطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الأصل مصدر نعت به أو نعت
وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم بالكفر و
المعاصي فأهلكته عقوبة لهم لأن الإهلاك عن سخط أشد والمراد تشبيه ما أنفقوا في
ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة
وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بإيلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز أن
يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون أي ما ظلم المنفقين
بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها أو ما ظلم أصحاب
الحرث بإهلاكه ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن
أي ولكن أنفسهم يظلمونها ولا يجوز أن يقدر ضمير الشأن لأنه لا يحذف إلا في الشعر كقوله
ولكن من يبصر جفونك يعشق يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي
يعرفه الرجل أسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام
الأنصار شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا

او يجوزون هو صفة بطانة اى بطانة كائنة من دونكم لا يالونكم خبالا لا يقصرون
لكم فى الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف وعدى الى مفعولين كقولهم
لا الوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة
الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اى فى كلامهم لانهم لا
يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفى صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية
واختيار قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين و
معاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات
على التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم
ولا يحبونكم اى انتم اولاء الخاطئون فى موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان
لخطائهم فى موالاتهم وهو خبر ثان او خبر اولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد
تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينصب اولاء بفعل يفسره
ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتب كلها وهو حال من لا
يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم و
هم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم فى باطلهم اصلب منكم فى حقكم واذا لقوكم قالوا
امنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تأسفا و
تحسرا حيث لم يجدوا الى التشفى سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته
بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما
فى صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اى قل لهم ان الله عليم
بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك
ولا تتعجب من اطلاعى اياك على اسرارهم فانى عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة
تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهى عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم
من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وان تصبروا
على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم او ما حرم الله عليكم لا يضركم
كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد فى الامر
المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للاتباع
كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ان الله
بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اى محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ
بالياء اى بما يعملون فى عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اى واذكر اذ غدوت
من اهلك من حجرة عائشة رضى الله عنها تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوى وتهيئ لهم و
يؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام
بمعنى المكان على الاتساع كقوله فى مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك والله

سميع

سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثانى عشر
شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد
دعا عبد الله بن ابى ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة
ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا
اصبنا منه كيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا
قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين
واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام رأيت فى منامى بقرا مذبوحة حولى فاولتها
خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فاولته هزيمة ورأيت كانى ادخلت يدى فى درع
حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم
بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته
فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغى
لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب احد يوم
السبت ونزل فى عدوة الوادى وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر
عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا اذ همت
متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو
حارثة من الاوس وكانا جناحى العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روى انه عليه السلام
خرج فى زهاء الف رجل ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابى
فى ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصارى وقال
انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم فقال ابن ابى لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه
فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما اى
عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان وعلى الله
فليتوكل المؤمنون اى فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر
ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة
كان لرجل يسمى بدرا فسمى به وانتم اذلة حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل
ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله فى الثبات
لعلكم تشكرون ما انعم به عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون
فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من
اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما
لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم
بثلثة الاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جىء بلن اشعارا بانهم
كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله

اى فهمت بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف مع عبد الله بن ابى فعصمهم الله تعالى فلم ينصرفوا ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرهم الله عظم نعمته عليهم بعصمته فقال اذ همت

يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة وقرأ ابن عامر
منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة
على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم
اي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت
فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان يأتوكم في الحال
يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ ولا تأخير مسومين معلمين
من التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة
قد تسومت او مرسلين من التسويم الذي بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم
ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة
لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا
من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد لهم
به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان
لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل
بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق
بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر اخرين
وهو ما كان في يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم
والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد فينقلبوا
خائبين فينهزموا منقطعي الآمال ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او
يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم
او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد
مأمور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اي
وليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء
والتوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان
يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد
وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم
بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم
ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا
فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد
بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم
يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة
ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى

حتى يستغرق

ويعقوب م

حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر مضعفة واتقوا الله
فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين
بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار
وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا
عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى
ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق
به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة
عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضها وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة
على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل
بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة
عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في
السراء والضراء في حالي الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او
مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ
الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا
والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب
المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون للاشارة اليهم والذين اذا فعلوا
فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل
الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ليس كذلك
ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن
يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى
بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما
فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان
عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي ولم يصروا على قبح فعلهم عالمين
به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفته على المتقين او
على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها
المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير
جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات
المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل آيتيهم بان بين انهم

محسنون مستوجبون لمحبة الله و ذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا
الى التخصيص بمكارمه وفصل اية هؤلا بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك المقصر
كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب و
الاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره
ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقايع سنها
الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل
امم قال ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا ارى مثله في سالف السنن فسيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم هذا
بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت ومفهوم قوله
فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما
لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى
القران ولا تهنوا ولا تحزنوا عزاهم وسلاهم على ما اصابهم يوم احد والمعنى لا
تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم
اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم
للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم
او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مومنين
متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او
بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرا حمزة والكسائي وابن عياش
عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح
وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا
ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون كان المسلمين كانوا
يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول وتلك الايام نداولها
بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوم علينا ويوم لنا
ويوم نساء ويوم نسر والمداولة كالمعاورة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه
والايام يحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر و
الغلبة وليعلم الله الذين امنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت و
ليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المومن فيه من المصالح
ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين
على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل
الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء و
هو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء

احد

احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله
لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه
تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء
للمومنين وليمحص الله الذين امنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم
ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ولما يجاهد بعضكم وفيه دليل على انه فرض كفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل
فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذف النون ويعلم الصابرين
نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا
وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة
والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله مشهدا لينالوا ما نال
شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه
وتعرفوا شدته فقد رايتموه وانتم تنظرون اي فقد رايتموه معاينين له حين قتل
دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا و
انهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم
انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو
الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو
الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قمية الحارثي
رسول الله عم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب
الراية حتى قتله ابن قمية وهو يرى انه قتل النبي فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان
محمدا قد قتل فانكفا الناس وجعل الرسول عم يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلثون
من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ
لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى
اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب
محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني
اعتذر اليك مما يقولون وابرا منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب
على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على
نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله
الا بمشيته تعالى او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى
في علمه تعالى وقضاه لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال و

ای یدعو الناس ویقول الی عباد الله

الاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتأخير الاجل
كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اى موقتا لا يتقدم
ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد
فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك
اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم
ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اى من ثوابها وسنجزى الشاكرين الذين شكروا
نعمة الله فلم يشغلهم شئ عن الجهاد وكأين اصله اى دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم
والنون تنوين اثبت فى الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه
انه قلب الكلمة الواحدة لقولهم رعملى فى لعمرى فصار كيأن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف
ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائى من نبى بيان له قاتل معه ربيون كثير
ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربى منسوب الى الربة
وهى الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى
ربيون او ضمير النبى ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ
ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم
فى سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبى او بعضهم وما ضعفوا
عن العدو او فى الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون
لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون
من الكون لانه يطلب من نفسه ان تكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف
بقتله عليه السلام والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا
ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين اى وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم فى الدين وكونهم ربانيين
الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما
اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت فى مواطن الحرب والنصر
على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا
لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم بسبب الاستغفار واللجأ الى الله
النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر فى الدنيا والجنة والنعيم فى الآخرة وخص ثوابها بالحسن
اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا
يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة
ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابى سفيان
واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام فى مطاوعة الكفرة والنزول

على حكمهم

فاستغنوا به صح

على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله موليكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير
بل اطيعوا الله موليكم وهو خير الناصرين فاستعينوا به عن ولاية غيره ونصره
سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف فى قلوبهم من الخوف يوم احد
حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر
لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق
ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب فى قلوبهم وقرأ
ابن عامر والكسائى ويعقوب بالضم على الاصل فى كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم
به ما لم ينزل به سلطانا اى آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطان وهو
كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله
والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اى مثواهم فوضع الظاهر
موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اى وعده اياهم بالنصر بشرط
التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة
يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم
باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او ملتم
الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم فى الامر يعنى اختلاف الرماة حين
انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف امر الرسول
فثبت مكانه اميرهم فى نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعنى بقوله وعصيتم
من بعد ما اريكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم
منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون
محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على
المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمهم
على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او فى الاحوال كلها سواء ادال
لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر
كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد فى الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا
تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول
الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة فى اخريكم فى ساقتكم وجماعتكم الاخرى
فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم والمعنى
فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر
المشركين والارجاف بقتل الرسول او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم
له لتتمرنوا على الصبر فى الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل
لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة

عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول أي فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل
عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما
فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما
قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى
اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط
من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول و
نعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين
بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة
من الامن يغشى طائفة منكم اي النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة
المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم
او ما بهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة
اخرى لطائفة او حال او استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر
اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن
المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون اي لرسول الله وهو بدل من يظنون هل
لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل
اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها
باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر
شيء قل ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله واوليائه فان حزب الله هم الغالبون
او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع
على الابتداء يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون
مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اي
في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استئناف على وجه البيان
لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان
لنا اختيار وتدبير ولم نبرح كما كان رأي ابن أبي وغيره ما قتلنا ههنا لما غلبنا
ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم
القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى
مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق
قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها
من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل محذوف ذلك ليبتلي او عطف
على محذوف اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا
وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور

بيحال وذو الحال لان يخفون حال من ضمير يقولون

يخفيها

بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك
لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان
انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان
السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك
المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة بمخالفة النبي فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلهم
الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة
وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة
ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة
المذنب كي يتوب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا
لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض
اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية
الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة
في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا
اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك
اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله
انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي ويميت
رد لقولهم اي هو المؤثر في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر و
الغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم
اي متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة
خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب
الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت
خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق
هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه
لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم
بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والدلالة على ان لينه لهم
ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد
ان خالفوه ولو كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من
حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما
لله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا

برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شئ بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اى فاذا عزمت لك على شئ وعينته لك فتوكل على ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذى ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضى للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وامنوا به وما كان لنبى ان يغل وما صح لنبى ان يخون فى الغنائم فان النبوة تنافى الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه فى خفية والمراد منه اما براءة الرسول عليه السلام عما اتهم به اذ روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة فى النهى للرسول على ما روى انه بعث طلايع فغنم رسول الله فقسم على من معه ولم يقسم للطلايع فنزلت فيكون تسميه حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة يأت بالذى غله يحمله على عنقه كما جاء فى الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم توفى ما كسبت لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد فى عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصى ومأويه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت فى الثواب والعقاب او هم ذو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من امن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اى من اشرفهم لانه عليه السلام

كان

كان من اشرف قبائل وبطونهم يتلو عليهم اياته اى القرآن بعد ما كانوا جهلة لم يسمعوا الوحى ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ان هى المخففة واللام هى الفارقة والمعنى وان الشأن كانوا قبل بعثة الرسول فى ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقرير والتقريع والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرف المضاف الى اصابتكم اى حين اصابتكم مصيبة وهى قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اى مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن على رضى الله عنه باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شئ قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل فى الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للاخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالنفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخذالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخذالهم وكلامهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا يواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير فى بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اى لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا مقدر بقد اى قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا فى القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرؤوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اى ان كنتم صادقين انكم تقدرون دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم

اى انقطاعهم

اولا
على حالكم لو ان بالماحاتم

والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا
للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في
سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله
او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا
والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر
قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم
احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تأكيد لكونهم احياء فرحين بما
اتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله والتمتع
بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المؤمنين
الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة ان لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الاخرة وحال
من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها
خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والاية تدل على ان الانسان غير الهيكل
المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه
والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في ال فرعون النار يعرضون عليها الاية وما روي
ابن عباس انه عليه السلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل
ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا
وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر
او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد
لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرره للتوكيد
وليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا
بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا
الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به
عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم
على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا
لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره
للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين
المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان
واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان

باصحابه

باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب
المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس
او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل
وما له الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد
يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان
القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان
يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب
ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي ابو سفيان نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك
والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم
فلم يفلت منكم احد الا شريدا فترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام
والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا هم يقولون
حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد
به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به
يقينهم بالله وازدادوا ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو
دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله ان الايمان
يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار و
هذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف
وكثرة التأمل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه
ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك
ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات
على الايمان وزيادة فيه وفضل وربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا
فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي
هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم
بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار
الجرأة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوؤهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا
بنعمة منه وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم
الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده
بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير
مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج
مع الرسول او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير

للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع
رسولي ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس ولا
يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين
او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله
انهم لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون
بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة
نصيبا من الثواب في الاخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر
الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ
من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الاخرة و
لهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله
شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتاكيد وتعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او
ارتد من الاعراب ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب للرسول عم
او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان
التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول
الثاني على تقدير مضاف مثل ولا يحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او
ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان
يفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي
ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر
وعاصم وحمزة والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى لفرسه اذا
ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو العلة للحكم قبلها
وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح بكسر الاولى ولا يحسبن
بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم
ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب
مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب
لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم
من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة
التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في
سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب
ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في
القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات
او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا

على الغيب

على الغيب فتعلموه عباد الله مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا
ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن
يكفر فنزلت وعن السدي انه عليه السلام قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر
فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت
وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن
الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءات فيه ما سبق ومن قرأ بالياء
قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اي ولا يحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم
وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول او من يحسب وان جعله الموصول كان
المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخالون بخلهم هو خيرا لهم
بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة
بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه السلام
ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة ولله ميراث
السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله او انه يرث
منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله
بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة
والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان
الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا وروي
انه عليه السلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام
الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان
الله فقير حين سال القرض فلطمه ابو بكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك
فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانا
اعددنا لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحائف
الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء
بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة
ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول ونقول
ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات
في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات
والحالات وذكره هاهنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال وغالب
حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل
مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر
معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد

عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي
اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص
ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا في التورية واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى
ياتينا بقربان تاكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه المعجزة الخاصة التي
كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية
فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان
لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع في ذلك قل قد جاءكم رسل من
قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان
رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم
فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله
فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر واجترؤا على قتله فان كذبوك فقد كذب
رسل من قبلك جاؤ بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول من تكذيب
قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا
حسنته والكتاب في عرف القران ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة
متعاطفين في عامة القران وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرا
ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس
ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين
وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا
كان او شرا تاما وافيا يوم القيمة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه
قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او
حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو
الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو
يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا
اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام و
يغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة فهي له متاع بلاغ
والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق
وما يصيبها من الافات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من
المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم
بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم

حسنته صح

نزولها

نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى
من عزم الامور من معزومات الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اي امر به
وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الراي على الشيء نحو امضائه واذ اخذ الله اي اذكر وقت
اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية
لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام
جواب القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي
الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك
الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه واشتروا
به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون يختارون
لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن علي رضي
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن
الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة
من العذاب الخطاب للرسول ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول
الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن
الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي
فائزين بالنجاة منه وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني
على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوفان وقوله فلا تحسبنهم تاكيد للفعل
وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه السلام سال
اليهود عن شيء مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا
بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة
في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون
الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والارض
فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم
ان الله فقير ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات
لاولي الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته
لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة
ولعله اقتصر على هذه الثلثة في هذه الاية لان مناط الاستدلال هو التغير
وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار
او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا

يدل عليهما مفعوله مؤكده وكأنه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف

وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه
عليه السلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على
الهيئات الثلث حسب طاقتهم لقوله عليه السلام لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع
فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فهو حجة للشافعي رح في ان المريض يصلي
مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض
استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه
المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه السلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ
رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله
اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت
هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه
او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض واليها لانها في معنى المخلوق والمعنى
ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود
الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية
والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض
فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على
ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره فوهم من ادرك مرعى الصمان فقد
ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه
اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين و
وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة
عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا
اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة
وصفه عليه وفيه مبالغة ليس في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم
تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول والقرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى
واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ان آمنوا بربكم فآمنا اي بان آمنوا فآمنا فامتثلنا
ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا
فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم
معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه
والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سال ما وعد
عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة

او قصور

او قصور في الامتثال او تعبدا واستكانة ويجوز ان يعلق على المحذوف تقديره
ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك
ولا تخزنا يوم القيامة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة
المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة
في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها وفي الآثار من حزبه
امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم
وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني
لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض
لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد
او الاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال
فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في
الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الخ تفصيل لاعمال العمال وما
اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان و
العشائر للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن
اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لان الواو
لا يوجب ترتيبا والثاني افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا
وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم
جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا
منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك
تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله
ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا
للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ و
لا تغترر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان
بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما
نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك
التقلب متاع قليل لقصر مدته وفي جنب ما اعد الله للمؤمنين قال عليه الصلوة والسلام
ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم ماويهم
جهنم وبئس المهاد ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام
وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا
والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر

مؤكد والتقييد بانزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما تتقلب
فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام
واصحابه وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا
نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله [عليه وسلم]
فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام
على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القران وما انزل اليهم من
الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون
بايات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم
ما خص بهم من الاجر ووعدوه في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع
الحساب لعلمه بالاعمال وما تستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط
والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها
الذين امنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا
اعداء الله في الصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه
بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو
وانفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه
من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا
ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبري عما سواه لكي
تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث المترتبة التي هي
الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب
الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة ال عمران اعطي بكل اية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ السورة التي
يذكر فيها ال عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب
يعم بني ادم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي ادم وخلق منها زوجها عطف
على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منها امكم حوا من ضلع من اضلاعها او محذوف
تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منها والمعنى ونشر من تلك النفس
والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء
بها اذ الحكمة تقتضي ان يكن اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على
هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة
التي توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله

بنعمته العظيمة

العلج الضخم من كفار العجم

وبني جنسه على ما دلت عليه الايات التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ
تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به اي يسأل بعضكم
بعضا فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين
وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والارحام بالنصب عطف على محل الجار
والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام
فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف
لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك
اي مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان
منه وعنه عليه الصلوة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله
ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا واتوا اليتامى
اموالهم اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد
ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب
فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الافات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى
واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ
وورده في الاية اما للبلغ على الاصل او على الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع
اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك
امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد فكانه قال واتوهم اذا بلغوا ويؤيد
الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب
المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب
الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم
او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تأخذوا
الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تأكلوا
اموالهم الى اموالكم ولا تأكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما
وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف انه
الضمير للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا
كقال قولا وقالا وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء
ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب من غيرهن
اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد
ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها
فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان
المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روي انه تعالى لما عظم امر اليتامى

تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل
كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا
تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى
الصفة او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانهم و
قرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع
معدولة عن اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلث ثلث واربع اربع وهي غير منصرفة
للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل
فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها
الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك
اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع
بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد
فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا او فانكحوا
واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبر تقديره فيكفيكم واحدة
اي فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري
لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او
التسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال
الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا يكثر
عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن
على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد
بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى
التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع واتوا النساء
صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد جمع صدقة
كغرفة وبضمها على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا
نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها
نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال
من الواو او الصدقات اي اتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا
منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان
به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل
للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم فان طبن لكم عن شيء منه نفسا
الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة في قوله كأنه في الجلد
توليع البهق اردت كأن ذاك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك

تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلثا وثلثا واربعا اربعا

وحد

وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة و
عداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه
هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنأ الطعام
ومرأ اذا ساغ من غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا
من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما يحمد عاقبته روي ان ناسا كانوا يتأثمون
ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم
نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف المال
الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة
وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته واولاده ثم ينظر
الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على
انفسهم وهو اوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون
وعلى الاول يأول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما
للمبالغة وقرأ نافع وابن عامر قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما
يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا
فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب
بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه
وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال
وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه
حتى اذا بلغوا النكاح حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمسة عشر سنة عندنا لقوله عليه السلام
اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ما له وما عليه واقيمت عليه الحدود وثمانية عشر عند ابي حنيفة
وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم منهم رشدا فان
ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير تأخير
عن حد البلوغ ونظم الاية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء
فكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط
ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال
ابو حنيفة اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ
الطفل يتميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس الرشد ولا
تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم و
مبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف
بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي
له حق في مال الصبي وعنه عليه الصلوة والسلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل

حتى اذا بلغوا

من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق ماله بماله وايراد هذا التقسيم
بعد قوله ولا تأكلوها يدل على انه نهى للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على انفسهم
اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة
وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه
الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابي حنيفة وكفى بالله حسيبا
محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم ولا تتجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين
بالقرابة مما قل منه او كثر بدل من ما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا نصب على انه
مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيبا وعلى
الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض
عن نصيبه لم يسقط حقه روي ان اوس بن صامت الانصاري خلف زوجته ام كحة
وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة
الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب
ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت
اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا
فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن
والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب
واذا حضر القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه
فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من
الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة وقولوا
لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش
الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله
ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد
وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض
ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضربهم بصرف المال عنهم
او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين
متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم
او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة
للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا
خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث
على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده

فليتقوا

وعن ابن عباس ان ولي اليتيم قال له افأشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعن ابراهيم النخعي لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعن مجاهد يستقرض فاذا ايسر ادى وكذا عن سعيد بن جبير وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كشاف

فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد
ما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان
يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب وللمريض ما
يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او
لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة
الثلث وتضييع الورثة ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم
انما يأكلون في بطونهم ملء بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي بردة
انه عليه السلام قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال
الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا
وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا واي نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم
بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا تقول صلى النار قاسى حرها وصليته شويته و
اصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم الله
يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم في شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين
اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص
على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن
بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اي ان
كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تأويل
المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا
ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت
المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف في البنتين فقال ابن
عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما
حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى
وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب
بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان
البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها
وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان
مما ترك ولابويه ولابوي الميت لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدته
التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تأكيد له السدس
مما ترك ان كان له ولد ذكر او انثى غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفرض
وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه
الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب

الام علم ان الباقي للاب وكانه قال فلهما ماترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون
لها حيث معها احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما
قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب
وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة
يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس انهم
ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له
اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس لا يحجب
الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرا
حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصي بها
او دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من بعد
ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما
متساويان في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين
وهي متاخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع
والدين انما يكون على الندور وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد اباؤكم
وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من
اصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى
تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين (اب ابن) اذا كان ارفع درجة من الاخر
في الجنة سال ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم من اوصى منهم فعرضكم
للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او
تنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يامركم
ويفرض عليكم ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم
نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع
مما تركن اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان
او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان
لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين
فرض للرجل بحق الزوج ضعف ما للمراة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة
اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة ويستوي
الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اي الميت يورث اي يورث
منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبر وكلالة حال من الضمير فيه
وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد
والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد

ولاولد

ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة يحتمل المعاني الثلاثة
وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر
بمعنى الكلال وقال الاعشى فاليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت لقرابة ليست
بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة
كقولك فلان من قرابتي او امراة عطف على رجل وله اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المراة
لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اي من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعد بن مالك
وله اخ او اخت من الام فانه ذكر اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل و
هو لا يليق باولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل
واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر
والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك مع الام
والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها
او دين غير مضار اي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية
دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة
والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم
وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير
مضار وصية بالاضافة اي لا تضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او
وصية منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره
حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا
والمواريث حدود الله شرائعه التي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم
ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين
توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرا نافع وابن عامر ندخله بالنون
وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا
وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جرتا على غير من هما له
واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها و
غشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا
عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا
فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن في البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن
الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن
في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن
كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية

احن ولا من حفى حتى الاقي محمدا

والزاني أو يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخاص عن الحبس أو النكاح المغني عن السفاح
واللذان يأتيانها منكم يعني الزاني والزانية فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير
والجلد فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الإيذاء أو أعرضوا عنهما
بالإغماض والستر إن الله كان توابا رحيما علة الأمر بالإعراض وترك المذمة قيل
هذه الآية سابقة على الأولى نزولا وكان عقوبة الزناة الأذى ثم الحبس ثم الجلد
وقيل الأولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزناة إنما التوبة
على الله أي إن قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه إذا قبل توبته
للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ملتبسين بها سفها فإن ارتكاب
الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته ثم
يتوبون من قريب من زمان قريب أي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى إذا حضر أحدهم
الموت وقوله عليه السلام إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لأن أمد
الحياة قريب لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل أو قبل أن تشرب في قلوبهم حبه فيطبع
عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض أي يتوبون في أي جزء من الزمان القريب
الذي هو ما قبل أن ينزل بهم سلطان الموت أو يزين السوء فأولئك يتوب الله
عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله إنما التوبة على الله وكان
الله عليما فهو يعلم بإخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب و
ليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن
ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة إلى حضور الموت من الفسقة
والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك
الحالة وكأنه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين
يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف
كفرهم وسوء أعمالهم وبالذين يموتون الكفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما تأكيد
لعدم قبول توبتهم وبيان أن العذاب أعد لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتداد
التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل أصله أعددنا فأبدلت الدال الأولى تاء يا أيها
الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها كان الرجل إذا مات وله عصبة ألقى
ثوبه على امرأته وقال أنا أحق بها ثم إن شاء تزوجها بصداقها الأول وإن شاء
زوجها غيره وأخذ صداقها وإن شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا
عن ذلك وقيل لا يحل لكم أن تأخذوهن على سبيل الإرث فتتزوجوهن كارهات
لذلك أو مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان
وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما
آتيتموهن عطف على أن ترثوا ولا لتأكيد النفي أي ولا تمنعوهن من التزوج وأصل

العضل

العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الأزواج كانوا
يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن أو يختلعن بمهورهن وقيل تم
الكلام بقوله كرها ثم خاطب الأزواج ونهاهم عن العضل إلا أن يأتين بفاحشة
مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من أعم عام الظرف
أو المفعول له تقديره لا تعضلوهن للافتداء إلا وقت أن يأتين بفاحشة أو لعلة
إلا لأن يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وأبو بكر بفاحشة مبينة هنا وفي الأحزاب
والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن وعاشروهن بالمعروف بالإنصاف
في الفعل والإجمال في القول فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه
خيرا كثيرا أي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فإنها قد تكره ما هو أصلح دينا وأكثر
خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم إلى ما هو أصلح للدين وأدنى للخير وعسى
في الأصل علة للجزاء فأقيم مقامه والمعنى فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى أن تكرهوا
شيئا وهو خير لكم وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امرأة وتزوج أخرى
وآتيتم إحداهن أي إحدى الزوجات جمع الضمير لأنه أراد بالزوج الجنس قنطارا مالا
كثيرا فلا تأخذوا منه شيئا أي من القنطار أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا استفهام
إنكار وتوبيخ أي أتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك
قعدت عن الحرب جبنا لأن الأخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم
إذا أراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه
إلى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل
في الفعل الباطل ولذلك فسر هنا بالظلم وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى
بعض إنكار لاسترداد المهر والحال أنه وصل إليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر
وأخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة أو ما أوثق الله
عليهم في شأنهن بقوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان أو ما أشار إليه النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله
ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وإنما ذكر ما دون من لأنه
أريد به الصفة وقيل ما مصدرية على إرادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح
على الوجهين إلا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي وكأنه قيل تستحقون
العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف أو من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم
كقوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا
حلائل آبائكم إلا ما قد سلف إن أمكنكم أن تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه
لكن ما قد سلف فإنه لا مؤاخذة عليه لا أنه مقرر إنه كان فاحشة ومقتا علة للنهي
أي إن نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لأمة من الأمم ممقوتا عند ذوي

المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا سبيل من يفعله
حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ
وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذاتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن
ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما
بعده في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم
تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه
الثلثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل
انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول
القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة
منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمرضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار
المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن قال عليه الصلوة والسلام يحرم من
الرضاع ما يحرم من النسب واستثنا اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا
الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم
وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات
النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن
عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه
يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما و
اللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها
بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات
لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند
جمهور الادباء اللهم اذا جعلتها للاتصال كقوله فاني لست منك ولست مني على معنى
ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال
في رجل تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان
يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روي عن علي رضي الله عنه تقييد التحريم فيهما ولا
يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله
في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في
احتضانكم او بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها
مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي الله عنه انه جعله شرطا
والامهات والربائب تتناول القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن
الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر ما ليس بزنا كالوطي بشبهة او ملك يمين عند
ابي حنيفة رحمه الله لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح

عليكم

عليكم تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة
حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم احتراز عن المتبنى لا عن ابناء
الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة
غير مقصور على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك
اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله عنهما حرمتها اية واحلتها اية يعنيان هذه
الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي اظهر لان اية
التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام
الا ما قد سلف استثناء عن لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما سلف مغفور لقوله
ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء ذوات الازواج احصنهن
التزويج او الازواج وقرأ الكسائي في جميع القران غير هذا الحرف بكسر الصاد لانهن احصن
فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج
كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد اصبنا سبايا
يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت الاية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا
حلال لمن يبني بها لم تطلق وقال ابو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل
للسابي واطلاق الاية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله
عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم
وكتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله
وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت ما وراء
ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر
محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير
مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا باموالكم بالصرف
في مهورهن او اثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول
تبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من ما
وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد وان يكون مالا ولا حجة
فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من
السفح وهو صب المني فانه الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات
او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن فاتوهن اجورهن مهورهن فان المهر في
مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي
ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما
يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق

وقيل نزلت الاية في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت لما روي انه عليه السلام
اباحها ثم اصبح يقول ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا
ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهي النكاح الموقت بوقت معلوم سمي بها اذ الغرض
منه مجرد الاستمتاع بالمراة وتمتيعها بما تعطى وجوزها ابن عباس ثم رجع عنه ان
الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى
واعتلاء واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات في موضع النصب بطولا
او بفعل يقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او من لم يستطع
غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر لقوله فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات يعني
الاماء المؤمنات وظاهر الاية حجة للشافعي في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله
صداقا حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة طول المحصنات بان يملك
فراشهن على ان النكاح هو الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه
في قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة
لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم و
المحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم
فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة
تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تانيسهم
بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض انتم وارقاؤكم متناسبون
نسبكم من ادم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار
اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية
واتوهن اجورهن اي ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره
او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه
وقال مالك المهر للامة ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان
محصنات عفائف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء
في السر فاذا احصن وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة و
كسر الصاد بالتزويج فان اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب
من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد
الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن
خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر
ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط اخر
لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال
عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء فساده والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان

رخص

ابرامركم بعبادته

رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عنكم من
مصالحكم ومحاسن اعمالكم وان يبين مفعول يريد واللام مزيدة لتاكيد معنى الاستقبال
اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل
قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجله
ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم
ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله
عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والمبالغة
ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها
والمتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل
المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان
تميلوا عن الحق ميلا بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات عظيما باضافة
الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك
شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة
وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن
عباس رضي الله عنه ثمان ايات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه
الشمس وغربت هذه الثلث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر
ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوء ما يفعل الله بعذابكم
يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب و
الربو والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن كون
تجارة عن تراض غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي
تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول
مال الغير لانه اغلب واوفق لذوي المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا
وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما
يرضاه وقرا الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان
تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند او
بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص تاوله في التيمم لخوف
البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما
يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل
دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي
هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي
فضائلها رافة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امر ما امر

يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما

قوله الائتمار بان يجعل الشهوات حاكما مطاوعا
وان دعت الى معصية الله لها وهو علة لتفسير من
يتبع الشهوات بالفجرة احترازا عمن يتعاطى الشهوات
المباح في الشرع بناء على انه متبع الشرع في الحقيقة
لا للشهوات ابن الشيخ

ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل
بقتل الانفس ونهيكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات
عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان
التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله
اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية و
يصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا
لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله و
رسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم
واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح
بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك
بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار
من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رض الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع
وقيل اراد ههنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر
الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران
منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من
الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى
انه تعالى عاتب نبيه في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذه عليها
وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع بفتح الميم
وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور
الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد و
التعادي معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له وانه تشهى لحصول الشيء له من غير طلب
وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة
وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا و
للنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب
ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه الصلوة والسلام
ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه
وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له
واسئلوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسئلوا الله مثله من خزائنه التي
لا تنفد وهو يدل على ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا واسئلوا الله من فضله بما يقربه
ويسوقه اليكم ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم

وتبيان

وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما
لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان
والاقربون اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل
مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه
في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي
وفيه خروج الاولاد فان الاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف
وعلى هذا فالجملة من مبتدأ وخبر والذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف
يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
وعن ابي حنيفة رح لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح
وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره
فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف
على الوالدين وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ
الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه
مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع
نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك
بامرين موهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال على
النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا
بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب
الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق (او الانفراد) (بالطلاق)
وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء
الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى فقال عليه الصلوة والسلام لتقتص منه فنزلت فقال
اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات مطيعات لله
قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج
ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه السلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك
وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الاية وقيل
لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد
والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن
والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية
لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة
على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج

من النشوز فعظوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف
او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن
واضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلثة مترتبة ينبغي ان يتدرج فيها
فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض
واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان
عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه
يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه تعالى ويكبر ان
يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرء وزوجه اضمرهما وان لم
يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به
كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله وحكما من
اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين
رجلا وسيطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله واخر من اهلها فان الاقارب اعرف
ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز
وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب
لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك
لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول
للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين
الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما
ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله
بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان الله
كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين
احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين
والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او
دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد او الذي لا قرابة
له وعنه عليه السلام الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام
وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل
الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه
صحبك وحصل بجنبك وقيل المراة وابن السبيل المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم
العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه
واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل

بدل

بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدا خبره محذوف
تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويامرون الناس بالبخل به وقرا حمزة والكسائي
بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة ويكتمون ما اتاهم الله من فضله الغنى والعلم اخفاء
بكل ملامة واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا
بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمته فله عذاب يهينه
كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون
للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا
صفة محمد صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على الذين
يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي
هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء في القبح و
استجلاب الذم او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان
ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركوا
مكة وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان
قرنهم فحملهم على ذلك وزينه لهم لقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد
ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم
الشيطان في النار وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما
رزقهم الله اي وما الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في
سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما
هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد
الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب احتياطا
فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا واخره في الاية الاخرى لان القصد
بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثم وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم
مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة
الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره
ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه وان تك حسنة وان يك مثقال الذرة
حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس
تشبيها بحروف العلة وقرا ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها
يضاعف ثوابها وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت
من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة
العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا

من كل امة بشهيد يعني نبيهم شهيد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف
مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء
شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك على عقائدهم واستجماع شرعك مجامع
قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله تعالى
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا و
عصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم ح اي يود الذين جمعوا بين الكفر
وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض
كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله حديثا
ولا يقدرون كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يسوى
بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا
مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد
الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرا نافع وابن عامر تسوى على ان اصله
تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته
فتسوى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في
صلوتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مادبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت
الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم
فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس
المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب
والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد
بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة الجماعة ولا جنبا عطف على قوله و
انتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب الذي اصابه الجنابة يستوي فيه
المذكر والمونث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله
ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلوة جنبا في عامة الاحوال
الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله
جنبا اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر
الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه
قال الشافعي وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق
حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة في الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز
عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف
معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر

لا يجدونه فيه

لا يجدونه فيه او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين
واصل الغائط المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن
ببشرتكم وبه استدل الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن و
قرا حمزة والكسائي لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء
فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص
بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما
سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث
بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان
العذر مجملا فكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط
او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم
اي فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر
صلد ومسح اجزاه وقال اصحابنا لا بد من ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله في المائدة
فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا
يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وما روي انه عليه السلام تيمم و
مسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد هاهنا وايديكم الى المرافق
ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا
من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب
حظا يسيرا من التورية لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها
على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد عليه الصلوة والسلام
وقيل يأخذون الرشى ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل
سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم
فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا
به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي باتصال الاضافي
من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض
او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا او يحفظكم منهم او خبر
محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم يميلونه
عن مواضعه التي وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يأولونه على ما
يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة
تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك
بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما
ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع

غير مسمع مكروها من قولهم اسمع فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا
نكلمك او نفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب
حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت (او تحريفا)
مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب
والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا
واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم
ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان
عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب
كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الايات
والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه او الا قليلا
منهم امنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا
لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط
صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها في الدنيا
او في الاخرة واصل الطمس ازالة الاعلام المائلة وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة
الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب
وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت منه
هي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه
الرؤسا او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع
عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا
اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او نلعنهم على لسانك
كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريق الالتفات
او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس
مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب
او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد امن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع
شيء او وعيده او ما حكم به وقضاه مفعولا نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما
اوعدتم به ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه
ولان ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك
اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا وعلق المعتزلة (اول سم)
الفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه
لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد بالمحافظة
اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشية تنافي وجوب التعذيب قبل التوبة

والصفح

(او لا اعراض عن ذنبه)

والصفح بعدها فالاية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب
شرك وان صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب
ما يستحقر دونه الاثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب
والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين
يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس
من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء
ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل
وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها بل الله
يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما
ينطوي عليه الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين
واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون بالذم او العقاب على تزكيتهم
انفسهم بغير حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به
المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم ابناء الله و
ازكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه ماثما من بين
اثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعوا اليه
محمد وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون
قريشا على محاربة رسول الله عم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم
الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل
اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير
فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره ويقولون
للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين امنوا سبيلا
اقوم دينا وارشد طريقا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له
نصيرا يمنع العذاب بشفاعة او غيرها ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة
انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم
فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا
ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا
بالنقير وهم ملوك فما ظنكم بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار
انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذا اذا
وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا
لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله واصحابه والعرب

او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم
وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا
على ما اتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود
منهم فقد اتينا ال ابرهيم الذين هم اسلاف محمد وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة
واتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما اتاهم فمنهم من اليهود من
امن به بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما ذكر من حديث ال ابرهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه
ولم يؤمن به وقيل معناه فمن ال ابرهيم من امن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين
امره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون
بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا
باياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم
قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب
اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد اخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية
المدركة لا لالة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريد حكيما
يعاقب على وفق حكمته والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم
لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا
فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة و
الظليل صفة مشتقة من الظل لتاكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم
ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات
وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح
ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده واخذ منه وفتح
فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه
المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فامره الله ان يرده اليه فامر عليا بان يرده
ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة في اولاده ابدا
واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا
قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل
لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة
موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به
من اداء الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم و
احكامكم وما تفعلون في الامانات يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول

واولي

واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول عم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء
والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب
طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى
اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولوا الامر منكم في شيء
من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف
المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى
الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به
منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس
واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد
ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلثة
مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الاخر فان الايمان يوجب ذلك ذلك اي الرد خير لكم واحسن تاويلا
عاقبة او احسن تاويلا من تاويلكم بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما
انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس ان
منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى
كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله عم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق و
قال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم
اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ
سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا لمن لم يرض بقضاء الله و
رسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت
على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط
طغيانه او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل
عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا
وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا
قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف
لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رايت المنافقين يصدون عنك صدودا
هو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس و السد
محسوس ويصدون في موقع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر
المنافق او النقمة من الله بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم
جاؤوك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما
اعتراض يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل

بالوجه الأحسن والتوفيق بين الخصمين ولم يرد مخالفتك وقيل جاء أصحاب القتيل
طالبين بدمه وقالوا ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا ويوفق بينه
وبين خصمه أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان
والحلف الكاذب من العقاب فأعرض عنهم أي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم
أو عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في أنفسهم أي
في معنى أنفسهم أو خاليا بهم فإن النصح في السر أنجع قولا بليغا يبلغ المراد منهم و
يؤثر فيهم أمرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب
وذلك مقتضى شفقة الأنبياء وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في أنفسهم
مؤثرا فيها ضعيف لأن معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الأصل
هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن
الله بسبب إذنه في طاعته وأمره المبعوث إليهم بأن يطيعوه وكأنه احتج بذلك
على أن الذي لم يرض بحكمه وإن أظهر الإسلام كان كافرا مستوجب القتل ولو أنهم إذ
ظلموا أنفسهم بالنفاق أو التحاكم إلى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو
خبر أن وإذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة والإخلاص واستغفر لهم الرسول
واعتذروا إليك حتى انتصبت لهم شفيعا وإنما عدل عن الخطاب تفخيما لشأنه
وتنبيها على أن من حق الرسول أن يقبل اعتذار التائب وإن عظم جرمه ويشفع
له ومن منصبه أن يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا
لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وإن فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما
بدلا منه أو حالا من الضمير فيه فلا وربك أي فوربك ولا مزيدة لتأكيد القسم لا
لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لأنها تزاد أيضا في الإثبات كقوله لا أقسم
بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل
أغصانه ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به أو من حكمك
أو شكا من أجله فإن الشاك في ضيق من أمره ويسلموا تسليما وينقادوا لك
انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم تعرضوا
بها للقتل في الجهاد أو اقتلوها كما قتل بنو إسرائيل وأن مصدرية أو مفسرة لأن
كتبنا في معنى أمرنا أو اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة
العجل وقرأ أبو عمرو ويعقوب أن اقتلوا بكسر النون على أصل التحريك أو اخرجوا
بضم الواو للإتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل بينكم وقرأ
عاصم وحمزة بكسرهما على الأصل والباقون بضمهما إجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة
بالفعل ما فعلوه إلا قليل منهم إلا أناس قليل وهم المخلصون لما بين أن
إيمانهم لا يتم إلا بأن يسلموا حق التسليم نبه على قصور أكثرهم ووهن إسلامهم

شأن خ

والضمير

والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا أو لأحد مصدري الفعلين وقرأ ابن عامر
بالنصب على الاستثناء أو على إلا فعلا قليلا ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به
من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم
وأشد تثبيتا في دينهم لأنه أشد لتحصيل العلم ونفي الشك أو تثبيتا لثواب
أعمالهم ونصبه على التمييز والآية أيضا مما نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل
إنها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن أبي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان
بها النخل فقال اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فقال حاطب لأن كان ابن
عمتك فقال عليه الصلوة والسلام يا زبير اسق يا زبير ثم احبس الماء إلى الجدر واستوف
حقك ثم أرسله إلى جارك وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما جواب لسؤال مقدر
كأنه قيل وما يكون لهم بعد التثبت فقال وإذا لو تثبتوا لآتيناهم لأن إذا جواب
وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم أبواب الغيب
قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول
فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة أكرم
الخلائق وأعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين
حال منه أو من ضميره قسمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة
الناس على أن لا يتأخروا عنهم وهم الأنبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون
حد الكمال إلى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر
في الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات إلى أوج العرفان حتى اطلعوا
على الأشياء وأخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة
والجد في إظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في إعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا
أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته ولك أن تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله
وهؤلاء إما أن يكونوا بالغين درجة العيان أو واقفين في مقام الاستدلال
والبرهان والأولون إما أن ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء
قريبا وهم الأنبياء أو لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون
إما أن يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء
الله في أرضه وإما أن يكون بأمارات وإقناعات تطمئن إليها نفوسهم وهم الصالحون
وحسن أولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز أو الحال ولم يجمع لأنه
يقال للواحد والجمع كالصديق أو لأنه أريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي أن
ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه
فسأله عن حاله فقال ما بي من وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت
وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لأني عرفت

انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل
فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد
الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم الفضل صفته
من الله خبره او الفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله
عليما بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين امنوا خذوا
حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما
يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع
ثبة من ثبت على فلان تثبيتا اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما
حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والاية وان نزلت في الحرب
لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات
وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله المؤمنين منهم والمنافقين
والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم
او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل
واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف
والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن
اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله
علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح
وغنيمة ليقولن اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى
من كأن لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم
فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة
بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في
المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا
كأن لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم
وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها
لفظا ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص
عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني
محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ
بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله
الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء
عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة او الذين يشترونها و
يختارونها على الاخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في

سبيل الله

سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب
او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا
وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه
بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء
الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدأ وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل
فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين
وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص
المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة
المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين
وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما
ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان
دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى تشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع
البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه
القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا
فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي و
ناصر ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد
فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند
اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب
ما عمل فيه الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين كفروا
يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان
لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان
كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين
ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه الم تر الى
الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واشتغلوا بما
امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار
ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجأة جواب لما وفريق مبتدأ
منهم صفته يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر
او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية
عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده
لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على
الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس

خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا
القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن
الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا
قليل سريع التقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى
شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء
كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم
في بروج مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من
تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة
ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله و
ان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما يقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية
تقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها
الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك كما قالت
اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله
يبسط ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون
به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من الله او حديثا
ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط
والقابض هو الله ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان
كل ما يفعله الانسان من طاعة لا يكافي نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال
عليه السلام ما يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك
من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي
قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان
والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة
يشاكها وحتى انقطاع شسع (شراك النعل) نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى
لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التأكيد ان
علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك
الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وكفى
بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في
الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله و
من اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما
يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعته

فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ
وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اي امرنا
طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا
برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول اي زورت خلاف ما قلت لها او
ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر
بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طائفة
بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او
جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم
وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شأنهم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم
وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القرآن يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل
التدبر النظر في ادبار الشيء ولو كان من عند غير الله ولو كان كلام البشر كما زعم الكفار
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه
ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه تسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع
دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان
القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض
في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما
يوجب الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كما يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر
عن سرايا رسول الله او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من
الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمن
الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه اي ذلك الخبر الى الرسول والى اولي الامر منهم
الى رأيه ورأي كبار اصحابه البصراء بالامور او الامراء لعلمه لعلم على اي وجه يذكر
الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون
اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر منهم حتى يسمعوه منهم ويعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء
الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط
اخراج النبط وهو الماء الذي يخرج من البئر اول ما يحفر ولولا فضل الله عليكم
ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال
الا قليلا الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب
وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا
قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف
الا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد

اي ناسا من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال واستنباط الامور

وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه عليه الصلوة والسلام
دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون
لم يلتفت
لم يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلفك
الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله وحرض المؤمنين على القتال
اذ ما عليك في شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف باس الذين كفروا يعني قريشا و
قد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا
تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق
مسلم ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال
عليه الصلوة والسلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك
مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ومن
يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها
في القدر وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر قال
وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه
من القوت فانه يقوي البدن ويحفظ واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها
الجمهور على انه في السلام ويدل ذلك على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد
عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برد مثله لما روي
ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام
ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله و
بركاته وقال اخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل
نقصتني فاين ما قال الله وتلا الاية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله
وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القران وفي الحمام
وعند قضاء الحاجة ونحوها ومنه قيل او للترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي
بتمامها وذلك لاجتماع اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها
والتحية في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك
ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد
على المتهب وهو قول قديم للشافعي ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية
وغيرها الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة اي الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى
مبتدا وخبر او الله مبتدا والخبر
يوم القيمة ومفضين اليه او في يوم القيمة والا اله الا هو اعتراض والقيام والقيمة كالطلاب
والطلابة وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او الجمع فهو
حال عن اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر
صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال فما لكم

في المنافقين

في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اي فرقتين ولم تتفقوا
على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله في الخروج الى البدو لاجتواء
المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون
في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين
باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة
وفئتين حال عاملها لكم او عاملها ما لكم كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال من
فئتين اي متفرقين فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد
من فئتين والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار
واصل الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من
المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا
تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف
على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في
لاجل الاغراض
سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض
الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة او عن
اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم
وليا ولا نصيرا اي جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ونصرة الا الذين
يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين
يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة و
قيل الاسلميون فانه عليه الصلوة والسلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن
عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل
بنو بكر بن زيد بن مناة او جاؤكم عطف على الصلة اي والذين جاؤكم كافين عن
قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق
بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه قيل
الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول
اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون
او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة
صدورهم وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم
وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله عم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان
يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اي عن او لان او كراهة ان يقاتلوكم او يقاتلوا
ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم
فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم

والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون اخرين يريدون ان يأمنوكم و
يأمنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا
الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا
الى الكفر او الى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان
لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن
قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب
نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم
بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن
لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا
خطأ فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اي لا يقتله في شيء من الاحوال
الا حال الخطأ او لا يقتله لعلة الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اي الا
قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ
فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد الى الفعل او الشخص او لا يقصد به
زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه
او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطأ بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والاية
نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق و
كان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي فعليه
او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشيء ومنه حر الوجه
لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها
بالراس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة
الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل
زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان
يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله
وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب
الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب
على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن
فتحرير رقبة مؤمنة اي ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في
تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول
معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به

اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة
نصب على المفعول له اي شرع ذلك له توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته
او على المصدر اي وتاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين
ذا توبة من الله عليه صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل
مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا
عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا و
لعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله
واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة
وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم
يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا
اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل
فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين
امنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان
الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا في الموضعين هنا وفي
الحجرات ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن
عامر وحمزة السلم بغير الف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا
لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان
تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو
حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله
مغانم كثيرة يغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام
تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماؤكم واموالكم من غير ان يعلم مواطأة قلوبكم
السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا و
افعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم
دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم
وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون
خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية
لرسول الله عليه السلام غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل الجأ
غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله
الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل
نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال

ودّ لو فدي باهله وماله وفيه دليل على منع ايمان المكره وان المجتهد قد يخطى وان خطأه مغتفر لا يستوى القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذى فيه غير اولى الضرر والمجاهدون بالرفع صفة للقاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولى الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحى فوقعت فخذه على فخذى حتى خشيت ان ترضها ثم سرّى عنه فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اى لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفى الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اى بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوى درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثانى له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثانى ما جعل لهم في الآخرة وقيل الدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثانى هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه الصلوة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى ان يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفيهم الملائكة يحتمل الماضى والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفى الملائكة انفسهم فيتوفونها اى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمى انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اى الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم في اى شئ كنتم

في

من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اى الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك مأويهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اى قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منه وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اى يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف اى ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والآية نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها ونفى الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه الصلوة والسلام اتم في السفر وان عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة لقول عمر رضي الله عنه صلوة السفر

ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة اول ما فرضت الصلوة فرضت
ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الاية فان صحا
فالاول مؤول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة
فلا حاجة الى تأويل الاية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة ان يخطر ببالهم ان
ركعتي السفر قصر ونقصان فسمى الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب
به انفسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا
من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول
تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا
لكم عدوا مبينا شريطة باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما
لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به
وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير
ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت
لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة وعامة
الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده وانهم نواب عنه فيكون
حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك
يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون حزما
وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا
يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي ومن يصلي معه
فغلب المخاطب على الغائب ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة
فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله
عليه الصلوة والسلام ببطن النخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين
فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم ويسلموا منفردين و
يذهبوا الى وجه العدو وتأتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى
يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال
ابو حنيفة يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتي الاخرى
فتصلي معه ركعة ويتم صلوته ثم تعود الى وجه العدو وتأتي الاولى فتؤدي الركعة
الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها [ثم تذهب هذه وتأتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها] وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر وهو
التحرز والتيقظ آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ
ونظيره قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن
اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في
صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح

اي احتياطا

عليكم

عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في
وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ
للوجوب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا
يهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار
بعد الامر بالحزم ليقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم
بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبير فيتوكلوا على الله
فاذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى
جنوبكم فدوموا على الذكر في جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلوة واشتد
الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين
وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة
فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة ان الصلوة كانت على
المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في
شيء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال
المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال
ابو حنيفة لا يصلي المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في
طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من
الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين
غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا
يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا
بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهي عن الوهن
لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما باعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر
وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق
من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق
ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند
طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى
انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود
فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله عم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم
وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يفعل بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا
لاستدعى ثلثة مفاعيل ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء
واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل

عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود اليها او جعل المعصية
خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله ولقومه فانهم شاركوه
في الاثم حين شهدوا على براءته وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا
في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب
حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون
منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو احق بان يستحيى
ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ
عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف
الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء
ها انتم هؤلاء مبتداء وخبر جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء
خبرا او صلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم
وكيلا محاميا يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه
بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل
الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا
عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب اثما فانما يكسبه على
نفسه فلا يتعداه وباله لقوله وان اسأتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو عالم
بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان
عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا
واثما مبينا بسبب رمي البريء وتنزيه النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان
كان مقترف احدهما دون مقترف الآخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام
ما همت عليه بالوحي والضمير للرسول وجمعه للتعظيم او له وللامة فان عصمة الرسول
والطافه على الاحوال لطف في حقهم لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر ان يضلوك عن
القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم
بل الى نفي تأثيره فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله
عليهم وما يضرونك من شيء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك
على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر
وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور
او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من
النبوة لا خير في كثير من نجويهم من متناجيهم لقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم
فقوله الا من امر بصدقة او معروف على حذف مضاف اي الا نجوى من امر بصدقة او
على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع

ولا ينكره العقل وفسر هنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما
فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات البين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات
الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على
انه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض
هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات
الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا
ووصف الاجر بالعظيم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اعراض الدنيا ومن يشاقق
الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر من بعد
ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين
غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي
بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت
مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد
على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما
او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد
وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم
محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع
غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتأكيد او
لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني شيخ منهمك في
الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا
ولم اوقع المعاصي جراءة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب
فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان
الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية
الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم نوع افتراء
وهو دعوى التبني على الله ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى
ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما
لتأنيث اسمائها كما قال وما ذكر وان يسمن فانثى شديد الازم ليس له ضروس
فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا سمي قرادا فاذا كبر سمي حلمة او لانها كانت
جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى
ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل
ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط

حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب و
ربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبيث وخبث ووثنا
بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واثنا على قلب الواو لضمتها
همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي امرهم
بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعتهم في ذلك عبادة له والمارد والمريد
الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة
مرداء التي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن
من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله
وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك
ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا
اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغي ان يكون
فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي افظع الضلال لثلثة
اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون
طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستجلب مطاوعته
سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة
من هذا شانه غاية الضلالة فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا
قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني
الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ولآمرنهم فليبتكن اذان
الانعام يشقونها لتحريم ما احله الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر
والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة
ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من
فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك
وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام وعبادة الشمس والقمر واستعمال الجوارح والقوى
فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء
مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره
الشيطان نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله
بايثاره ما يدعوه اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته
فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكان من النار
يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا و
هو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه
اولئك مأويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص

اذا عدل وعنها حال عنه وليس صلة لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل
ايضا فيما قبله والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا
فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد
لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله
سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق
من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة المواعيد
الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة
في تاكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما
وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما
ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب
وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا
قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى بالله
منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب
مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة
ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا
اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم
لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به
عاجلا واجلا لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا يا رسول الله
فقال عليه الصلوة والسلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللاواء قال بلى يا
رسول الله قال هو ذاك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد
لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه
ومن يعمل من الصالحات بعضها او شيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس
مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات
اي كائنة من ذكر او انثى في موضع الحال ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران
العمل بها في استدعاء الثواب تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فيه فاولئك
يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب
المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك
اقتصر على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص
نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام
تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات

تارك للسيئات واتبع ملة ابرهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها
حنيفا مائلا عن سائر الاديان وهو حال من المتبع او من الملة او ابرهيم واتخذ الله
ابرهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد
ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود
تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الاخر
او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى
الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء بها للترغيب في اتباع
ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية في كمال البشر روي ان ابرهيم عليه السلام
بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم
يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز
غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم عليه السلام
ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى و
اختبزت فاستيقظ ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من
خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه خليلا ولله ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا يختار منها من يشاء وما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال
مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال
وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فيجازيهم على
خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف
وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام كذلك امرت قل الله
يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب
عطف على اسم الله او ضميره والمستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء
مسندا الى الله والى ما في القران من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين
ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او استيناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى
عليكم ~~او يخفض على القسم كانه قيل واقسم~~ مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ
ويجوز ان ينتصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه قيل
واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا
ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شأنهن
والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء
كما يقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ
ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي ما فرض لهن

من الميراث

من الميراث وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء
اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلوهن
طمعا في ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ
لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان
عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وان تقوموا
لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اي يفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت
في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبها عطفا على موضع فيهن ويجوز
ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اي ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان
ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شأنهم وما تفعلوا من خير فان
الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير في ذلك وان امرأة خافت من بعلها توقعت منه
لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها
وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها
فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم
او تهب له شيئا تستميله وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا
جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة
الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح والصلح
خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ولا يجوز ان يراد به التفضيل بل بيان
انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس
الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد
العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد
المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على
ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا بالعشرة وتتقوا النشوز والاعراض
ونقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به و
بالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي
هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين
النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا
تؤاخذني فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل
بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها
كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان
يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من

الموجود وتتقوا فيما يستقبل من الزمان فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم
ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ ان يتفارقا اى وان يفارق كل منهما صاحبه
يغن الله كلا منهما عن الآخر ببدل او سلو من سعته غنائه وقدرته وكان الله
واسعا حكيما مقتدرا متقنا فى افعاله واحكامه ولله ما فى السموات وما فى الارض
تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعنى اليهود
والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق
الآية لتأكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا
الله ويجوز ان يكون ان مفسرة لان التوصية بمعنى القول وان تكفروا فان لله
ما فى السموات وما فى الارض على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان
لله ما فى السموات ما لك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع
بشكركم وتقويكم وانما وصيكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله
غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا فى ذاته حمد او لم يحمد ولله ما فى السموات و
ما فى الارض كرره تأكيدا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل
بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصايص والكمالات على كونه
حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه تكفل بكفايتهما
وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويفنكم ومفعول يشأ محذوف
دل عليه الجواب ويأت بآخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين مكان
الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه
مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفره وخالف امره وقيل
هذا الخطاب لمن عادا رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه معنى قوله وان
تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روى انه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد
للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول
ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من
جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله فى الآخرة ما هى فى جنبه كلا شئ او فعند الله
ثواب الدارين فيعطى كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه
الآية وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض فيجازى كلا بحسب قصده يا ايها
الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين فى اقامته شهداء
لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو
كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان للحق سواء عليه او على
غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن المشهود عليه او كل

ولحو

واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة ولا تجوروا
فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما بالغنى والفقير وبالنظر لهما فلو لم يكن الشهادة
عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير فى بهما راجع الى
ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغنى والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ
فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان
تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل قرأ نافع
وابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائى باسكان اللام وقرأ حمزة وابن عامر وان تلوا
بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون
خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين او المنافقين او لمؤمنى اهل الكتاب
اذ روى ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى
والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل
على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او
آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان
الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن والثانى الجنس ومن يكفر بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اى ومن يكفر بشئ من ذلك فقد ضل ضلالا
بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين آمنوا يعنى اليهود آمنوا بموسى
ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا
كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر و
ازدادوا تماديا فى الكفر لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد
منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم
عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان فى
امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين
بان لهم عذابا اليما يدل على ان الآية فى المنافقين وهم قد آمنوا فى الظاهر وكفروا
فى السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين و
وضع بشر مكان انذر تهكم بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
فى محل النصب والرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين أيبتغون عندهم العزة
أيتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب
العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم
بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم فى الكتاب يعنى القرآن وقرئ نزل والقائم مقام
فاعله ان اذا سمعتم آيات الله وهى المخففة والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها و
يستهزأ بها حالان من الآيات جئ بهما لتقييد النهى عن المجالسة فى قوله فلا تقعدوا

وبعدها واوان الاولى مضمومة والثانية ساكنة م

كما قرأ نافع والكوفيون الذى نزل والذى انزل
بفتح الهمزة والزاء والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاء م

معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الى هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسهم خائضا
معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله و
اذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الاية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بيكفر
بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار
عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك لان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن
من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين
في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم و
الخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء
بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم
تنطقون الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون
او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتداء خبره فان كان
لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان
كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم اي قالوا
للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان
القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ونمنعكم من
المؤمنين بان اخذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم
فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة
حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيمة
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل
الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة
بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل
مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام في اول
سورة البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل
وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين و
المراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من
يرائيه عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل
الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة
الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون
فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون
اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى
مترددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب

بمعنى

بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم
صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة
في دبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى
الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق
والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فان ذلك صنيع المنافقين ودينهم فلا
تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم
دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى
الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه الصلوة والسلام ثلث من كن
فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف
واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركا
لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر
والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين
تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا
بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه
فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما
فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم ايتشفى به غيظا او يدفع
ضررا او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر
بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا زال بالايمان والشكر ونقى
عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر
شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل
اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا ضاف
قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون
الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعا لكلام
المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا او
تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيب
له ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يكثر العفو عن العصاة
مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث المظلوم على العفو بعدما
رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله

تحريض وتوطئة له

ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم و
يريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا
واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم
فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال
كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون هم الكاملون
في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين
بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم و
انما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي
اولئك سوف نؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد الوعد والدلالة
على انه كائن لا محالة وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون ويعقوب بالياء على تلوين
الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك
اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت
صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط سماوي
على الواح كما كانت التورية او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك
رسول الله فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما
سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر منه وهذا السؤال وان كان من اباءهم اسند
اليهم لانهم كانوا اخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ في
ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا ارنا الله
جهرة عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة
نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل
في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا
العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها ايضا
اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التورية اذ لم تأتهم بعد فعفونا
عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا
انفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه
وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى والطور مظل عليهم وقلنا لهم
لا تعدوا في السبت على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى حين ظلل
الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود
وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال

واخذنا

واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم
اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة
بالفعل المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض
وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون
لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل
في جاره وكفرهم بايات الله بالقران او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق
وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او في اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها
بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الايات والتذكر
بالمواعظ فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا اذ لا عبرة
به لنقصانه وبكفرهم بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله
فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير
ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلوة
والسلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح
عيسى بن مريم رسول الله اي بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استينافا من الله بمدحه او وضعا للذكر
الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا
من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على
قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي
فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب
وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل
طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن
انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة
وانما ذمهم الله تعالى بما دل عليه الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد
بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى
الجار والمجرور وكأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على
قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة
انا قتلنا على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شأن عيسى فانه لما وقعت تلك
الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد
اخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى
والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء
وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك

اي الجسمي

كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم
ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اى ولكنهم
يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى تسكن
اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا
كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله
كذلك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمى ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشىء علما و
نحرته اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه
وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب
الا ليؤمنن به قبل موته اى وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة
قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثانى والاول لعيسى والمعنى ما من
اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو
حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم
بضم النون لان احدا فى معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل
ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء
امن به اهل الملل جميعا روى انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد
من اهل الكتاب الا ليؤمنن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام وتقع الامنة
حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان
بالحيات ويلبث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه
ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم
دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اى فباى ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت
لهم يعنى ما ذكر فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا
كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو
محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهى على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة
وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وامن لكن
الراسخون فى العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اى منهم او من المهاجرين
والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتداء والمقيمين الصلوة
نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد
بهم الانبياء اى يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او
الضمير فى يؤمنون او على انه مبتداء والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه
لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الاخر قدم عليه الايمان بالانبياء
والكتب وما يصدقه من اتباع الشرايع لانه المقصود بالاية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما

عليهم

عليهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين
من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان
امره فى الوحى كسائر الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب و
الاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال
النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابرهيم اول اولى العزم منهم وعيسى اخرهم والباقين اشراف
الانبياء ومشاهيرهم واتينا داود زبورا وقرئ زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور
ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل
اى من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو
منتهى مراتب الوحى خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه
مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا
او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده لقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا
ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك
جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين
ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والاخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة
لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر
من امر النبوة وخص كل نبى بنوع من الوحى والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم
ما قبله وكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا
اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره
بما انزل اليك من القران المعجز الدال على نبوتك روى انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا
ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله متلبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم
يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذى
يحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل و
على الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك
وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغنى عن النظر والتامل
وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر و
النظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا
وكفى بالله شهيدا اى وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال
ولان المضل يكون اعرق فى الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا
محمدا بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك وعليه

يدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجري حكمه
السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة
وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم
الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من
انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد
فآمنوا خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن
الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه
ولانه يؤدي الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض
يعني وان تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه
بقوله لله ما في السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان
الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت
اليهود في حط عيسى حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه
الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه
عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها
اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة
له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا
ثلاثة اي الالهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم
الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس
الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه لما سبق انما الله اله واحد اي واحد
بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان
يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء له ما في السموات و
ما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله او يساويه شيء من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا
تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم
بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح لن يأنف
من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك لئلا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان
يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره
روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم
قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون
عبدا لله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف

الملائكة

الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء
وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان
يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على
عدم استنكافه وجوابه ان الاية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك
وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون
التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكبير فغايته
تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش او من اعلى منهم رتبة من
الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا
والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف
ولذلك عطف وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبير فانه قد يكون باستحقاق
فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما
ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة او لمجازاتهم
العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد
للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم
والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى
بالبرهان المعجزات وبالنور القران اي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق
لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله او القران فاما الذين
امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره بازاء ايمانه و
عمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب وفضل واحسان زائد عليه ويهديهم اليه
الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة
في الاخرة يستفتونك اي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روي ان جابر بن عبد الله
كان مريضا فعاده رسول الله عم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت و
هي اخر ما نزل في الاحكام قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في اول السورة
ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره
الظاهر وليس له ولد صفة له او حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال
والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة
وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت
عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف وهو يرثها اي والمرء يرث اخته
ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث
جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط

الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون
مع الاب وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت فان كانتا
اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى
وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر
والكبر وغيرهما وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين اصله
وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين لكم ضلالكم
الذي من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق
والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله
بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من
الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء
والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا
فوقه الكربا واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم
العقود التي عقدها الله على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم
من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك
بين الوجوب والندب احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل
كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام
وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوها مما
يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه
الا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء
وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وانتم حرم حال عما استكن في محلي والحرم
جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم يا ايها الذين امنوا لا تحلوا
شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال
الحج ومواقفه لانها علامات الحاج واعلام للنسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم
شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال
فيه او بالنسيء ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج
ولا القلائد اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها اشرف
الهدي او القلائد انفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره
قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل او لحاء

شجر

شجر او غيرهما ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له ولا امين البيت الحرام قاصدين
لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في
موضع الحال من المستكن في امين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل
الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له
وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الاية نزلت
عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم
الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة (اي نعم اهل المدينة) وعلى هذا فالاية منسوخة وقرئ
تبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا اذن في الاصطياد بعد
زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الاتي بعد الحظر
على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا
وقرئ احللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنئان قوم
شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرا ابن عامر و
اسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان
او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم
عنه عام الحديبية وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه
لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يتعدى الى واحد والى
اثنين ككسب ومن قرا يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعول بالهمزة
الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة
الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله ان
الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما
فارقه الروح من غير تذكية والدم اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل
الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي ما
رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي ماتت
بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب وحجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته والمتردية
التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل
وما اكل السبع اي وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما
اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك
وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع لقطع الحلقوم والمريء بمحدد
وما ذبح على النصب النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون
عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما
ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام اي وحرم

عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح
مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الاخرى نهاني ربي والثالث غفل فان خرج
الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا
فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو
استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل
وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم
الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربي ربه
وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما
بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها و
قد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اي من
ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم
ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر و
الاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع
وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة
وهدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام اخترته لكم دينا من بين الاديان
وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب
التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة
والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة
مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد
الرخصة لقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله يسألونك
ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا
وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين
سائغ في امثاله والمسؤول ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا
عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم يستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن
مفهومه حرم مستخبثات العرب وما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم
من الجوارح عطف على الطيبات ان جعل ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة
شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع
ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح و
مضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب يكون اكثر فيه وآثر او لان كل سبع
يسمى كلبا لقوله عليه الصلوة والسلام سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على
الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استئناف مما علمكم

الله من الحيل وطرق التأديب فان العلم به الهام من الله او مكتسب بالعقل الذي
هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بان يسترسل بارسال صاحبه
وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما
امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه الصلوة والسلام لعدي بن حاتم وان
اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط
ذلك في سباع الطير لان تأديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا
واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن
بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكوته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب
فيؤاخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب
حل لكم يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى
واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا
منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحقوا بهم في التقرير على
الجزية لقوله عليه الصلوة والسلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم
ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو
حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات الحرائر العفائف وتخصيصهن
بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن
حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد
الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها
محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان
مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد
حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر
به انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة اي اذا اردتم
القيام كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل
المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث
لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشيء
والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم
يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روي انه عليه الصلوة والسلام صلى الخمس بوضوء
واحد يوم الفتح فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته
فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه
للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه الصلوة والسلام
المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم

امروا الماء عليه ولا حاجة الى الى لذلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور
على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله ويزدكم قوة الى
قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق
معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلقها يشتمل عليها وقيل الى تفيد
الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما
يعلم من خارج ولم يكن في الاية وكان الايدي متناولا لها فحكم بدخولها احتياطا
وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية يقتضي خروجها والا لم يكن غاية كقوله فنظرة الى
ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم يتميز الغاية هنا عن ذي الغاية
وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق
بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى
الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف
ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب
فاوجب الشافعي اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة مسح ربع الرأس لانه
عليه الصلوة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط
وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم
ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره
الباقون على الجوار ونظيره كثير في القران والشعر كقوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب يوم
اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في
ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب
من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم
مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد
منكم من الغائط او لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا
بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد الامر بالطهارة للصلوة او الامر
بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء
تكفير للذنوب وليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين
محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا
يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة
وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم
في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته والاية مشتملة
على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب

اشارة الى الكعبين

وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود
وان التهما مايع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى
البدل مرض او سفر وان الموعود عليها تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا
نعمة الله عليكم بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره وميثاقه الذي
واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين
بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط
والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمه
ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا
عن جليات اعمالكم يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا
يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا
يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما
لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا
هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان
من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع
الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم
به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه
في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ وعد الله الذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد
استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استيناف يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فان
الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الاخر وفاء
بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت
الله عليكم روي ان المشركين راوا رسول الله واصحابه بعسفان اسم موضع قاموا الى الظهر
معا فلما صلوا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى
العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلوة الخوف والاية اشارة الى ذلك وقيل اشارة
الى ما روي انه عليه الصلوة والسلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية
مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس
حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة
يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه
فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبريل من يده واخذه الرسول وقال من يمنعك

اذ بايعوه تحت الشجرة صح

متى فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط
اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا
الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر ولقد
اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال
قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا
عن فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها
الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا
من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان يأخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به
فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث
النقباء يتجسسون الاحوال ونهاهم ان يحدثوا قومهم فرأوا اجراما عظيمة وبأسا
شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهودا ويوشع
ابن نون من سبط افرائيم بن يوسف وقال الله اني معكم بالنصرة لئن اقمتم الصلوة
وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه
التعزير واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر
والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد
جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك الشرط
المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر
معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم
ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم
قاسية لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة
قاسية او بمعنى رديئة من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان
المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن مواضعه
استئنافا لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء
عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه ونسوا حظا
وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم
حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها
فزلت بشؤمه اشياء منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم
بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او
خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم
لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل

الاستثناء

الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وآمنوا
او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ان الله يحب المحسنين
تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان
فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي
واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا
انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم
بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من
غري بالشيء اذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة بين فرق النصارى
وهم نسطورية ويعقوبية وملكائية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله
بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى و
وحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب كنعت محمد ع م وآية الرجم في التورية وبشارة عيسى بأحمد في الانجيل
ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم
فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القرآن فانه الكاشف
لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا
صلى الله عليه وسلم يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما في
الحكم كواحد من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام طرق
السلامة من العذاب او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر
الى الاسلام باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو
اقرب الطرق الى الله ومؤد اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما
زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب
اليهم لازم قولهم توضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته
وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا
احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر
الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض
وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من شبهة في
امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض
ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات
ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كما خلق حواء او من انثى وحدها كعيسى او
منهما كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه

والحبيب

اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع الزبير الخبيبيون او مقربون عنده
قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران
قل فلم يعذبكم بذنوبكم فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم فان من كان بهذا المنصب
لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ و
اعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق من خلقه الله
يغفر لمن يشاء وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء منكم وهم من كفر والمعنى انه
يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات والارض وما
بينهما كلها سواء في كونه خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه و
المسيء باساءته يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف
لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى ويبذل
لكم البيان والجملة في موقع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل
متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي او يبين حال من
الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا
به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم والله على كل شيء
قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام اذ كان بينهما
الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما
الصلوة والسلام كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة
انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الاية امتنان
عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج ما يكونون اليه واذ قال
موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم و
شرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اي و
جعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى
وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين
لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر و
تظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم وقيل المراد بالعالمين
عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض المقدس سميت بذلك لانها كان
قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين و
بعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح انها تكون
مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم
ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا
حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف

بنا

المحفوظ

بنا الى مصر او لا ترتدوا في دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا
خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب
قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتاتى مقاومتهم والجبار فعال
من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريد وانا لن ندخلها
حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان
كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين
من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول
محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ الذين يخافون بالضم
اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من
الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة
ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم و
ضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون
لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز
ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته تعالى
في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا
دخولهم على التاكيد والتابيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب
انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله
وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك قال رب اني لا
املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم
ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام والرجلان المذكوران وان كانا
يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في
الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا
على الضمير في لا املك او على محل ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير
فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما
يستحقون او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها محرمة عليهم
لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض
عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله
التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى سار بعد بمن بقي من بني اسرائيل
ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر
اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع

اي الدخول في الصحراء

او العمالقة جمع عمليق هم اولاد عمليق بن لاوذ بن سام ومنهم
كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون والفراعنة
بمصر وكان اهل البحرين وعمان منهم
حاشية كشاف

فان الارض المقدسة م

وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها
متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض
المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة
اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى
المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور
يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي
يحملونه والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك
روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون
وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلثة اشهر ومات النقباء بغتة غير
كالب ويوشع فلا تأس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم
وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبأ ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله
الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت
اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان
نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم
لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر
محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبأ اي ملتبسا بالصدق
موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف لنبأ او حال منه او بدل على حذف
مضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى
الله من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر
ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل
صاحب زرع وقرب اردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا
فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه
وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل
قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اي انما اتيت من قبل نفسك
بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى
حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه
فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق لئن
بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله
رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا
من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه الصلوة والسلام
كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن

بسطت

بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه
ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار
وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى
انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك
الي ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم
وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما في موضع
الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته
بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك
لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم
عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته
له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل
او على ان قتل اخيه كانه دعاه الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك
حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا
محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد
الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه روي
انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني آدم فبعث الله
غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة
والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يرى
والمراد بسوأة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتى كلمة جزع و
تحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل و
الويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي لا اهتدي
الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ
ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب
تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة
او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبرأ ابويه منه اذ روي
انه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال
بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا
يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه
قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات
كقولهم من جراك فعلته اي من ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل
تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتدأ الكتب وانشاؤه من اجل ذلك انه

من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد في الارض
او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث
انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد
والجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما
احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حيوتها بعفو او منع عن القتل او
استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا و
المقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا
في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك
في الارض لمسرفون اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال
تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالايات الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا
للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون به و
بهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون
جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به هنا قطع الطريق
وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا اي
مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل
ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا اي قصاصا من غير صلب ان افردوا
القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء
خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع
ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا
المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنوا
من القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في
الاية على هذا للتفصيل وقيل للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في
كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الاخرة عذاب عظيم
لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص
بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل
قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم
على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب
وان الاية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرء عنه العقوبة قبل القدرة
وبعدها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ما
يتوسلون الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا

اذا تقرب

اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة
اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز بكرامته
ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه
ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة واللام متعلقة بمحذوف
يستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور
شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله عوان بين ذلك او لان
الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان
والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب
اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين
بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان
عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة عند
المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنها معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي
سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار
وتاويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والماخوذ
ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه الصلوة والسلام القطع في ربع دينار فصاعدا
وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح
المصابيح والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع
الجمع موضع المثنى كما في قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام
العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه
عليه الصلوة والسلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله
منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن
تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات والعزم على
ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه
في الاخرة اما القطع فلا يسقطها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم
ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي او لكل احد يعذب من يشاء و
يغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير قدم التعذيب على المغفرة اتيانا على ترتيب
ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به القطع وهو في الدنيا
يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي صنيع الذين يقعون في
الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا امنا بافواههم
ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بامنا والواو يحتمل

الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا سماعون للكذب
خبر محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون
مبتدأ ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب اما مزيدة للتأكيد او
لتضمين السماع معنى القبول اي قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف
اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيها سماعون لقوم آخرين لم يأتوك اي لجمع آخر
من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى
على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء
اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لأن سماعون الثاني مكرر للتأكيد اي سماعون
ليكذبوا لقوم آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه التي
وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد و
اجرائه في غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه
او استئناف لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك يقولون ان
اوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه
بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اي فاحذروا قبول ما افتاكم به روي ان شريفا
من خيبر زنا بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني
قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا
وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال
له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم
واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من
احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته
ضلالته وفضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها
اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد
قول المعتزلة لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم في الآخرة
عذاب عظيم وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا ان استأنفت بقوله و
من الذين والا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتأكيد اكالون للسحت
اي الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وابو عمرو
والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ
المصدر فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي
لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعي والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما

ذميا

ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية ليست في اهل الذمة وعند
ابي حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك
عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل
الذي امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك
وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان
الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم
معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله
في زعمهم وفيها حكم الله حال من التورية ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن
ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة
ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو
عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم
عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا التورية فيها هدى يهدي
الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء
بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الآية
تمسك القائل به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشأن
المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين
هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين
انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم
عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا
كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء
رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا
تخشوا الناس واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا
فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا بآياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها
ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له
فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك
وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه
وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلث باعتبار حال
انضمت اليه الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين
لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا
عليهم فرضنا على اليهود فيها في التورية ان النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس
والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن

قال ابن عباس رض ان الله بعث في بني اسرائيل الوفا من الانبياء يحكمون بالتورية وسيط

رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكانه
قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان
على الجمل كالقول او مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين
والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة
بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه
في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى والجروح قصاص
اي ذات قصاص وقراء الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال
للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اي فمن عفا عنه فهو
فالتصدق كفارة له للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه
وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص
منها شيء ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون و
قفينا على آثارهم اي واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور
عليه والضمير للنبيون بعيسى بن مريم مفعول ثان عدي اليه الفعل بالباء مصدقا لما
بين يديه من التوراة عطف عليه وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى و
نور في موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه من التوراة عطف عليه وكذا
قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف او تعليقا
به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام
متعلقة بمحذوف اي وآتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقوله
امرتك بان قم اي وامرنا بان ليحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون
عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام
وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على و
ليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة خلاف الظاهر وانزلنا
اليك الكتاب بالحق اي القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة
فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظه
عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اي هومن عليه وحوفظ
من التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم بما انزل
الله اي بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما
يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله اي لا تتبع
اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وهي الطريقة
الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحياة الابدية وقرئ بفتح الشين
ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير

متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين
واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب
وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم
من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين
ان اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا
الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله
مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين
والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل
والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب
والحكم او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا
ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي
ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اي احذرهم فتنتهم
او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا
الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان
اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم فتقضي لنا
عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض
ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة
وهذا مع عظمه جرمهم واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير
ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون
في الكفر المعتدون فيه افحكم الجاهلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة في الحكم و
المراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير
طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل
بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتداء ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه
في الصلة في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر
وقرئ افحكم الجاهلية اي يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرا
ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما
لقوم يوقنون اي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت لك اي هذا الاستفهام
لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم
فيعلمون ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض

إيماء إلى علة النهي أي فإنهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم
في الدين وإجماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فإنه منهم أي ومن والاهم منكم
فإنه من جملتهم وهذا للتشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عليه الصلوة والسلام لا
تتراءى ناراهما أو أنه لأن الموالين لهم كانوا منافقين إن الله لا يهدي القوم الظالمين
أي الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفار أو المؤمنين بموالاة أعدائهم فترى الذين
في قلوبهم مرض يعني ابن أبي وأضرابه يسارعون فيهم أي في موالاتهم ومعاونتهم
يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ويعتذرون بأنهم يخافون أن يصيبهم
دائرة من دوائر بأن ينقلب الأمر ويكون الدولة للكفار روي أن عبادة
ابن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن لي موالي من اليهود كثيرا عددهم
وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله فقال ابن أبي
إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي فنزلت فعسى الله أن يأتي بالفتح
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه وإظهار المسلمين أو أمر من عنده يقطع شأفة
اليهود من القتل والإجلاء أو الأمر بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا أي
هؤلاء المنافقون على ما أسروا في أنفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر
والشك في أمر الرسول فضلا عما أظهروه مما أشعر على نفاقهم ويقول الذين
آمنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على أنه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير
ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون
حينئذ وبالنصب قراءة أبو عمرو ويعقوب عطفا على أن يأتي باعتبار المعنى وكأنه قال
عسى أن يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا أو يجعل بدلا من اسم الله داخلا
في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث أو على الفتح بمعنى عسى الله أن يأتي بالفتح
ويقول المؤمنين فإن الإتيان بما يوجبه كالإتيان به أهؤلاء الذين أقسموا بالله
جهد أيمانهم إنهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا
بما من الله عليهم من الإخلاص أو يقولونه لليهود فإن المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة
كما حكى الله عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم وجهد أيمانهم أغلظها وهو في الأصل مصدر و
نصبه على الحال على تقدير وأقسموا بالله يجتهدون جهد أيمانهم فحذف الفعل وأقيم
المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة أو على المصدر لأنه بمعنى أقسموا حبطت
أعمالهم فأصبحوا خاسرين إما من جملة المقول أو من قول الله شهادة لهم بحبوط
أعمالهم وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم وما أخسرهم يا أيها الذين آمنوا
من يرتد منكم عن دينه قرأه على الأصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الإمام والباقون
بالإدغام وهذا من الكائنات التي أخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب
في أواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذا

الحمار

الحمار الأسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي
ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها وأخبر الرسول في تلك
الليلة فسر المسلمون وأتى الخبر في أواخر ربيع الأول وبنو حنيفة أصحاب مسيلمة
تنبأ وكتب إلى رسول الله من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله
أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجاب من محمد رسول الله
إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و
العاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر بجند المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة وبنو
أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا
فهرب بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه وفي عهد أبي بكر سبع فزارة
قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن
عبد يا ليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر
المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين
قوم الحطم وكفى الله أمرهم على يده وفي إمرة عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الأيهم
تنصر وسار إلى الشام فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم أهل اليمن لما
روي أنه عليه الصلوة والسلام أشار إلى أبي موسى وقال قوم هذا وقيل الفرس لأنه
عليه الصلوة والسلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه
وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة و
بجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس والراجع إلى من محذوف تقديره فسوف يأتي
الله بقوم مكانهم ومحبة الله للعباد إرادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن
الثواب في الآخرة ومحبة العباد له إرادة طاعته والتحرز عن معاصيه أذلة على المؤمنين
عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فإن جمعه ذلل واستعماله مع
على إما لتضمين معنى العطف والحنو أو للتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على
المؤمنين خافضون لهم أعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه إذا
غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة أخرى لقوم أو حال من
الضمير في أعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى أنهم الجامعون
بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه أو حال بمعنى أنهم يجاهدون وحالهم
خلاف حال المنافقين فإنهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة أوليائهم من
اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها
وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك إشارة إلى ما تقدم من الأوصاف فضل الله
يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو أهله
إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو

حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة
ولرسوله والمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين
امنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون
متخشعون في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكوة
في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رضي الله عنه
حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على
امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما
ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله
جيء بلفظ الجمع ليرغب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان
الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها وان صدقة التطوع يسمى زكوة ومن يتول الله
ورسوله والذين امنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم الغالبون اي
فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكأنه
قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم و
تعظيما لشأنهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب
الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار
اولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان
رجال من المؤمنين يوادونهما فرتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا
ولعبا ايماء الى العلة وتنبيها على ان من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير
بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو
والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة
لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق رأسا
سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن
كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي
ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها
هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع
للصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا
رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام
فتطاير شررة في البيت فاحرقه واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه
يؤدي الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون
منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافأه

وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل
من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف على ان امنا
وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم
حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون
فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان
اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان امنا لقلة انصافكم و
فسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون
او رفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة
والمال يمنعكم عن الانصاف والاية خطاب ليهود سألوا رسول الله عمن يؤمن به
فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر
عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المنقوم
مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت
ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر
من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر على حذف
مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله او
خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم
بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الايات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت
وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت
مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة
من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار
معبودا فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرأ وعابد الطاغوت او عبد
على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله
عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر
عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه في معصية
الله وقرأ حمزة وعبد الطاغوت بضم الباء وكسر التاء وعباد ونحوهما اولئك اي
الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل
مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى
وقدح اليهود والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى
المؤمنين في الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا امنا نزلت في يهود نافقوا
رسول الله او في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون
من عندك كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر

وبه حال مرفا على دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول عليه السلام يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم اي من اليهود او المنافقين يسارعون في الاثم اي الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضي افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروق وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغلون اسارى في الدنيا ويسحبون الى النار في الاخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والاخرة وعلى ما يعطي للاستدراج وما يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والاية نزلت في فنحاص بن عازورا فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم واشرك فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القران كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء

الى

الى يوم القيمة فلا يتوافق قلوبهم ولا ينطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا احكام التورية سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب امنوا بمحمد وما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نواخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم من اهل الجنة فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيها والقيام باحكامها وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القران لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من راس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما اسوء عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه او الافراط في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرا نافع وابن عامر وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء والله يعصمك من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس

فلما

اى القبة المتخذة من الادم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه من قبة أدم فقال
انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما انزل
ولعل المراد تبليغ ما تعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان
من اسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اى دين يعتد به
ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم
من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها
آمرة بالايمان بمصدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها
وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا و
كفرا فلا تأس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما
تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم ولا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة
لك عنهم ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق
تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به
التأخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم
كذا والصابئون كذلك لقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا أنا
وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون
مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل
الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن
آمن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده لقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك
راض والرأي مختلف ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر
اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان وعلى
الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل
ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة
وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا في
محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر
المبتدأ كما مر والراجع محذوف اى من آمن منهم او النصب على البدل من اسم ان و
ما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء و
الصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع
الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا
اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم
بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون
جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اى رسول منهم وقيل الجواب

محذوف

عادتهم

تعذيب وحسبوا الفتنة معدودة

محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جيء بيقتلون موضع قتلوا على
حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك
دأبهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الآي وحسبوا ان لا تكون
فتنة اى حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم
وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب لا تكون بالرفع على ان هي المخففة من الثقيلة
واصله انه لا تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه
في قلوبهم وان او ان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل
والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم
اى ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على
ان الله عماهم وصمهم اى رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية المشهورة اعمى
واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث
او خبر مبتدأ محذوف اى العمي والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف
لان تقديم الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله
ربي وربكم اى اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله
في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنع من
دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأويه النار فانها المعدة
للمشركين وما للظالمين من انصار اى وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع
المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون
تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله تنبيه على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى و
تقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين
قالوا ان الله ثالث ثلثة اى احد ثلثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية
منهم القائلون بالاقانيم الثلثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد
وما من اله الا اله واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ
جميع الكائنات الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن
مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم
عذاب اليم اى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى
وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام
على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه
اى الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرون بالتوحيد
والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم

يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح
ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي ما هو الا رسول كالرسل قبله
خصه الله بايات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيا العصا وجعلها
حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق ادم من غير اب
وام وهو اغرب وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن
الانبياء كانا ياكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى
ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما
في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد المركبات
الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة
فقال انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع
الحق وتامله وثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا للايات عجب واعراضهم
عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو
وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من
البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته
توطئة لنفي القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل
المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحري
النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقائد فيجازي عليها ان خيرا فخير وان
شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اي غلوا باطلا فترفعوا
عيسى الى ان تدعوا له الالوهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشده وقيل الخطاب للنصارى
خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل
مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في شريعتهم واضلوا كثيرا اشياعهم على بدعهم وضلالهم و
ضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا
عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم عما
جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم اي لعنهم الله في
الزبور والانجيل على لسانهما وقيل اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود فمسخهم
الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا
خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ
بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي
لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا
فعله وتهيؤوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس
ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب

فقالت النصارى الالهية مشتركة بين الله ومريم وعيسى وكل
واحد من هؤلاء اله واحد ثالث آلهة

يتولون

يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله والمؤمنين لبئس
ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم
وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب
او علة الذم والمخصوص محذوف اي لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وان كانت الاية في المنافقين فالمراد
نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم
فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن اشد الناس
عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم و
انهماكهم في اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على
تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا
انا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم
بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا
يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه
دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة
وان كان في كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع
عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى
قبول الحق وعدم تابيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة
او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى
للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا
بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا الكل يقولون ربنا امنا بذلك او بمحمد عليه السلام
فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم
شهداء على الامم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان
يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار او استبعاد لانتفاء الايمان
مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول مداخلهم او جواب
سائل قال لم امنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل
اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين
او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما و
نطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل
فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد
من قولك هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان

في الامور والايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين
معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقرأ عليهم القران فقرأ سورة
مريم فبكوا وامنوا بالقران وقيل نزلت في ثلثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وامنوا والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بايات الله على الكفر وهو
ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا
بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب
ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض
الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما
فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا
حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الاية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل
ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة
لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا
على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك
ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض
ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله عم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم
عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر و
اكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت وكلوا مما رزقكم
الله حلالا طيبا اي وكلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول
كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا
ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حال من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر
محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة
واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو
من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي وقيل الحلف
على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو
لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد
والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف
للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عقدتم بالتخفيف وابن عامر عاقدتم وهو
من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل
بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام

قال النجاشي لجعفر بن ابي طالب رضي الله عنه حين اجتمع في مجلسه المهاجرين
الى الحبشة والمشركون وهم يتطلبون غشهم عنده هل في كتابكم
ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله ذلك عيسى
ابن مريم وقرأ سورة طه الى قوله هل اتيك حديث موسى فبكى
النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على الرسول
من كشف

من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت بالذي هو خير اطعام
عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر و
هو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول
محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع
على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من
يسكنها في الاحوال الثلث كالالف وهو جمع اهل كالليالي في جمع ليل والاراضي
في جمع ارض وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط ان جعل
بدلا وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضم
الكاف وهو لغة كقدوة وكاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او
تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع و
تقديره او طعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي
فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلث مطلقا و
تخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد واحدا منها فصيام ثلثة ايام فكفارته صيام
ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة فيه التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة
عندنا اذ لم يثبت كتابا ولم يرو سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم
اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان
تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اي مثل
ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام شرايعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او
نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين
امنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام
سبق تفسيرها في اول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر
للخمر وخبر المعطوفات محذوف او المضاف محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر و
الميسر من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير
للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم
انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية بان صدر الجملة بانما
وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان
تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما و
جعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية
والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما
باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر

الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه الصلوة
والسلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم و
الاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه
وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من
انواع الصوارف وقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ
الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به
واحذروا ما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ
المبين اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى
وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات اي اتقوا
المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر
وامنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا تحروا
الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول
الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت
ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث
استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه
وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال
عليه السلام في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار
ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع
في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة
والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن
صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد
تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش
تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم
محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي تدحض الاقدام
كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه
ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه
ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره
او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم
فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جأشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف
به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم

حرم

حرم اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح و
الذكوة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله
عليه السلام خمس يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة و
الكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز
قتل كل موذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم
بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب
ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر
على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد في
ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد
اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش وطعنه ابو اليسر برمحه فقتله
فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى
فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما
بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفة
وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول
كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز
جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة
باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة وقال يقوم الصيد
حيث صيد فان بلغت ثمن هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها
طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن
طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ تخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول
اوفق يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبر او
منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر ليس وكما ان التقويم يحتاج الى نظر
واجتهاد يحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ
ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون
لتخصصه بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف
به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به
ثم وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء
ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه
او خبر محذوف اي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين
كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي او ان يكفر باطعام مساكين ما يساوي
قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او

لما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر
اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدلي الحمل و
ذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق
بالمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة
هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام
الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه
المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع
الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن
اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال
كله لقوله عليه الصلوة والسلام في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة
لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه
او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض
وللسيارة اي ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيه او
الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل
والجمهور على حله لقوله عليه الصلوة والسلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه
او يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله
الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام
عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم
في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار
ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على
انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال
والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى
فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل
او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في
السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب
المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم تعميم
بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله
غفور رحيم وعيد ووعد لمن هتك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن
انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر اي الرسول اتى
بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذرا في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي

المساواة عند الله بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب
به في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة و
الرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب
لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث
وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح
روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان
كانوا مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان
تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء
والمعنى لا تسألوا رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في
زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل
لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء
حذفت لامه جمع لشيء على ان اصله شيئ كهين او شييء كصديق فخفف وقيل افعال
جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة اخرى
اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت
قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله حتى اعاد ثلثا فقال لا و
لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت واستئناف
اي عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا
يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس انه عليه السلام كان
يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل
عن شيء الا اجبت فقال رجل اين انا فقال في النار وقال رجل من ابي فقال
حذافة كان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسألة التي دل عليها تسألوا
ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة
لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة الجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم
اصبحوا بها كافرين اي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا وجحدوا ما جعل الله من
بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية
وهو انهم اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها و
خلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي
سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم
وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها
الذكر فاذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى
وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك يعدى الى مفعول واحد

وهو البحيرة ومن نزيره ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك
ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم وفيه ان منهم
من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به او
الامر ولكنهم يقلدون كبارهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول
قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد
وان لا سند لهم سواه اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون
الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا
عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم
مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد يا ايها الذين آمنوا عليكم
انفسكم اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار والمجرور جعل اسما لالزموا ولذلك
نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم
الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام
من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه
فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون
ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك فنزلت ولا يضركم
يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب
او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة و
تنصره قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره
ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين
وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اي فيما امرتم
شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد في الوصية واضافتها الى الظرف على الاتساع
وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت
اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما
ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها
على حذف المضاف ذوا عدل منكم اي من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان
او آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان
شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم فيها
فاصابتكم مصيبة الموت اي قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة
لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه او آخران من غيركم اعتراض فائدته
الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استئناف
كأنه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلاة صلاة

بخطه
واشهدوا ذوي عدل منكم

العصر

العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اي
صلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم ان ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا
مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل
بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبا لطمع ولو كان ذا
قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري ولا نكتم
شهادة الله اي الشهادة التي امر باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ
آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير
مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما
استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما كتحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان
مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على
البناء للفاعل وهو الاوليان الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما
وهو خبر محذوف اي هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل منهما او
من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين
او بدل منه اي من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه
على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما
اصدق منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين
الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر
اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما
احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب
اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة
حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف
الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى
الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغير
الدعوى اذ روي ان تميما الداري وعدي بن بدي خرجا الى الشام للتجارة وكانا
حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام
مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما
بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال
منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا ايها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما

فاتاهم بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا
ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله فنزلت فاخبر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي
وداعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة ذلك اي الحكم
الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما
تحملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد
اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع
الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة
والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة فان لم تتقوا ولم تسمعوا
كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة او الى
طريق الجنة فقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال
او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعه او منصوب باضمار اذكر
فيقول اي للرسل ماذا اجبتم اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باي شيء
اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموءودة لتوبيخ الوائد
ولذلك قالوا لا علم لنا اي لا علم لنا بما انت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما
نعلم مما اجابونا واظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي عنهم ورد
الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا
بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت
اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء وقرأ
حمزة وابو بكر الغيوب بكسر الغين حيث وقع اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك
وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى
يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم
طائفة وسموهم سحرة وغلا اخرون فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك
قويتك وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ آيدتك بروح القدس بجبريل عليه السلام
او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس حياة ابدية ويطهر من الآثام ويؤيده
قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اي كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولية
والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهول في كمال العقل والتكلم
وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة
والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا
باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره في
سورة آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ
كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتلك اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت

فقال

فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اي ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرأ
حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين
اي امرتهم على السنة رسلي ان آمنوا بي وبرسولي يجوز ان يكون ان مصدرية و
ان يكون مفسرة قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا
عيسى بن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص
مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق و
استحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما
يقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب
واجاب وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير
صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده
اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله
من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعا
الايمان قالوا نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو
ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال
بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة او ان الله يجيب دعوتنا
ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون
السامعين للخبر قال عيسى بن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك او انهم
لا يقلعون عنه واراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من
السماء تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد و
لذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة
العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روي انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه
النصارى عيدا وقيل ياكل منها اولنا واخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة
او الطائفة وآية عطف على عيدا منك صفة لها اي آية كائنة منك على كمال قدرتك
وصحة نبوتي وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين خير من يرزق
لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله اني منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم
فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على
السعة لا اعذبه احدا الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف
الجر احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة و
خنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم
ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين
اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل

الفرق بين هذا القول والاول ان الاول يدل على انهم تحققوا
قدرة الله تعالى على انزال المائدة فاستفهموا عنها استفهام استعلام
والثاني يدل على انهم كانوا مترددين في حصول
القدرة لله تعالى اعني اقتضاء الحكمة الالهية انزال المائدة
عن حصول القدرة لله تعالى فاستفهموا عن اقتضاء القدرة فقط والارادة تقديره و
وعن تعلق الارادة به حسب اقتضاء القدرة فان الارادة بترجيح
يقتضيه الارادة الثالثة عن اقتضاء القدرة
احد المقدورين على الآخر
منه

وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما
وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث
واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن و
على الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا
ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا مما سألتم واشكروا
يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية
اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت
مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما
غبا ويجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء
الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض
الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى
دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثة وثمانون رجلا
وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وعن
مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا
عبارة عن حقايق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا
فلعل الحال انهم رغبوا في حقايق لم يستعدوا للوقوف عليها فلم يقلعوا فقال لهم
عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها
فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل
ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله
لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى بن مريم
أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة
وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة
فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما
كأنه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق
العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله تعالى وكأنه قيل اتخذوني
وامي الهين متوصلين بنا الى الله قال سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون
لك شريك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت
قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي
كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة و
قيل المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه
ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه

ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس
من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع
او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله مما امرتني به فان المصدر
لا يكون مفعول القول ولا ان يكون ان مفسرة لان الامر مسندا الى الله تعالى وهو لا
يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان
يؤول القول بالامر فكأنه قيل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله و
كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه
او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع الى السماء لقوله اني
متوفيك ورافعك والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم
فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال
الرسل وانزال الآيات وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم
فانهم عبادك اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك
المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد
عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح
فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن
حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت
ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد
والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ نافع يوم
بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا
الذي من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل
وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع
ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي
الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع لله ملك السموات
والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد
دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال ما فيهن
اتباعا لهم غير اولي العقل في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة
المعبودية واهانتهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما
يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر
درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

لان المصدر في مفعول القول ان يكون جملة ولا ان يكون مفسرة
لان المفسرة لا تقع الا بعد القول وما يؤول به ويلزم ان يكون
قد قال سبحانه اعبدوا الله ربي وهو ظاهر الفساد

سورة الانعام مكية غير ست آيات او ثلاث من قوله قل تعالوا اتل وهي
مائة وخمس وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له
على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع
السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار
والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات و
النور انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى
التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها
على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام
الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال
متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض
يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى
لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان
الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون
نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكوينهم وتعيشهم فمن
حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه
ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان
والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار
على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم
الاوثان اي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة
الاولى وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق آباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا
اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين
الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم
والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن يأتي واجل نكرة خصصت
بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه
مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم
ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما
ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد و
جمعها وابداع الحياة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها
ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله
المري وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات

قال ابن عباس رضي الله عنه ان الله تعالى جعل لكل نفس اجلين من مولده الى موته ومن موته الى المبعث فاذا كان الرجل صالحا واصلا لرحمه زاد الله له في اجل الحيوة من اجل الممات الى المبعث وان كان غير صالح ولا واصل نقص من اجل الحيوة وزاد في اجل المبعث وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب وسيط

وفي الارض

وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو
الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او
الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد
في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى
لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر
لان صلته لا تتقدم ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد
بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما
تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي
ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن الا
كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
يعني القرآن وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات
كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا
به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء
فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤن
عند نزول العذاب بهم في الدنيا او الآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع
امره الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب
اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق
في العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا
لهم فيها مكانا وقررناهم فيها او اعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من
انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا اهل مكة
او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب
وارسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر
منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف
بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اي لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشأنا
واحدثنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم
كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده قادر ان يفعل ذلك بكم
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق فلمسوه بايديهم فمسوه و
تخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا
ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز
به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي

لقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم
وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه
كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون
بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما
يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان
فانهم تارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة وتارة يقولون لولا انزل عليه ملك
والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل
جبريل في صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته و
انما رآهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اي
ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا
الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام واللبسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل
من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا
منهم ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله
او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة
المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل
سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل
معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين قل لمن ما في السموات
والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب
بالاتفاق بحيث لا يمكن ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا و
احسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده
بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة استيناف
وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيمة
فيجازيكم على شرككم او في يوم القيمة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من
رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه في اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم
بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او
رفع على الخبر اي وانتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على
ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك
في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان
وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن فيهما
او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم

فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله
اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي
الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض
مبدعهما وعن ابن عباس رضي الله عنه ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان
في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي
ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق و
لا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس
الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض
ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبنائهما للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى
استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى لقوله يقبض ويبسط قل اني
امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي سابق امته في الدين ولا تكونن من المشركين
وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم
عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب
والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه
يومئذ اي يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم
يَصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ
بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين اي الصرف
او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر
على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير
فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه لقوله فلا راد لفضله
وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في
امره وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة نزلت حين
قالت قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم
ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق
القول فيه في سورة البقرة قل الله اي الله اكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بيني وبينكم
اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان
اكبر شيء شهادة واوحي الي هذا القرآن لانذركم به اي بالقرآن واكتفى بذكر الانذار
عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة
وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم ايها الموجودون
ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله
ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى

تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد
اى بل اشهد ان لا اله الا هو واننى برىء مما تشركون يعنى الاصنام الذين
اتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته المذكورة فى التورية والانجيل
كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم
لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم
الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب باياته كان كذبوا
القران والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على
ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم على النفس انه الضمير للشان لا يفلح
الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا
للامر ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اى الهتكم التى جعلتموها شركاء لله وقرأ
يعقوب بحشر ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد
من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين الهتهم حينئذ ليفقدوها فى الساعة التى
علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التى يتوهمون
ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب
او لانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع
على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر عنه بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتانيث
للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون
ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا
منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله
انظر كيف كذبوا على انفسهم اى بنفى الشرك عنها وحمله على كذبهم فى الدنيا تعسف يخل
بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة
والكسائى ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء
ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القران والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة
وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله يقرأ فقالوا
للنضر ما يقول فقال والذى جعلها بيته ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير
الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشىء
ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك
فى اول البقرة وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم
حتى اذا جاؤك يجادلونك اى بلغ تكذيبهم الايات الى انهم جاؤك يجادلونك و
حتى هى التى يقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا

ان هذا

ان هذا الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية
التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان يكون الجار واذا جاؤك فى موضع الجر
ويجادلونك جواب ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة
او اسطار جمع سطر واصل السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اى ينهون الناس عن القران
او الرسول والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله
وينأون عنه فلا يؤمنون به كابى طالب وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا
انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار
جوابه محذوف اى لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها
او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل
من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بايات
ربنا ونكون من المؤمنين استينافا كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعنى ولا
اعود اى انا لا اعود تركتنى او لم تتركنى او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون
فى حكم المتمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمنى من الوعد ونصبهما
حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو واجراها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر
برفع الاول على العطف ونصب الثانى على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل
الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم
او قبايح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لامنوا ولو ردوا اى الى
الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصى وانهم لكاذبون
فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استيناف
بذكر ما قالوه فى الدنيا ان هى الا حياتنا الدنيا الضمير للحيوة وما نحن بمبعوثين
ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على
قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف قال اليس هذا بالحق كانه جواب قائل
قال ماذا قال ربهم حين والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما
يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر
غاية الانجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد
خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء
الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا
غاية له بغتة فجاة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجىء قالوا يا حسرتنا
اى تعالى فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها فى الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها
للعلم بها او فى الساعة يعنى فى شانها والايمان بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم
تمثيل لاستحقاقهم اصار الاثام الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم

وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اي وما اعمالها الا لعب ولهو تلهي الناس
وتشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا
حيوتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها
ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو
وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة افلا تعقلون اي الامرين خير وقرأ نافع وابن عامر
وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على
الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في
قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشأن وقرئ ليحزنك من احزن فانهم
لا يكذبونك في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا
او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون آيات الله
ويكذبونه فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا
لتمرنهم على الظلم والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول
ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت
رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي
تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم
واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده
من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ولقد جاءك من نبأ المرسلين
اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم
عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما
في السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية او مصعدا
تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز
ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره
فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر
ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى اي ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا و
لكن لم يتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى
بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين
بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجاهلية انما يستجيب
الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل كقوله او القى السمع وهو
شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم
الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه اي آية مما

اقترحوه

اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا
قل ان الله قادر على ان ينزل آية مما اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان
كنتق الجبل او آية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله
قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل
مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة
في الارض تدب على وجهها ولا طائر وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل يطير
بجناحيه في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها الا امم امثالكم محفوظة
احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته
وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم
للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري
في العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه
ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به
فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف
ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء
من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون مثل
هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم
وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة
الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشأ
الله يضلله من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشأ
يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل أرأيتكم استفهام تعجيب
والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك
زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل
وللزم في الآية ان يقال أرأيتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره أرأيتكم
آلهتكم تنفعكم او تدعونها ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة
وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام
آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون تخصونه بالدعاء كما حكي عنهم
في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه
الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليهم ولا يشاء في الآخرة وتنسون ما تشركون و
تتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول على انه القادر على كشف الضر دون
غيره او وتنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اي قبلك
ومن زائدة فاخذناهم اي فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالبأساء بالشدة

والفقر والضراء الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم
يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا
معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم و
زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف
لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها
الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا
عليهم أبواب كل شيء من انواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا
لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم روي انه عليه السلام قال
مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر بالتشديد في جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا
هذا والذي في الاعراف حتى إذا فرحوا أعجبوا بما أوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر
والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون متحسرون
آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا
ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان اهلاك الكفار
والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة
يحق ان يحمد عليها قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم أصمكم وأعماكم وختم على قلوبكم
بان يغطي عليها بما يزول به عقلكم وفهمكم من إله غير الله يأتيكم به أي بذلك او بما اخذ و
ختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات
العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين
ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها
قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة أو جهرة يتقدمها امارة تؤذن
بحلوله وقيل ليلا ونهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك ما يهلك به هلاك سخط
وتعذيب إلا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح
الياء وما نرسل المرسلين إلا مبشرين للمؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار
ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن وأصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم
فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب والذين كذبوا بآياتنا
يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كأنه الطالب للوصول اليهم واستغنى
بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة
قل لا أقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته او خزائن رزقه ولا أعلم الغيب ما لم
يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا أقول لكم إني ملك اي من جنس
الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه إن أتبع إلا ما يوحى إلي تبرأ عن دعوى الالوهية
والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم

مزاوجة واستدراجا به

قال عليه السلام اذا رأيت الله يعطي العبد ما يحبه وهو مقيم على معصيته فانما ذلك منه استدراج ثم تلا هذه الآية وتسيط

على فساد مدعاه قل هل يستوي الأعمى والبصير مثل للضال والمهتدي او الجاهل
والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة أفلا
تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي
مما لا محيص عنه وأنذر به الضمير لما يوحى الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم
هم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او
مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس
لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه
الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
بعدما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا
يطردهم ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء
المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا
بطارد المؤمنين قالوا فأقمهم عنا اذا جئنا قال نعم وروي ان عمر قال له لو فعلت
حتى ننظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة
والعشي الدوام وقيل صلاتا الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة يريدون وجهه
حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك
الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك من
حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم
عند الله اعظم من ايمان من تطردهم لسؤالهم طمعا في ايمانهم لو آمنوا وليس عليك
اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي
كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك
عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير
للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد
المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي
ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض
ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض
في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا أهؤلاء
من الله عليهم من بيننا اي أهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم
دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص
هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه و
اللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا أليس الله بأعلم بالشاكرين
بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه ومن لا يقع منه فيخذله وإذا جاءك الذين يؤمنون

بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين
يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على
العبادة وامره بان يبدأهم بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة
رحمة الله وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم و
العمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله
بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم
سوءا استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل
منها بجهالة في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار و
المفاسد كعمر رضي الله عنه فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهلة فان ارتكاب ما يؤدي
الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعده من بعد العمل او السوء واصلح
بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع
على اضمار مبتدأ او خبر اي فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح
نفصل الآيات آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين
ولتستبين سبيل المجرمين قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد
سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر و
ابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون
بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة
اي نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي
من الادلة وانزل علي من الآيات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله
عن عبادة ما تعبدون من دون الله او ما تدعونها آلهة اي تسمونها قل لا اتبع
اهواءكم تأكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن
متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس
بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اي ان اتبعت
اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اي في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم
وفيه تعريض بانهم كذلك قل اني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعدما بين ما
لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن
والوحي او الحجج العقلية او ما يعمها من ربي من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون
صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار
المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا
حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتأخيره

يقص الحق اي القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها
فيما يقضي من تعجيل وتأخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكأنه
منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او الخبر وهو خير الفاصلين
القاضين قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي
الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم
بالظالمين في معنى الاستدراك كأنه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ
وبمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن
او ما يتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر
وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها
لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على ما
اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها
ويعلم ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن
اختصاص العلم بالمغيبات وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه
بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة
وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله
او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة او رفعا بالابتداء
والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي
من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء
بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على
المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى
ليبلغ المستيقظ آخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون
بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون
للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم
به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضوا الاجل الذي سماه وضربه
لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون
بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم و
هم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض
على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد
على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم
الموت توفته رسلنا يعني ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالالف ممالة وهم
لا يفرطون بالتواني والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم

بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذى يتولى امرهم
الحق العدل الذى لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ
لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق فى مقدار حلب شاة لا يشغله
حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت
الظلمة للشدة لمشاركتهما فى الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد
يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف فى البر والغرق فى البحر وقرأ يعقوب ينجيكم
بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا و
اسرارا وقرأ ابو بكر هنا وفى الاعراف خفية بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من
الشاكرين على ارادة القول اى يقولون لئن انجيتنا وقرأ الكوفيون لئن انجانا ليوافق
قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وخففه
الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون
بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك فى عبادة الله
فكانه لم يعبده رأسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم
نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون و
قيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم
يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة لبستها
بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدى ويذيق بعضكم بأس بعض يقاتل بعضكم
بعضا انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك
اى بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل
بحفيظ وكل الى امركم امنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ
لكل نبأ خبر يريد انباء العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع و
سوف تعلمون عند وقوعه فى الدنيا او فى الآخرة واذا رأيت الذين يخوضون
فى آياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم
عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن واما
ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهى وقرأ ابن عامر ينسينك
بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اى معهم
فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع
التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم
واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شئ مما يحاسبون عليه من قبائح اعمالهم
واقوالهم ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره
من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن

مختلفين

عليهم

عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شئ لان من حسابهم يأباه ولا على شئ
لذلك ولان من لا تزاد فى الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة
لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا ينثلم
بمجالستهم روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع
ان نجلس فى المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اى
بنوا امر دينهم على التشهى وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة
الاصنام وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذى كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا
به او جعلوا عيدهم الذى جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم
ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرنى ومن خلقت وحيدا
ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة
الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اى بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة
ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد
باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا
بسل عليك اى حرام ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع يدفع عنها العذاب
وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وهنا
الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف
قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اى سلموا
الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم
بما كانوا يكفرون تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم
ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعوا انعبد من دون الله ما لا ينفعنا
ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد
اذ هدينا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذى استهوته الشياطين
كالذى ذهبت به مردة الجن فى المهامه استفعال من هوى يهوى هويا اذا ذهب
وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اى
مشبهين الذى استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد الذى استهوته فى الارض
حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى
الى ان يهدوه الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر
ائتنا قل ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال
وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام
لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل هى زائدة وان اقيموا
الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقع

يقولون له ائتنا

كأنه قيل وأمرنا ان نسلم وان اقيموا روي ان عبد الرحمن بن ابي بكر دعا اباه
الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا
القول اجابة عن الصديق تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذي كان بينهما وهو
الذي اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذي خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق
والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اي قوله الحق يوم
يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق
نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات والهاء في واتقوه او بالمحذوف
دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق
اي لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيمة فيكون
التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك يوم ينفخ في الصور كقوله لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة
للاية واذ قال ابرهيم لابيه ازر هو عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه تارخ
وقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وازر وصف ومعناه الشيخ
او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر و
الاقرب انه علم اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم
عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده
اي أتعبد ازر ثم قال أتتخذ اصناما الهة تفسيرا او تقريرا ويدل عليه انه قرئ أأزرا
تتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء و
هو يدل على انه علم اني اريك وقومك في ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك
نري ابرهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ تري بالتاء ورفع
الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات والارض ربوبيتها
وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون
من الموقنين اي ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل رأى كوكبا
قال هذا ربي تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابرهيم وكذلك نري اعتراض
فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم
ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب
كان الزهرة او المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول
يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله
زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فلما افل اي غاب قال لا احب الافلين فضلا
عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضي الامكان والحدوث وينافي
الالوهية فلما رأى القمر بازغا مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي فلما افل قال لئن

لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه واستعان بربه في
درك الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر
ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فلما رأى الشمس
بازغة قال هذا ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة
التأنيث هذا اكبر كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم
اني بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص
يخصصها بما يختص به ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت
هذه الممكنات عليه فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما
انا من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته
ولانه رأى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال و
حاجه قومه وخاصموه في التوحيد قال أتحاجوني في الله في وحدانيته وقرأ نافع
وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الى توحيده ولا اخاف ما تشركون به اي لا اخاف
معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربي شيئا ان
يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه عن الهتهم وتهديد لهم بعذاب الله
وسع ربي كل شيء علما كانه علة الاستثناء اي احاط به علما فلا يبعد ان يكون في علمه
ان يحيق بي مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر و
العاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله
وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور
العاجز بالقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا
ولم ينصب عليه دليلا فاي الفريقين احق بالامن اي الموحدون او المشركون وانما لم يقل
اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه
الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استيناف منه
او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روي ان الاية
لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلوة والسلام
ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم
وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به
وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن الى قوله
وهم مهتدون او من قوله أتحاجوني اليه حجتنا اتيناها ابرهيم ارشدناه اليها
وعلمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله
اي اتيناها ابرهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرأه
الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه

قال المفسرون لما شب ابرهيم اخرجه من السرب فانطلقا به حتى غابت الشمس فنظر
اي المنقلب والغار الذي ولد فيه قال لابويه
ابرهيم الى الابل والخيل والغنم فقال ما لهذه بد ان يكون
لها رب وخالق ثم نظر وتفكر في خلق السموات والارض فقال
ان الذي خلقني ورزقني ربي ما لي اله غيره ثم نظر فاذا المشتري
قد طلع فرأى الكوكب قبل القمر في اخر الشهر فكانت تلك الليلة
وقال هذا ربي الخ تفسير وسيط

واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اى كلا منهما ونوحا هدينا
من قبل من قبل ابرهيم عدّ هداه نعمة على ابرهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى
الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس
ولوطا ليسا من ذرية ابرهيم فلو كان لابرهيم اختص البيان بالمعدودين فى
تلك الاية والتى بعدها والمذكورون فى الاية الثالثة عطف على نوح داود وسليمن
وايوب ايوب بن اموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون و
كذلك نجزى المحسنين اى ونجزى المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم برفع درجاته
وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفى ذكره دليل
على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون
البيان مخصوصا بمن فى الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخى موسى كل من
الصالحين الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لا ينبغى واسمعيل
واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرا حمزة والكسائى والليسع وعلى القراءتين علم عجمى
ادخل عليه اللام كما ادخل على يزيد فى قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء
الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو ابن هاران اخى ابرهيم وكلا
فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن اباءهم
وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا اى فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء
وبعض اباءهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم
عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا
اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدى به من يشاء من عباده دليل على
انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اى ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو
شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم فى حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها
اولئك الذين اتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما
يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها اى بهذه الثلثة هؤلاء يعنى قريشا
فقد وكلنا بها اى بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون و
متابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم او كل من امن به او الفرس
وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهديهم
اقتده فاختص طريقتهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد و
اصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا
يمكن التأسى بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء
فى اقتده للوقف ومن اثبتها فى الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابى عمرو وعاصم اجرى
الوصل مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على انها كناية المصدر قل لا اسألكم عليه

اى على التبليغ او القران اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلى من النبيين وهذا
من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اى التبليغ او القران او الغرض الا
ذكرى للعالمين الا تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه
حق معرفته فى الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء حين
انكروا الوحى وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او فى السخط على
الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا
ذلك مبالغة فى انكار انزال القران بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من
انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه
قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرا بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على
قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء حملهم للتورية وذمهم على تجزئتها
بابداء بعض انتخبوه وكتبوه فى ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روى
ان مالك بن الضيف قال لما اغضبه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله انشدك بالذى
انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين
وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم
ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم
على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم زيادة على ما فى التورية
وبيانا لما التبس عليكم وعلى ابائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القران
يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن امن من قريش قل الله
اى انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن
غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم فى خوضهم فى
اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف
صلة ذرهم او يلعبون او حال من مفعوله او فاعل يلعبون او من هم الثانى والظرف
متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذى
بين يديه يعنى التورية او الكتب التى قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه
مبارك اى للبركات ولتنذر او علة محذوف اى ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما
سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى وحجهم ومجمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان
الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرا ابو بكر عن عاصم بالياء
اى لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون
به وهم على صلوتهم يحافظون فان من صدق بالاخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف
يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبى والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة
وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا

فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي وتبعه
او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله
فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشأناه خلقا
اخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام
اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي
اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله
كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة
الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه
والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ او بالعذاب اخرجوا
انفسكم اي يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها
من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة
الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة
واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد
والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن اياته تستكبرون فلا تتأملون
فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد
وسائر ما اثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم و
هو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى
كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال
ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة
غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا
به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا
نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء الله في ربوبيتكم
واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من
الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع
والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب
على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم
وقد قرئ به وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث
ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق
الذي في الحنطة والنواة يخرج الحي من الميت مما ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت
من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ليطابق قوله ما قبله ذكره بلفظ الاسم
حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ذلكم الله اي ذلكم

جعلوهم وهؤلاء سود والمراد هنا المنكر

يريد ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله

150

المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق
الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح
وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به
الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا
يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا
به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه
في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان
فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر في الازمنة المختلفة
وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما
بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئا بالرفع على الابتداء والخبر محذوف
اي مجعولان حسبانا اي على ادوار مختلفة يحسب بهما الاوقات ويكونان علمي الحسبان
وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب
وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم
تقدير العزيز الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع
من التداوير الممكنة لهما وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها في ظلمات البر
والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق
وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها
بقوله لكم قد فصلنا الايات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون
به وهو الذي انشأكم من نفس واحدة هو ادم عليه السلام فمستقر ومستودع اي
فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض
او موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل
والمستودع مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع
قد فصلنا الايات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر
ومع ذكر تخليق بني ادم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال
مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل من
السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل
شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المفتنة
بماء واحد كما في قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا
منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور و
هو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل
من طلعها قنوان اي واخرج من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها

قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من
طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف
كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من
المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها
عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع
على الابتداء اي ولكم او وثمّ جنات او من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان
اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب
على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الرمان
او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر واللون
والطعم انظروا الى ثمره الى ثمر كل واحد من ذلك وقرا حمزة والكسائي بضم الثاء
وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف
يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه او الى نضيجه كيف يعود ضخما
ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر
وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون اي
لآيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع
المفننة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها
ويرجح ما يقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ندّ يعارضه او ضدّ
يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء
الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم
تحقيرا لشانهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان
بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل
ضار كما هو راي الثنوية (المجوس) ومفعولا جعل لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء
الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن
وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله
خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم حال بتقدير قد المعنى
وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق عطفا على الجن اي وما يخلقونه
من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا
له افتعلوا وافتروا له وقرا نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اي وزوروا
بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب
الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا
وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اي خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون

وهو

وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة
الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيها وقيل معناه
المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء
وخبره انى يكون له ولد اي من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون
منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق
كل شيء وهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص
الى الاول وفي الاية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول انه من مبدعاته
السموات والارضون وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها
وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد
من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو
الوالد ولا كفو له من وجهين الاول ان كل ما عداه مخلوق فلا يكافئه
والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم
اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم لا اله الا هو
خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض
خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق
العبادة وهو على كل شيء وكيل اي وهو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها
اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه
لا تحيط به الابصار جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها
واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف اذ ليس الادراك مطلق الرؤية
ولا النفي في الاية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص
فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار
يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا يدركه الابصار كالابصار ويجوز
ان يكون من باب اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار
لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا
ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن
سميت به الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها فمن ابصر اي ابصر الحق وآمن به فلنفسه
ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما
انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على
لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك نصرف الايات ومثل ذلك التصريف
نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال
وليقولوا درست اي وليقولوا ابصرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم

درست

وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر
ويعقوب درست من الدروس اي قدمت هذه الايات وعفت كقولهم اساطير
الاولين وقرئت درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البنا للمفعول
بمعنى قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمداً ع م وجاز
اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اي عفون ودرس اي درس محمد
ودارسات اي قديمات او ذات درس كقوله عيشة راضية ولنبينه اللام
على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للايات باعتبار المعنى او للقران
وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع
ما اوحي اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع
او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل
باقوالهم ولا تلتفت الى ارائهم ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف
عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى
لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا
وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي
ولا تذكروا الهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبايح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن
الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرا يعقوب عدوا
يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انه عليه السلام كان يطعن في
الهتهم فقالوا لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون
يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة اذا
ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يودي الى الشر شر كذلك زينا لكل
امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص
العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى
ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله
جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتاكيد فيه التحكم على
الرسول عليه الصلوة والسلام في طلب الايات واستحقار ما راوا منها لئن جاءتهم
اية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله هو قادر عليها يظهر منها
ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار
انها ان الاية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون
انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا
جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرا ابن كثير
وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم

أي بأن نجعله دينا لك

السبب اتيان الاية والمسبب ايمانهم

بما علم

بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الاية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل
للمشركين اذ قرا ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا
جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة
كما كانت عند نزول القران وغيره من الايات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم
وابصارهم عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا
يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الايات
اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين
وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البنا للمفعول والاسناد الى الافئدة
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا
فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فاتوا باباءنا او تاتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا
جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشروا به وانذروا او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى
جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال
من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان
يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال الا حال مشيئة الله ايمانهم
وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا بكل اية
لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى
اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون
فيتمنون نزول الاية طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كما جعلنا لك
عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء
بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا
او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال منه يوحي بعضهم
الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض
الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول
له او مصدر في موقع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني
معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او
الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه
افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف
اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام
العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه ظاهر والصغو
الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم
مقترفون من الاثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد ع م

افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي و
حكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكما ولذلك لا يوصف به غير العادل و
هو الذي انزل اليكم الكتاب القران المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل حيث
ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القران باعجازه وتقريره مغن عن سائر
الايات والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق تاييد لدلالة
الاعجاز على ان القران حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب لتصديقه ما عندهم
مع انه عليه الصلوة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم
بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تامل وقيل المراد مؤمنوا
اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين
في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله
ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول خطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى
ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمة ربك
بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا
في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته
لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شائعا
ذائعا كما فعل بالتورية على ان المراد بها القران فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ
كقوله وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرأ
الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به او القران وهو السميع لما يقولون العليم
بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اي اكثر الناس يريد الكفار
او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق
الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يأمر الا بما فيه ضلال ان يتبعون
الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم واراؤهم الفاسدة
فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما
ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة
وتحريم البحائر او يقدرون انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك
هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة
او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في
مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها
الفعل المقدر وقرئ من يضل اي يضله الله فيكون من منصوبة بالفعل المقدر
او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته
اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم

بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار
اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله
على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم باياته مؤمنين فان الايمان
بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه الله وما لكم ان لا تاكلوا مما
ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل
لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم
اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام
وتحريم الحلال قرأه الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم
من غير تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل
والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح
وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم
سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال
مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه الصلوة والسلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر
اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر غير اسم
الله عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون
للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم
من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله
وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من
ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء
لان الشرط بلفظ الماضي اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والايات يتأمل بها في
الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل
كمن مثله صفته وهو مبتدأ خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في
الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال
كذلك كما زين للمؤمن ايمانه زين للكافرين ما كانوا يعملون والاية نزلت في
حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر
مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية
اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول
الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل

بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها
وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا
بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن
حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله يعنى كفار قريش لما روى ان اباجهل قال تزاحمنا
بنى عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نرضى به
الا ان ياتينا وحى كما ياتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالته استيناف
للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هى بفضائل نفسانية يخص الله بها
من يشاء من عباده فيجتبى لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذى يضعها فيه
وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة
بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون
بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان
يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق
مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه السلام حين سئل عنه
فقال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف
بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت
قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق
فلا يدخله الايمان وقرا ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابوبكر عن عاصم حرجا بالكسر
اى شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد فى السماء شبهه مبالغة
فى ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة
ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع عنه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى
السماء نبوا عن الحق وتباعدا فى الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرا
ابن كثير يصعد وابوبكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اى كما يضيق صدره
ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب او الخذلان
عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذى جاء به القران
او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذى ارتضاه
او عادته وطريقه الذى اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو
حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد
فصلنا الايات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما يحدث
من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل
بهم لهم دار السلام دار الله اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره
او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم فى ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها

غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم
بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم نحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير
لمن يحشر من الثقلين وقرا حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعنى
الشياطين قد استكثرتم من الانس اى من اغوائهم واضلالهم او منهم بان
جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من
الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اى انتفع الانس بالجن بان
دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا
مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم فى المفاوز وعند
المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا
اجلنا الذى اجلت لنا اى البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع
الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثويكم منزلكم او ذات مثواكم خالدين
فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا
ما شاء الله الا الاوقات التى ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء
قبل الدخول كانه قيل النار مثويكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم فى افعاله عليم
باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى
بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم فى العذاب
كما كانوا فى الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصى يا معشر الجن والانس الم
ياتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن فى الخطاب صح ذلك
ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم
وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم
لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم اياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا
يعنى يوم القيمة قالوا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر
واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
ذم لهم على سوء نظرهم وخطا رايهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات
المخدجة واعرضوا عن الاخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة
على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم
ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدا محذوف اى الامر ذلك ان لم يكن
ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة
من الثقيلة اى الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك
اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا
برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم

أو من جزائها او من اجلها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به
من ثواب او عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغنى
عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصى
وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس
لما بعده وهو قوله ان يشأ يذهبكم اى ما به اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة
ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشأكم من ذرية قوم آخرين اى قرنا بعد
قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم انما توعدون من البعث واحواله لآت لكائن لا محالة
وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم
يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم التى انتم عليها من قولهم
مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع فى كل القرآن و
هو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم انى عامل ما كنت عليه من المصابرة و
الثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة فى الوعيد كأن المهدِّد يريد تعذيبه
مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضى اليه وتسجيل بان المهدَّد لا يأتى منه الا الشر كالمأمور
به الذى لا يقدر ان يتفصى عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من
استفهامية بمعنى اينا يكون له العاقبة الحسنى التى خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع و
فعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون او فسوف تعرفون الذى يكون له
العاقبة وفيه مع الانذار انصاف فى المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذِر بانه
محق وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقى انه لا يفلح الظالمون
وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اى مشركوا العرب لله
مما ذرأ خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا
لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم
روى انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان و
المساكين وشيئا منهما لآلهتهم وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان
رأوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لآلهتهم وان رأوا ما لآلهتهم ازكى تركوه
لها حبا لآلهتهم وفى قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق فى خلقه
جمادا لا يقدر على شىء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكى وفى قوله بزعمهم تنبيه على
ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائى بالضم فى الموضعين وهو لغة
فيه وقد جاء فيه الكسر كالوُدّ ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين
فى قسمة القربات زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالوأد ونحرهم لآلهتهم
شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول
الذى هو القتل ونصب الاولاد وجر شركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما

بمفعوله

بمفعوله وهو ضعيف فى العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة
زج القلوص ابى مزادة وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار
فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا
عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل
ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه
ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما
يفترون افتراءهم او ما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لآلهتهم
انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه الواحد والكثير و
الذكر والانثى وقرئ حُجر بالضم وحِرج اى مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون
خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها
يعنى البحائر والسوائب والحوامى وانعام لا يذكرون اسم الله عليها فى الذبح وانما يذكرون
اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان
ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال
او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او
بدله وقالوا ما فى بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله
وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى
فان ما فى معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم فى رواية ابى بكر ابن عامر فى تكن بالتاء
وخالفه هو وابن كثير فى ميتة فنصب كغيرهم او التاء فيه للمبالغة كما فى راوية الشعر او
هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر
لذكورنا او حال من الضمير الذى فى الظرف لا من الذى فى ذكورنا ولا من الذكور لانها
لا تتقدم على العامل المعنوى ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب
وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان والمراد
ما كان حيا والتذكير فى فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر
سيجزيهم وصفهم اى جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحريم والتحليل من قوله وتصف
السنتهم الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب
الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبى والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتّلوا
بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لا هم
ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء
على الله يحتمل الوجوه المذكورة فى مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب
وهو الذى انشأ جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات

ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات
ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة
والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه
معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة
لانه لم يكن كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه
يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر
كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة
المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله واتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان
يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والاية مكية
وقيل الزكوة والاية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حتى لا يؤخر
عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرا ابن كثير و
نافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله
ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة
وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح
او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية
من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه ولا
تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر
العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما
او فعل دل عليه او حال منها بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه
يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضأن اثنين زوجين اثنين الكبش
والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل
وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن
المعز اثنين التيس والعنز وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو
جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى قل آلذكرين ذكر
الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين
بحرم ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان
او انثى نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين
في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام
الانثيين ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله
حرم من الاجناس الاربعة ذكرا كان او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم
كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة

زاعمين

زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله
بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال
ذلك الا المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم
والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس لذلك ليضل الناس بغير
علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القرآن
او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما
محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرا ابن كثير
وحمزة بالتاء لتأنيث الخبر وقرا ابن عامر بالياء ورفع ميتة على ان كان هي التامة
وقوله او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا
اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير
او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما
بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم
فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون
والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة
الى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان
ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والاية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي الى تلك
الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء اخر فلا يصح الاستدلال
بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب و
حافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم
حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما
حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء جمع
حاوية او حاويا كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف
على شحومهما واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص
ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار او
الوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب
فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل
او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد
بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن
رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه
لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة

ارتضا القول فلو شا لهديكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا اباؤنا ارادوا بذلك
انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبايح بارادة
الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب
الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه
كذب من قبلهم الرسل وعطف اباؤنا على الضمير في اشركنا من غير تاكيد للفصل بلا
حتى ذاقوا باسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم
يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما
تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل
على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الاية
فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على
الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات
الحكم وتطلبه فلو شا لهديكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شا هداية قوم
وضلال اخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز
وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف
لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء
حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا يدخل الامر ويكون متعديا كما في الاية ولازما
كقوله هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم
ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك
ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فان شهدوا فلا تشهد
معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة
ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان
مكذب الايات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين
لا يؤمنون بالاخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا
قل تعالوا امر من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع
فيه بالتعميم اتل اقرا ما حرم ربكم منصوب باتل وما يحتمل الخبرية والمصدرية و
يجوز ان يكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل اي شيء
حرم ربكم عليكم متعلق بحرم او اتل ان لا تشركوا به اي لا تشركوا به ليصح عطف الامر
عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها
ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل من ما او من عائده
المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا
او المحرم ان لا تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا احسنوا

بهم احسانا وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة على ان ترك الاساءة
في شانهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته
لقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج
عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو
مثل قوله تعالى ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود
وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصيكم به بحفظه
لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم
الا بالتي هي احسن الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ
اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد
كانك واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها
الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكر عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم بما
في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان
ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوي قراباتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم
من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون تتعظون به و
ان هذا صراطي مستقيما الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات
التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرا حمزة والكسائي ان بالكسر على الاستيناف وابن عامر
ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه
وقرا ابن عامر صراطي بفتح اليا وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط
ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى
الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبايع والعادات فتفرق بكم
فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع
وصيكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم اتينا موسى الكتاب عطف
على وصيكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصيكم به
قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على
الذي احسن على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على الذي احسن
تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرايع اي زيادة على
علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي على الذي هو احسن او على الوجه الذي
هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه
في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم
لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب انزلناه يعني القران
مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه

ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لا نزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين
من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقي المشهود
ح من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هي المخففة ولذلك دخلت اللام
الفارقة خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم قرأتهم لغافلين لا ندري ماهي
اولا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا
اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص
والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة
تعرفونها وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعد
ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل سنجزي
الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم
او صدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك
ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة
الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي ربك اي امره بالعذاب او كل
اياته يعني ايات القيمة والهلاك الكلي لقوله او يأتي بعض ايات ربك يعني اشراط الساعة
وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا
قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا
بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول
عيسى ونار تخرج من عدن يوم يأتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها
كالمحتضر اذ صار الامر عيانا والايمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان
ح نفسا الى الضمير المؤنث لم تكن امنت من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف
على امنت والمعنى انه لا ينفع الايمان ح نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها
غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص
هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما
الايمان والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ
وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا اتيان
احد الثلثة فانا منتظرون له وح لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا
دينهم بددوه فامنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عليه الصلوة
والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت
النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي
على ثلث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا
اي باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة اماما لست منهم في شيء اي من السؤال

عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم
وهو منسوخ باية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا
يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها
فضلا من الله وقرأ يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل
ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب و
لذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا
مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني
ربي الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من
محل الى صراط اذ المعنى وهداني صراطا لقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول
فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم
باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي
قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام
ملة ابرهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابرهيم وما كان من المشركين عطف
عليه قل ان صلوتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي
وما انا عليه في حيوتي واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة و
الخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحيوة والممات انفسهما وقرأ
نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له
خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول او الاخلاص امرت وانا اول
المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه
في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة الهتهم وهو رب كل شيء حال
في موقع العلة للانكار والدليل له اي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية
ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك
ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي
وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا
او خلفاء الله في ارضه يتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة
على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى
ليبلوكم فيما اتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو ات
قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى
نفسه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى بناء المبالغة
واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ

الى المستقيم ابلغ من القيم باعتبار الصيغة لانه يدل على زوال الاعوجاج

تأمل من دين الباطل الى الحق

فيها قيل الا العقوبة مسالح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية الا ثمان آيات من قوله واسألهم الى قوله واذ نتقنا الجبل محكمة كلها وقيل الا قوله واعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس او ست

بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرآن انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان الشك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك هاهنا والفاء يحتمل العطف والجواب فكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك منه لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل لتنذر والرفع عطفا على كتاب او خبرا لمحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي صلى الله عليه وسلم وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها او اهلكنا اهلها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها بأسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبير عنهما مبالغة في غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسألن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي

في قوله

فلا ارينك اي لا تجيء حتى لا ارينك ابلغ من ان يقول لا تجيء

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ ثلاث آيات من اول الانعام حين يصبح وكل الله به سبعين الف ملك يحفظونه وكتب له مثل اعمالهم الى يوم القيامة ونزل ملك من السماء معه مرزبة من حديد كلما اراد الشيطان ان يلقي في قلبه شيئا من الشر ضربه وجعل بينه وبين الشيطان سبعين الف حجاب فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى يا ابن آدم امش تحت ظلي وكل ثمار جنتي واشرب من ماء الكوثر وانت عبدي وانا ربك لا حساب عليك ولا عذاب

في قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم اي على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلوماتنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم والوزن اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فيوضع السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه عليه الصلاة والسلام انه ليؤتى بالعظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدأ الذي هو والوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا بآياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همز تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم لتأخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك الا تسجد اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال الجسم والفعل العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما

عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه
ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيرهم
والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق
الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها
من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع
المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه
لتكبره لا لمجرد عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لكبره قال
عليه الصلوة والسلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرني الى
يوم يبعثون امهلني الى يوم القيمة فلا تمتني او لا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين
يقتضي الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت
المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلمه الله وانها اجابه وفيه اسعاف الى ابتلاء
العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن
في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي
او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام
يصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك
المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل
تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات مثل قصده اياهم بالتسويل
والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل
من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم
لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم
من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان
يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا
يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا و
يتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين
بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي
منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم
شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم
مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذءوما
مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول ومكول في مكيل
من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم و

جوابه

جوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام
على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن
جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اي وقلنا يا آدم
اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ
هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا
من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس
لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة و
الخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما
واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما
ولذلك عبر عنها بالسوأة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من
غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما
وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم يقلب الواو المضمومة
همزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما
بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال
ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على
الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في
ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة
وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما
على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله
انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من
الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية و
الادلاء ارسال الشيء من على الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان
احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما
اي فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت
عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم
او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا يرقعان
ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان
من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصّفان من خصّف ويخصّفان واصله يختصفان
وناديهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين
عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق

النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررنا بالمعصية والتعريض للاخراج عن الجنة
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغائر معاقب عليها
ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا
انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار
العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لادم وحوا وذريتهما اولهما ولابليس
كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا او اخبر عما قال لهم متفرقا بعضكم لبعض
عدو في موضع الحال اي متعادين ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار
ومتاع وتمتع الى حين الى تقضي اجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون
للجزاء يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب
نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد يواري سوآتكم
التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي ان العرب كانوا يطوفون
بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة
ادم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان
وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا لباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل
مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب
ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه
بالابتداء وخبره ذلك خير او خبر وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه
خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال
اللباس من ايات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او
يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان لا يمحنكم بان
يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها
والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما
لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب
انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله
جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نريهم في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم
وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم
من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم و
الاية مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح
كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا
بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الاباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول
لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته تعالى

جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان
قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه اجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع
السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل
لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها اباءنا فقيل ومن اين اخذ اباؤكم فقالوا
الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون
على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله قل امر ربي بالقسط
بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم
وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد
في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلوة او في اي مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها
حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان
اليه مصيركم كما بدأكم كما انشأكم ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما
شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب
تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا و
كافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة
بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم
اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم
ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق
الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني ادم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة
عورتكم عند كل مسجد لطواف او صلوة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته
للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم
روي ان بني عامر في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما
يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي
الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس
ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع
الله الطب في نصف اية فقال وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين
اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي اخرج
لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن
كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من الماكل والمشارب وفيه دليل
على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من
للانكار قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم
فيها فتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ

نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا
هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه
وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب
الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة
بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم
بالمشركين وتنبيه على تحريم ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول
العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اي لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت
او لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون
عليكم آياتي شرط ذكر بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب
كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه
فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله
منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة
في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته ممن
تقول على الله ما لم يقله وكذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب
لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم
رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهي
التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اينما كنتم تدعون من دون الله اين
الآلهة الذين كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها
موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله لهم يوم القيمة
او احد من الملائكة في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن
والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت
امة لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا
تلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجل
اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال
فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا
قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم
ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال وقالت

اى فى النار

اولهم

اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم
ورتبوه عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال
واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من
قول الفريقين ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اي عن الايمان بها لا تفتح
لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما يفتح لاعمال المؤمنين و
ارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ
ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء لان التأنيث غير حقيقي والفعل مقدم و
قرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على
ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل
في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما
لا يكون فكذا ما يتوقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل
والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم
بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل
ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية
والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على
الغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين
اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم
مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
على عادته سبحانه وتعالى في ان يشفع الوعد بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض
بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم
وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل
او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون
انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم و
قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا
الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه
ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق
فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا
صار لهم عين اليقين في الآخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا رأوها من بعيد او بعد
دخولها والمنادى له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم
وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواضع

الحسنى مخففة او المفسرة لان المناداة والتأذين من القول ونادى اصحاب الجنة
اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم
كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث
والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن
قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير
وابن عامر وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة
القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة
او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني
والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة كافرون
وبينهما حجاب اي بين الفريقين كقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول
احد اثريهما الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب
بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون
بظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة
والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او
خيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة
والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من
سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما
يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم
اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو وعلى الوجه الاول
ومن الاصحاب على الوجه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا نعوذ
بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف
رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او
جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة
اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء
اهل الجنة الذين كانت الكفرة تحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة
ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا
لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله
بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا
اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة
اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقدير دخلوا الجنة

مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا
من الماء اي صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر
الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا
ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرم على المكلف الذين اتخذوا
دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن
ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحياة الدنيا
فاليوم ننسيهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء
يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون و
كما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من
العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما
وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ
فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون
حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تأويله الا ما يؤول اليه امره من تبيين
صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من
قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم جاؤوا بالحق
فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب
عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤول احد الامرين وعلى
الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي
كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم
بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم
الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام في ستة اوقات كقوله ومن يولهم
يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم
يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجاده دفعة دليل الاختيار و
اعتبار للنظار وحث على التأني في الامور ثم استوى على العرش استوى امره
او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى
استواء على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط
بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل
منه وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ
يحتملهما ولذلك قرئ يغشي الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة و
الكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير
يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث

او ذا هدى وحكمة

أي الشفاعة او ردهم الى الدنيا

وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب
مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر
فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية في الالوهية
وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا
فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر
فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب
كما اشار اليه بقوله فقضيهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية
فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيآت المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة
الآثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في
يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا
كما قال بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك
فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة
الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك
عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض
بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة
التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان
يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية
فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء
والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب
المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من
النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض
بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا
ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا و
احسانا لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل
به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر قريب
او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين
القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير
وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف
حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موقع الحال بمعنى
ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف

المواليد الثلثة اي النبات والمعدن والحيوان والمراد بموادها التراب والماء والريح ونحوه

وغيره نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء م

بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة
وبشرى بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال
تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملته واشتقاقه
من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى
السحائب سقناه اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لاجله
او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق
او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان لغيره فهي
للسببية من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج
الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها
بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد
ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر
على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن
ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه
اوقعه في مقابلة والذي خبث اي كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم
النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اي يخرجه البلد
فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف
كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون
فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا
ولم يتأثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا يكاد يطلق هذه
اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما
صدر بها ونوح ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين
سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله
غيره وقرأ الكسائي غيره بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته و
اليوم يوم القيامة او يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه اي الاشراف فانهم يملؤن
العيون رواء انا لنراك في ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي
ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به ولكني
رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كانه
قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم رسالات ربي وانصح
لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استيناف ومساقها على

البشارة بالكسر والضم بمعنى

الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف
اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقايد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحى اليه
والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام فى لكم للدلالة على امحاض
النصح لهم واعلم من الله ما لا تعلمون اى من قدرته وشدة
بطشه او من جهته بالوحى اشياء لا علم لكم بها أوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف
على محذوف اى اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة
على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال
البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى ابائنا الاولين لينذركم
عاقبة الكفر والمعاصى ولتتقوا منها بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة
حرف الترجى التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل وان المتقى ينبغى
ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه و
هم من امن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل عشرة بنوه سام وحام
ويافث وستة ممن امن به فى الفلك متعلق بمعه او بانجينا او حال من الموصول او
الضمير فى معه واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين
عمى القلوب غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ
لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان
لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن
الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن
سام ابن عم ابى عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب فى اقتفائه
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استأنف به ولم يعطف كانه جواب سائل
قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان قومه
كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم
من امن به كمرثد بن سعد انا لنريك فى سفاهة متمكنا فى خفة عقل راسخا فيها حيث
فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى
رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان
جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفى اجابة الانبياء الكفرة
عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم
النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغى لكل ناصح وفى قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه
على انهم عرفوه بالامرين واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اى فى مساكنهم
من رمل عالج الى بحر عمان او فى الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن
ملك معمورة الارض خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم فى الخلق

بسطة

بسطة قامة وقوة تعميم بعد تخصيص فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون لكى يفضى
بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدى الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده و
نذر ما كان يعبد اباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما
اشرك به اباؤهم انهماكا فى التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجئ فى اجئتنا اما
المجئ من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم
ذهب يشتمنى فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت
من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم او نزل عليكم على ان
المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب
ارادة انتقام اتجادلوننى فى اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من
سلطان اى فى اشياء سميتموها الهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة
بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال اية
او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى الهة من غير دليل يدل
على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط
غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن
كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفها
ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب انى معكم من
المنتظرين فانجيناه والذين معه فى الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين
كذبوا باياتنا اى استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن امن منهم وتنبيه
على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روى انهم كانوا يعبدون
الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر
عنهم ثلث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم
بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن
سعد فى سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ
ابن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم و
اكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم
الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى
ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين شعر الا يا قيل
ويحك قم فهينم. لعل الله يسقينا غماما. فيسقى ارض عاد ان عادا. قد امسوا
ما يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا يسقون
بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا
يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل

اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلثا بيضا وحمراء وسوداء
ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها
اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا
فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا
الله فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عا
ابن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا
بتاويل الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى
اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي
وقوله هذه ناقة الله لكم آية استيناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى
الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان
ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده بلا
وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تأكل في ارض الله العشب
ولا تمسوها بسوء نهى عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع
الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها
قصورا اي تبنون في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر
وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ وتنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب
بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى
تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين
استكبروا من قومه اي عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم
واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من للذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير
لقومه وبدل البعض ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال الملأ بالواو اتعلمون
ان صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا
به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل
ويخفى على ذي رأي وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال الذين استكبروا
انا بالذي آمنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا
لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم
للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو
ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين
روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي

بها

عابر

بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا
في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم
فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو
الهك وندعو الهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم
ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له
اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك
فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه
فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء و
براء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع في
جماعة ومنع الباقين من الايمان ذواب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب
ابن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها
من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون
ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه
فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة
بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا فقال
لهم صالح ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت
الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد
محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا
ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع
تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين خا
فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد
ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان
توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا
حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا
اي وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه
اتأتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم
بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد
النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقررة للانكار
كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوء انكم لتأتون
الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتأتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار

المخترجة ما شاكل البخت جوفا عظيم البطن وبرا كثير الصوف

اي تتكبر ضرعها

تشتت

تنفجت

والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول له او
مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل
ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم
قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب
امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم
او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب
قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه و
لكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء
بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله اي من آمن به الا
امرأته فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم
فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين
بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوط
ابن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابرهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله
الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها
فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على
مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم
شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته
قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي
كانت له وليس في القرآن انها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى التنين وولادة
الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا
آدم على يده في المرات السبع متأخر عن هذه المقاولة محتمل ان يكون كرامة لموسى
او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال
كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود او الكيل ووزن الميزان
ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا
حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل
والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض
بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعدما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع
او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم
ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة
مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط
توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا

لكنه

لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا يسعى في شيء
منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب
فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق
وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا
لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله
من آمن به اي بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب
ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موقع
الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه
او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عُددكم فكثركم
بالبركة في النسل او المال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم و
اعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا
فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين
فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف
فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من
قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية او عودكم
في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا
الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجري الجواب في قوله قال اولو
كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا في حال كراهتنا
قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها
شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع
للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اي قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد
الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم
عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا
ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر
بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء
علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان
يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم
بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم
ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين و
قال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون
لاستبداله ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو

سادة مسد جواب الشرط وكقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة
الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين اي في
مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كان لم يغنوا فيها اي استؤصلوا كأن
لم يقيموا بها والمعنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا
لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا
والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم
وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم لشدة حزنه
عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم
ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في
الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف
آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا
اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة
السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا
النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله
ونسيانا للذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء و
قد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون بنزول العذاب
ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل
مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من
السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر
والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا
يكسبون من الكفر والمعاصي افامن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا
يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا
بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة
ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز
او المستتر في بياتا او امن اهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون
على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا
ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افامنوا
مكر الله تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد
واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا
بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها

اي يخلفون

اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه بمعنى
يبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم
كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا ونطبع على
قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه
بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياقه
جواب لولا فضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك
القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى
خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين
ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل
بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة
عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة
والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته
لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب
الكافرين فلا يلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس
والآية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد وفاء بعهد فان اكثرهم نقضوا
ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج او ما عهدوا
اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان
وجدنا اكثرهم اي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان
المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة
عليها وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير
للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملئه
فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى
وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك فارس وكان
اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك وقوله حقيق على ان
لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم
يذكر لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق على ان لا اقول كما قرأه
نافع فقلب لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك
فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان اكون
انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء

فانه

وتركب خيل لا هوادة بينها
لاصلح

الضياطرة الحمر
ام الرجال العظيم السمين

لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء
وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى
يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن ابائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم
في الاعمال قال ان كنت جئت باية من عند من ارسلك فأت بها واحضرها عندي
ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان
مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها
صار ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل
على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم
الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك
بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا
ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا خارجا
عن العادة يجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي
انه كان ادم شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي
بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون ان هذا
لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور في امره فحكى عنه في سورة
الشعراء وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون تشيرون في ان
نفعل قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم
كانه اتفقت عليه اراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التأخير اي اخر امره و
اصله ارجئه كما قرأ ابو عمرو ويعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير
وهشام عن ابن عامر على الاصل في الضمير او ارجهي من ارجيت كما قرأ نافع في رواية ورش
واسمعيل والكسائي واما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء
بالكسرة عنها واما قراءة حمزة وعاصم ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل
وجعل جه ككابل في اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر في رواية ابن ذكوان
ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا يكسر الا اذا كان قبلها كسرة
او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي
بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون
بعدما ارسل الشرط في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استئناف
به كانه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاؤا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان
لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال
نعم وانكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب
لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروا موسى

مراعاة

مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبل فنبهوا عليها
بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل او تأكيد ضميرهم المتصل
بالمنفصل فلذلك قال القوا كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا على شأنه فلما
القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم و
ارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم في فنه روي انهم
القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادي وركب بعضها
بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف
ما يأفكون اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز
ان يكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم و
عصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم
ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا
وعصينا فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة
فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة
الى المدينة مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين
على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او
ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى و
ينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا امنا برب العالمين رب
موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون
امنتم به بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر
عن عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص امنتم به على الاخبار
قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم
وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص
لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا
لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه
محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون
بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا المنقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا
ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم
بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال
واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا
ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا

من الاثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل
انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون
وقال الملاء من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس
عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام
بالواو كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء على
على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف
على اتذر او استيناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك
كقوله فاصدق واكن والهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع
لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ
الهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل
من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم
المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرا ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا
فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله
واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر
والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم
ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض
يحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تاتينا بالرسالة بقتل
الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في
الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم
جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن
داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان
ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين بالجدوب لقلة
الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق
منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم
يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك بشوم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او يرق قلوبهم
بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة
قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا
بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشومهم وهذا اغراق
في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل
التماسك سيما بعد مشاهدة الايات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها

عتوا

عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها
وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها
وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده
وهو حكمه ومشيئته او سبب شومهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها
التي ساقت اليهم ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شوم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما
الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة
من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب
بفعل يفسره تاتنا به اي ايما شيء تحضرنا تاتنا به من اية بيان لمهما وانما سموها
اية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين
اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكر قبل التبيين باعتبار
اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي
اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون
والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها و
الضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان
يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة
ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام
ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك
فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث
الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف
والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق
والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل
ما ابقاه وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه
فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث
لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى
قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود
ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم
دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي
ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط عليهم الرعاف ايات
نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها ايات الله ونقمة عليهم
او منفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل ايتين منها شهر وكان امتداد كل

الموتان الطاعون في المواشي

واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه
الايات على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم
الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون ارسل الله عليهم بعد ذلك قالوا يا
موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهد اليك
ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في اياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه يعني
ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل
اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا
الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد
من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل
وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤا
النكث من غير توقف وتأمل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم
في اليم اي في البحر الذي لا يدرك قعره حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة
المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها يعني
ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا
فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم
واتصلت بالانجاز عدتنا اياهم بالنصر والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله
ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم
على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات
وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان
وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بالضم وهذا اخر قصة فرعون وقومه وقوله و
جاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة
بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الايات العظام تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم مما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم
ومراقبة احوالهم روي ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون
وقومه فصاموه شكرا فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون
على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة
الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا
يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم الهة يعبدونها وما كافة للكاف
قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد
ما رأوا من الايات الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر

الاسعاف الانجاح

معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الرجز لنؤمنن ولنرسلن م

وقيل الجنة بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات وعدم فكرهم فيها م

ما هم فيه يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا
وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى
وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار
وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه
على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازب لما مضى عنهم
تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم
على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم
حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا
ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم من ال فرعون واذكروا صنيعه
معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استيناف
لبيان ما انجاكم او حال من المخاطبين او من ال فرعون او منهما يقتلون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او
العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلثين ليلة ذا القعدة وقرأ
ابو عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين
ليلة بالغا اربعين روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد
مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون ويذرون فلما هلك سأل
ربه فامره بصوم ثلثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم
منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يزيد عليها عشرا وقيل امره
بان يتخلى ثلثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التورية في العشر وكلمه فيها وقال
موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من
امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد
ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام
للاختصاص اي اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة فيما
روي ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه
القديم ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك ارني
نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل
على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال خصوصا
ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن ارى ولن اريك
ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه
بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت
الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا

الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين ولاهتمه كلال
بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه
على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا من ان يدل على استحالته
ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن ترانى ولكن انظر
الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى استدراك يريد ان يبين انه لا يطيق
وفى تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن
ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره
وامره وقيل اعطى له حيوة ورؤية حتى راه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك
والدق اخوان كالشك والشق وقرا حمزة والكسائى دكاء اى ارضا مستوية ومنه
ناقة دكاء للتى لا سنام لها وقرئ دكا اى قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى
صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما افاق قال تعظيما لما رأى سبحانك
تبت اليك من الجراة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين من
تفسيره وقيل معناه انا اول من امن بانك لا ترى فى الدنيا قال يا موسى انى
اصطفيتك اخترتك على الناس اى الموجودين فى زمانك وهرون وان كان
نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتى يعنى اسفار
التورية وقرا ابن كثير ونافع برسالتى وبكلامى وبتكليمى اياك فخذ ما اتيتك
اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روى ان سؤال الرؤية كان
يوم عرفة واعطاه التورية يوم النحر وكتبنا له فى الالواح من كل شئ مما يحتاجون
اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شئ بدل من الجار والمجرور اى كتبنا كل شئ
من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف فى ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت
من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده
او شققها باصابعه وكان فيها التورية او غيرها فخذها على اضمار القول عطفا
على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والهاء للالواح او لكل شئ فانه بمعنى الاشياء
او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وأمر قومك يأخذوا باحسنها اى باحسن ما فيها
كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على
الافضل كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره
ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ فى الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم
الصيف احر من الشتاء ساوريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية
على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا يفسقوا او دارهم فى
الاخرة وهى جهنم وقرئ ساوريكم بمعنى سابين لكم من اوريت الزند وساورثكم و
يؤيده قوله واورثنا القوم ساصرف عن اياتى المنصوبة فى الافاق والانفس الذين

يتكبرون فى الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل
ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه ما علاها او
باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل
او حال من فاعله وان يروا كل اية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم او اختلال
عقلهم بسبب انهماكهم فى الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا
سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرا حمزة والكسائى
الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلثتها لغات كالسقم والسقم والسقام
وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا
عنها غافلين اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للايات ويجوز
ان ينصب ذلك على المصدر اى ساصرف ذلك الصرف بسببها والذين كذبوا
باياتنا ولقاء الاخرة اى ولقائهم الدار الاخرة او ما وعد الله فى الاخرة حبطت
اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ
قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التى استعاروا من القبط
حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت فى ايديهم او ملكوها بعد
هلاكهم وهو جمع حلى كثدى وثدى وقرا حمزة والكسائى بالكسر بالاتباع كدلى و
يعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من
الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روى ان السامرى لما صاغ العجل
القى فى فمه من تراب اثر فرس جبرئيل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح
جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او
لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اى صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا
يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين
اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كاحاد البشر حتى حسبوا
انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اى اتخذوه الها وكانوا
ظالمين واضعين الاشياء فى غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط
فى ايديهم كناية من ان اشتد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فيصير يده
مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط
الندم فى نفسهم وراوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا
ربنا بانزال التورية ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرا هما
حمزة والكسائى بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد
الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتمونى من بعدى فعلتم بعدى حيث عبدتم العجل و
الخطاب للعبدة او قمتم مقامى فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما

نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها
من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه
والحمل عليه والكف عما ينافيه اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق
فعدي تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي و
غيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب
وفرط الضجرة حمية للدين روي ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما
القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه
المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه بشعر رأسه يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم
وهرون اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال
ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكان من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر
عن عاصم ابن ام بالكسر واصله ابن امي فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف
الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفوني
وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني
واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء ولا تفعل بي ما يشمتون بي
لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير
قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي ان فرط في كفهم ضم اليه نفسه في الاستغفار
ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم
الراحمين فارحم بنا منا على انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب
من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة في الحيوة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم
وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله
موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي
ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من
الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة
عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار
هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على
ما فعل كالامر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على
ان المسكت هو الله او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ
فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى
بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام
المفعول لضعف بالتأخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي
الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا

لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره ان يأتيه في سبعين من بني اسرائيل
فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا
فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما
دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى
يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت
اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب آخر او
عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم
في البحر وغيرها فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من
عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان
ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم
موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم
واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم ان هي الا فتنتك
ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا
به تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخائل وتهدي من تشاء
هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا
وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه
الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا
اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون
مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون
المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي اصيب به
من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف و
غيره فساكتبها فسأثبتها في الآخرة او فساكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين
يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم
والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي
مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض
او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله
ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال
علمه مع حاله احدى معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة
يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم
ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم

والاغلال التي كانت عليهم ويخفف عليهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين
القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة و
اصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر اصارهم
فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع
ومنه التعزير ونصروه لي واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القرآن
وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق
مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع
النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة
الابدية ومضمون الاية جواب دعاء موسى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب
عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل
الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض صفة لله وان حيل
بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ
خبره لا اله الا هو وهو على الوجه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان
هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله
ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه
ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على
ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات
الداعية الى الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء
اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط
الضلالة ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين
او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان
القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها
على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنو اهل الكتاب
وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلعم ليلة المعراج فآمنوا به وقطعناهم
وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم من بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن
معنى صير او حال وتأنيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذا جمع او
تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ
بكسر الشين واسكانها امما على الاول بدل بعد بدل او نعت اسباطا وعلى الثاني بدل
من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر
فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال
وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل

المنزل ٢

اناس

اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم
المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا
ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم
اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم
وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا
فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثم
او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب
الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد
بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة
على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر
بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرأ ابو عمرو
خطاياكم فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا
من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره فيها واسئلهم للتقرير والتقريع بقديم
كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون
معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه
وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون
في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او
للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او
بدل بعد بدل وقرئ يعدّون واصله يعتدون ويُعِدّون من الاعداد اي يعدون
آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا
يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة و
قيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم
اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وقرئ لا يُسبتون من اسبت و
لا يُسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان
ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما
كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل
بما قبله اي لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم
جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم
في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ
ونفعه وكأنه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعووا منهم وقيل

المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا
معذرة الى ربكم جواب للسؤال اى موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا تنسب الى
تفريط فى النهى عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اى اعتذرنا به
معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك
فلما نسوا تركوا ترك الناسى ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون
عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد
فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر
بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ لحف عينه بنقل حركتها الى الفاء
ككبد فى كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلب فى ذيب او على انه فعل الذم وصف
به فجعل اسما وقرئ بيّس كريّس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين
وبائس بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما
نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا
لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضى ان الله عذبهم اولا
بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان يكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا
للاولى روى ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا
القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا
ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم
فجعلت تأتى انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلث وعن
مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تأذن ربك اى اعلم تفعل من الايذان بمعنى
كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشئ يوذن نفسه بفعله واجرى مجرى
فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة
والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب
كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه الصلوة والسلام بخت نصر
فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم
وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم
ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم فى
الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم فى الارض امما وفرقناهم فيها
بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول
ثان او حال منهم الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم
ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم
وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون

فيرجعون

فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر
نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع فى الشر والخلف بالفتح فى
الخير والمراد به الذين كانوا فى عصر رسول الله عم ورثوا الكتاب التورية من
اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها يأخذون ء الرشى فى الحكومة وعلى تحريف
الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه
وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان
يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير فى لنا اى يرجون المغفرة مصرين على الذنب
عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اى فى الكتاب ان
لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اى بان لا يقولوا و
المراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله و
خروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه
تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء
افلا يعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدنى المؤدى الى العقاب بالنعيم
المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون
بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض
او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر
تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد
الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اى قلعناه و
رفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهى كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا
انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون
به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام
التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم
خذوا على اضمار القول اى وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب
بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا
تتركوه كالمنسى لعلكم تتقون قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك
من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم اى اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا
بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر
ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم اى ونصب لهم دلائل
ربوبيته وركب فى عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم
الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد و
الاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اى

ء عرض هذا الادنى حطام هذا الشئ الادنى يعنى الدنيا
وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون م

اى انما عدل عن لفظ اليقين الى الظن لان متعلق الظن
وهو وقوع الجبل عليهم لم يقع بعد فلذلك لم يقل تيقنوا

كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على
ان تقولوا وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك اباؤنا
من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من
العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني اباؤهم المبطلون بتأسيس
الشرك وقيل لما خلق الله ادم اخرج من ظهره ذريته كالذر واحياهم وجعل لهم
العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث رواه عمر وقد حققت الكلام فيه في شرحي
لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق
العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية
ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الايات و
لعلهم يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي اتيناه
اياتنا هو احد علماء بني اسرائيل او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله
او امية بن ابي الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك
الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به فانسلخ
منها من الايات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه
فكان من الغاوين فصار من الضالين روي ان قومه سألوه ان يدعو على موسى
ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في
التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الايات و
ملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة واتبع هواه في
ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الايات وانما علق رفعه بمشية
الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب الفعل الموجب لرفعه وان
عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو
المشية وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب من
حيث ان المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع
موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب
الدنيا رأس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله وهو
ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او
ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان
من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع
موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل
لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل
القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص المذكورة على اليهود فانها نحو

قصصهم

قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدي لهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اي مثل
القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا باياتنا بعد
قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة
معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الايات وظلم انفسهم او منقطعا
عنها والمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم
المفعول من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح بان
الهدى والضلال من الله وان هداية الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة
للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيها على ان
المهتدين كواحد لاتحاد طريقتهم بخلاف الضالين والاقتصار في الاخبار عمن هداه
الله بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم
لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الاجلة والعنوان لها ولقد
ذرأنا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب
لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم اعين لا يبصرون
بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم اذان لا يسمعون بها الايات
والمواعظ سماع تأمل وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار
والاستماع للتدبر وفي ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة
عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في
جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار
اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على
معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه
بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها
الذين يسمونه بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض
الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة او
وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله
والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال
سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال
عن القصد وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما بين انه
خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين
بالحق عادلين في الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن
طائفة بهذه الصفة لقوله عليه الصلوة والسلام لا يزال من امتي طائفة على الحق الى
ان يأتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم

والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان يتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا فى الغى حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملى لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم ان كيدى متين ان اخذى شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعنى محمدا عليه الصلوة والسلام من جنة جنون روى انه عليه الصلوة والسلام علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا نظر استدلال فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء مما يقع عليه الشىء من الاجناس التى لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولى امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا فى اقتراب اجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مفاقصة الموت ونزول العذاب فبأى حديث بعده بعد القران يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية فى البيان كانه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقران وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأى حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادى له كالتقرير والتعليل له ويذرهم فى طغيانهم بالرفع على الاستيناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله ومن يضلل الله وحمزة والكسائى به وبالجزم عطفا على محل فلا هادى له كانه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم يسألونك عن الساعة اى عن القيمة وهى من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اى اثباتها وارساء الشىء اثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اى لان معناه اى وقت وهو من اويت لان البعض أوى الى الكل قل انما علمها عند ربى استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها فى وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام فى قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت فى السموات والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكانه اشارة الى الحكمة فى اخفائها لا تأتيكم الا بغتة

بغتة

فجأة على غفلة كما قال عليه الصلوة والسلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كأنك حفى عنها عالم بها فعيل من حفى عن الشىء اذا سئل عنه فان من بالغ فى السؤال عن الشىء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدى بعن وقيل هى صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفى تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفى بالسؤال عنها تحبه اى تكرهه لانه من الغيب الذى استأثر الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبرى عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمنى اياه ويوفقنى له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالى ما هى عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسنى سوء ان انا الا نذير وبشير ما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف هو الذى خلقكم من نفس واحدة هو ادم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها لقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشىء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشاها اى جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا هو النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف فاستمرت به فمارت من المور وهو المجىء والذهاب او من المرية اى فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت صارت ذا ثقل بكبر الولد فى بطنها وقرئ على البناء للمفعول اى اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما اى جعل اولادهما له شركاء فيما اتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعنى الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس فى صورة رجل فقال لها ما يدريك ما فى بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرته لادم فهما منه ثم عاد اليهما وقال انى من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه

واسماع

ولما سويا قد صلح بدنهما

عبد الحرث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحرث وامثال
ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب في خلقكم لآل قصي من قريش
فانهم خلقوا من قصي وكان له زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله
الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار
ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا
اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جيء به على
تسميتهم اياها الهة ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون
فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم
وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم
لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم
صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى
بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم
احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون من دون
الله اي تعبدونهم وتسمونهم الهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم الهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي
قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم
كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهم ارجل يمشون بها
ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها وقرئ ان
الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله و
يبطشون بالضم هنا وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم فاستعينوا بهم في
عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروه انتم وشركاؤكم فلا
تنظرون ولا تمهلون فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه ان وليي
الله الذي نزل الكتاب القران وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته تعالى ان يتولى
الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون
نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى
الهدى لا يسمعوا وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين
اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفا لك
من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد
او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب
الزكوة وامر بالعرف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم
ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول

باستجماعها

باستجماعها واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة
تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز
شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه
فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك
عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام
ومشايعة الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة
منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر
ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي
ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان
الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب
التذكر مواقع الخطأ ومكائد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والاية تاكيد
وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم اي واخوان الشياطين الذين لم
يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد و
يمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال
ثم لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير
للاخوان اي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان
الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تاتهم
باية من القران او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك
كسائر ما تقرأه او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق
للايات او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القران بصائر للقلوب بها
تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ
القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون
فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث
يقرأ القران مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا
يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من
القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما
هو مذهب الشافعي تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما
كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والاصال
باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر
آصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله
ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه

وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به
غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي
صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول
يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه
عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله بينه وبين ابليس سترا
وكان ادم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وآيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال اي الغنائم يعني حكمها وانما
سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمي به ما يشرطه الامام لمقتحم
خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول اي امرها مختص
بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر
انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله
عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا
سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا
عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول
الشافعي وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد
ابن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه
فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل
اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول
الله سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسألونك علنفال
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال
اي يسألك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا
ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله
والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك
او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر والاتقاء عن
المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون
الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله
وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت
بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به
او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من
قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم

يتوكلون

اي المقبوض من الغنيمة

يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون
الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا
ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن
افعال الجوارح التي العيار عليها الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف
او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو
منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم
اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب
في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت
لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها
مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع
الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة
عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو
ابن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها
لكثرة المال وقلة الرجال فلما بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة
النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها
وقد رأت قبل ذلك بثلث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ
صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس
وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما ترضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل
بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي دفران فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى
الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت
لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير مضت
على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع
العدو فغضب رسول الله عم فقام ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة
فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من
الانصار ثم قال المقداد بن عمرو امض لما امرك فانا معك حيثما احببت لا
نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون
ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله عم
ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم و
قد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم براء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف

ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ وقال لكأنك
تريدنا يا رسول قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت
به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض
يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر
فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا
لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا
على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني
احدى الطائفتين والله لكأني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام لما
فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له
لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم
قوله يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه
بعدما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول كأنما يساقون الى الموت
وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه
وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم
الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كان لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله
احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها
لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن
فيها الا اربعون فارسا ولذلك تتمنونها وتكرهون ملاقاة النفير لكثرة
عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق
الحق ان يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد
وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا
مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز
الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان
المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول
على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون
ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم
انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك
اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم الف والى
اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني
اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط
رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك

فاستجاب

فاستجاب لكم اني ممدكم باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر
على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة
مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين
بعضهم بعضا او المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع
ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش
او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء
في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بالاف
ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين
كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في
مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله الله اي الامداد الا بشرى الا
بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم
وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد و
الاهب ونحوهما وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه
بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق
بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من
اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القرائتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو
عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان
قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله
ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس
على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم
فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا
تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء
ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانها
من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ
فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم
الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين
وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى
جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضأوا
وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط
على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل
او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت

الى الملائكة انى معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة
القول او اجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين امنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او
بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير
لقوله انى معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه
مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة
ما يثبتون المؤمنين به كانه قال قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها
التي هي المذابح او الرؤس واضربوا منهم كل بنان اصابع اي جزوا رقابهم واقطعوا
اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب والامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين
قبل بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا
من المتعاديين في شق خلاف شق الاخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم
وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل
او وعيد بما اعد لهم في الاخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة
على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل
عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم ليكون الفاء عاطفة وان للكافرين
عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم
مع ما اجل لكم في الاخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب
العذاب الاجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستيناف يا ايها الذين امنوا اذا
لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف
الصبي اذا دب على مقعدة قليلا قليلا وسمي به وجمع على زحوف وانتصابه على
الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر
انها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الاية ويجوز ان ينتصب زحفا حالا
من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا
تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين
تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو
فانه من مكائد الحرب الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة
اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر
انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا
رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا
ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او
متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز
يحوز فقد باء بغضب من الله وماويه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو

على الضعف

على الضعف لقوله الان خفف الله عنكم الاية وقيل الاية مخصوصة باهل
بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم
وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما اطلعت قريش من
العقنقل قال عليه الصلوة والسلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون
رسولك اللهم اني اسئلك ما وعدتني فاتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب
فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال
شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون
يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت
واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت
اي اتيت بصورة الرمي ولكن الله رمى اي بما هو غاية فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى
انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله
والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب
في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل
يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم حنين نحو الحصن فاصاب لبابة بن الحقيق على
فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده
في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر و
الغنيمة ومشاهدة الايات فعل ما فعل ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم
عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل والرمي ومحله الرفع
اي المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه
اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد
جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج
تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم
الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين
وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم
جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين
بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين
كان ذلك وقيل الاية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم الفتح
وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستاثره الرسول فهو خير لكم و
ان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن

الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين في ايمانهم ويؤكد ذلك يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من
الاية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على
ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل
الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القران والمواعظ
سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة او المنافقين الذين
ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون راسا
ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم
الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به و
فضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالايات
لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به
او ارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي
احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام
قصي يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير
فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروي انه عليه الصلوة والسلام مر
على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت
اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان
اجابته لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر
لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول
لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حلته
فذاك ميت وثوبه كفن او مما يورثكم الحيوة الابدية في النعيم الدائم من العقائد
والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة
لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية
قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات
القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب و
تصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على
العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته
وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة
والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه
اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف

وافتراق

وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما
جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط
متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله
ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان
النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام
واختلط جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من
قرأ لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب
عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على
الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم
منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل
مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل
للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون ان يتخطفكم
الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم
فاواكم الى المدينة او جعل لكم ماوى تتحصنون به عن اعاديكم وايدكم بنصره
على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات
من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله و
الرسول بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول
في المغانم وروي انه عليه الصلوة والسلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة
فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات
واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل
الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم
فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما
زالت قدماي حتى علمت اني خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في
المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث
سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل
نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله
بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع
من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما
ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم
فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون
انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم

فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب ومحنة من الله ليبلوكم فيهم فلا
يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن اثر رضى الله عليهم
وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين امنوا ان تتقوا
الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا
يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة
عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت
افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم
بالتجاوز والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم
وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرها الله لهم والله ذو الفضل العظيم
تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب
تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا
تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم و
استيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان
بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد
وليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك
انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا فاجتمعوا في دار الندوة
متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت
اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري
رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه
حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم
فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع
فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا
من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه
في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه
فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فاتى جبريل النبي عليه الصلوة والسلام
واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا كرم الله وجهه على مضجعه وخرج مع ابي بكر رضي الله عنه
الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة
الماكرين معهم ان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم
فقتلوا والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال
هذا انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيها من ايهام الذم واذا
تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن

الحارث

الحارث واسناده الى الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم
وقول الذين ائتمروا في امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم
اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز
عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم
ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون
من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ
في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي
صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان كان القران
حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه
والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق
بالرفع على انه هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به
كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان
يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان الله ليعذبهم و
انت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب
لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم
عذاب استيصال والنبي بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد
باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او
فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم
واهلها مصلحون وما لهم ان لا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال
ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم
عنه الجاء رسول الله والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم الى الحديبية وما كانوا
اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة
البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون
من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير لله ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل
كما يراد بالقلة العدم وما كان صلوتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه
صلوة او ما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر
وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا تفعلة من الصدد او من الصد على
ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق
الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن

هذه صلوتهم وروي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين اصابعهم
يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي ان يصلي
يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل يوم بدر
وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب بما كنتم
تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله
نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم
كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش
من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر
قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد
بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن
انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل و
هو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق
ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها
من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر
وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ
اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من
المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون
في عداوة رسول الله مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون
عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل
الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه على بعض حتى يتراكبوا
لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين فيجعله
في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين
هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا
يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول
في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خطاب
ويغفر على البناء للفاعل وهو الله وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين
الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك و
قاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم
الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على
انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون
من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم

كابي سفيان وعباس رض

ويكون

ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي
اثابة مقاتليهم للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم
فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير
لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم من شيء اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا من
شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اي
فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله
والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه
يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلى الله عليه
وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى
الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي
القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك الامر فيه مفوض
الى رأي الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم
ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روي انه عليه الصلوة والسلام كان
يأخذ قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل
سهم الله مضموم الى سهم الرسول وذوا القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي
انه عليه السلام قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء
اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت
اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه الصلوة
والسلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا في اسلام وشبك بين اصابعه و
قيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص
بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل
من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة
بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا
من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم
بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة
الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض
والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد من الآيات والملائكة
والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر
فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على
كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة

الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي وقد
قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم
بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو
كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر
استعمالا من القصيا والركب اي العير وقوادها اسفل منكم في مكان اسفل
من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف
قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة
عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف
شأن المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة ولذا ذكر مراكز
الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها
الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم
لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم
انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح
ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على
هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر
اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه
او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة
شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة او ليصدر
كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر و
الاسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم
الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك
الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن
وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم
الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم
اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون
تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اريكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر
امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة من
الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها
واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حال
من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن الى جنبه اتراهم سبعين
فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول ويقللكم في اعينهم حتى قال

الاتيان في التقاء الشيء بالشيء وكون الامر عسيرا على شخص له

ابو جهل

ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم
ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفجأهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم
وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا و
القليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله
الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله امرا
كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء
على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله
ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان
المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم
واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره
لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي
ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره
فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله
ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر واحد فتفشلوا جواب
النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة
للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل
المراد بها الحقيقة فان النصر لا يكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت
بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير
بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم
لما بلغوا جحفة واتاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال
ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم
من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى
المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى
واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوفا
على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل
المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيكم عليه واذ زين لهم الشيطان متعلق
باذكر اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب
لكم اليوم من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم
وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم
ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى

الكلاءة بالكسر الحفظ

اي لا غالب كائن لكم

الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالبا وصفته وليس صلته والا لانتصب
كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اى تلاقى الفريقان نكص على
عقبيه رجع القهقرى اى بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم
وقال انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله اى تبرأ منهم وخاف
عليهم وايس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش
على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم
ابليس بصورة سراقة بن مالك الكنانى وقال لا غالب لكم اليوم وانى مجيركم من بنى كنانة
فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده فى يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا
فى هذه الحالة فقال انى ارى ما لا ترون ودفع فى صدر الحارث وانطلق وانهزموا
فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم
حتى بلغتنى هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى
قوله انى اخاف الله انى اخافه ان يصيبنى مكروها من الملائكة او يهلكنى ويكون الوقت
هو الوقت الموعود اذ رأى فيه ما لم يره قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر
والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا اذ يقول
المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقى فى
قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر
هؤلاء يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا لما لا يدى لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة
عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل
من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه
ولو ترى ولو رأيت فان لو يجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا
الملائكة ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اى ولو ترى الكفرة او حالهم ح
والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير
الله عز وجل وهو مبتدأ خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغنى
فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين
وادبارهم ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اى يضربون ما اقبل منهم
وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار القول اى ويقولون
ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت
النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما
قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام
للعبيد عطف على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن
ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه

ليس

ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفى الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير
لاجل العبيد كدأب آل فرعون اى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم
وطريقهم الذى دأبوا فيه اى داموا عليه والذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا
بآيات الله تفسير لدأبهم فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله قوى
شديد العقاب لا يغلبه فى دفعه شئ ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله
بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا
ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوء كتغيير قريش حالهم فى صلة
الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعى
فى اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه
بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم الله عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما
هو المفهوم له وهو جرى عادته تعالى على تغييره متى يغيروا حالهم واصل يك يكون
فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا
وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون والذين من قبلهم
كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون تكرير للتأكيد و
لما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون
وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثانى لتشبيه التغيير فى النعمة بسبب تغييرهم
ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين
انفسهم بالكفر والمعاصى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر ورسخوا
فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر
بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعى تحقق
المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة بدل من الذين
كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلعم
ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا
ومالؤوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمن
المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون
سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه وفى نصره للمؤمنين وتسليطه اياهم عليهم
فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فى الحرب فشرد بهم ففرق عن
مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد
التفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة فكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم
والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء لعلهم يذكرون
لعل المشردين يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات

تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة
ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد
وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا على طريق سوي او منه او
من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ
والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف ولا تحسبن
خطاب للنبي وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص
بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم
فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول
فلا يحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا
صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم
سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله او لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم
وكذا ان كسرت الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الاية ازاحة لما
يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا
ايها المؤمنون لهم لناقضي العهد او للكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى
به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه الصلوة والسلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي
قالها ثلثا ولعله عليه السلام خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي
تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا و
رابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء
وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون
به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد
عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة واخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود
وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم
يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون
بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام
والى للسلم للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم
وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب
يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم
خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم
العليم بنياتهم والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل
عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان
محسبك وكافيك قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب

اي لا تحاربهم

وتشبعوا

وتشبعوا هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع
ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد
يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم
وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي تناهى عداوتهم
الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على
الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب
يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم
انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الاية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد
لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى
تصافوا فصاروا انصارا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين اما
في محل النصب على المفعول معه كقوله فحسبك والضحاك سيف مهند او الجر عطفا
على المكني عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنون والاية
نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم
اسلم عمر فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض المؤمنين
على القتال بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت
وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم
مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد
بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء
في الايتين ووافقهم البصريان في فان يكن منكم مائة صابرة بانهم قوم لا يفقهون
بسبب انهم جهلة بالله واليوم الاخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي
الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الان
خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب الله على الواحد مقاومة
العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل
كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد
المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن
وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم
وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف
لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرأ البصريان
بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز
الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن

انه اذا كانت الهيجاء واستجد القنا

بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد الآخرة
يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ
بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا
والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها
كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه
وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه السلام أتي
يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فقال ابو بكر
قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك
وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكني
من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين
من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك
يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك
يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه و
اخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو و
ابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت
فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه
الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون
خطأ ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته
في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر
او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم
لنالكم فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم روي انه عليه السلام قال لو نزل
العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار الى الاثخان
فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت
والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث
من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر
اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها
على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر
لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى وقرأ
ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا
مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله ان يفدي نفسه

وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف
قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك
وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك
ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي
تعالى قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع
عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله
خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني
زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني
الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك
نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل
فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك
منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم
حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها
على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم
الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم
اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة
دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة
والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا
اي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة
كالكتابة والامارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم في الدين
فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم
ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين
كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث والموازرة وهو بمفهومه يدل على منع
التوارث او الموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه ان لا تفعلوا ما امرتم
به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم
وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان و
ظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا و
جاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا
لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا
ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد
لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه

ثم الحق بهم في الامرين من سيلتحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين امنوا من بعد
وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله في حكمه او في اللوح او القران
واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم من المواريث و
الحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة
وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة
وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته سورة براءة مدنية وقيل الا
ايتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي اخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة و
المقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية و
الفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة
للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبرؤ منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها
والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشرد بهم ويدمدم عليهم واٰيها
مائة وثلثون وقيل وتسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان
وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او اية
بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها
لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة
في انهما سورة واحدة وهي سابع السبع الطول او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب
بسم الله براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره
واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر الى
الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله
بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله وبرسوله و
المعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت
صادرة باذن الله واتفاق الرسول فانهما بريئا منها وذلك انهم عاهدوا
مشركي العرب فنكثوا الا اناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى
الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال فسيحوا في
الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في
شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من
ربيع الاخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليا راكبا العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر اميرا
على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا

في التوارث من الاجانب م

علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال
امير او مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم
وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم
فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب
البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا
كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يؤدي عني الا
رجل مني ليس على العموم فانه بعث عليه السلام لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا
من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه
على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان
يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان
امهلكم وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الاخرة
واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان
والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه
تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام وقف
يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر اليوم وقيل يوم عرفة
لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان
المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج
اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه
عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله بريء من المشركين اي من عهودهم و
رسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء
للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا
تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام
بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر
فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام و
الوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في
الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الاخرة الا الذين عاهدتم من
المشركين استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ
العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط
العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا
من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين
ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا

انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر
الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة
والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ
ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل
وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا
بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد
وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة واتوا
الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم
بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان
الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف
ووعد لهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المامور بالتعرض لهم استجارك
استامنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبر
ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع
بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او
الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من
امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند
رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه
مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف
وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف
له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين
الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء
او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم
منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم
فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم
غير انه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين
سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على
العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف
وهاتا هضبة وقليب اي فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم
ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان
لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل ربوبية ولعله
اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم

فان كانت شرطية فالمعنى يجب عليكم الاستقامة على الوفاء على ما استقاموا على العهد وان كانت مصدرية فالمعنى فاستقامتكم على الوفاء بسبب استقامتهم على العهد

وشهروه

وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف
ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده او من ال
البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرائل وجبرئل
ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استيناف لبيان
حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز
جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات
ارضائهم للمؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان
الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتابى قلوبهم
ما يتفوهون به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا
مروة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر و
التعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله استبدلوا بالقرآن
ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله
دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان
اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل
عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول
عام في المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم
ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا عن الكفر
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم
وعليهم ما عليكم ونفصل الايات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تامل ما
فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم
وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم
بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر
موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر
احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم
وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح
عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن انهم لا ايمان
لهم اي لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي
اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليس
يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان
نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من
لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار

اذ لو كان حالا لكان المعنى وان يظهروا عليكم لا يرقبوا حلفا وعهدا في حال كونكم مرضين بافواههم في الزمان المنفصل بدليل ان الاستقبالية فلا يفيد اثباتا للارضاء في الحال والمقصود ذلك

عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبون لاجل لعلهم ينتهون متعلق
بقاتلوا اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم
كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة
دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها
مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا
باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما مر ذكره في قوله واذ
يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة
وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه السلام بداهم بالدعوة و
الزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة
فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان
ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره
ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال
بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم
ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا
مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله
بما وعدهم والاية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم
يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان
على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة
قوم اخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على
وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين
وام منقطعة ومعنى همزتها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد
نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه
ولم يتخذوا عطف على جاهدوا وداخل في الصلة من دون الله ولا رسوله
ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من
معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه
وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان
يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما
جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو

ويعقوب

ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول
وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة
بيت الله وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك
وقطيعة الرحم واغلظ له علي في القول فقال ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون
محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني
فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار
هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام
الصلوة واتى الزكوة اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات
العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة
العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا و
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان
زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور
ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله
قرينته وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة واتى الزكوة عليه
ولم يخش الا الله اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل
يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا
لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم
مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك
باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله
السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره
اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن امن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من امن ويؤيد
الاول قراءة من قرا سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون
واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون
عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة
ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم
الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين
الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة
عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية
والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ

حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين
فيها ابدا اكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر
عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعم الدنيا يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
اباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا
ان هاجرنا قطعنا اباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا
ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى
لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا
الكفر على الايمان ان اختاروه وحرضوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون
بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع
الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم واموال اقترفتموها
اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فانه
لا يدخل تحت التكليف التحفظ عنه فتربصوا حتى ياتي الله بامره جواب ووعيد و
الامر عقوبة عاجلة او اجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا
يرشدهم وفي الاية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة
يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر في ايام
مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم
منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى
تقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب
فيه رسول الله والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة التي حضروا فتح مكة والفان
انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة الاف فلما التقوا قال النبي
او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا
شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم
مكة وبقي رسول الله في مركزه ليس معه الا عمه العباس اخذا بلجامه وابن عمه
ابو سفيان بن الحرث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس و
كان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة
فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين
فقال عليه السلام هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا
ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اي الكثرة شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت
عليكم الارض بما رحبت برحبها اي سعتها لا تجدون فيها مفرا تطمئن اليه نفوسكم

من شدة الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم اي الكفار
ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال
ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين
الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا
مع الرسول ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا
خمسة الاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل
والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا
ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور
رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤوا الى رسول الله
واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا و
اولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من
الابل والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا
ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله وقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين
وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده
سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى
نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم
من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين
امنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب
عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يتجنبون عن النجاسات فهم ملابسون
لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس ان اعيانهم
نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر
ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب
للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول
مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في
المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة
وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم
وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم الله
من فضله من عطائه او تفضله بوجه اخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء
عليهم ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم
وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية
او حال ان شاء قيده بالمشيئة لينقطع الامال الى الله ولينبه على انه متفضل

فشانه بالنصب اي وليلزم شانه وبالرفع اي فقد لزم شانه

الوطيس الحفرة التي توقد فيها النار

في ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام
ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله
ولا باليوم الاخر اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فايمانهم
كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل
رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا
وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها من
الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم
ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي عن يد مؤاتية بمعنى
منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع
من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى
عاجزين اذلة او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى
نقدا مسلمة عن يد الى يد وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس تؤخذ الجزية من الذمي
ويوجأ عنقه ومفهوم الاية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر لم يكن
يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه عليه الصلوة والسلام اخذها من
مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب
فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة
تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه عليه السلام صالح عبدة الاوثان
الا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة
دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما
وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب
وقالت اليهود عزير ابن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا
ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التورية وهو لما احياه
الله تعالى بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما
هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية قرئت
عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين
على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه
للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف
والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب و
انكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه
استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص
واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم

ونفي

وذلك ان قوله تعالى بعد هذا الكلام ذلك قولهم بافواههم
اشارة الى الحالة المحكية عنهم لا الى الافراد ولا انكار في
لخرا الكلام والصفة مع الموصوف خبر غير مستقل فلا ينصرف
الانكار اليه مع انه المقصود بالانكار فتعين جعله مبتدأ
وخبرا مدكر
وجهه المجاز بان يراد انما يظهر عليهم من تعظيم عزير والمسيح يشعر
باعتقاد الالوهية فيهما فيصح ان يقال انهم قالوا بالوهيتهما ويكون
من باب اطلاق المسبب على السبب وهو مجاز مشهور كذا

ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي
يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان يضاهؤن قول الذين
كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه من قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او
المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة
المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل
للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان
من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن
الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان
اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم
بان جعلوه ابنا لله وما امروا اي وما امر المتخذون او المتخذون اربابا
فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا
وهو الله تعالى واما طاعة الرسل وسائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة
طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما
يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا يخمدوا نور الله
حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القران او نبوة محمد عليه الصلوة
والسلام بافواههم بشركهم او تكذيبهم ويأبى الله لا يرضى الا ان يتم
نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال
نبوة محمد بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الافاق يريد الله
ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي
ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويأبى الله
الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه وضع المشركون موضع
الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في
ليظهره للدين الحق او للرسول واللام في الدين للجنس اي على سائر الاديان
فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان
ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذونها بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا
لانه الغرض الاعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان
فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون الذين
يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه فيكون اقترانه بالمرتشين من اهل

الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله صلى الله عليه وسلم
ما ادى زكوته فليس بكنز اى بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما
امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوى بها ونحوه فالمراد منها
ما لم يؤد حقها لقوله عليه السلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة ما من صاحب
ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من
نار فتكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكى بها يوم يحمى عليها في
نار جهنم اى يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء
للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود
فانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان
المراد بها دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي كرم الله وجهه اربعة الاف وما دونها
نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او للاموال
فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها
ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس
البهية اولانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم اولانها
اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التى هي الدماغ والقلب
والكبد اولانها اصول الجهات الاربع التى هي مقاديم البدن ومآخره وجنبتاه
هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها
فذوقوا ما كنتم تكنزون اى وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون
ان عدة الشهور اى مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر
شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثنى عشر وقوله يوم خلق
السموات والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا او
المعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة منها
اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
ذلك الدين القيم اى تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابرهيم واسمعيل
والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها
والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي
فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل
للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روى
انه صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة

وقاتلوا

وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهي مصدر كف عن الشيء فان
الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين
بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء اى تأخير حرمة الشهر الى
شهر اخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا
اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع انما النسي
بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وثلثتها
مصادر نسأه اذا اخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما
حرمه فهو كفر اخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا زائدا وقرأ
حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله
يحلونه عاما يحلون المنسي من الاشهر الحرم سنة ويحرمونه مكانه شهرا اخر
ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف
الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه
ثم ينادي في القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير
للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله اى ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة
واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطأة
العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء
للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله
لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين امنوا ما لكم
اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل و
اثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل
فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في
وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا
وغرورها من الاخرة بدل الاخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها
في الاخرة في جنب الاخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما
استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو
ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم اخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس
ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء
وفي كل امر وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم اى ولا تضروه فان الله وعد له
بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير
الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اى ان لم تنصروه
فسينصره الله كما نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه

الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد
اوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد
الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج و
قرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه
على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع
والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا
اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر رضي الله عنه لا تحزن
ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق
ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلوة والسلام ما ظنك
باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه
وقيل لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت
عليه فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي
صلى الله عليه وسلم او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها
يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب
وحنين فيكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى
يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام
والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله عليه وسلم عن ايدي الكفار الى المدينة
فانه المبدأ له او بتأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له
حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ
لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه
ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا
خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او
ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما
قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل
ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما
كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم
تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا اي
لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل الماخذ وسفرا قاصدا متوسطا
لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ
بكسر العين والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين
لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا

بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد
جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون
انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع
للنفس في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم
كانوا مستطيعين للخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في الاذن فان
العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى
لاي شيء اذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا بالاكاذيب وهلا
توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل
انما فعل رسول الله شيئين لم يؤمر بهما اخذ الفداء واذنه للمنافقين
فعاتبه الله عليهما لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان
يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك
في ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن
فيه فضلا ان يستأذنوا في التخلف عنه او ان يستأذنوك في التخلف كراهة ان
يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما
يستأذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر تخصيص الايمان
بالله واليوم الاخر في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع
عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون
يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ عده
بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعده بكسر
العين باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله
ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اي
نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين
تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر
بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول صلى الله عليه وسلم لهم
والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا
فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك
ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي
وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك
لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة و
التضريب والهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة
يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخوف فيما بينكم او الرعب في قلوبكم والجملة حال

من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم
او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم
وما يتأتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني
يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعدما خرجوا مع الرسول
صلى الله عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد
وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكائد والحيل ودوروا الاراء في
ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتأييد الالهي وظهر امر الله وعلا دينه
وهم كارهون اي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم
بالمبادرة الى الاذن والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله
وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم
تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة الى الاذن ولذلك
عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في
الفتنة اي العصيان والمخالفة بان لا تأذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة
متخلف اذن له او لم يأذن او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل
لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار
اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني الا في
الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وظهور النفاق
لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيمة او الان
لاحاطة اسبابهم ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم
لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد
يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رأيهم في التخلف
ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهم
فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته
وايجابه من النصرة او الشهادة او كتب لاجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا
مخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيّبنا وهو من فيعل لا من فعّل لانه من بنات
الواو لقولهم صاحب السهم يصيب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما
قصد به وقيل من الصوب هو مولينا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل
المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا
الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة
والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوأيين ان يصيبكم الله بعذاب من
عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا

ما هو

ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اي لن
يقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في
عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب
قول جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان
لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستيناف وما
بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله
وبرسوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء
لان تأنيث النفقات غير حقيقي وقرئ يقبل على ان الفعل لله ولا يأتون
الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم
لا يرجون بها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا
اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة
الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد
والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر
في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون
بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون
منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون
ملجأ حصنا يلجؤن اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل
من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مُدخلا اي مكانا يُدخلون فيه
انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم
يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة
ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك في الصدقات
في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها نزلت
في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم
ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل
يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجأة نائب مناب
الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما آتيهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من
الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول صلى الله
عليه وسلم كان بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله
صدقة او غنيمة اخرى ورسوله فيؤتينا اكثر مما اتانا انا الى الله راغبون
في ان يغنينا من فضله والآية بأسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان

خير لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول صلى الله
عليه وسلم إنما الصدقات للفقراء والمساكين أي الزكوات لهؤلاء المعدودين
دون غيرهم وهو دليل على أن المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنائم
والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه أصيب فقاره
والمسكين من له مال أو كسب لا يكفيه من السكون كأن العجز أسكنه ويدل عليه
قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين وأنه عليه الصلاة والسلام كان يسأل المسكنة
ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى أو مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين
في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم أسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف
قلوبهم أو أشراف يترقب بإعطائهم ومراعاتهم إسلام نظرائهم وقد أعطى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس
لذلك وقيل أشراف يستألفون على أن يسلموا فإنه عليه الصلاة والسلام كان
يعطيهم والأصح أنه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم
من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة وقيل كان سهم المؤلفة
لتكثير سواد الإسلام فلما أعزه الله وكثر أهله سقط وفي الرقاب وللصرف
في فك الرقاب بأن يعاون المكاتب بشيء منها على أداء النجوم وقيل بأن يبتاع
الرقاب فتعتق وبه قال مالك وأحمد أو بأن يفدى الأسارى والعدول عن اللام
إلى في للدلالة على أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للإيذان بأنهم أحق بها
والغارمين المديونين لأنفسهم في غير معصية إذا لم يكن لهم وفاء أو لإصلاح
ذات البين وإن كانوا أغنياء لقوله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني إلا
لخمسة لغاز في سبيل الله أو لغارم أو رجل اشتراها بماله أو رجل له جار مسكين
فتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني أو لعامل عليها وفي سبيل الله و
للصرف في الجهاد بالإنفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي
بناء القناطير والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله
مصدر لما دل عليه الآية أي فرض لهم الصدقات فريضة أو حال من الضمير المستكن
في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الأشياء في
مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالأصناف الثمانية ووجوب
الصرف إلى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك وإليه
ذهب الشافعي رحمه الله وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة
والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين جواز صرفها إلى صنف واحد وبه كان
يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله على أن الآية بيان أن الصدقة لا تخرج منهم
لا إيجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن يسمع

كل

كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته
آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك أو اشتق له فعل من أذن أذنا إذا
استمع كأنف وشلل روي أنهم قالوا محمد أذن سامعة نقول ما شئنا ثم
نأتيه فيصدقنا بما نقول قل أذن خير لكم تصديق لهم بأنه أذن ولكن لا على
الوجه الذي ذموا به بل من حيث أنه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله
يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الأدلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم
لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين إيمان التصديق فإنه بمعنى التسليم
وإيمان الأمان ورحمة أي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن أظهر الإيمان حيث
يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم
وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئت بالنصب على أنها علة
فعل دل عليه أذن خير لكم أي يأذن لكم رحمة وقرأ نافع وأذن بالتخفيف فيهما
وقرئ أذن خير على أن خير صفة له أو خبر ثان والذين يؤذون رسول
الله لهم عذاب أليم بإيذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا
أو تخلفوا ليرضوكم أي لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله أحق
أن يرضوه أحق بالإرضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين
أو لأن الكلام في إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وإرضائه أو لأن التقدير
والله أحق أن يرضوه والرسول كذلك إن كانوا مؤمنين صدقا ألم يعلموا أنه
أي الشأن وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق الله مفاعلة من الحد
فأن له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر أي فحق أن له أو على تكرير أن للتأكيد
ويحتمل أن يكون معطوفا على أنه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله
ورسوله يهلك وقرئ فإن بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم
يحذر المنافقون أن تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم
وتهتك عليهم أستارهم ويجوز أن يكون الضمائر للمنافقين فإن النازل فيهم
كالنازل عليهم من حيث أنه مقرو ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم أيضا
في كفرهم وأنهم لم يكونوا على بت في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بشيء وقيل إنه خبر
في معنى الأمر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزءوا إن
الله مخرج مبرز أو مظهر ما تحذرون أي ما تحذرونه من إنزال السورة فيكم أو
ما تحذرون إظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض و
نلعب روي أن ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة
تبوك فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه
هيهات هيهات فأخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا

لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب
ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزؤن
توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا تعبأ
باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة
الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن
فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم
ولتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين
على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ
بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا
الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اى
متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد وقيل انه تكذيبهم
في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه
يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي
وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض
اليد كناية عن الشح نسوا الله غفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم
من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق عن
دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين
فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم
الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه
او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اى انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل
الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم
بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا و
اشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما
استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة
من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ
الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل
كالذي خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه
اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين
واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والاخرة الم يأتهم نبأ الذين من
قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة
وقوم ابرهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب مدين واهل

وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قرى قوم لوط ائتفكت
بهم انقلبت فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات
المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم
يعني الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم اى لم يك من عادته ما يشابه ظلم الناس
كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر
والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله في سائر الامور
اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب
على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها
النفس او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد
والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود وعنه عليه الصلوة والسلام
عدن دار الله التي لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة
النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف
فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجمع على سبيل التوزيع او
الى تغاير وصفه وكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي
يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه مخفوف بطيب
العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا يخلو عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار
العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال
ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل
الوصول والفوز باللقاء وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة
هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك
فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل
عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اى الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز
العظيم الذي يستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم
ومأويهم جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه عليه
الصلوة والسلام اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القران ويعيب
المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا

لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله
ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا
بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من قتل
الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك
ان يدفعوه عن راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر
بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة
بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا
او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابى وان لم
يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا او ما وجدوا ما يورث
نقمتهم الا ان اغنيهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج فى
ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اثروا بالغنائم و
قتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثنى عشر الف درهم
فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا
لهم هو الذى حمل الجلاس على التوبة والضمير فى يك للتوب وان يتولوا بالاصرار
على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والاخرة بالقتل والنار وما
لهم فى الارض من ولى ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن
اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت فى ثعلبة بن حاطب
اتى النبى صلى الله عليه وسلم قال ادع الله ان يرزقنى مالا فقال عليه الصلوة والسلام
يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذى بعثك
بالحق لئن رزقنى مالا لاعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما
فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة و
الجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد
فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ
الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة
واقرأه الكتاب الذى فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت
الجزية فارجعا حتى ارى رأيى فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعنى
ان اقبل منك فجعل التراب يحثو على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم
تطعنى فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابى بكر فلم يقبلها ثم جاء
بها الى عمر فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى زمان عثمان رض فلما اتيهم من فضله
بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم
الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم اى فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا

وسوء اعتقاد فى قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم
البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون
عمله اى جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما
وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه
فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ
يكذبون بالتشديد الم يعلموا اى المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء
على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه فى انفسهم من النفاق او العزم
على الاخلاف ونجويهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية
وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او
منصوب او بدل من الضمير فى سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين اى
المتطوعين من المؤمنين فى الصدقات روى انه صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة
فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال كان لى ثمانية الاف
فاقرضت ربى اربعة وامسكت لعيالى اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى
امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق
تمر وجاء ابو عقيل الانصارى بصاع تمر فقال بت ليلتى اجر بالجرير على صاعين
فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على
الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء
ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابى عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه
ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم و
قرئ بالفتح وهو مصدر جهد فى الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزؤن بهم
سخر الله منهم جازاهم الله على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم
على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوى بين الامرين فى عدم
الفائدة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم
روى ان عبد الله بن عبد الله بن ابى وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه الصلوة والسلام لازيدن
على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله
لهم وذلك لانه عليه الصلوة والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص
لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد
به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة
ونحوها فى التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانه العدد باسره

ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم
قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب
الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم
وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر و
الارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي
والتنبيه على عذر الرسول صلى الله عليه وسلم في استغفاره وهو عدم
يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار
بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو
كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم
خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم
ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال وكرهوا ان
يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض على طاعة
الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج
وقالوا لا تنفروا في الحر اي قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا قل
نار جهنم اشد حرا وقد آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان
مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم في
الدنيا والاخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان
يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان
رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين
يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون
اثني عشر رجلا فاستأذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا
معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى نهي للمبالغة انكم رضيتم
بالقعود اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة
لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين
اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على
قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه
في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب
ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه
ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافأة

لالباسه

لالباسه العباس قميصه حين أسر ببدر والمراد بالصلوة الدعاء
للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على
قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع
فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة انهم
كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتأبيد الموت
ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا و
تزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتأكيد والامر حقيق به فان الابصار
طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان يكون
هذه في فريق غير الاول واذا انزلت سورة من القران ويجوز ان يراد بها
بعضها ان امنوا بالله بان امنوا بالله ويجوز ان تكون ان المفسرة و
جاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم ذووا الفضل والسعة
وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا
مع الخوالف النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع
على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما
في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم
وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم و
اولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة
في الاخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيّرة
واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات
الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان
استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل
قالوا ان غزونا معك اغارت طيء على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذّر في
الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر
بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين
وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب المعذرون من اعذر اذا اجتهد
في العذر وقرئ المعّذرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو
لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او
بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقوا
الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين
فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين

فاتى منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على
الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما
ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبنى عذرة حرج اثم فى التأخر اذا نصحوا
لله ورسوله بالايمان والطاعة فى السر والعلانية كما يفعل الموالى الناصح
او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما
على المحسنين من سبيل ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع
المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون فى سلك المحسنين غير معاتبين
لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما
اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من
الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنسا وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير و
ثعلبة بن عنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو
معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد و
النعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف فى اتوك
باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل من الدمع اى دمعها فان
من للبيان وهى مع المجرور فى محل النصب على التمييز وهو ابلغ من تفيض دمعها
لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال
او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اى لئلا يجدوا متعلق بحزنا
او بتفيض ما ينفقون فى مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك
وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استيناف
لبيان ما هو السبب لاستيذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة و
الانتظام فى جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن
وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم فى التخلف اذا رجعتم
اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن
لكم لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحى الى نبيه بعض
اخباركم وهو ما فى ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله
اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة اى اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على
انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم
بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم
اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوا انهم رجس

لا ينفع

لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهو
هؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة
ومأويهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار
لا ينفع فيهم التوبيخ فى الدنيا والاخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار
كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون
مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم فتستديموا عليهم
ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم
الفاسقين اى فان رضاكم لا يستلزم رضاء الله ورضاكم وحدكم
لا ينفعهم اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم ان
يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل
الهوان بهم والمقصود من الاية النهى عن الرضاء عنهم والاغترار
بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب
اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم
مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر ان
لا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع
وفرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم
فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ
يعد ما ينفق يصرفه فى سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا
يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابه وانما ينفق رياء او تقية ويتربص
بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق
عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او اخبار عن
وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة فى الاصل مصدر او اسم فاعل من دار
يدور سمى بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة
كقولك رجل صدق وقرأ ابن كثير وابو عمرو السوء هنا وفى الفتح بضم
السين والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب
من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب
قربات وهى ثانى مفعولى يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات
الرسول اى وسبب صلواته لانه صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين
ويستغفر ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته
لكن ليس له ان يصلى عليه كما قال عليه الصلوة والسلام اللهم صل على
آل ابى اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم

شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع
حرف التنبيه وان المخففة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش قربة
بضم الراء سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم كالسين
لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره قيل الاولى في اسد و
غطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون
الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا
بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى
وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين او الذين امنوا
حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على و
السابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من
القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة رضي الله عنهم
بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية
والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها
كما هو في سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم
وممن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة و
اسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم
او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف واقامة
الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين

اخرى
متى اضع العمامة تعرفوني

فصل بينها وبينه بالعطف على الخبر او كلام مبتداء لبيان تمرنهم وتمهرهم في
النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم
في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق
فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا وان لبسوا عليك
لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او
باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ثم يردون الى
عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا
من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم
على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فراهم فسئل
عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال عليه السلام
وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف

بالذنب

بالذنب باخر سيئ هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى
الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد
منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي
مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن
التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا
قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال
عليه الصلوة والسلام ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم
عن الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى
طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم و
ترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار
لهم ان صلوتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها
لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع
باعترافهم عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد
ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد
به التحضيض عليها ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته
بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا
ليؤدي بدله وان الله هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة التا
التائبين والتفضل عليهم فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم
وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا
ورسوله والمؤمنون فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون
الى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة
عليه وآخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون اي موقوف امرهم من ارجأته
اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما
لغتان لامر الله في شانهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب
عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين
بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم حكيم بما يفعل بهم وقرئ والله
غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن
الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا
عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله
فرحمهم الله تعالى والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او
مبتداء خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص

وقراء نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني
عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيهم فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا
مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام
فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا
مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى
نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم و
معن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي رضي الله عنهم فقال عليه السلام
لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل
واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين
المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قباء وارصادا ترقبا
لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل
يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي من قيصر
بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا
وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل
متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء
بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا
فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا
ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة
على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا
للصلوة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قبا اسسه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق
للقصة او مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول ابي سعيد رضي الله عنه
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة
من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله **شعر**
لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم اولى بان
تصلي فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة
طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين
يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا
فاذا الانصار جلوس فقال عليه السلام امؤمنون انتم فسكتوا فاعادها
فقال انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلوة والسلام اترضون
بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون
في الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلوة والسلام مؤمنون ورب الكعبة
فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون
عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار
الثلاثة ثم نتبع الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه
بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي
التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس بنيانه على شفا جرف
هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم
فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا
الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه
امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به في
النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر
يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله تعالى ومقتضياته التي هي الجنة
ادناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة
فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر اسس على
البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس على الاضافة واسس و
اساس واساس بالكسر وثلثها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف
للالحاق لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف
والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم
الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك
قد يدخل التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا
ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم
فانه حملهم على ذلك ثم رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه
عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك
والاضمار في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد
بالتقطيع ما هو كائن بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطع بالتوبة
ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو
قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف و

تقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل
والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنائهم ان الله اشترى
من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم
الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون استيناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر
وقرا حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا يوجب
الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد
لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التورية والانجيل والقرآن مذكورا
فيهما كما اثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز
وتقرير لكونه فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح
فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون
رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان
يكون مبتدا خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا
لقوله وكلا وعد الله الحسنى وخبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة
هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين
العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الحامدون لنعمائه او لما نابهم
من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه الصلوة والسلام
سياحة امتي الصوم شبه بها لانه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة
نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون
للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف
بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف
فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون
بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من
الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها
وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو
العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك يسمى واو
الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع
المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن
الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل
عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين روي انه عليه الصلوة والسلام قال لابي طالب لما حضره الوفاة

اسم موضع بين مكة والمدينة وعند بدر كذا

قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه
فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا
فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار
لها فلم ياذن لي وانزل علي الآيتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين
لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار
لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابرهيم عليه السلام
لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها
اياه وعدها ابرهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق
للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرا اباه او وعدها ابرهيم ابوه
وهي الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي فيه بانه
لن يؤمن تبرأ منه قطع استغفاره ان ابرهيم لاواه لكثير التأوه وهو كناية
عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار
له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا ويواخذهم
مواخذتهم بعد اذ هديهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم
خطر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول في قوله لعمه او لمن استغفر
لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة و
الخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شيء عليم
فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان
كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرء عنهم راسا بين لهم ان الله مالك
كل موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه
ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبراوا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون
ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار من اذن
المنافقين في التخلف او براهم عن علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا
وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرون والانصار لقوله وتوبوا الى
الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه
توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من
عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك
كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان
الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد تزيغ

وماء الكرش

قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان
او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم وقرا حمزة وحفص يزيغ بالياء
لان تانيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم
المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما
كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رءوف رحيم وعلى
الثلثة وتاب على الثلثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين
خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم
الارض بما رحبت اى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة
الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها
انس ولا سرور وظنوا وعلموا ان لا ملجا من الله من سخطه الا اليه
الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول
توبتهم ليعدوا في جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد
اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم
مائة مرة الرحيم المتفضل عليهم بالنعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا
يرضاه وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية
وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اوفي توبتهم وانابتهم فيكون المراد به
هؤلاء الثلثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان
يتخلفوا عن رسول الله نهى عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا
بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا
معه ما يكابده من الاهوال روى ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكان له امراة
حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء
البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء
ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه
ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه
السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل
عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم
لا يصيبهم ظما من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل
الله ولا يطئون موطئا لا يدوسون مكانا يغيظ الكفار يغضبهم
وطئه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به
عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ان الله

الضحى الشمس والريح الحار

لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان
الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب
المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار
واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل
ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو
كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض
الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون
جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا
كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا
يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل
بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه و
يتجشموا امشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا
غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم و
تخصيص بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض
الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع
على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما
ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة
يقتضي ان ينفر من كل ثلثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر
فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر اخبارا لم تتواتر لم يفد ذلك
وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل
للاية معنى اخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون
الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة
الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو
الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة
فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف
النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اى ولينذر البواقي قومهم
النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها
الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب
منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا بانذار
عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود

والتشبيه بالظلمة في مجالسهم وملابسهم ومراكبهم ومناقشة
بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم او شرذمة جثوا
بين ايديهم لك

حوالى المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا
يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة
وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها
واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت
سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته
هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على فعل اضمار يفسره زادته
فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر
السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون
بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين
فى قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى
الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه
اولا يرون يعنى المنافقين وقرئ بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف
البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر
عليه من الايات فى كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا
يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة
نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا
لما فيها من عيوبهم هل يريكم من احد اى يقولون هل يريكم احد ان قمتم من
حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم
احد اقاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم
عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم
لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من
انفسكم من جنسكم عربى مثلكم وقرئ من انفسكم اى اشرفكم عزيز عليه
شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم اى على
ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قدم الابلغ
منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل
فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبى الله فانه يكفيك معرتهم و
يعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف
الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط
الذى ينزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابى
ان اخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل القران على الا اية اية
وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة

ان كان الشك فى القلب مرضا لانه فساد يحتاج الى علاج
كالفساد فى البدن ومرض القلب اعضل وعلاجه اعسر
ودواؤه اعز واطباؤه اقل

بالمرض والقحط وغيرها

ان قاملين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا
لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح
بينهم

قراءة عائشة انفسكم بفتح الفاء

سورة يونس عليه السلام مكية وهى مائة وتسع ايات الا فان كنت الايتين

بسم الله الرحمن الرحيم الر
فخمها ابن كثير ونافع وحفص واما لها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء
تلك ايات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القران من الاى والمراد من الكتاب
احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته لم ينسخ شىء
منها اكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ
بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة
على انهم جعلوه اعجوبة لهم فوجهوا نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم من افناء رجالهم
دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس
الا يتيم ابى طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم الى الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة
الوحى والنبوة هذا وانه عليه السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا فى المال
وخفة الحال اعون شىء فى هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا
من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره فى سورة الانعام ان انذر الناس ان هى المفسرة
او المخففة من الثقيلة فتكون فى موضع مفعول اوحينا وبشر الذين امنوا عمم الانذار اذ قلما
من احد ليس فيه ما ينبغى ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا
به ان لهم اى بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها
كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها وللتنبيه على انهم انما ينالونها
بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
لسحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه
اعتراف بانهم صادفوا من الرسول صلى الله عليه وسلم امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن
المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض التى هى
اصول الممكنات فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما
اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر فى
ادبار الامور لتجىء محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله و
رد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله
اى الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه
احد فى شىء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة لا ما تعبدونه افلا تذكرون تتفكرون
ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت
او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم
وعد من الله حقا مصدر اخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدؤ الخلق ثم يعيده
بعد بدئه واهلاكه ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اى بعدله او بعدالتهم

فان كنت فى شك ... اوكثرها ... وعنهم من يقول بها ... ماءتان وتسع عشرة

قوله تلك الاشارة الى البعيد فى الموت قيل الاشارة الى الربعى ما ب
التكلم ... وما انقضى فى حكم المتباعد او الاشارة الى النازل قبل وبهولى
ان يقال انه للتعظيم فان التعظيم ببعد المشار اليه نحو فذلكن الذى لمتننى فيه
لم يقل هذا وهو حاضر رفعا لمنزلته فى الحسن واستبعاد لمحله

اميلت لمحل الفرق بين الاسم والحرف فقال سيبويه وقالوا يا تا فى حروف المعجم
بعض بالامالة لانها اسماء ما يتلفظ به فليست مثل ما ولا وغيرها من الحروف
المبنية على السكون وانما جاءت كسائر الاسماء

لشاهد الملائكة بعد شىء فيعبرون وكان تصريف الخلق حالا بعد حال
احكم وابعد من ... الاتفاق لان بعض الكفرة قال حدث الخلق
اتفاقا

وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه
لمقابلته قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه
ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم
للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابدا والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع
بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب
الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشوم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم
جميعا فانه لما كان المقصود من الابدا والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان
مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا
بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او
جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القرآن على القلب
بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور وسمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت
وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها و
القمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اي قدر مسير
كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة
منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب حساب الاوقات
من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق
مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة نفصل الآيات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتامل فيها
وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في
السموات والارض من انواع الكائنات لآيات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته
لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه
لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة لغفلتهم
عنها واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون
من لا يزعج عنها والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف
اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات راسا والانهماك
في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر
البعث ولم ير الا الحياة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التامل في الآجل والاعداد
له اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى
الجنة او لادراك الحقائق كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه
في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح كالتتمة
لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف

له تجري من تحتهم الانهار استئناف او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله
في جنات النعيم خبر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دعواهم فيها اي دعاؤهم
سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة
اياهم فيها سلام وآخر دعواهم وآخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك
ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت
الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه
واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد لله
ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم الخير
اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم والمراد شر استعجلوه
كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين
استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي
اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى
وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف
دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا
واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا
او قاعدا او قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا
عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر على الكفر او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كأن
لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال ونحر مشرق اللون كأن ثدياه
حقان الى ضر مسه الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون
من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما
ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم
بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا وما كانوا
ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون
على كفرهم واللام لتأكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل
واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع
المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم
استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون
خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل
فيه ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها
ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون
لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث

والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب الهتنا او بدله بان تجعل مكان الاية
المشتملة على ذلك اية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي
ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب
عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل
لما يكون فان المتبع لغيره في امر لا يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض
الايات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد
التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه
ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا
ادريكم به ولا اعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولادراكم به بلام التأكيد اي لو شاء الله
ما تلوته عليكم ولا علمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به
لارسل به غيري وقرئ ولا ادرأتكم ولا ادرأكم بالهمز فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة
من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال
والمعنى ان الامر بمشيئة الله لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد
لبثت فيكم عمرا مقدار اربعين سنة من قبله من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى
ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد
عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كل منظوم
ومنثور واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الآخرين
على ما هي عليه علم انه معلم به من الله افلا تعقلون اي افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر
فيه لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما اضافوه اليه كناية او تظليم
للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب بآياته فكفر بها انه لا يفلح
المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر و
المعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء
الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا وفي الآخرة ان يكن بعث وكانوا
كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة
ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه
بما لا يعلم وهو ان له شريكا او هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بجميع
المعلومات لا يكون له تحقق ما في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة
على ان ما يعبدون من دون الله اما سماوي واما ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو
حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين
يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي موضعين في اول النحل والروم بالتاء وما كان الناس
الا امة واحدة موجودين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل

او بعد الطوفان

او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة
الرسل فتبعهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم بينهم او العذاب
الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والقضاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون
باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الآيات التي اقترحوها
فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة مفاسد تصرف
عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لجحودكم
ما نزل علي من الآيات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة
من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل
قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون في
آيات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم
وانما دل على سرعتهم المفضل عليها بكلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر
اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون
تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على
الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم
منه في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة
للمبالغة كانه يذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها
بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف
شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم هلكوا او
سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك
لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من
لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة
القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجؤا الفساد فيها وسارعوا
الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق
زروعهم وقطع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم
او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحياة الدنيا منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها
ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا
وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع الحياة الدنيا
او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحياة
الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبره ثم الينا مرجعكم في يوم القيمة
فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحياة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها و
ذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض

فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما يأكل الناس والانعام من الزروع والبقول و
الحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت تزينت باصناف النبات واشكالها و
الوانها المختلفة كعروس اخذت من انواع الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت
فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة
وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها
اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا
شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن زرعها اى لم ينبت والمضاف محذوف فى الموضعين
للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل فى الوقت القريب والممثل به مضمون
الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاة وذهابه حطاما بعدما كان غضا والتف وزين
الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان ولى حرف التشبيه
لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون بها والله يدعو
الى دار السلام دار السلامة من التقضى والآفات او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه
على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدى من يشاء بالتوفيق
الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفى تعميم الدعوة وتخصيص
الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين
احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله تعالى ويزيدهم
من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل
الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هى اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشاها
قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم
ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال
فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها
عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز فى الدار زيد والحجرة عمرو والذين مبتدأ والخبر
جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اى ان يجازى سيئة
بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هى الفضل او التضعيف او كانما اغشيت
او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اى فجزاء سيئة
بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء
ما لهم من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل
والعامل فيه اغشيت لانه العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل فى الموصوف عامل
فى الصفة او معنى الفعل فى من الليل وقرأ ابن كثير والكسائى ويعقوب قطعا بالسكون فعلى هذا يصح ان
يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب

من الجوائح سيه

ان الآية

ان الآية فى الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب
الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعنى الفريقين جميعا ثم نقول للذين
اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله
وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا
الوصل التى كانت بينهم فى الدنيا وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما
عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا فى الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما
اشركوا به وقيل ان الله ينطق الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى يتوقعون منها وقيل
المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه
الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة هنالك فى
ذلك المقام تبلوا كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ
حمزة والكسائى تتلوا من التلاوة اى تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اى تتبع عمله فيقوده الى
الجنة او الى النار وقرئ نبلوا بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اى نفعل بها
فعل المختبر بحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد
نصيب بالبلاء اى بالعذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض
وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا موليهم الحق ربهم ومتولى امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه
مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون
من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها الهة قل من يرزقكم من السماء والارض منهما
جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم
وقيل من لبيان من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار امن يستطيع
خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها من ادنى شئ ومن يخرج
الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يحيى ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه
ومن يدبر الامر ومن يلى تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون
على المكابرة والعناد فى ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه
ما لا يشاركه فى شئ من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اى المتولى لهذه الامور المستحق للعبادة هو
ربكم الثابت ربوبيته لانه الذى انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق
الا الضلال استفهام انكار اى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله
وقع فى الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اى كما حقت الربوبية لله
او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة ربك وحكمه على الذين فسقوا تمردوا
فى كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها
العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها
لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان ينوب عنهم فى الجواب

فقال قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون
تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق
للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى يعدى باللام لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على
ان المنتهى غاية للهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسند
الى الله تعالى قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى ام الذى
لا يهتدى الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدى غيره الا ان يهديه الله
وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرا ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدى
بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتحت الهاء
بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدى باتباع الياء الهاء وقرا ابو عمرو بالادغام
المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ
الا ان يهدى للمبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضى صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما
يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق
على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمى منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى
بالتقليد الصرف ان الظن لا يغنى من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان
مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد
والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم الظن واعراضهم عن البرهان وما كان
هذا القرآن ان يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذى بين يديه مطابقا لما تقدمه
من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيارا عليها شاهد
على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذى
وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق الذى وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من
العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل فى حكم الاستدراك ويجوز
ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول فى المعنى وان يكون استينافا من رب العالمين خبر اخر تقديره
كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز
ان يكون حالا من الكتاب او الضمير فى فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه و
البرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الهمزة فيه للانكار قل فاتوا
بسورة مثله فى البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى فى العربية والفصاحة
واشد تمرنا فى النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به
من دون الله سوى الله فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل
سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا
بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما يأتهم
تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه او ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار

بالغيوب

بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق او كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم
فاجؤا التكذيب به قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع فى لما انه قد ظهر لهم بالآخرة
اعجازه لما كرر عليهم التحدى فرازوا قواهم فى معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع
ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين
من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم و
منهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به
ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به فى نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل
بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين وان كذبوك وان اصروا
على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لى عملى ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لى جزاء عملى
ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون لا تؤاخذون
بعملى ولا اواخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية
السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم
الذى لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى
صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك
لا توصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم فى تدبره وعقولهم لما كانت
مأوفة بمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعانى الدقيقة
ولم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك
ويعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدى العمى تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا
يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار
والعمدة فى ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير
الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبرى والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا
بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليهم
وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز
ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم
ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه وقرا حمزة بالتخفيف ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا
ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا او فى القبور لهول ما يرون والجملة
التشبيهية فى موضع الحال اى يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد
محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا
او لمصدر محذوف اى حشرا كان لم يلبثوا قبله
الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة
او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى يتعارفون

على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمالها فتنحوا عن المعاودة في تحصيل المعارف
فاكتسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم واما نرينك نبصرنك بعض الذي
نعدهم من العذاب في حياتك كما اراهم يوم بدر او نتوفينك قبل ان نرينك فالينا مرجعهم
فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على
ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم
او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم
الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل
فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول تنسب
اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمنين وعقاب
الكافرين لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا
له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا
نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه ولكن ما شاء
الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل
ارأيتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا
حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه
وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع
موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف
وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطأ فيه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ما
تعطيني ويكون الجملة متعلقة بارأيتم او قوله اثم اذا ما وقع آمنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه
آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام
على ثم لانكار التاخير الآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به
وعن نافع الآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء
ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون الا
بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من
الوعد او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان
الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان
فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع
النصب بيستنبئونك قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن
واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال اي والله و
لا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين فائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على

الغير

الغير ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه
بمعنى فداه واسروا الندامة لما رأوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة
الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها
او لانه يقال سر الشيء لخالصه من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره
اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم
والثاني مجازاة للمشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة
الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان
وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون
لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى
لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا
واليه ترجعون بالموت والنشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور
وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها
والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك
وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات
الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير
فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله
فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او
فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص
الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيئها
فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فيها فليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة
على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله
فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد
روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال قريب
وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها
المخاطبون قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء
محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارأيتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على
ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام
وحرث حجر وما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم
في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان
يكون المنفصلة متصلة بارأيتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام للانكار
وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب

اى شئ ظنهم يوم القيمة ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ
بلفظ الماضى لانه كائن وفى ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم
عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة
وما تكون فى شان ولا تكون فى امر واصله الهمز من شانت شانه اذا قصدت قصده و
وما تتلوا منه لان تلاوة القران معظم شان الرسول او لان القراءة تكون لشان فيكون
التقدير من اجله ومفعول تتلوا من قران على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفى او للقران
واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيص من هو
راسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا
عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن
ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرا الكسائى بكسر الزاى هنا وفى سورة سبا من مثقال
ذرة موازن نملة صغيرة او هباء فى الارض ولا فى السماء اى فى الوجود والامكان فان
العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام فى حال اهلها
والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين
كلام براسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرا حمزة ويعقوب بالرفع
على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على
محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله
الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات
مامول والاية مجمل فسره قوله الذين امنوا وكانوا يتقون وقيل الذين امنوا وكانوا يتقون
بيان لتوليهم لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين فى كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم
من الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفى الاخرة بتلقى الملائكة
اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين امنوا النصب او الرفع على
المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير
لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونه مبشرين فى الدارين هو الفوز العظيم هذه
الجملة والتى قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام
يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرا نافع يحزنك من احزنه
وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استيناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن
بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو
السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض من الملائكة
والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية
فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا او شريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من
دون الله شركاء اى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول

يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اى ما يتبعون يقينا وانما
يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع وموصولة معطوفة
على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين
اى انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف
عن خطابهم لبيان سندهم ومنشا رايهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى
الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق
العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو
السبب ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اى تبناه
سبحانه تنزيه له عن التبنى فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغنى
علة لتنزهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما فى السموات وما فى الارض تقرير لغناه
ان عندكم من سلطان بهذا نفى لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة فى تجهيلهم وتحقيقا لبطلان
قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم فى هذا من سلطان اتقولون
على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل
عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون
على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة
متاع فى الدنيا خبر مبتدا محذوف اى افتراؤهم متاع فى الدنيا يقيمون به رياستهم فى الكفر او
حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدا خبره محذوف اى لهم تمتع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت
فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم
نبا نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامى نفسى
كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كونى واقامتى بينكم مدة مديدة او قيامى على الدعوة وتذكيرى
اياكم بايات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اى مع شركائكم
ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف
على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم
وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعى
فى اهلاكه على اى وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم فى قصدى عليكم
غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا
اهلكتمونى وتخلصتم من ثقل مقامى وتذكيرى ثم اقضوا الى ذلك الامر الذى تريدون بى وقرئ
ثم افضوا من افضى اذا انتهى يعنى انتهوا الى بشركم او ابرزوا الى من افضى اذا خرج الى الفضاء
ولا تنظرون ولا تمهلون فان توليتم اعرضتم عن تذكيرى فما سالتكم من اجر يوجب توليكم

يحزرون

لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان اجري ما ثوابي على الدعوة و
التذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين
لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين
ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن
معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا
بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب
الرسول وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه
فجاءوهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعويهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقاموا لهم ان يؤمنوا
لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اي بسبب تعودهم تكذيب الحق
وتمرنهم عليه قبل بعث الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال
واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد
وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا
بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا
برسالة ربهم واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة
المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح
فيما بين اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه
ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون
الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم
فلان يخاف القالة لقوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المفعول ولا يفلح الساحرون من
تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان
العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كأنهم قالوا اجئتنا
بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت
والفتل اخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك
فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبرياء والتكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين
بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي سحار عليم
حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى
ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على
ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف و
تقديره أهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اي آلسحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده
تقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين
لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته

بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى في مبدأ
امره الا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون
الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمن آل
فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف من فرعون وملائهم اي مع
خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله
كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او
مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسببه وان فرعون لعال
في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء
وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا
عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان
المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط
ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين
مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا
تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفي تقديم
التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى موسى واخيه
ان تبوءا اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا
انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان
موسى يصلي اليها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم
ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان
التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد
والصلوة فيها مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة
وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما
واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما
علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة
بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم
لما جعلوها سببا للضلال فكأنهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا وتنبيها
على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها و
امحق وقرئ اطمس بالضم واشدد على قلوبهم اي واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان
فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما
بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن فاستقيما
فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته

روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الله
في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمينان بوعد الله وعن ابن عامر ولا تتبعان بالنون المخففة
وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر
اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل
كضعف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده بغيا و
عدوا باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ وعُدُوّا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال
آمنت انه اي بانه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائي
انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ
فيه حين لا يقبل الآن أتؤمن الآن وقد يئست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل
ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع
فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرأ يعقوب
ننجيك من انجا وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية من الساحل ببدنك في موضع الحال اي ببدنك
عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب
يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان
عليه منها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل
اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل
او لمن يأتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم
على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشأن وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ
لمن خلقك اي لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد
منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا
الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون
ولقد بوأنا انزلنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من
الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرأوا
التورية وعلموا احكامها او في امر محمد الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك
يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك
مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك
فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب
المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج
الرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته او لكل من يسمع اي ان كنت
ايها السامع في شك مما انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين

ينبغي

ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية
فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن
من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه
كقوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون
على الكفر او يخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل
آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى به مفقود حتى يروا العذاب الاليم
وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها
آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله تعالى
منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب
ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ويجوز ان تكون الجملة في
معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها
كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة
الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى
من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى اربعين فلما دنى
الموعد غامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا وطلبوا
يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم
وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات
والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان
يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا
مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين
وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشية الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره
الناس بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشية بالفاء وايلائها
حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشية مستحيل
فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على
ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت فلذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن بالله
الا باذن الله الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله
ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاء وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون على
الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله
واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا اي تفكروا ماذا في السموات
والارض من عجايب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية
علقت انظروا عن العمل وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية

او استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقايعهم
ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا
اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا
والذين امنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا
ومن امن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننج المومنين كذلك الانجاء او انجاء كذلك
ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من
كذلك قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون
من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على
العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه
ولكن اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفيكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون
من المومنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان
وان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على
ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن
معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت
بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او في الصلوة باستقبال
القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك
ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء
للشرط وجواب لسوال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك به فلا كاشف
له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي ارادك به ولعله
ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر
انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير
لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من
عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا الرحمة بالطاعة ولا تياسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها
الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القران ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة
فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها
وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك
بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال
وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطا في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من قرا سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس ومن كذب به
وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب مبتدا وخبر او كتاب خبر مبتدا محذوف احكمت اياته نظمت نظما محكما

لا يعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد كالنسخ فان المراد اياتك سورة
وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار
حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد
والاحكام والاخبار والمواعظ او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها
ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت اياته ثم فصلت
على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى
للكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على احمل ما
ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي الا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة
لان في تفصيل الايات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدا للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري
عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا انني لكم منه من الله
نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا
ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من الرجوع وقيل
استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم
متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى هو اخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم
بعذاب الاستيصال والارزاق والاجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة
الى كل احد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا
والاخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب
يوم كبير يوم القيمة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا
من ولي الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ للقياس وهو على كل شيء قدير فيقدر
على تعذيبهم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق
وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي عليه السلام او يولون ظهورهم وقرئ يثنوني
بالياء والتاء من اثنوني وهو بناء المبالغة ويثنون واصله يثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف
اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن من اثنان كابياض بالهمز
ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمومنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين
قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف
يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الاية مكية والنفاق حدث في المدينة الا حين يستغشون
ثيابهم الا حين ياوون الى فراشهم ويتغطون ثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون
بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور
بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها
ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا
على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحياة والممات او الاصلاب والارحام

كالصلب والرحم

او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة
كل كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ كأنه اريد بالآية
كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات بأسرها تقريرا للتوحيد
ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما
كما مر بيانه في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات
بالذات والاصل دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما ولم يكن حائل بينهما لا انه كان
موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام
هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق
اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب
ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها و
تستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر
والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن و
القبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل
ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي عليه السلام ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله
واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في
الخديعة او البطلان وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح
على تضمن قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى عل اي ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا
بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب
الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من
الوقوع الا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر
ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع
المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزءون اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون
فوضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة
ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه انه ليئوس
قطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ في كفران ما سلف له
من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف
الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح بطر بالنعم
مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على
ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة وانه يقع في الكفران
والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول الا الذين صبروا على الضراء

ايمانا

ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها ولاحقها
اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس
فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء
منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف
رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه
لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والثقة في التبليغ ههنا وضائق
به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل
عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم
يفسره ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا
او اقترحوا فما بالك يضيق صدرك به والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم و
فاعل بهم جزاء افعالهم واقوالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فأتوا
بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر
عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات من عند انفسكم
ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم
اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله
الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى فالم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم
اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول متناولا
لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ
ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله
ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله
العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله
آلهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه
مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم
يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم
لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون
في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة ومثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب
والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها باحساننا وبرنا
نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق
وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف و
الرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون
لا ينقصون شيئا من اجورهم والآية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم

قوله وللتنبيه معطوف على قوله من حيث انه يجب له
ونظهر عجز الفهم والتنصيص عن الكلام كنا بتصديقه بالجنان عليه صح

أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار مطلقاً في مقابلة ما عملوا لأنهم استوفوا
ما يقتضيه صور أعمالهم الحسنة وبقيت لهم أوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لأنه
لم يبق لهم ثواب في الآخرة أو لم يكن لأنهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها
هو الإخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على أن الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون
لأنه لم يعمل على ما ينبغي وكأن كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلاً على أنه مفعول
يعملون وما إبهامية أو في معنى المصدر كقوله ولا خارجاً من فيّ زور كلام وبطل على الفعل
أفمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة
لإنكار أن يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين هممهم وأفكارهم على الدنيا وأن يقارب
بينهم في المنزلة وهو الذي أغنى عن ذكر الخبر وتقديره أفمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة
الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي عليه السلام وقيل مؤمنوا أهل الكتاب
ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته
وهو القرآن ومن قبله أي من قبل القرآن كتاب موسى يعني التورية فإنها أيضاً تتلوه في التصديق أو
البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبرئيل أو لسان الرسول على أن الضمير له أو من
التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه إما لمن أو للبينة باعتبار المعنى ومن قبله
كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفاً على الضمير في يتلوه أي يتلو القرآن شاهد ممن
كان على بينة دالة على أنه حق كقوله وشهد شاهد من بني إسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التورية
إماماً كتاباً مؤتماً به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لأنه الوصلة إلى الفوز بخير الدارين أولئك
إشارة إلى من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به من الأحزاب من أهل مكة ومن تحزب
معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد
أو القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون لقلة
نظرهم واختلال فكرهم ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً كأن أسند إليه ما لم ينزل أو نفى عنه ما
أنزل أولئك يعرضون على ربهم في الموقف بأن يحبسوا وتعرض أعمالهم ويقول الأشهاد من الملائكة
والنبيين أو من جوارحهم وهو جمع شاهد كأصحاب أو شهيد كأشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا
لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ بظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون
عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجاً ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب أو يبغون
أهلها أن يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون والحال أنهم كافرون بالآخرة وتكرير هم
لتأكيد كفرهم واختصاصهم به أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض أي ما كانوا معجزين الله
في الدنيا أن يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من أولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه أخر
عقابهم إلى هذا اليوم ليكون أشد وأدوم يضاعف لهم العذاب استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر
ويعقوب يضعّف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامّهم عن الحق وبغضهم له وما
كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية

وبطل باطلا

الالهة

الآلهة بقوله وما كان لهم من أولياء فإن ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف
لهم العذاب اعتراض أولئك الذين خسروا أنفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله
وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها أو خسروا بما بدّلوا وضاع عنهم ما حصّلوا
فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون لا أحد أبين وأكثر
خسراناً منهم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم اطمأنوا إليه وخشعوا له
من الخبت وهي الأرض المطمئنة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين
الكافر والمؤمن كالأعمى والأصم والبصير والسميع يجوز أن يراد به تشبيه الكافر بالأعمى لتعاميه عن
آيات الله وبالأصم لتصامه عن استماع كلام الله وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع
والبصير لأن أمره بالضد فيكون كل منهما مشبهاً باثنين باعتبار وصفين أو تشبيه الكافر
بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح
فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلاً
تمثيلاً أو صفة أو حالاً أفلا تذكرون بضرب الأمثال والتأمل فيها ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه
إني لكم بأني لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على إرادة القول نذير مبين أبين لكم
موجبات العذاب ووجه الخلاص أن لا تعبدوا إلا الله بدل من إني لكم أو مفعول مبين ويجوز
أن يكون أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم مؤلم وهو
في الحقيقة صفة المعذَّب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جدّ جده ونهارك صائم للمبالغة
فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نريك إلا بشراً مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة
ووجوب الطاعة وما نريك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا أخساؤنا جمع أرذل فإنه بالغلبة
صار مثل الاسم كالأكبر أو أرذل جمع رذل بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق من البدوّ أو أول
الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ أبو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف
على حذف المضاف أي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وإنما استرذلوهم لذلك أو
لفقرهم فإنهم لما لم يعلموا إلا ظاهراً من الحيوة الدنيا كان الأحظ بها أشرف عندهم والمحروم منها
أرذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم
كاذبين إياك في دعوى النبوة وإياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين
قال يا قوم أرأيتم أخبروني إن كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني رحمة
من عنده بإيتاء البينة أو النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لأن البينة في نفسها
هي الرحمة أو لأن خفاءها يوجب خفاء النبوة أو على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار أو لأنه
لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعمّيت أي أخفيت وقرئ فعماها على أن الفعل لله
أنلزمكموها أنكرهكم على الاهتداء بها وأنتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث
اجتمع ضميران وليس أحدهما مرفوعاً وقدم الأعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم
لا أسألكم عليه على التبليغ مالاً جعلاً وهو وإن لم يذكر فمعلوم مما ذكر إن أجري إلا على الله فإنه

المأمول منه وما انا بطارد الذين امنوا جواب لهم حين سألوا طردهم ولكني اريكم قوما تجهلون
بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم وتتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم
من ينصرني من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون لتعرفوا
ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله خزائن رزقه
واموله حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول انا اعلم الغيب
حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصير ولا عقد قلب و
على الثاني يجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول
للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فان
ما اعد الله لهم في الاخرة خير مما اتيكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان
شئت ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاء
في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية
وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح
قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فأتنا بما تعدنا من العذاب
ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما يأتيكم به الله
ان شاء عاجلا او اجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب والهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت
ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام
ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل
انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا ان
جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال
وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم (اي امتلا من اللبن) فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف
فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي
وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي الى
نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون (اي فلا تحزن) اقنطه الله من ايمانهم
ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر
بكثرة الة الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية
على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا
تدعني باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك
حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزءوا به لعمله السفينة فانه كان يعملها
في برية بعيدة من الماء اوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعدما كنت
نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في
الاخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم والعذاب

الغرق ويحل عليه وينزل ويحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب
النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي
يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز
ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او بعين
وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع منها قلنا احمل فيها في السفينة
من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص
والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اي صنفين صنف ذكر وصنف انثى
واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين
يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن امن والمؤمنين من غيرهم وما امن معه
الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث
ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روي انه عليه السلام اتخذ السفينة في
سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلثون وجعل لها
ثلثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال
اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجريها
ومرسيها متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت
اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر والمضاف محذوف
كقولهم اتيتك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما
المصدر او جملة من مبتدأ وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والجار محذوف
وهي جملة مقتضبة (اي منقطعة) لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الها روي انه عليه السلام كان
اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون
الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجريها بالفتح
من جرى وقرئ مرسيها ايضا من رسى وكلاهما يحتمل الثلثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل
صفتين لله ان ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري
بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال
في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كالجبل في تراكمها وارتفاعها
وما قيل انه طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا
شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك كان قبل التطبيق ونادى نوح ابنه
كنعان وقرئ ابنها وابنه محذوف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير
رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة في الدين و
قرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه
او عن دينه مفعل للمكان من عزل عنه اذا ابعد يا بني اركب معنا في السفينة و

الجمهور بكسر والياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها
في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا
اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع
وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين
او الانعزال قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا
من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك
ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا
عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من رحمه الله
يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين
بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى به اولوا العلم وامرا بما يؤمرون
به تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه
المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع
الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين
واستوت واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي انه
ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة وقيل بعدا للقوم
الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير
للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه
الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل
وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال
لا يقدر عليه الا الواحد القهار ونادى نوح ربه واراد نداءه بدليل عطف قوله فقال رب
ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان
تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك
اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قال
يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح
فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول
الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير
الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ
الكسائي ويعقوب انه عمل اي عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لا تعلم اصواب هو ام
ليس كذلك وانما سمي نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه في شأن ولده
او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان تكون
من الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله

حب الولد

حب الولد عنه حتى اشتبه عليه الامر وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما
كسرا النون على ان اصله تسألنني فحذف نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة
للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة واثبتها نافع برواية ورش في الوصل قال رب اني اعوذ بك ان اسألك
فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي اي ان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال
وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط منا بسلام منا انزل
من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك ومباركا عليك او
زيادات في نسلك حتى تصير آدم ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهو الخير
النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او على امم
ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون بقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم
يمسهم منا عذاب اليم في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط
وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء
الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر
ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر اي مجهولة عندك
وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك
بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد
منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الآخرة
بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان
قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون
على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي
فطرني خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع
افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ ويا قوم استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري من الغير
انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم
قوة الى قوتكم يضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع
وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان
والتوبة كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين
مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم
وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين
عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول
الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون
لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان

الا استثناء مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا
تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله على برائته من الهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا
لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من
غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه وراوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء والاشداء ان يضروه
لم تبق لهم شبهة ان الهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع ولا تتمكن من اضراره انتقاما منه
وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه
بهذا الكلام ليس الا لثقة بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله
اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غايتكم وسعكم لم تضروني فاني
متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره
ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها
على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم اي انه على الحق والعدل
لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم
فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به
اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في
ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع وكانه قيل وان تتولوا
يعذرني ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا ومن جزم ويستخلف اسقط النون منه ان ربي
على كل شيء حفيظ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه
فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا
معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم
كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة
ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ
وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات
ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم فمن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا
بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا و
عنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر
وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي جعل اللعنة تابعة لهم في الدارين
تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا
لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب
ما حكي عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم
هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم
للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره

هو انشاكم

هو انشاكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم عليه السلام ومواد النطف التي خلق
نسله منها من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها
وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم
معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب
قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل
الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا ومستشارا في الامور وان توافقنا في الدين فلما
سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية
الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب موقع
في الريبة من اراب اذا اوقعه في الريبة او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر قال
يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين و
آتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته
والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني اذا باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال
ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران
ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت
عليها لتنكيرها فذروها تاكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء
فياخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام
فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء
والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه
مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال
له اني بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول
فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي
يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وقرا نافع والكسائي هنا وفي
المعارج يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ان ربك هو القوي العزيز القادر
على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك
في سورة الاعراف كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم وقرا حمزة وحفص ثمود هنا
وفي الفرقان والعنكبوت بفتح الدال من غير تنوين ونونه الكسائي بخفض الدال في قوله الا بعدا
لثمود ذهابا الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابراهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة
وقيل ثلاثة جبرائيل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط
قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي
امركم سلام او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرا حمزة والكسائي
سلم وكذلك في والذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء

بعجل حنيذ فما ابطأ بمجيئه به او فما ابطأ في المجيء به او فما تأخر عنه والجار مقدر في ان
او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال
لقوله بعجل سمين فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه نكرهم واوجس منهم خيفة انكر
ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك
وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة
مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا نأكل وامرأته قائمة وراء الستر
تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او
باصابة رأيها فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء
القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة ولم تعد حقا ثديها ان تحلما
ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه
ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب
وقيل انه معطوف على موضع باسحق او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه
وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف اي ويعقوب مولود
من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا يكون اضافته الى اسحق ليس
من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابرهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة
كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر
يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر
فظيع وقرئ بالياء على الاصل أألد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله
القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا لشيء عجيب يعني الولد
من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله و
بركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات
وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت
في ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح والنداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة
انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابرهيم الروع ما اوجس من
الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا
في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال او
لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل الجواب المحذوف مثل اجترأ على خطابنا او شرع في
جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام
من المسيء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع الى الله والمقصود
من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت

الملائكة

الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلي بعذابهم
وهو اعلم بحالهم وانهم آتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال او دعاء او غير ذلك ولما جاءت رسلنا
لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤا في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم
قومه فيعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وسيئت باشمام السين الضم وفي العنكبوت
والمكي والباقون باختلاس حركة السين وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية
عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه
اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه
ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا
يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن
وكانوا يطلبونهن من قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه
شرع طارئ او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهار لشدة امتعاضه
من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية و
في حرف ابن مسعود رضي الله عنه وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا واقل فحشا
كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على الحال على ان هن خبر بناتي كقولك هذا
اخي هو لا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم
ولا تخزون ولا تفضحون من الخزي او ولا تخجلون من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شأنهم فان اخزاء
ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا
في بناتك من حق من حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان لي بكم قوة لو قويت
بنفسي على دفعكم او آوي الى ركن شديد الى قوي امتنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن
النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار
ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه اغلق
بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على
لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا
فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس اعينهم
واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء
وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القرآن من السرى بقطع من الليل بطائفة من الليل ولا
يلتفت منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط الا
امرأتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا
امرأتك وهذا انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب
ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين
في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها

حجر فتقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القرائتين
عن قوله لا يلتفت مثله في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل ولا بعد ان يكون اكثر القراء
على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك
علله على طريقة الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا
على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال
لوط واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب
مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة
المامورون به فاسنده الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبريل
ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة
ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها على المدن او على شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر كقوله
حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى
من مثل الشيء المرسل او مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل
اصله من سجين فابدلت نونه لاما منضود نضد معدا لعذابهم او نضد في الارسال بتتابع
بعضه على بعض كقطار الامطار او نضد بعضه الى بعض وصب به مسومة معلمة للعذاب
وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك
في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم
وعنه عليه السلام انه سال جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه
من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير
البعيد على تاويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام
او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا
المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي
للعدل المخل بحكمة التعاوض اني اريكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان
تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه
وهو في الجملة علة النهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب
مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم
بالاحاطة وهو صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح الامر بالايفاء
بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي
في الايفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها بالقسط بالعدل والتسوية من غير زيادة ونقصان
فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم
تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض
مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ

العشور

العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به
الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امور دينكم ومصالح
اخرتكم بقيت الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون
بالتطفيف ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة
وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة لقوله تعالى
والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما انا عليكم
بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ
وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا
يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام اجابوا به بعد ما امرهم
بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلوته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي
وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان كثير الصلوة فلذلك جمعوا
وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلوتك تامرك بتكليف
ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف
على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك
وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير
فارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وارادوا به وصفه بضد ذلك او عللوا
انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم عندهم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى
امثال ذلك قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما اتاه الله من العلم و
النبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط
محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادة الروحانية والجسمانية
ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المالوف
والنهي عن دين الاباء والضمير في منه لله اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما
اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه اي وما اريد ان اتي ما انهاكم عنه لاستبد به
فلو كان صوابا لاثرته فلم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا
قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما استطعت
اي ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح
فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلثة على هذا النسق
شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلثة
اهمها واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان
امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية
بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما

توفيقي إلا بالله أي وما توفيقي لإصابة الحق والصواب إلا بهدايته ومعونته عليه توكلت فإنه
القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار
وفيه إشارة إلى محض التوحيد الذي هو أقصى مراتب العلم بالمبدأ وإليه أنيب إشارة إلى معرفة
المعاد وهو أيضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على أنيب وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لإصابة
الحق فيما يأتي ويذره من الله والاستعانة به في مجامع أمره والإقبال عليه بشراشره وحسم
أطماع الكفار وإظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع إلى
الله تعالى للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي أن يصيبكم مثل ما أصاب
قوم نوح أو قوم هود من الريح أو قوم صالح من الرجفة وأن بصلتها ثاني مفعولي جرم فإنه
يعدى إلى واحد وإلى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بضم الياء وهو منقول من المتعدي إلى
مفعول واحد والأول أفصح فإن أجرم أقل دورانا على ألسنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح
لإضافته إلى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أوقال
وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا أو مكانا فإن لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم أو ليسوا
ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما أصابهم وإفراد البعيد لأن المراد وما إهلاكهم
أو وما هم بشيء بعيد ولا يبعد أن يسوى في أمثاله بين المذكر والمؤنث لأنها على زنة المصادر
كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه عما أنتم عليه إن ربي رحيم عظيم الرحمة
للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والإحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد
على التوبة بعد الوعيد على الإصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد
وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليها وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك
استهانة بكلامه أو لأنهم لم يلقوا إليه أذهانهم لشدة نفرتهم عنه وإنا لنراك فينا ضعيفا
لا قوة لك فتمتنع منا إن أردنا بك سوءا أو مهينا لا عز لك وقيل أعمى بلغة حمير وهو مع عدم
مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الأعمى قياسا على القضاء
والشهادة والفرق بين ولولا رهطك وقومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم
فإن الرهط من الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى التسعة لرجمناك لقتلناك برمي الأحجار أو بأصعب وجه
وما أنت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات
بالسب والتهديد وفي إيلاء ضمير حرف النفي تنبيه على أن الكلام فيه لا في ثبوت العزة وأن المانع لهم
عن إيذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا
وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر بإشراككم به والإهانة برسوله فلا تبقون على الله و
تبقون على رهطي وهو يحتمل الإنكار والتوبيخ والرد والتكذيب والظهري منسوب إلى الظهر
والكسر من تغيير النسب إن ربي بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها ويا قوم
اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الأنعام
والفاء في فسوف تعلمون ثمة للتصريح بأن الإصرار والتمكن فيما عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لأنه

جو

جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو أبلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا لأنه
قسيم له كقولك سيعلم الصادق والكاذب بل لأنهم لما أوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون
من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الأول إليهم والثاني
إليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما أقول
إني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم أو المراقب كالعشير أو المرتقب كالرفيع ولما جاء
أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا إنما ذكره بالواو كما في قصة عاد إذ لم يسبقه ذكر
وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فإنه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب
وقوله إن موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية وأخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل
فهلكوا فأصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين وأصل الجثوم اللزوم في المكان كأن لم يغنوا فيها كأن
لم يقيموا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لأن عذابهم كان أيضا بالصيحة غير
أن صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الأصل فإن الكسر تغيير
لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد أرسلنا
موسى بآياتنا بالتوراة أو المعجزات وسلطان مبين هو المعجزات القاهرة أو العصا وإفرادها بالذكر
لأنها أبهرها ويجوز أن يراد بهما واحد أي ولقد أرسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له
على نبوته واضحا في نفسه أو موضحا إياها فإن أبان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما أن الآية
تعم الأمارة والدليل القاطع والسلطان يخص بالقاطع والمبين يخص بما فيه جلاء إلى فرعون وملائه
فاتبعوا أمر فرعون فاتبعوا أمره بالكفر بموسى أو فما اتبعوا موسى الهادي إلى الحق المؤيد بالمعجزات
القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي إلى ما لا يخفى
فساده على من له أدنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما أمر فرعون برشيد
مرشد أو ذي رشد وإنما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيامة إلى النار كما كان
يقدمهم في الدنيا إلى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فأوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة
في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى إتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود أي
بئس المورد الذي وردوه فإنه يراد لتبريد الأكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية
كالدليل على قوله وما أمر فرعون برشيد فإن من هذا عاقبته لم يكن في أمره رشد أو تفسير له
على أن المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها وأتبعوا في هذه أي في هذه الدنيا
لعنة ويوم القيامة أي يلعنون في الدنيا والآخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان أو العطاء
المعطى وأصل الرفد ما يضاف إلى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف أي رفدهم وهو
اللعنة في الدارين ذلك أي ذلك النبأ من أنباء القرى المهلكة نقصه عليك منها قائم
من تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافي الأثر كالزرع المحصود والجملة
مستأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح إذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم بإهلاكنا
إياهم ولكن ظلموا أنفسهم بأن عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما أغنت عنهم فما نفعتهم

ولا قدرت أن تدفع عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك أو تخسير وكذلك ومثل ذلك الأخذ أخذ ربك وقرئ أخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر إذا أخذ القرى أي أهلها وقرئ إذ لأن المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لأهلها لكنها لما أقيمت مقامه أجريت عليها وفائدتها الإشعار بأنهم أخذوا بظلمهم وإنذار كل ظالم ظلم نفسه أو غيره من وخامة العاقبة إن أخذه أليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير إن في ذلك أي فيما نزل بالأمم الهالكة أو فيما قصه الله من قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر به عظته لعلمه بأن ما حاق بهم أنموذج مما أعده الله للمجرمين في الآخرة أو ينزجر به عن موجباته لعلمه بأنها من إله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فإن من أنكر الآخرة وأحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لأسباب فلكية اتفقت في تلك الأيام لا لذنوب المهلكين بها ذلك إشارة إلى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع له الناس أي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه من شأنه لا محالة وأن الناس لا ينفكون عنه فهو أبلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود أي مشهود فيه أهل السماوات والأرضين فاتسع فيه بإجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي الخيل مشهود أي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فإن سائر الأيام كذلك وما نؤخره أي اليوم إلا لأجل معدود إلا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وإرادة مدة التأجيل كلها بالأجل لا منتهاها فإنه غير معدود يوم يأت أي الجزاء أو اليوم كقوله أن تأتيهم الساعة على أن يوم بمعنى حين أو الله عز وجل كقوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه بإضمار اذكر أو بالانتهاء المحذوف إلا بإذنه إلا بإذن الله كقوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر أو المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الأعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لأهل الموقف وإن لم يذكر لأنه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس أو للناس فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير إخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في أول النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فإن النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون

عنه

أولى ومشهد قد كفيت الغائبين به

به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم أيضا من زوال السماوات والأرض زوال عذابهم ولا من دوامهما دوامه إلا من قبيل المفهوم لأن دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت أن المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سماوات الآخرة وأرضها ويدل عليه قوله يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وأن أهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لأنه تشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فإنما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه إلا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار لأن بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لأن زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فإنهم مفارقون عن الجنة أيام عذابهم فإن التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وإن شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بإيمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لأن من شرطه أن تكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لأن ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي أو مانع عن الجمع وههنا المراد أن أهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وأن حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الأمرين في شخص باعتبارين أو لأن أهل النار ينقلون منها إلى الزمهرير وغيره من العذاب أحيانا وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوانه ولقائه أو من أصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لأن ظاهره يقتضي أن يكونوا في النار حين يأتي اليوم أو مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ إن كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل أن يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل إلا ههنا بمعنى سوى كقولك علي ألف إلا ألفان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السماوات والأرض إن ربك فعال لما يريد من غير اعتراض وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بأن الثواب لا ينقطع وتنبيه على أن المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولأجله فرق بين الثواب والعقاب في التأبيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى أسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد أي أعطوا عطاء أو الحال من الجنة فلا تك في مرية شك بعد ما أنزل عليك من مآل الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في أنها ضلال مؤد إلى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم أو من حال ما يعبدونه في أنه يضر ولا ينفع ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل استئناف معناه تعليل النهي عن المرية أي هم وآباؤهم سواء في الشرك أي ما يعبدون عبادة إلا كعبادة آبائهم أو ما يعبدون شيئا إلا مثل ما عبدوه من الأوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لأن التماثل في الأسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وإنا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كآبائهم أو من الرزق فيكون عذرا لتأخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه

غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه
ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء
في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة لقضي بينهم بانزال
ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه من القرآن مريب
موقع للريبة للشك وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل
من المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم
ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما
للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما
للادغام فاجتمعت ثلث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء
اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما
بمعنى الا وقرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوته شيء منه وان خفي فاستقم كما امرت لما بين
امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله بالاستقامة مثل
ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل
مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات
من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه الصلوة والسلام
شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي ومن تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على
المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد
لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية دليل على
وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا
ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم
فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك
بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك
فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين
بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط
فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم النار بكسر التاء على لغة
تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون
العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم و
لا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياه وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز
ان تكون منزلة منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر
على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية
وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه

وهو جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية
العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا
بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن
السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي
سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قد اصبت من امرأة غير اني لم آتها فنزلت
ذلك اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين
واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن الضمير ليكون كالبرهان على
المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا
كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية من الرأي والعقل او اولوا فضل وانما سمي بقية لان
الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا
كالتقية اي ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر
بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم
انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع
الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء
ذلك وكانوا مجرمين كافرين كأنه اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة وهو
فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل
عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض
وقرئ واتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهور ويعضده
تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى
شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم
الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة
واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد
وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد
تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما
هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام
للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة
لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما
وكلا وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او بدل منه
وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه على
اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول نقص وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من
انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل وجاءك في هذه السورة او الآية

المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة
وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر
انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه
خافية مما فيهما اليه يرجعون واليه يرجع الامر كله فيرجع امرهم لا محالة وامرك اليه وقرأ
نافع وحفص يرجع بضم الياء وفتح الجيم فاعبده وتوكل عليه فانه
كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل
عما تعملون انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به
وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله تعالى

سورة يوسف عليه السلام مكية وآيها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات
الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الآيات آيات السورة
الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود
ما سألوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى
مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا لانه في الاصل
اسم الجنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة
للحال التي هي عربيا او الحال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد
حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروا
بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم
القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص
على ابدع الاساليب واحسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول
كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا اليك هذا القرآن
يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من
قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه
موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل
مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح
السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة
شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث
لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها
عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف
وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض عنه وقرئ بالضم اجراء
لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح

منزل

منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص
رؤياك وقوله هذا تأويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر رضي الله عنه
ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف
في المنام فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان
والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو
الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها
لاسماؤها رأيتهم لي ساجدين استيناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت
مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان
ابن اثنتي عشرة سنة لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك
حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف
عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرفي
التأنيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة
منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى
فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه
فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون
التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاد
باللام وهو متعد بنفسه لتضمينه معنى فعل يعدى به تأكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله
ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء فلا يألو جهدا في
تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي كما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة
على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء
اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تأويل الاحاديث
من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة
او من تأويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع
للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة وعلى آل يعقوب يريد به
سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله كما اتمها على ابويك بالرسالة
وقيل على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل
من قبلك او من قبل هذا الوقت ابرهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء
حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات دلائل قدرة الله
وحكمته او علامات نبوتك للسائلين لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا
وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا
فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ

وادبعة اخوة داد ونفتالي وجاد واشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه
بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل
من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز
في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة
والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله
المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته
يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لا يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على التعرض
له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا
وقيل انما قاله شمعون وقيل دان ورضي به الآخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران
وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى
يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد
وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده من بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله
او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر
تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهوذا و
كان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابة الجب في
قعره سمي بها لغيبوبته عن اعين الناظرين وقرأ نافع في غيابات في الموضعين على الجمع كأنه لتلك الجب غيابات
وقرئ في غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الارض
ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم عازمين على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا
ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير
ارادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالادغام باشمام
وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله
معنا غدا الى الصحراء يرتع يتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب ويلعب بالاستباق
والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب
وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته
ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال اني ليحزنني
ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت
مذأبة وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير
ونافع في رواية قالون وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا وكيا فوق بتركه همز
واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع او لقلة
اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون
ضعفا مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا

ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن
او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا
من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه
فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فأتوا به الى البئر فدلوه
فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم وقال
يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك
فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي
فجاءه جبريل بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا او
اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى وفي القصص ان ابرهيم عليه السلام حين القي الى النار جرد
عن ثيابه فأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب
عليهم السلام فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل والبسه اياه لتنبئنهم بامرهم هذا
لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شأنك وبعده عن اوهامهم وطول
العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم
وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل
باوحينا اي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا اباهم عشاء آخر النهار وقرئ عشيا
وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي انه
لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق
في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف
عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا
وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان
يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاؤا كاذبين وكدب بالدال
الغير المعجمة اي كدر او طري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق
على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز
تقديمها على المجرور روي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قميصه فاخذه والقاه على
وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم
يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا
عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر
الجميل الذي لا شكوى فيه الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه
من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون
من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلث من القائه فيه فارسلوا واردهم
الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملأها

فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه
كأنه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين
يا بشراي بالاضافة وقرئ يا بشريّ بالادغام وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف واسروه
اي الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر
وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده
فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاسروا شانه فاشتروه من اخوته و
يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع
فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم
واخيهم وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه
دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها
وقيل كان عشرين درهما وقيل كان اثنين وعشرين درهما وكانوا فيه وكانوا في يوسف من الزاهدين
الراغبين عنه والضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا الرفقة
وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه
مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل
اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم
على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير
وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى
عاش اربع مائة سنة لقوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد
فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع
عشرة سنة ولبث في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله
الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه
به من جعل شراءه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة
وقيل ذهبا لامرأته راعيل او زليخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني
تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه
وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت
لابيها استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رض وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته
في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من
تأويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه
وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله تعالى واحكامه فينفذها او تعبير
المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه
والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف

شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده
او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف
ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم
المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم تأويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على
انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو في
بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه
الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت
هيت لك اي اقبل وبادر او تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كأين واللام
للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بضم التاء وفتح الهاء تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر
برواية ابن ذكوان بفتح التاء وكسر الهاء من غير همز كعيط وهو لغة فيه وقرأ هشام كذلك الا انه
يهمز وقد روي عنه ضم التاء وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ
وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه اي الشأن ربي احسن مثواي
سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل
الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون
المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به
وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو
الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك
مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام
هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان رأى برهان ربه في قبح
الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب
لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى
جبريل عليه السلام وقيل تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف
انت مكتوب في الانبياء عليهم السلام وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر
مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين
اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن اذا كان في اوله
الف ولام اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او
ضمن الفعل معنى الابتداء وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه عن الخروج
وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق
بالعرض والفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا
الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على
يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن

قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمؤاتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته من السجن او العذاب ولو
لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن
النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب
جريج وعيسى عليه السلام وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها ان كان
قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع
عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو
من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة
القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان و
كان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل
فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم
لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين
فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه اي قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او
ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم
فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال و
الشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه بالحديث اعرض عن هذا
اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ
اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امراة وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي
ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر او صفة لنسوة
وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امرات العزيز تراود فتيها
عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان
والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز
لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران فاحرقه انا لنريها في ضلال مبين
في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه
كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها
ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امراة فيهن الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه
من الوسائد واتت كل واحدة منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن
ويشغلن عن نفوسهن فيقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف
من مكرها اذا خرج وحده على اربعين نسوة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام
فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب تترفا ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكئا قال جميل و
ظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلة وقيل المتكأ طعام يحز حزا كان القاطع يتكئ عليه
بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع

من متك الشيء اذا بتكه ومتكأ من تكئ يتكأ اذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه
عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي عليه السلام رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر
وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت
لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على حذف اللام اي حضن له من شدة
الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق
وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات
العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذفت الف
الاخير تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام
للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين
على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف
اي صار في ناحية الله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة
الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وقرئ
بشرى اي بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق
والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك قالت
فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه بالافتتان به قبل ان
تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع
ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طلبا
للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل
ما آمره اي ما آمر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف عليه السلام
ليسجنن وليكونا من الصاغرين من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير
من صغر بالضم صغرا وقرئ وليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا
على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر
احب الي مما يدعونني اليه اي آثر عندي من مواتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما
تشتهيه النفس وذاك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن
مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما
كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل
الصبر والا تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة
اصب اليهن اميل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى
ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق واكن من الجاهلين
من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم
والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن

فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان
انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما راوا
الآيات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما راوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة
الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره
ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه
او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز
على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف
السجن واتفق انه ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان
ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني اي في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا
وسماه باعتبار ما يؤول اليه وقال الآخر يعني الخباز اني اراني اي في المنام احمل فوق راسي
خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تاويل الرؤيا
او من العالمين وانما قالاه لانهما راياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين
الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ما رايناه ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما
بتاويله اي بتاويل ما قصصتما علي او بتاويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل
كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سالاه منه كما هو
طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار
بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني ربي
بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة
هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي ابراهيم
واسحق ويعقوب وكلام مبتدا لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع
اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة
على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء
اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا
لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث عليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون
عنه ولا ينتبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا
ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن يا ساكنيه
اي يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ءارباب
متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد القهار الغالب الذي لا يعادله
ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها
انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اي الا اشياء باعتبار اسامي اطلقتم عليها من غير حجة
تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل

على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان
الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل
والمالك لامر امر على لسان انبيائه الا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم
الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا
رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها
لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها
ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي
فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الآخر يريد به الخباز فيصلب فتاكل
الطير من راسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان
فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة
عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره
عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني
فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف المصدر الى المفعول لملابسته له او
على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه السلام رحم الله
اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد
في كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع سنين
البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن
سبع عجاف لما دنى فرجه راى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات
مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر
يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص
من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر
التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه
نقيضه يا ايها الملأ افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا
وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا
عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي
باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا
قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات
وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب
الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة
خاصة اي ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم

بتأويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد أمة وتذكر يوسف بعد جماعة
من الزمان مجتمعة أي مدة طويلة وقرئ إمة بكسر الهمزة وهي النعمة أي بعد ما أنعم عليه بالنجاة و
أمه أي نسيان يقال أمه يأمه أمها إذا نسي والجملة اعتراض ومقول القول أنا أنبئكم بتأويله
فأرسلون أي إلى من عنده علمه أو إلى السجن يوسف أيها الصديق أي فأرسل إلى يوسف فجاءه
وقال يا يوسف وإنما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لأنه جرب أحواله وعرف صدقه في تأويل
رؤياه ورؤيا صاحبه أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر
يابسات أي في رؤيا ذلك لعلي أرجع إلى الناس أعود إلى الملك ومن عنده أو إلى أهل البلد إذ قيل
أن السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تأويلها أو فضلك ومكانك وإنما لم يبت الكلام فيهما
لأنه لم يكن جازما بالرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين دأبا أي
على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين أو المصدر بإضمار فعله أي تدأبون دأبا
وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون أمر
أخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يأكله السوس وهو على الأول
نصيحة خارجة عن العبارة إلا قليلا مما تأكلون في تلك السنين ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد
يأكلن ما قدمتم لهن أي يأكل أهلهن ما ادخرتم لأجلهن فأسند إليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر
والمعبر به إلا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس
يمطرون من الغيث أو يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة
الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتين وقرئ على البناء
للمفعول من عصره إذا أنجاه ويحتمل أن يكون المبني للفاعل منه أي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا
أو من أعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض أو بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها
بعد أن أول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة
وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي
أو بأن انتهاء الجدب بالخصب أو بأن السنة الإلهية على أن يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال
الملك ائتوني به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي
قطعن أيديهن إنما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم
أنه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد أن يتوسل به إلى تقبيح أمره وفيه دليل على أنه ينبغي أن يجتهد في نفي
التهم ويتقي مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لأسرعت الإجابة
وإنما قال فاسأله ما بال النسوة اللاتي ولم يقل فاسأله أن يفتش عن حالهن تهييجا له على
البحث وتحقيق الحال وإنما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للأدب وقرئ
النسوة بضم النون إن ربي بكيدهن عليم حين قلن لي أطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد
بعلم الله عليه وعلى أنه بريء مما قرف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن
ما شأنكن والخطب أمر يحق أن يخاطب فيه صاحبه إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله

تنزيه له تعالى وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأت العزيز
الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير إذا ألقى مباركه ليناخ قال فحصحص في صم الصفا
ثفناته وناء بسلمى نوأة ثم صمما أو ظهر من حص شعره إذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه
وقرئ على البناء للمفعول أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي
ذلك ليعلم قال يوسف لما عاد إليه الرسول وأخبره بكلامهن أي ذلك التثبت ليعلم العزيز
أني لم أخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل أو المفعول أي لم أخنه وأنا غائب عنه أو هو غائب
عني أو ظرف أي بمكان وراء الأستار والأبواب المغلقة وأن الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه
ولا يسدده أو لا يهدي الخائنين بكيدهم فأوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في
خيانتها زوجها وتأكيد لأمانته عليه السلام ولذلك عقبه بقوله وما أبرئ نفسي أي وما أنزهها
تنبيها على أنه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل إظهار ما أنعم الله عليه من العصمة والتوفيق
وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه لما قال ليعلم أني لم أخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك
إن النفس لأمارة بالسوء من حيث إنها بالطبع مائلة إلى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح
في أثرها كل الأوقات إلا ما رحم ربي إلا وقت رحمة ربي أو إلا ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك
وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل
والمستثنى نفس يوسف وأضرابه وقرأ قالون والبزي بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الإدغام
إن ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة أو يغفر للمستغفر لذنبه المعترف
على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي
أجعله خالصا لنفسي فلما كلمه أي فلما أتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال إنك
اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شيء روي أنه لما خرج من السجن اغتسل
وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ
بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي
وكان الملك يعرف سبعين لسانا وكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه فقال أحب أن أسمع رؤياي
منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل وأماكنها على ما رآها فأجلسه على السرير وفوض
إليه أمره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها
عذراء وولد له منها أفرائيم وميشا قال اجعلني على خزائن الأرض ولني أمرها والأرض أرض مصر
إني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما رأى أنه يستعمله
في أمره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية وإظهار أنه
مستعد لها والتولي من يد الكافر إذا علم أنه لا سبيل إلى إقامة الحق وسياسة الخلق إلا بالاستظهار
به وعن مجاهد أن الملك أسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الأرض أرض مصر يتبوأ منها حيث
يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا
والآخرة ولا نضيع أجر المحسنين بل نوفي أجورهم عاجلا وآجلا ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا

وكانوا ينفقون كثيرا ولكن لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك
اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر
والشام ونواحيهما وتوجه الناس اليه فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها ثم
بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر
على الملك فقال الرأي رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب
سائر البلاد فارسل يعقوب عليه السلام بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له
منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم
اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم في حلاه
من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤوا لاجله
والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به المرأة
الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني باخ لكم من ابيكم روي انه لما دخلوا عليه فقال من انتم
وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب
قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية وهلك قال فكم انتم هاهنا قالوا عشرة قال
فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا هاهنا من يشهد لنا
قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى يصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل
كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان
ياتوا به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم و
احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي ولا تقربوني ولا
تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه و
انا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي
وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا
يعبئ فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا
عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم
يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم
يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل
حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل
ما نحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ او يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا
وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف
وانا له لحافظون فالله خير حفظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان
يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي
وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم

وجدوا

وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في قيل وبيع
قالوا يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد
علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك
من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا
هذه بضاعتنا ردت الينا استئناف موضح لقوله ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي
ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا من المخاوف في ذهابنا
وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية اما اذا كانت
نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ
اخانا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه
بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك
شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء
يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتون موثقا
من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى
حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا
جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم
او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني به في تأويل النفي اي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم
اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب منك الا فعلك فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول
وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي
جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة
فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعي اليها
خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله عليه السلام في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات
الله التامة من كل عين لامة ومن شر كل هامة وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضى عليكم بما اشرت به
اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوء ولا ينفعكم ذلك
عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للدلالة
على ان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث
امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم رأي يعقوب واتباعهم له من الله من شيء
مما قضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت
المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم
وحزازته من ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج
ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه
لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل

روي أنه أضافهم فأجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا
لجلس معي فأجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون
معي فبات عنده وقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك
ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال إني أنا أخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما
كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل أخيه قيل كانت مشربة
جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ
وجعل على حذف جواب فلما تقديره أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن مؤذن نادى مناد أيتها العير إنكم
لسارقون لعله لم يقله بأمر يوسف أو كان تعبية السقاية وكذا أجلها برضا بنيامين وقيل
معناه إنكم لسارقون يوسف من أبيه والعير القافلة وهو اسم للإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير
أي تتردد فقيل لأصحابها كقوله عليه السلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير وأصلها فعل كسقف فعل به
ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون
أي شيء ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من أفقدته
إذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ
من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وأنا به زعيم كفيل أؤديه إلى من رده إلى
وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء
بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم
على براءة أنفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط أمانتهم كرد
البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا يتناول زرعا أو طعاما لأحد قالوا فما جزاؤه
أي فما جزاء السارق أو السرق أو الصواع على حذف المضاف إن كنتم كاذبين في ادعائكم البراءة
قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه أي جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا
كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم وإلزام له أو خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط أو
جواب لها على أنها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على إقامة الظاهر مقام الضمير كأنه قيل جزاؤه من
وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ بأوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل
يوسف لأنهم ردوا إلى مصر قبل وعاء أخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها أي السقاية
أو الصواع لأنه يذكر ويؤنث من وعاء أخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد
كدنا ليوسف بأن علمناه إياه وأوحينا به إليه ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ملك مصر
لأن دينه الضرب وتغريم ضعف ما أخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد إلا أن يشاء الله أن
يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من أعم الأحوال ويجوز أن يكون منقطعا لكن أخذه بمشيئة
الله وإذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم أرفع درجة
منه واحتج به من زعم أنه تعالى عالم بذاته إذ لو كان ذا علم لكان فوقه من كان هو أعلم منه والجواب
أن المراد كل ذي علم من الخلق لأن الكلام فيهم ولأن العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ

لغة ولأنه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا إن يسرق بنيامين فقد
سرق أخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من أبيها منطقة إبراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف وتحبه
فلما شب أراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم أظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت
محزومة عليه فصارت أحق به في حكمهم وقيل كان لأبي أمه صنم فسرقه وكسره وألقاه في الجيف وقيل
كان في البيت عناق أو دجاجة فأعطى السائل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم أكنها
ولم يظهرها لهم والضمير للإجابة أو المقالة أو نسبة السرقة إليه وقيل إنها كناية بشريطة التفسير
وتفسيرها قوله قال أنتم شر مكانا فإنه بدل من أسرها والمعنى قال في نفسه أنتم شر مكانا أي منزلة
في السرقة لسرقتكم أخاكم أو في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة أو الجملة وفيه نظر
إذ المفسر بالجملة لا يكون إلا ضمير الشأن والله أعلم بما تصفون وهو يعلم أن الأمر ليس كما تصفون
قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا في السن أو القدر وذكروا له حاله استعطافا له عليه
فخذ أحدنا مكانه بدله فإن أباه ثكلان على أخيه الهالك مستأنس به إنا نراك من المحسنين
إلينا فأتمم إحسانك أو من المتعودين بالإحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله أن نأخذ
إلا من وجدنا متاعنا عنده فإن أخذ غيره ظلم على فتواكم فلو أخذنا أحدكم مكانه إنا إذا
لظالمون في مذهبكم هذا وإن مراده أن الله أذن في أخذ من وجدنا الصاع في رحله
لمصلحته تعالى ورضاه عليه فلو أخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف و
إجابته إياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وإنما
وحده لأنه مصدر أو بزنته كما قيل هم صديق وجمعه أنجية كندي وأندية قال كبيرهم أي في السن
وهو روبيل أو في الرأي وهو شمعون وقيل يهوذا ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا
من الله عهدا وثيقا وإنما جعل حلفهم بالله موثقا منه لأنه بإذن منه وتأكيد من جهته ومن
قبل ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شأنه وما مزيدة ويجوز أن تكون مصدرية في
موقع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف أو على اسم
أن وخبره في يوسف أو من قبل أو الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لأن قبل إذا كان خبرا أو صلة
لا يقطع عن الإضافة حتى لا ينقص وأن تكون موصولة أي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة
ومحله ما تقدم فلن أبرح الأرض فلن أفارق أرض مصر حتى يأذن لي أبي في الرجوع أو يحكم الله
لي أو يقضي لي بالخروج منها أو بخلاص أخي منهم أو بالمقاتلة معهم لتخليصه روي أنهم كلموا العزيز
في إطلاقه فقال روبيل أيها الملك والله لتتركنا أو لأصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور
جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم إلى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب إذا غضب أحدهم فمسه الآخر
ذهب غضبه فقال روبيل من هذا إن في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب وهو خير الحاكمين لأن
حكمه لا يكون إلا بالحق ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق على ما شاهدنا من
ظاهر الأمر وقرئ سرق أي نسب إلى السرقة وما شهدنا عليه إلا بما علمنا بأن رأينا أن الصواع
استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري أنه سرق أو سرق ودس الصاع

في رحله او وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب
به كما اصبت بيوسف واسئل القرية التي كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادى
فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسئلهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير التي توجهنا فيهم
وكنا معهم وانا لصادقون تأكيد في محل القسم قال بل سولت اى فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له
ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اى زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقدرتموه والا
فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله
ان يأتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم
الحكيم في تدبيره وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفى على يوسف
اى يا اسفى تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما
تأسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزءه كان قاعدة المصيبات
وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط امة
من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصاب
لم يسترجع وقال يا اسفى وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت
سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند
التفجع ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد
بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط
الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه
لا يظهره فعيل بمعنى مفعول لقوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل
لقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله
تفتؤ تذكر يوسف اى لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح
قاعدا لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا
مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث
ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من
الميتين قال انما اشكو بثي وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم
ولا من غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجئ
اليه او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله
عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى تخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا
من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس تطلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله
لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح اى من رحمته التي يحيى بها العباد انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته في شيء من الاحوال
فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر

شدة الجوع

شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا
دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر
وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتم لنا الكيل وتصدق علينا
برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة
الصدقة تعم الانبياء او تختص بنبينا عليه الصلوة والسلام ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء
والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم
فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان
يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك
تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا
وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه
فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين
قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه وقرأ ابن كثير
على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج
عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها قال انا
يوسف وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشأنه وادخالا له في قوله قد من
الله علينا اى بالسلامة والكرامة انه من يتق اى يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات او عن المعاصي
فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى
والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا
لخاطئين والحال ان شأننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم
تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض
ويذهب بماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا اثربكم
اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ
واعترفوا بها حينئذ وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن
كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن
نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون
سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي
واني من حفدة ابرهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث
الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يرجع بصيرا اى ذا بصر وأتوني انتم
وابي باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت
من عمرانها قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل به

إليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا أن تفندون تنسبوني إلى الفند وهو نقصان عقل يحدث
من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لأن نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره
لصدقتموني أو لقلت إنه قريب قالوا أي الحاضرون تالله إنك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن
الصواب قدما بالإفراط في محبة يوسف والإكثار ذكره والتوقع للقائه فلما أن جاء البشير
يهوذا روي أنه قال كما أحزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم إليه فأفرحه بحمل هذا إليه ألقاه على
وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش
فيه من القوة قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف وإنزال الفرج وقيل إني
أعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله أو إني لأجد ريح يوسف قالوا يا أبانا
استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويسأل له المغفرة قال
سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم أخره إلى السحر أو إلى صلاة الليل أو إلى ليلة الجمعة
تحريا لوقت الإجابة أو إلى أن يستحل لهم من يوسف أو يعلم أنه عفا عنهم فإن عفو المظلوم شرط
المغفرة ويؤيده ما روي أنه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما
أذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعده
على النبوة وهو إن صح فدليل على نبوتهم وأن ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على
يوسف روي أنه وجه إليه رواحل وأموالا ليتجهز إليه بمن معه واستقبله يوسف والملك
بأهل مصر وكان أولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا
مع موسى ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى آوى إليه
أبويه ضم إليه أباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الأم تنزيل العم منزلة الأب في قوله وإله آبائك
إبراهيم وإسمعيل أو لأن يعقوب تزوجها بعد أمه والرابة تدعى أما وقال ادخلوا مصر إن شاء الله
آمنين من القحط وأصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالأمن والدخول الأول كان
في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فإن
السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لأجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لأبويه
وإخوته والرفع مؤخر عن الخرور وإن قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا أبت هذا تأويل
رؤياي من قبل رأيتها في أيام الصبى قد جعلها ربي حقا صدقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن
ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لأنهم كانوا أصحاب المواشي
وأهل البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي أفسد بيننا وحرش من نزغ الرائض
الدابة إذا نخسها وحملها على الجري إن ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له إذ ما من صعب إلا
وينفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها إنه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل
شيء في وقته وعلى وجه تقتضي الحكمة روي أن يوسف طاف بأبيه عليهما السلام في خزائنه فلما أدخله
خزانة القرطاس قال يا بني ما أغفلك وعندك هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثمان مراحل
قال أمرني جبريل قال أوما تسأله قال أنت أبسط مني إليه فسأله قال جبريل الله أمرني بذلك لقولك

واخاف

وأخاف أن يأكله الذئب قال فلم أخفتني رب قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر و
علمتني من تأويل الأحاديث الكتب أو الرؤيا ومن أيضا للتبعيض لأنه لم يؤت كل التأويل فاطر
السموات والأرض مبدعهما وانتصابه على أنه صفة المنادى أو منادى برأسه أنت وليي ناصري
أو متولي أمري في الدنيا والآخرة أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني وألحقني بالصالحين
من آبائي أو بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي أن يعقوب أقام معه في مصر أربعا وعشرين
سنة ثم توفي وأوصى أن يدفن بالشام إلى جنب أبيه فذهب به ودفنه ثمة وعاد وعاش بعده
ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه إلى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم
أهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا أن يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل حيث
يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى إلى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين
سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة أيوب ذلك
إشارة إلى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول وهو مبتدأ من أنباء الغيب نوحيه إليك
خبران له وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى أن هذا النبأ غيب
لم تعرفه إلا بالوحي لأنك لم تحضر إخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من أن يجعلوه في غيابت
الجب وهم يمكرون به وبأبيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك أنك ما لقيت
أحدا سمع ذلك فتعلمته منه وإنما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله تعالى
ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا وما أكثر الناس ولو حرصت على إيمانهم وبالغت في إظهار
الآيات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الأنباء أو القرآن من أجر
جعل كما يفعله حملة الأخبار إن هو إلا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكأين من آية
والمعنى وكأي عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده
في السموات والأرض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها
ولا يعتبرون بها وقرئ والأرض بالرفع على أنه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على
ويطؤون الأرض وقرئ والأرض يمشون عليها أي يترددون فيها فيرون آثار الأمم الهالكة وما يؤمن
أكثرهم بالله في إقرارهم بوجوده وخالقيته إلا وهم مشركون بعبادة غيره أو باتخاذ الأحبار أربابا
ونسبة التبني إليه أو القول بالنور والظلمة أو النظر إلى الأسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي
مكة وقيل في المنافقين وقيل في أهل الكتاب أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة
تغشيهم وتشملهم أو تأتيهم الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون بإتيانها
غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة إلى التوحيد والإعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل
بقوله أدعو إلى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء أنا تأكيد للمستتر
في أدعو أو على بصيرة لأنه حال منه أو مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله
وما أنا من المشركين وأنزهه تنزيها عن الشركاء وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا رد لقولهم لو شاء
ربنا لأنزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء نوحي إليهم كما أوحي إليك ويميزوا بذلك

عن غيرهم وقرأ حفص في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء من اهل القرى لان اهلها
اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين
بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها
ولدار الاخرة ولدار الحال او الساعة او الحيوة الاخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا
تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء
حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية محذوف
دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في
الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا
اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم
اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني
للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما
يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل
وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا
بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا
له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين
يستأهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي
المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين
لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء وامهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب
لذوي العقول المبرأة عن شوائب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن
حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين
اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها
خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه عن النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما
مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد
مسلما

سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الاية وآيها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك ايات الكتاب يعني بالكتاب السورة
وتلك اشارة الى اياتها اي تلك الايات ايات السورة الكاملة او القرآن والذي انزل اليك
من ربك هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين
على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل
على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق
المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه الله الذي رفع
السموات مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع

عماد

عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استئناف
للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على
سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان
يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج
سائر ما ذكر من الايات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما
لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري
لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس
كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة
وغير ذلك يفصل الايات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم
بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته وتعلموا ان من قدر على خلق هذه
المخلوقات وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا
ليثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت
جمع راسية والتاء للتأنيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بها فعلا
واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي
وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير
يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر
يغشي بالتشديد ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه
دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة
وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس
ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع
في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها
متضامة متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها
انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان
ومتفرقات مختلفة الاصول وعن حفص بالضم وهو لغة بني تميم كقنوان في جمع قنو تسقى بماء
واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا
مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر
مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل
بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر
وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص
عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والايات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة

على اختراع الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته أئذا
كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه أئنا
لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال في
اعناقهم مقيدون بالضلالة لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة واولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل
الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد
خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها
عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص
وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين
والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الميم على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به
دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب
الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي
صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل
كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه
واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان
بما يصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما
الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي
الا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه
وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد
دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال
الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله وانه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة
وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل
اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم
بن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال
الشافعي اخبرني شيخ باليمن ان امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض
وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين
تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله او لما فيها وكل شيء
عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى
خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك وقرأ ابن كثير هاد
ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل فاذا وقف بالياء في هذه الاربعة الاحرف

حيث وقعت لا غير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء عالم الغيب الغائب عن الحس
والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء المتعال المستعلي على كل
شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن
جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ بالليل وسارب بالنهار بارز
يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من بمعنى الاثنين كقوله
نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كأنه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة
بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له معقبات لمن اسر او جهر او استخفى او سرب معقبات ملائكة تعتقب
في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم
يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد
بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب ومعقبة على تعويض الياء من احدى القافين من بين
يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه متى اذنب
بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من
بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه
في توهمه من قضاء الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال
الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل
عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله
محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف
اي ارادة خوف وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذو
او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه
وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس
في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون سبحان الله والحمد لله او يدل
الرعد على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس
سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها
السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها
من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يصفه به
من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد
في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روي ان عامر
بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله
فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول عليه السلام فقال
اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت
سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة

والمكايدة لاعدائه من محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال
الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة
اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز
ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد
له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة
المجابة فان من دعاه اجابه ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة
الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء
اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الآية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به
محال من الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة
على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول عليه السلام
او بيان ضلالهم وفساد رأيهم والذين يدعون اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف
الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون
لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ
فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان
بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغرف
الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين
الا في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها
يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة
والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث
ما اراده فيهم شاؤا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب
طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال
من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى
وقناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ
والايصال وهو الدخول في الاصيل قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل
الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب
قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل اولياء لا
يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا
فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم
في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة
العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم
ام هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله

شركاء

شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار
فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى تشابه
الخلق عليهم فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم
اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل
الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم
استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد اي المتوحد بالالوهية القهار
الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منها
فسالت اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء
الجاري فيه وتنكيرها لان المطر يأتي على تناوب بين البقاع بقدرها اي بمقدارها الذي
علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد
وضر الغليان رابيا عاليا ومما يوقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة
والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلي او متاع كالاواني
وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومما توقدون عليه زبد
مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او للتبعيض وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على ان الضمير
للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في
افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به
انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى
العيون والقنى والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة
ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله
فاما الزبد فيذهب جفاء يجفى به اي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال و
قرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث في الارض فينتفع به
اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا
لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على
انه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب الامثال لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة او
الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا
به وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة
فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء ومأويهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر و
المخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمي القلب
لا يستبصر فيستجيب والهمزة لانكار ان تقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر
اولوا الالباب ذوو العقول المبرأة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله
ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون

الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين
يصلون ما أمر الله به أن يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان بجميع الأنبياء
ويندرج في ذلك مراعاة حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء
الحساب خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه النفس ويخالفه
الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوها وأقاموا الصلوة المفروضة
وأنفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم إنفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به
ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الإساءة بالإحسان أو يتبعون الحسنة السيئة
فتمحوها أولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها وهي الجنة والجملة خبر
الموصولات إن رفعت بالابتداء وإن جعلت صفة لأولي الألباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات
جنات عدن بدل من عقبى الدار أو مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الإقامة أي جنات يقيمون فيها
وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون
وإنما ساغ للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى أنه يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ
مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة أو أن الموصوفين
بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم وفي
التقييد بالصلاح دلالة على أن مجرد الأنساب لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم
متعلق بعليكم أو بمحذوف أي هذا بما صبرتم لا بسلام فإن الخبر فاصل والباء للسببية أو البدلية
فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والأصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها إلى الفاء وبغيره
والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي الأولين من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه به من الإقرار
والقبول ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض بالظلم وتهييج الفتن أولئك
لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم أو سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا أي أهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم في
الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة إلا متاع إلا متعة لا تدوم كعجالة الراكب
وزاد الراعي والمعنى أنهم أشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة و
اغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من
ربه قل إن الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي إليه من أناب أقبل إلى الحق
ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كأنه قال قل لهم ما أعظم عنادكم إن
الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أنزلت كل آية ويهدي إليه من أناب
بما جئت به بل بأدنى منه من الآيات الذين آمنوا بدل من من أو خبر مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم
بذكر الله أنسا به واعتمادا عليه ورجاء منه أو بذكر رحمته بعد القلق من خشيته أو بذكر دلائله
الدالة على وجوده ووحدانيته أو بكلامه يعني القرآن الذي هو أقوى المعجزات ألا بذكر الله تطمئن القلوب

تسكن إليه

تسكن إليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا
لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب
بالنصب كذلك مثل ذلك يعني إرسال الرسل قبلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم تقدمتها
أمم أرسلوا إليهم فليس ببدع إرسالك إليها لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك لتقرأ عليهم الكتاب
الذي أوحيناه إليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم أنهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي أحاطت بهم
نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما أنعم عليهم بإرسالك إليهم وإنزال
القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم
اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن قل هو ربي أي الرحمن خالقي ومتولي أمري لا إله إلا هو
مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم وإليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو أن
قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن أو المبالغة في عناد
الكفرة وتصميمهم أي ولو أن كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها أو قطعت به الأرض تصدعت
خشية الله عند قراءته أو شققت فجعلت أنهارا وعيونا أو كلم به الموتى فتقرأه أو فتسمع و
عند قراءته لكان هذا القرآن لأنه الغاية في الإعجاز والنهاية في التذكير والإنذار أو لما
آمنوا به لقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية وقيل إن قريشا قالوا يا محمد إن سرك أن
نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع أو سخر لنا
به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام أو ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك
فنزلت وعلى هذا فتقطيع الأرض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن
وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الأمر جميعا بل لله
القدرة على كل شيء وهو إضراب عما تضمنه لو من معنى النفي أي بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوه
من الآيات إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا يلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله أفلم
ييأس الذين آمنوا عن إيمانهم مع ما رأوا من أحوالهم وذهب أكثرهم إلى أن معناه أفلم يعلم لما
روي أن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤا أفلم يتبين وهو تفسيره وإنما
استعمل اليأس بمعنى العلم لأنه مسبب عن العلم فإن الميؤس عنه لا يكون إلا معلوما ولذلك علقه
بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فإن معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة
باهتدائهم وهو على الأول متعلق بمحذوف تقديره أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمانهم علما منهم
أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا أو بآمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر
وسوء الأعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلعهم أو تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير
إليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فإنهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
فإنه عليه السلام كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتخطف مواشيهم وعلى هذا يجوز أن يكون
تحل خطابا للرسول عليه السلام فإنه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى يأتي وعد الله الموت
أو القيامة أو فتح مكة إن الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل

من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه
والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم
افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت
عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف او عطف
على كسبت ان جعل ما مصدرية او لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه
على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا
هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه
بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لاجلها
لا يعلمها وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة و
اعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز
بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا
عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس
عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب
في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الاخرة اشق لشدته
ودوامه وما لهم من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون
صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة
وقيل خبره تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف
من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك
اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب
النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك
يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران
وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب
يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد
والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم او ما يوافق ما حرفوه منها قل انما امرت
ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده
وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع
مخالفة الشرائع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه
ادعو لا الى غيره واليه مآب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء
فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه
وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في
القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه و

على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت
عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب
عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا
مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما كان لرسول وما صح له
ولم يكن في وسعه ان يأتي باية تقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه المليء بذلك
لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله
ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت
الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه
وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ
نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ
اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت الحال
اريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب
للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه
اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم
لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب
لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك
كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب
فيحاسبهم عما قليل في الاخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم
بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما
هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن
عقبى الدار من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله
بهم واللام يدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ
ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي
اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء
اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها
ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام
واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح
الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب
على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين
للثانية وقرئ ومن عنده علم على الحرف والبناء للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث

وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله **سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون اية**
بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى
ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله
مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله
الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استئناف على انه جواب لمن يسال
عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه
على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله الذي له ما في السموات وما في الارض على
قراءة نافع وابن عامر بالرفع مبتدا وخبر او خبر محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين
عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد
وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوال وهو النجاة واصله
النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا
على الاخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره و
يصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول
من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها
عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير و
الموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدا خبره
اولئك في ضلال بعيد اي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به
فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة
ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك
ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب
على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد
في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب
المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين و
ضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد عليه السلام وان الله انزل الكتب
كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك ليس بصحيح يرده قوله ليبين
لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم ينزل ليبين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله
عن الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم الذي لا يضل
ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج
قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ
الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقائعه

التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان في ذلك لايات
لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما انزل على من قبله من البلاء و
افيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر
عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله
عليكم اذ انجاكم من ال فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم
ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريد بها العطية دون الانعام ويجوز ان
يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم
احوال من ال فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف
لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم
بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله تعالى اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه
ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من كلام موسى
وتاذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم
يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم
ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد
ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر او مفعول تاذن على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال
موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق الحمد في ذاته
محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها
مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود
من كلام موسى او كلام مبتدا من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين
من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله
ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم
فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها
تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او
اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او
ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى
الايادي اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم
لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم
به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في
الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء قالت رسلهم افي الله شك ادخلت
همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا
يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشاروا الى ذلك بقوله فاطر السموات

والأرض وهو صفة أو بدل وشكّ مرتفع بالظرف يدعوكم إلى الإيمان ببعثه إيانا ليغفر لكم أو
يدعوكم إلى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على إقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم
وهو ما بينكم وبينه فإن الإسلام يجبّه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون
المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه أن المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار
مرتبة على الإيمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول
الخروج عن المظالم ويؤخركم إلى أجل مسمى إلى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر أعماركم قالوا إن أنتم
إلا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله أن يبعث إلى البشر رسلا
لبعث من جنس أفضل تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوى فأتونا بسلطان
مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية أو على صحة ادعائكم النبوة كأنهم لم يعتبروا
ما جاؤوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية أخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم إن
نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمنّ على من يشاء من عباده سلّموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب
لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنّه عليهم وفيه دليل على أن النبوة عطائية وأن ترجيح بعض الجائزات
على بعض بمشيئته تعالى وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله أي ليس إلينا الإتيان بالآيات
ولا تستبدّ به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وإنما هو أمر متعلق بمشيئة الله فيخص كل نبي بنوع من
الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمّموا الأمر للإشعار
بما يوجب التوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا ألا ترى قوله وما لنا ألا نتوكل على الله أي أيّ عذر
لنا في أن لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم أن الأمور كلها بيده وقرأ أبو عمرو بالتخفيف
هنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف أكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم
بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم
عن إيمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا حلفوا على أن يكون
أحد الأمرين إما إخراجهم للرسل أو عودهم إلى ملتهم وهو بمعنى صيرورتهم لأنهم لم يكونوا على ملتهم قط
ويجوز أن يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فأوحى إليهم ربهم أي
إلى الرسل لنهلكن الظالمين على إضمار القول أو إجراء الإيحاء مجراه لأنه نوع منه ولنسكننكم الأرض
من بعدهم أي أرضهم وديارهم كقوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض
ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى كقولك أقسم زيد ليخرجن ذلك إشارة
إلى الموحى به وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه
العباد للحكومة يوم القيامة أو قيامي عليه وحفظي لأعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد أي وعيدي
بالعذاب أو عذابي الموعود للكفار واستفتحوا سألوا من الله الفتح على أعدائهم أو القضاء بينهم وبين
أعدائهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فأوحى والضمير للأنبياء
وقيل للكفرة وقيل للفريقين فإن كلهم سألوه أن ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الأمر
عطفا على ليهلكن وخاب كل جبار عنيد أي ففتح لهم فأفلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله

معاند

معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة إذا كان الاستفتاح من الكفرة أو من القبيلين كان أوقع من
ورائه جهنم أي من بين يديه فإنه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث
إليها في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء صديد عطف على محذوف
تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد وصديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود أهل النار
يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء أو حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب أن
يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول
نفس ويأتيه الموت من كل مكان أي أسبابه من الشدائد فيحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان
من جسده حتى من أصول شعره وإبهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه
عذاب غليظ أي يستقبل في كل وقت عذابا أشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل
حبس الأنفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في أهل مكة طلبوا الفتح الذي
هو المطر في سنيهم التي أرسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيّب رجاءهم فلم يسقهم ووعد لهم أن
يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد أهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف أي فيما
يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة وقوله أعمالهم كرماد وهو على الأول جملة مستأنفة لبيان مثلهم
وقيل أعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته وأسرعت الذهاب به وقرأ نافع
الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم
وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم وإغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك
من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير أساس من معرفة الله والتوجه بها إليه أو أعمالهم للأصنام برماد
طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له أثرا
من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك إشارة إلى ضلالهم مع حسبانهم أنهم محسنون هو الضلال
البعيد فإنه الغاية في البعد عن طريق الحق ألم تر خطاب للنبي والمراد به أمته وقيل لكل واحد
من الكفرة على التلوين أن الله خلق السموات والأرض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق أن يخلق عليه
وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم
رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والأرض استدلالا به عليه فإن من خلق أصولهم وما يتوقف عليه
تخليقهم ثم كوّنهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر أن يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك
كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر أو متعسر فإنه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون
مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بأن يؤمن به ويعبد رجاء ثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء
وبرزوا لله جميعا أي يبرزون من قبورهم يوم القيامة لأمر الله ومحاسبته أو لله على ظنهم فإنهم
كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون أنها تخفى على الله فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى
عند أنفسهم وإنما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الأتباع جمع ضعيف يريد به
ضعفاء الرأي وإنما كتب بالواو على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو للذين استكبروا
لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم إنا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والإعراض عن نصائحهم

وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدينا الله للايمان لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدينا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الامر اي حكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربتكه واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتمون اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم

حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين وقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحيوة الدنيا فلا يزلون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الآخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف فلا تدهشهم اهوال القيمة روي انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد عليه الصلوة والسلام فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال بعض من غير اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلة فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين واحلوا قومهم الذين شايعوهم في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار اي وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا

ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال
ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم
او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد
عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان
مصيركم الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع قل لعبادي الذين آمنوا
خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه
جوابه اي قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم
فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب
الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن
في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا
وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة
لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبا على المصدر اي انفاق
سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان
الواجب واخفاء المتطوع به من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره
او يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه
بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما
على النفي العام الله الذي خلق السموات والارض مبتدأ وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له وحال منه ويحتمل
عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق
وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة
لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين
يدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان
لسباتكم ومعاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه اي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه شيئا
فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل
لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسأل وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر
بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال
ويجوز ان تكون ما نافية في موضع الحال اي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها لا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان
المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه
بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة
يجمع ويمنع واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد بلد مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق

بينه

بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا
وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها
في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل
على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله تعالى وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته
وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون
بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن
كثيرا من الناس فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال
اليهن باعتبار السببية كقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لا
ينفك عني في امر الدين ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق
للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره
ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن
ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة لانها حجرية لا تنبت
عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة او منع
منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله
قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم عليه السلام
فولدت منه اسمعيل عليه السلام فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله
عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثمة طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوها فرأوهما وعندهما
عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في البانها ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي
وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة
عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود
من الدعاء توفيقهم لها فاجعل افئدة من الناس افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل
لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك
القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرأ هشام افيدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ افدة وهو يحتمل
ان يكون مقلوب افئدة كآدر في ادؤر وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت
اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين
ويجوز ان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداد وقرئ تهوى على البناء للمفعول
من اهوى اليه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم
من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله
حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد
ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا
وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى

رحمتك واستجلابا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل
عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجاء الى الله تعالى وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا
في السماء لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي
على الكبر اي وهب لي وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما
فيها من آلاء الله اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة واثنتي عشرة سنة
ان ربي لسميع الدعاء لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة
عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه
دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم و
اجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني
والتبعيض لعلمه باعلام الله تعالى او استقراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار
ربنا وتقبل دعاء واستجب او وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ ولابوي وقد
تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت
مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف او اسند
اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمراد تثبيته على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم
على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية
للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار
اي تشخص فيه ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي او مقبلين
بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد
اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم
هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء اي لا رأي
فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس
يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر
فيقول الذين ظلموا بالتكذيب والشرك ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا
وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجب دعوتك نجب
دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين
اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب
على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا
بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار
اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله
من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان

يعدى بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجري مجراه كقوله سكنتا الدار وتبين لكم كيف
فعلنا بهم بما تشاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا
لكم الامثال من احوالهم او بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا
وما فعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال
الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عند الله فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم
به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى ومعدا لازالة
الجبال وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم والمراد بالجبال مثل
لامر النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال
الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرايعه وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة
واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ و
ان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن
انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا
كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب
لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض بدل
من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف
لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل
يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله تعالى بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك
بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما
وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء
لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى
ابو هريرة انه عليه السلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى
فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على
الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله تعالى
كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد
القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث
لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم
في العقايد والاعمال كقوله تعالى واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا
من العقائد الزايغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل
ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال
من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قرناه في صفاد يعض على

وبعظم ساق واصله كالشق سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من
الابهل فيطبخ فيهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة
يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه
ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين
ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية فتجلب اليها
انواعا من الغموم والالام وعن يعقوب قطران والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي
حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم النار اي وتتغشاها لانهم لم
يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبر مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع
على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
يوم القيمة وقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس
مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون على اجرامهم علم ان
المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله
حساب عن حساب هذا اشارة الى القران او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن
الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا به بهذا
البلاغ فيكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل وتلي و
قرئ بفتح الياء من نذر به اذا علم به واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه
من الايات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا
بما يحظيهم واعلم انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل
للناس واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي
هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابرهيم اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد **سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون اية**

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب وقران مبين الاشارة الى ايات السورة والكتاب هو
السورة وكذا القران وتنكيره للتفخيم اي ايات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرانا يبين الرشد من الغي
بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول
الموت او يوم القيمة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالفتح والتخفيف وفيها ثمان لغات
ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف وبتاء التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله
على الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه
وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان
بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة
وقيل تدهشهم اهوال القيمة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكاية
ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل

ويشغلهم

ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون
سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان
وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي
اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى
جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله تعالى الا لها منذرون ولكن لما شابهت
صورتها صورة الحال ادخل عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون
اي وما يستاخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر
نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قولهم انك لمجنون ونظير ذلك
قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعي ان
الله نزل عليك الذكر اي القران لو ما تاتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء
لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله تعالى لولا انزل اليه
ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت المكذبين قبل ان كنت من الصادقين في
دعواك ما ننزل الملائكة بالياء اسند الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص ننزل الملائكة
بالنون وابو بكر تنزل الملائكة بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق
الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تاتيكم بصور تشاهدونها
فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان
وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة
ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله
وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى
تغيير نظمه على اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه
المنزل له وقيل الضمير في له للنبي عليه السلام ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة
وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد
به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به
يستهزءون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعناه
او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين و
السلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل
على انه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الاخر في قوله لا يؤمنون به له وهو حال من
هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان
للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجع
ولا يتعين ان يكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان يكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى
الاول بل يقويه وقد خلت سنة الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم

او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيداً لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين
باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما
يرون او يصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق
انما سكرت ابصارنا سدت من الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او
حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما
قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة
له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجاً اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص
على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين
المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا
يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع
بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سراً شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما
بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس انهم كانوا لا
يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا
من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء
منقطع اي لكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار
ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا
فيها رواسي جبالاً ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار
معين يقتضيه حكمته او مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن
في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز
على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم والمراد به العيال والخدم
والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظناً كاذباً فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية
الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع
النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته و
التفرد في الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك
وقال وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف
ما وجد منه فضرب الخزائن مثلاً لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها
الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشيئة
فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملاً على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم
وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه
ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر او السحاب ونظيره الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على تأويل
الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين

متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في الغدران والعيون والآبار
وذلك ايضاً يدل على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه
ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حد لا بد له من سبب مخصص وانا
لنحن نحيي بايجاد الحياة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحياة بما
يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلائق كلها
ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين من استقدم ولادة وموتاً ومن استأخر
او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة
او تأخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان
ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه
فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها
وتأخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه
القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ما سبق من الدلالة
على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء ويدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة
متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال من طين يابس يصلصل اي
يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل من حمأ طين تغير واسود من طول مجاورة
الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حمأ مسنون مصور من سنة الوجه او مصبوب ليبس ويتصور
كالجواهر المذابة تصب صورته في القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال
انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طوراً بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه
او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتناً ويسمى سنيناً والجان
ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان
من شخص واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقاً منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه
من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحياة
في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلاً عن الاجساد المؤلفة التي الغالب
فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب
كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو
للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ
قال ربك اي واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته
عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف اعضائه فحيي و
اصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولاً بالبخار اللطيف المنبعث
من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملاً لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن
جعل تعلقه بالبدن نفخاً واضافة الروح الى نفسه لما مر في سورة النساء فقعوا له فاسقطوا له

ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم و
منع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه
نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله
ابى ان يكون مع الساجدين اي ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استينافا على انه جواب سائل
قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك ان لا تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع
الساجدين لادم قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر
جسماني كثيف وانا ملك روحاني لطيف خلقته من صلصال من حما مسنون وهو اخس العناصر
وخلقتني من نار وهو اشرفها استنقص ادم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف
قال فاخرج منها اي من السما او من الجنة او من زمر الملائكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة فان
من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك
اللعنة هذا الطرد وانه لما ضرب الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف
ومن يوم الجزاء ما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى
عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى
اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها
فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة في الاغوا ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت
البعث فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك
عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة
يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزا لما عرفت وثانيا بيوم
البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في
الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث مع الخلائق في تضاعيفه و
المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال
قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم
باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض
وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغوا بالنسبة الى
الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لادم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا
عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغوا بني ادم بان الله تعالى علم منه
وممن يتبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا
لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين
ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم
من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القران اي الذين اخلصوا
نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه

المستثنا

الاستثنا وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول
الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا
من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثنا وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان
المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا
على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثنا منقطعا وعلى الاول
يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض الاستثنائين وان
جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته
مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون
فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير
ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى
المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع
جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين
والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرا ابو بكر جزء بالتثقيل وقرئ
جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاء ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف
ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين
من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين او
لكل عدة منها كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة
التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن الاية وقرا نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون
بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة و
كسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم امنين من الافة والزوال
ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد كان
في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات
الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من الضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في امنين او الضمير المضاف
اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا
او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستتر في على سرر لا يمسهم
فيها نصب استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام
النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق
من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها
كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفي
عطف ونبئهم عن ضيف ابرهيم على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما

اى نسلم عليك سلاما او سلمنا عليك سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك لانهم
دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه
قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا
نبشرك استيناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر
بغلام هو اسحق لقوله فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ قال ابشرتمونى على ان مسنى الكبر تعجب من ان
يولد له مع مس الكبر اياه وانكار لان يبشر به فى مثل هذه الحال وكذلك قوله فبم تبشرون اى فباى
اعجوبة تبشرونى او فباى شئ تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة
بغير شئ وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة فى كل القرآن على ادغام نون الجمع فى نون الوقاية ونافع
بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على
الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او باليقين الذى لا لبس فيه او بطريقة هى حق وهو قول
الله وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين
فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابرهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك
قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اى المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله
وكمال علمه وقدرته كما قال تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائى
يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اى فما شانكم الذى
ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا و
البشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد فى بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه
فى تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدءوا بها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين
يعنى قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان
كان استثناء من الضمير فى مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط
المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجى آل لوط
ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اى مما نعذب به القوم وهو استيناف اذا اتصل الاستثناء
متصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله الا امرأته استثناء
من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم
اعتراضا وقرأ حمزة والكسائى لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة
لتهلك معهم وقرأ ابو بكر قدرنا هنا وفى النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب
لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله
جعل الشئ على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص
به فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسى وتنفر عنكم مخافة ان تطرقونى
بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك
ويشفيك من عدوك وهو العذاب الذى توعدتهم به فيمترون فيه وآتيناك بالحق باليقين من عذابهم

وانا

وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم فى الليل وقرأ الحجازيان بوصل الالف
من سرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل بطائفة من الليل وقيل فى آخره قال افتحى
الباب وانظرى فى النجوم كم علينا من قطع ليل منهج واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع
بهم وتطلع على احوالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه
ما اصابهم او ولا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا
نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضى اليه وهو الشام او مصر
وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اليه اى واوحينا اليه مقضيا
ولذلك عدى بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه
وفى ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى
لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين فى الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير فى مقطوع وجمعه للحمل
على المعنى فان دابر هؤلاء فى معنى مدبرى هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط
طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون بفضيحة ضيفى فان من اسئ الى ضيفه فقد اسئ اليه
واتقوا الله فى ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلونى بسببهم من الخزى وهو الهوان او ولا تخجلون
فيهم من الخزاية وهى الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم
فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم
قال هؤلاء بناتى يعنى نساء القوم فان نبى كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت فى هود ان كنتم فاعلين
قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو النبى عليه السلام وقيل لوط قالت الملائكة له
والتقدير لعمرك قسمى وهو لغة فى العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم
انهم لفى سكرتهم لفى غوايتهم او شدة غلمتهم التى ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذى
يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم
الصيحة يعنى صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين فى وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها
عالى المدينة او عالى قراهم سافلها وصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين
متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد سبق مزيد بيان لهذه القصة فى سورة هود ان فى ذلك
لآيات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشئ بسمته
وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان فى
ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا
يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة
فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعنى سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا
اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به
فسمى به اللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعنى ثمود كذبوا
صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالح ومن معه

من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين
يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة
وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام واللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب
لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت
الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها
ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو
منسوخ بآية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم
بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم
ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وأبي هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير
ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة
فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل
سبع صحائف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى
تكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله بما هو اهله
من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او كتب الله كلها فيكون من للتبعيض والقرآن
العظيم ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع
فمن عطف احد الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به
ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى
دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي
فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه صلى الله عليه وسلم وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة
والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا
لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل
السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع
لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم
تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه
والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان
بالرسول عليه السلام فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا
صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف لقوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون
هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه مخالف
لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا

ببعض

ببعض على ان القرآن ما يقرؤونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
لا تمدن الى آخره اعتراضا ممد لها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها
عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل اسحارا من عضهه اذا بهته وفي الحديث لعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وعن عكرمة العضه السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا
المحذوف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره فوربك لنسألنهم اجمعين عما
كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي
فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل و
اصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع واعرض
عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة
من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود
بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم
امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه
فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات فاومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله
حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدي بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث
وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود
بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم
انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع
الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له
على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا حزنه امر
فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى
فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان
له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل

مكية غير ثلاث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا
تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة او اهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر
استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان
الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه
ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم و
قرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب
للمؤمنين اولهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس
رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحي او القرآن فانه يحيي به القلوب الميتة
بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكر عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي

به علم الرسول تحقيق موعودهم ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع
المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره او من اجله على من يشاء من عباده ان يتخذوه رسولا ان
انذروا بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان
الشأن لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون
رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية
في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والاية تدل على ان نزول
الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية
والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية والايات التي بعدها
دليل على وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة
والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على
مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منها
او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليهما او مما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل
الاجرام خلق الانسان من نطفة
جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مجادل مبين
للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم
بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم
وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده
تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع
ليتناول عوضها ومنها تأكلون اي تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة
على رؤوس الاي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى
سبيل التداوي او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين
تسرحون تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين
اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوي الى
الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه
وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن الانعام ولم تخلقوا فضلا من ان تحملوها
على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق
الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤوف رحيم
حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها
وزينة اي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة
بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض

وقرئ

وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين
اي متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل
بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين و
المحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ولو كانت الحرمة مستفادة من الاية لكانت معلومة
بمكة ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري
اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة
والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او
اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال
سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد
بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال ومنها جائر حائد عن القصد او عن الله وتغيير
الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل
الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد ولو شاء لهداكم اجمعين
اي ولو شاء الله هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل
من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية
متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون والابار منه لقوله تعالى
فسلكه ينابيع وقوله تعالى فاسكناه في الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي
وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال يعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون
ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات
ينبت لكم به الزرع وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات
وبعضها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه
سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة و
ترتيبها ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع
في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها
فيخرج منه عروقها ثم تنمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها
على اجسام مختلفة الاشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطباع السفلية والتأثيرات
الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد
ولعل فصل الاية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم
مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء او لما
خلقن له بايجاده وتقديره او بحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين
النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات
واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور

والتسلسل او مصدر جمع لاختلاف النوع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما
للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون جمع الآية
وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء
فكر كاحوال النبات وما ذرأ لكم في الارض عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات
مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لآية لقوم يذكرون ان اختلافها
في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من
الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه
ارطب اللحوم يسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق
وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف لا يأكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان
على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا
يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي تلبسها نساؤكم واسند
اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه تشقه
بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها
للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر
لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى في الارض
رواسي جبالا رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان يخلق
فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك
او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها
نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت
الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى
فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله وعلامات معالم يستدل
بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل بالبراري والبحار والمراد
بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات
نعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثير الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في
مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم
خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق
كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد
من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما
وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات
العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم منهم او الاصنام
واجراؤها مجرى اولي العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق

او للمبالغة

او للمبالغة فكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون
فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا عن ان تطيقوا القيام بشكرها
اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء
ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء
شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما
تسرون وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين
يدعون من دون الله اي والآلهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ ابو بكر يدعون بالتاء و
قرأ حفص ثلاثتها بالياء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انهم
لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية
فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب
الوجود اموات هم اموات لا يعتريهم الحياة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول
كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون
ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون
عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد
تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان
لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل
متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان
اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه
والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين لا جرم
حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او
فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله واذا قيل
لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير
الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض
اي على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيامة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم
نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو
حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة
على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس
شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله
بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم

وصار سبب هلاكهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل
التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد أمر
السماء فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم أو يعذبهم بالنار
لقوله ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ويقول أين شركائي أضاف إلى نفسه استهزاء أو حكاية
لإضافتهم زيادة في توبيخهم وقرأ البزي بخلاف عنه أين شركاي بغير همزة والباقون بالهمزة
الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فإن مشاقة
المؤمنين كمشاقة الله قال الذين أوتوا العلم أي الأنبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم إلى التوحيد
فيشاقونهم ويتكبرون عليهم أو الملائكة إن الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين
وفائدة قولهم إظهار الشماتة وزيادة الإهانة وحكايته لأن يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفاهم
الملائكة وقرأ حمزة بالياء وقرئ بإدغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الأوجه الثلاثة
ظالمي أنفسهم بأن عرضوها للعذاب المخلد فألقوا السلم فسالموا وأخبتوا حين عاينوا
الموت ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز أن يكون تفسيرا للسلم على أن المراد به القول
الدال على الاستسلام بلى أي فتجيبهم الملائكة بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه
وقيل قوله فألقوا السلم إلى آخر الآية استئناف ورجوع إلى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا أول من
لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بأنا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوء واحتمل
أن يكون الراد عليهم هو الله تعالى أو أولو العلم فادخلوا أبواب جهنم كل صنف بابها المعد له وقيل
أبواب جهنم أصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين
ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا أي أنزل خيرا وفي نصبه دليل على أنهم لم يتلعثموا في الجواب وأطبقوه على السؤال معترفين
بالإنزال على خلاف الكفرة روي أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله
عليه وسلم فإذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا وإذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين
أحسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافأة في الدنيا ولدار الآخرة خير أي ولثوابهم في الآخرة
خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز أن يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا
لخيرا على أنه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات
عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها
ما يشاؤون من أنواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على أن الإنسان لا يجد جميع ما يريده إلا
في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الأول الذين تتوفاهم
الملائكة طيبين طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم وقيل
فرحين ببشارة الملائكة إياهم بالجنة أو طيبين بقبض أرواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية إلى
الحضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
حين تبعثون فإنها معدة لكم على أعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لأن الأمر بالدخول حينئذ
هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم وقرأ حمزة و

الكسائي

الكسائي بالياء أو يأتي أمر ربك القيامة أو العذاب المستأصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب
فعل الذين من قبلهم فأصابهم ما أصابهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بكفرهم
ومعاصيهم المؤدية إليه فأصابهم سيئات ما عملوا أي جزاء سيئات أعمالهم على حذف المضاف أو تسمية
الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون وأحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل إلا في الشر وقال
الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء
إنما قالوا ذلك استهزاء أو منعا للبعثة والتكليف متمسكين بأن ما شاء الله يجب وما لم يشأ
يمتنع فما الفائدة فيهما أو إنكارا لقبح ما أنكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بأنها
لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا إليه لا اعتذارا إذ لم يعتقدوا
قبح أعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فأشركوا بالله وحرموا
حله وردوا رسله فهل على الرسل إلا البلاغ المبين إلا البلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر في
هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدي إليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه إنما يجب وقوعه
مطلقا بل بأسباب قدرها له ثم بين أن البعثة أمر جرت به السنة الإلهية في الأمم كلها سببا لهدى
من أراد اهتداءه وزيادة لضلال من أراد ضلاله كالغذاء الصالح فإنه ينفع المزاج السوي و
يقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
يأمر بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للإيمان بإرشادهم ومنهم من حقت
عليه الضلالة إذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة
على أن تحقق الضلال وثباته بفعل الله وإرادته من حيث أنه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الآية
الأخرى فسيروا في الأرض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم
لعلكم تعتبرون إن تحرص يا محمد على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعني
بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو أبلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم
بدفع العذاب عنهم وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين أشركوا إيذانا
بأنهم كما أنكروا التوحيد أنكروا البعث مقسمين عليه زيادة في كبت على فساده ولقد رد الله عليهم
أبلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فإن يبعث موعد من الله
عليه إنجازه لامتناع الخلف في وعده أو لأن البعث مقتضى حكمته حقا صفة أخرى للوعد ولكن
أكثر الناس لا يعلمون أنهم يبعثون إما لعدم علمهم بأنه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها وإما
لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم إنه تعالى بين الأمرين فقال ليبين لهم أي يبعثهم ليبين لهم
بعض الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو إشارة
إلى السبب الداعي إلى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب
والعقاب ثم قال إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وهو بيان إمكانه وتقريره
أن تكوين الله بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد وإلا لزم التسلسل فكما
أمكن له تكوين الأشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال أمكن له تكوينها إعادة بعده ونصب ابن عامر و

فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه والمهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم
الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب
وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة
مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه
انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا
وما ادخر لك في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء
المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين
صبروا على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون
منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش
الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه
على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فاسئلوا اهل الذكر اهل
الكتاب وعلماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا
ملكا للدعوة العامة وانما قوله جاعل الملائكة رسلا فمعناه رسلا الى الملائكة والى الانبياء
وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه عليه السلام رأى جبريل على صورته
التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم بالبينات
والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل قال بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا
في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط
او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله على
ان قوله فاسئلوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر
اي القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك
مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل
عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق افأمن
الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا رسول الله
وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث
لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم
فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم
متخوفون او على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي
ان عمر قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص
فقال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها
تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا

قال

قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم
بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله من شيء استفهام انكار اي قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم
لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها يتفيؤ ظلاله
اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة عن اليمين والشمائل عن ايمانها وشمائلها اي عن
جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار
اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله
والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل
وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع
الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب
منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها
ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان
الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب يظهر منه
آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان الاظلال في اول النهار تبتدئ
من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض
ولله يسجد ما في السموات وما في الارض ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد
للتكليف والامر طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات وقوله من دابة بيان لهما لان الدبيب هو الحركة
الجسمانية سواء كانت في ارض او سماء عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف
المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير
لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل
للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون
عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر
كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف
الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون
مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه
دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله انما
هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة
من لوازم الالهية فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود
كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا
وله الدين اي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل
واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن
آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله

اى واى شئ اتصل بكم من نعمة فمن الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار
دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا
مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت فى الدعاء والاستغاثة
ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا
كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال اذا فريق منهم وهم انتم ويجوز
ان يكون للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد بما آتيناهم من نعمة
الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون
اغلظ وعيد وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام
الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اى لآلهتهم التى لا علم لها لانها جماد فيكون
الضمير لما او التى لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى
ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزروع و
الانعام تالله لتسألن عما كنتم تفترون من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون
لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم وتعجب منه ولهم
ما يشتهون يعنى البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان
الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشئ واحد لكنه لا يبعد تجويزه
فى المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة
والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملوء غيظا من المرأة يتوارى
من القوم يستخفى منهم من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا فى ان يتركه
على هون ذل ام يدسه فى التراب ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما
الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل
السوء صفة السوء وهى الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة
الاناث ووأدهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الفائق
والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم المنفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس
بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة
عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة
وقيل لو هلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كى يتوالدوا
فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم
من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكون كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم السلام لجواز ان يضاف اليهم
ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اى ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء
فى الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى
اى عند الله لقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة

ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته فى طلب
الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من الافراط فى المعاصى وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته
فى طلب الماء ومكسورا من التفريط فى الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان
اعمالهم فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اى فى الدنيا وعبر باليوم عن
زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان
يكون الضمير لقريش اى زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولى هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم
وان يقدر مضاف اى فهو ولى امثالهم والولى القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه
ولهم عذاب اليم فى القيامة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذى اختلفوا فيه من التوحيد
والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما
فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات
بعد يبسها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم فى الانعام لعبرة دلالة يعبر
بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما فى بطونه استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا
للفظ وانثه فى سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية
على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او
لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا
وفى المؤمنين من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التى فى
الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام فى الكرش وعن ابن عباس ان البهيمة اذا اعتلفت
وانطبخ العلف فى كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان
اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذى يغذى البدن لانهما لا يتكونان فى الكرش
بل فى الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما
يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد اخلاطها
على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا
انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض فيطيب لبنا
ومن تدبر صنع الله فى احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها
والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهى رحمته ومن الاولى
تبعيضية لان اللبن بعض ما فى بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث
والدم المحل الذى يبتدأ منه الاسقاء وهى متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه
على انه موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء
الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور فى حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف
ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اى ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اى من عصيرهما
وقوله تتخذون منه سكرا استئناف لبيان الاسقاء او تتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا او خبر لمحذوف

صفته تتخذون اي من ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين
انه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا
كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة
بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم
وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه ان في ذلك لآية لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى
النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتأنيث
الضمير على المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر حرف التبعيض لانها
لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه
لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق
المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء
وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها
فاسلكي سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي
الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس
ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت
منقادة لما امرت به يخرج من بطونها عدل به عن خطاب النحل الى الخطاب للناس لانه محل الانعام عليهم
والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعني العسل لانه مما يشرب به واحتج به من زعم ان النحل
تأكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقيئ ادخارا للشتاء ومن زعم
انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها
ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض
واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل او الفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية
او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر
بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان
اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال سقيته فما نفع فقال اذهب
واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ فكأنما انشط من
عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فان من
تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من قادر
حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم بآجال مختلفة ومنكم من يرد الى ارذل
العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة
وقيل هو خمس وسبعون لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان
وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه

على ان

على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم
ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لم يبلغ التفاوت الى هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض
في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على
خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على ما ملكت
ايمانهم على مماليكهم فانما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في ايديهم فهم فيه سواء فالموالي
والمماليك سواء في ان الله رازقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون
واقعة موقع الجواب كأنه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في
الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون
ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له
شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا
امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون
بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من انفسكم ازواجا من جنسكم لتأنسوا بها
ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واولاد
اولاد او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان
على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من
الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون
وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم يكفرون
حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام
التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات
والارض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه ولا يستطيعون
ان يتملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الالهة
ويجوز ان يعود للكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد
فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا له مثلا تشركون به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال
بحال ان الله يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم
من عبادته او عظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل
للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا
لله الامثال فانه يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا
لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه
منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز
عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق
منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية

على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل
للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة
للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك و
الاظهر ان من نكرة موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنسين فان المعنى هل يستوي
الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم
لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد
اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه
عيال وثقل على من يلي امره اينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ بلفظ الماضي لا يأت بخير
وكفاية مهم هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو منطيق فهم ذو كفاية ورشد ينفع
الناس بحثهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق
مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين
لانهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة
بينه وبينها او للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والارض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب
فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فان علمه غائب عن اهل السموات
والارض وما امر الساعة وما امر قيام القيامة في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من
اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل
في الان الذي يبتدئ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في ان واو للتخيير او
بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي يقولون فيه هو كلمح البصر
او هو اقرب مبالغة في استقرابه ان الله على كل شيء قدير فيقدر ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر
ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرأ الكسائي
بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق لا تعلمون
شيئا جهالا مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة تتعلمون
بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها
بتكرر الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها
لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم يروا الى الطير قرأ ابن عامر
وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب العامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة و
الاسباب المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل
جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك لايات تسخير الطير
للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء
على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون
فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا

هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث
انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم
حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ويوم اقامتكم ووضعها او ضربها وقت الحضر او النزول و
قرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة فيه ومن اصوافها واوبارها واشعارها
الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا ما
يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة
او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل والابنية
وغيرها ظلالا تتقون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تستكنون بها من الكهوف
والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم
الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم
يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم
لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي
تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع
فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ
وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمت الله اي يعرف المشركون نعمة الله التي
عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم
انها بشفاعة الهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم
الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او
للتفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في
قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان
والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة
ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة
الانبياء عليهم السلام ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهو الرضا وانتصاب يوم
بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب
جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي
دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين
كنا ندعو من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس لان
يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله وانهم
عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم كقوله وما كان لي عليكم من سلطان كلا سيكفرون بعبادتهم
ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم

من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقي الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان الهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة يبعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب تبيانا او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل او الاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وحرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يامر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والشرك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او الكيفية كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوانية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانه الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع اية في القران للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القران غير هذه الاية لصدق عليه انه تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله ومنه اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة في

لا تغدروا

لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربى وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازيكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي عنه فتزل قدم اي عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعفاء المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الاخرة هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضي ويفنى وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار او مشاق التكاليف وقرا ابن كثير وعاصم بالنون باحسن ما كانوا يعملون بما يترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الاخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه وقيل في الاخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرات القران اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فسل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه بذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبرائيل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة

لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به
بالله او بسبب الشيطان مشركون واذا بدلنا اية مكان اية بالنسخ فجعلنا الاية الناسخة
مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت
يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الان فيثبته مكانه وقرأ
ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك
فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد
سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب
قل نزله روح القدس يعني جبريل واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ
ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح مما
يقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين امنوا على الايمان بانه كلامه فانهم اذا
سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم و
هدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية
وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون
انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف
بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان الرسول يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام
حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة
والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء اعجمي غير بين وهذا القران لسان عربي مبين ذو بيان
وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما سمعه
منه كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقران عربي تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه
وثانيهما هب انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمي وهذا
عربي والقران كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القران
لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك
من غلام سوقي سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها فطعنهم
في القران بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بايات
الله لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم
عذاب اليم في الاخرة هددهم على كفرهم بالقران بعدما اماط شبههم ورد طعنهم فيه ثم قلب
الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم
واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة او الكاملون
في الكذب لان تكذيب ايات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب
لا يصرفهم عنه دين ولا مروة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه

بدل

بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدأ خبره محذوف
دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره
على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه
مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح
بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم
من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين
ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول
قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا
كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار
رسول الله وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت
وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين
كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله
قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول
في قال انا اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما
الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان
او الوعيد بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة بسبب انهم اثروها عليها وان الله لا يهدي
القوم الكافرين اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك الذين
طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتأمل فيه واولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الاخرة
هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين
هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار بالولاية والنصرة وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال
اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره جبرا حتى ارتد ثم
اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد
الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تأتي
كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها
شأن غيرها فيقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون
اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا
فانزل الله بهم نقمته او لمكة كانت امنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف يأتيها رزقها
اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد
بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق
لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه

الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فانه
استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه
الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله
ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر
منه بشطر استعار الرداء للسيف ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم
ولقد جاءهم رسول منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر
مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم
من الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل الله لهم
وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم
صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون
او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم
بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم
والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا
ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الاية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات
في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليها دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا
وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي لا تقولوا الكذب لما تصف
السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لمجرد قول
تنطق به السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة
الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم
وجهها تصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع
صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن
الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى
عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع
عن قريب ولهم عذاب اليم في الاخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة الانعام
في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم
وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين
بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله
وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم
يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة في

اشخاص كثيرة كقوله وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة
المحققين الذي جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب
ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احله او لانه كان وحده
مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى المفعول كالرحلة والنخبة من أمه اذا قصده
او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله اني جاعلك
للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين
كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة
للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط
مستقيم في الدعوة الى الله وآتيناه في الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب
الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة وانه في الاخرة
لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأله بقوله والحقني بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم
اما للتعظيم والتنبيه على ان اجل ما اوتي ابراهيم اتباع الرسول عليه الصلوة والسلام ملته او للتراخي
ايامه ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى
والمجادلة مع كل احد بحسب فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت
تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه اي على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام
ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات و
الارض فالزمهم الله تعالى السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو
المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم
هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق بما يستحقه ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك
الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة والخطابات
المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم
وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين
وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول
الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا عليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين والمجازي لهم و
ان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من تابعه
بالمخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات
وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه السلام لما رأى
حمزة وقد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر
عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوزه وحث على العفو تعريضا

بقوله وان عاقبتم ونجبرها على الوجه الاكمل بقوله ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين من
الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسوله عليه السلام لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله
ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين
او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق
بالكسر هنا وفي النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله مع الذين
اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم
امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله
بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة الاسرى مكية وقيل الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات مائة وعشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل
علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه
بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا
نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه
كقوله ومن الليل فتهجد به من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عليه الصلوة والسلام قال بينا انا في
المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام
لانه كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روي انه عليه السلام كان نائما في بيت
ام هانئ بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون
فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى
رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على
ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته
لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال
تقدم يوم كذا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان
في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به
الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت
في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم
ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية
في قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن
النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن
حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد
الانبياء من لدن موسى ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة
شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى

التكلم

التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد عليه الصلوة والسلام
البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني
اسرائيل الا تتخذوا على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرأ ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا
من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص
او على النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا
فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم من الغرق
بحملهم مع نوح في السفينة انه اي نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا يحمد الله تعالى على مجامع حالاته
وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلام
وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التورية لتفسدن في الارض
جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اولاهما مخالفة
احكام التورية وقتل شعيا وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد عيسى عليهم الصلوة والسلام ولتعلن
علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما
بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل لهراسف ببابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب
من اهل نينوى اولي بأس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا فترددوا لطلبكم
وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم
وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث
بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم
الكرة الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار
لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال
عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط الله داود عليه السلام على جالوت
فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل
من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان
ثوابه لها وان اسأتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة
وعد عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم اي ليجعلوها بادية
آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد
والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء
والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في
قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا ما
علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى
فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم

فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه
الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا
ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله
قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة وان عدتم عدنا
عودة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله
بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا
جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير
ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة او للطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين
لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين
ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله
عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعو بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل
دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم
عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه عليه السلام دفع اسيرا الى
سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع يدها ثم ندم فقال
اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر
وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة الآية فاجيب له فضرب عنقه صبرا يوم بدر وجعلنا الليل والنهار آيتين
تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره فمحونا آية الليل اي الآية التي هي الليل
بالاشراق والاضافة فيهما للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او
مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان
القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوي
آيتين ومحو آية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا
فشيئا الى المحاق وجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع يبصر الاشياء بضوئها
لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة
اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء
تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان
الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون
ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد
في عنقه لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة
بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها

ملكات

ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج
من خرج وقرئ ويخرج اي الله عز وجل يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتا الكتاب
او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا
اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة
وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها
من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب
والشهادة مما يتولاه الرجال او على تأويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن
ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى
ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان
نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته
المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة
على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد
في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك
امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب
عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقوله
امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وامرته فأمر اذا كثرته وفي الحديث خير المال
سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة
يعقوب آمرنا ورواية امرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اي جعلناهم
امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها
القول يعني كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او انهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا
اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان
لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك ظواهرها
وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم خبيرا لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا
له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه
ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض
وقرئ يشاء والضمير فيه لله حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك
وقيل الآية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم
ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الآخرة
وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يخترعون
بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا

تكذيب فان العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلثة كان سعيهم مشكورا من الله اى مقبولا عنده
مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف
اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء
ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه فى الدنيا من مؤمن
ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض فى الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال
وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اى التفاوت فى الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة و
درجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول والمراد به امته فتقعد من قولهم
شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة اى فتعجز من قولهم قعد عن الشىء اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا
على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا
وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق
الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعى الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا
ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر
للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر
احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل واحدهما
فاعل يبلغن او بدل على قراءة حمزة والكسائى يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على
احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا فى كنفك وكفالتك
فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل
هو اسم الفعل الذى هو اتضجر وهو مبنى على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه فى قراءة نافع وحفص للتنكير
وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير
منون والنهى عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك
فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو فى صف
المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل
النهى والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض
لهما جناح الذل تذلل وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد فى قوله وغداة ريح قد كشفت
وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة زماما وامر بخفضها مبالغة او اراد جناحه
كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى
واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط
رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما
برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربيانى
صغيرا رحمة مثل رحمتهما على وتربيتهما وارشادهما لى فى صغرى وفاء بوعدك للراحمين روى
ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوى بلغا من الكبر انى الى منهما ما وليا منى فى الصغر

فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما
ربكم اعلم بما فى نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما
كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط
منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج
فيه الجانى على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة
والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم ان ينفق عليهم اذا كانوا محارم فقراء وقيل المراد بذى القربى اقارب رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغى وانفاقه على
وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف
فقال او فى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم
فى الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم فى الاسراف والصرف
فى المعاصى روى انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم فى السمعة فنهاهم الله
عن ذلك وامرهم بالانفاق فى القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا فى الكفر به فما
ينبغى ان يطاع واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد
ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار
رزق من الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه
ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذى هو قوله فقل لهم
قولا ميسورا اى فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور
من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم
الله ورزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع
الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذى هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما
عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما او منقطعا بك لا شىء عندك من حسره
السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه صبى فقال ان امى تستكسيك
درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل ان امى تستكسيك الدرع الذى
عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلوة فلم
يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه
بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم
سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط والقبض من امر الله العالم
بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا
بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم
ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل

وانقطاع النوع والخطأ الإثم يقال خطئ خطأ كأثم إثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من أخطأ يضاد
الصواب وقيل لغة فيه كمِثْل ومَثَل وحِذْر وحَذَر وقرأ ابن كثير خِطاء بالمد والكسر وهو إما لغة
او مصدر خاطأ وهو وإن لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله تخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه
في منقع الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا
ولا تقربوا الزنا بالعزم والإتيان بالمقدمات فضلا أن تباشروه إنه كان فاحشة فعلة
ظاهرة القبح زائدته وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه المؤدي الى قطع النسب وهيج الفتن ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله إلا بالحق إلا بإحدى ثلاث كفر بعد إيمان وزنا بعد إحصان وقتل مؤمن معصوم
عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي أمره بعد وفاته وهو الوارث
سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه أو بالقصاص على القاتل فإن قوله مظلوما
يدل على أن القتل عمد عدوان فإن الخطأ لا يسمى ظلما فلا يسرف أي القاتل في القتل بأن يقتل من
لا يحق قتله فإن العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيد الأول
قراءة أبي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب أحدهما إنه كان منصورا علة النهي
على الاستئناف والضمير إما للمقتول فإنه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب
وإما لوليه فإن الله نصره حيث أوجب القصاص له وأمر الولاة بمعونته وإما للذي يقتله الولي
إسرافا بإيجاب القصاص والتعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا أن تتصرفوا
فيه إلا بالتي هي أحسن إلا بالطريقة التي هي أحسن حتى يبلغ أشده غاية لجواز التصرف الذي دل
عليه الاستثناء وأوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من التكاليف أو ما عاهدتموه وغيره إن العهد
كان مسؤولا مطلوبا يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به أو مسؤولا عنه يسأل الناكث و
يعاتب عليه أو يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموءودة بأي ذنب قتلت فيكون
تخييلا ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسؤولا وأوفوا الكيل إذا كلتم ولا تبخسوا فيه
وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن
لأن العجمي إذا استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم في الإعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار
عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ذلك خير وأحسن تأويلا وأحسن عاقبة تفعيل من آل
إذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف أثره إذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك
به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا أو رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه أن المراد بالعلم
هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا أو ظنا واستعماله بهذا المعنى شائع
وقيل إنه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه
حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول الكميت ولا أرمي البريء بغير ذنب ولا أقفو الحواصن
إن قفينا إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك أي كل هذه الأعضاء فأجراها مجرى العقلاء لما كانت
مسؤولة عن أحوالها شاهدة على صاحبها هذا وإن أولاء وإن غلب في العقلاء لكنه من حيث إنه اسم جمع لذا
وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد أولئك الأيام كان عنه مسؤولا في ثلاثتها ضمير كل أي

كان

كان كل واحد منها مسؤولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز أن يكون الضمير في عنه للمصدر
لا تقف أو لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤولا مسند إلى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل
صاحبه عنه وهو خطأ لأن الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على أن العبد مؤاخذ بعزمه
على المعصية وقرئ والفود بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم إبدالها بالفتح ولا تمش في الأرض
مرحا أي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرِحا وهو باعتبار الحكم أبلغ وإن كان المصدر آكد
من صريح النعت إنك لن تخرق الأرض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا
بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بأن الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس
في التذلل كل ذلك إشارة إلى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع الله إلها آخر
وعن ابن عباس إنها المكتوبة في ألواح موسى عليه السلام كان سيئه يعني المنهي عنه فإن المذكورة مأمورات
ومناهي وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على أنها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك إشارة إلى
ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة أو صفة لها محمولة على المعنى
فإنه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز أن ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان أو في الظرف
على أنه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على أن الحوادث
كلها واقعة بإرادته تعالى ذلك إشارة إلى الأحكام المتقدمة مما أوحى إليك ربك من الحكمة التي
هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله إلها آخر كرره للتنبيه على أن التوحيد مبدأ
الأمر ومنتهاه فإن من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله أو تركه غيره ضاع سعيه وأنه
رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه أولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى
فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله أفأصفاكم ربكم بالبنين
خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للإنكار والمعنى أفخصكم ربكم بأفضل الأولاد وهم
البنون واتخذ من الملائكة إناثا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم إنكم لتقولون
قولا عظيما بإضافة الأولاد إليه وهي خاصة بعض الأجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل أنفسكم عليه
حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من أشرف خلق الله أدونهم ولقد صرفنا
كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز أن يراد بهذا القرآن إبطال
إضافة البنات إليه على تقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى أو أوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا
بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما
يزيدهم إلا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة إليه قل لو كان معه آلهة كما يقولون أيها المشركون
وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على أن الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم ووافقهما نافع
وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب في الثانية على أن الأولى مما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخاطب
به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالتهم إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم
وجزاء للو والمعنى لطلبوا إلى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الى ربهم كوسيلة
سبحانه ننزهه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون

فانه في اعلى مراتب الوجود وهو البقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه
تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم
الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته
ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز
ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور
منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يسبح
بالياء انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا
قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا يحجبهم عن فهم ما تقرأه
عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس او بحجاب
آخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات بعدما نفى
عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة
كما صرح بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن
استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك
اللفظ واذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع
الحال واصله واحد وحدا ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية و
يجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك و
بالقرآن اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين
هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون
جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع
الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور هو الذي سحر به فزال عقله وقيل
الذي له سحر وهو الرئة اي الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك
بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا
الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا
ائذا كنا عظاما ورفاتا حطاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد
لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون
لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة
او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شيء منها فان
قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة
وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا
قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد شيء منه من الحياة فسينغضون اليك رؤوسهم
فيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو آت

قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر
يوم يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه
على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اي حامدين
لله على كمال قدرته وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي
مر على قرية او مدة حياتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي
الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل
المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا
ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما
بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فان ذلك يهيجهم
على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم
تقسرهم على الايمان فانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم روي
ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به
فامره الله بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته
من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال
والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك قيل هو اشارة
الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه
خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون و
تنكيره هاهنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر
كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس او الفضل او لان المراد وآتينا داود بعض الزبر
او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه
كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط
ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء
الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى
الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف تزعمون انهم
آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل وان من قرية
الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة بالموت والاستئصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع
البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات
وما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحتها قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين
هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستئصال
على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر

بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة الا تخويفا من نزول عذاب الاستيصال فان لم يخافوا
نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وايات القران الا تخويفا بعذاب الاخرة فقال واتينا ثمود الناقة
بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح فظلموا بها
فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالايات اي بالايات المقترحة الا تخويفا من نزول
العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وايات القران الا تخويفا بعذاب الاخرة
فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء مزيدة او في موقع الحال والمفعول محذوف واذ قلنا لك
واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم
من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر
الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين راى انه دخل مكة وفيه ان الاية مكية الا ان يقال راها
بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤياه انها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي
انه لما ورد ماءه قال لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت به
قريش واستسخروا منه وقيل راى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم
من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم
والشجرة الملعونة في القران عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا
يزعم ان الجحيم يحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجرة ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندل
من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر
ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القران لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها
بانها في اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا
وقد اولت بالشيطان وبابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي
والشجرة الملعونة في القران كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوز
الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته
من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه
اي اسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار قال ارايتك هذا الذي كرمت علي
الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف
لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي لئن اخرتن الى يوم
القيمة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا اي لاستاصلنهم
باغوائهم الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من
الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير
او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما
سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز

ان يكون

ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة
وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله
موفورا واستفزز واستخفف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك
الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب
وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب
والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فاستفزهم
من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرا حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان
كحذر وحذر وندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك وشاركهم في الاموال
بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل الى الولد
بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة
والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء و
تاخير التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين
الخطا بما يوهم انه صواب ان عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك
منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان اي على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون
به بالاستعاذة منك في الحقيقة ربكم الذي يزجي هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا
من فضله الربح وانواع الامتعة التي لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيا لكم ما تحتاجون
اليه وسهل عليكم ما تعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب
عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه
فلا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر
اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي
فاعرض في المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة
فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان
من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قادر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب البر
ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف وقرا ابن كثير وابو عمرو بالنون
فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم كما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا
وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا
ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم
ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواع تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم
قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح
بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا
بانتصار او صرف ولقد كرمنا بني ادم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل

وبالهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض
والتمكن من الصناعات وانتساق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع
الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول
طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من
حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم نخسف بهم الارض ولم نغرقهم بالماء
ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن
خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم
ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسألة موضع نظر وقد اول الكثير
بالكل وفيه تعسف يوم ندعو نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو
ويدعى ويدعوا على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو في افعى او على ان الواو علامة الجمع كما في
قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضمير وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها
ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في
الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة
الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام
كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه الصلوة والسلام واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح
اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرؤن كتابهم ابتهاجا وتبجحا
بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان
من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع
على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان
في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في
هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الاخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا
لزوال الاستعداد وفقدان الالة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار
من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو
ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة كما في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه
واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية وقد
امالهما حمزة والكسائي وابو بكر وقرأ ورش بين بين وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا
لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى في صلواتنا
وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم
وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا
لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى
ان الشأن قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام

لتفترى

لتفترى علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك
بافتتانك وليا لهم بريئا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون
اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا
من ان تركن اليهم وهو صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الدواعي اليها ودليل على ان
العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات
اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك
لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات
يعني مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء
العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الاخرة وضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا
يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم
من الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك
الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان ذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الاية
نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي عليه السلام بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت
نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة
واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا
ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذا لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم فكانما
بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله
ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل
لانها من اجلهم ويدل عليها ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها
ويدل عليه قوله عليه السلام اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها
واصل التركيب للانتقال ومنه الدالك فان الدالك لا يستقر يده وكذا ما تركب من الدال و
اللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه
ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها في لثلاث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة
العشاء الاخيرة وقران الفجر وصلوة الصبح سميت قرانا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل
به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقران
في صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قران الفجر كان مشهودا
يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي
هو اخ الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والاية جامعة للصلوات
الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوة الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة

المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت
يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقران
نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمدك القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام
يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال هو المقام الذي
اشفع فيه لامتي ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه
على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك
ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج
صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة
ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله
فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان
او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج
خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام
على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل
جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان
زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة و
ستون صنما فجعل ينكث بمخصرة في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب
لوجهه حتى القي جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد علي
فرمى به فكسره وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح
نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فانه كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه
ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا
خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله
ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه كأنه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن
الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر وناء على القلب او على انه بمعنى نهض واذا مسه
الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد اليأس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل
على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه
فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة
والدين ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي
من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث
بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله تعالى بعلمه لما روي ان اليهود
قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت

فليس

فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح
وهو مبهم في التوراة وقيل الروح جبرئيل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القران ومن امر ربي
معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب
العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من
فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته
وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر
على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي انه عليه السلام
لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك
ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه القوة
البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال
بحر كثير وهو بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام الاولى
موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقران و
محوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا باسترداده مسطورا
محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء
منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة
في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه قل
لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى
لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه
اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير وان اتاه خليل
يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان
به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا ولانهم كانوا وسائط في
اتيانه ويجوز ان تكون الاية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا للناس
كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان في هذا القران من كل مثل من كل معنى هو كالمثل
في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك
ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا
واقتراحا بعدما الزمتهم الحجة ببيان اعجاز القران وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون
ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء
كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك
بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم
كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع

القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة ونافع وابو بكر في غيرهما وحفص فيما عدا الطور
وهو اما مخفف من المفتوح كالسدر والسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تأتي بالله والملائكة
قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو
حال عن الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله واني وقيار بها لغريب او جماعة
فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او
ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان
فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان يأتي او يتحكم عليه او
يشاركه احد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان اي قال الرسول هل كنت الا بشرا
كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم
حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى يتخيروها على هذا هو الجواب المجمل
واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم
بابا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم من الايمان بعد نزول الوحي و
ظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم
عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان
في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان
ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون
موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول اليكم
باظهار المعجزة على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا
نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة
فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول عليه السلام وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد
ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونهم ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم يسحبون
عليها او يمشون روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي
امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر
اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم
يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز
ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوفي القوى والحواس مأواهم جهنم كلما خبت
سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم فتعود
ملتهبة مستعرة بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالون على الاعادة
والافناء واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما
ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدم من عذابهم اولم يروا ان

اولم يعلموا

اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد
خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيامة
فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا
لامسكتم خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات
سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص
اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه
ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا
وان البخل اغلب فيهم وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج
اليه وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل
والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان
والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها
فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة
ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله
فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على
حال من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله عليه السلام وعليكم خاصة اليهود ان
لا تعدوا حكم مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم
فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم من حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسال على لفظ الماضي بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال على هذه القراءة او فاسأل
يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او
لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او
ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ
نصبا باتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستئناف فقال له فرعون
اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرأ الكسائي بالضم
على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الآيات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي
ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على
الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين
فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان
اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم
ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستئصال
فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا

من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا
جاء وعد الاخرة الكرة او الحياة او الساعة او الدار الاخرة يعني قيام الساعة جئنا بكم لفيفا مختلطين
اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق
انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا
بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول
الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر واخره وما
ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي بالعقاب فلا عليك الا التبشير والانذار
وقرانا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله
ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقرأه على
الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة
فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل امنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقران لا يزيده
كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي ان
لم تؤمنوا به فقد امن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة
الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او رأوا نعتك وصفة ما انزل اليك
في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء
عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان سجدا
يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجازه وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله
عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال القران عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الموعد ان
كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره
لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ
القران حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد
واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القران خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله
يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر او قالت اليهود انك لتقل ذكر
الرحمن وقد اكثره الله في التورية فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان
على ذات واحد وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني
انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجوب لقوله اياما تدعوا فله
الاسماء الحسنى والدعاء في الاية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه
واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في فله
للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء
الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام

ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا
تخافت بها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا
وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر كان يخفت ويقول انا اناجي ربي
وقد علم حاجتي وعمر كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها
ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ
ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة
به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا
وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المتفرد
بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله
وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي
ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا افصح الغلام من
بني عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين
كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية والحمد لله وحده **سورة الكهف مكية**
وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية وهي مائة واحدى عشرة اية
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القران رتب استحقاق الحمد على انزاله
تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش
والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب
الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح
العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه
بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون
العطف اذ لو كان للعطف كان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم
وتاخير وقرئ قيما لينذر باسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول
اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده وقرأ ابو بكر
باسكان الدال كاسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين
وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين
فيه في الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار
متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم
اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد
لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى
المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لابائهم الذين تقولوه بمعنى

التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ وادل على المقصود تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبههم لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك بالاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتأسف عليهم او متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد او لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت منه فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان في فضل واصابت الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغيثي عيالك فاتت وسلمت الي نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت اخاف الله فقلت لها خفتيه في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان همان وكانت لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي في يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى الكهف يعني فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو وهيئ لنا من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه راشدين مهتدين واجعل امرنا كله رشدا كقولك رأيت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته في الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا اي ذوات عدد ووصف لسنين يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امدا لزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه احصى كقوله واضرب منا بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق انهم فتية شبان جمع فتى كصبي وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجرأة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدأ قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار في معنى الانكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب اي واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم الرزق ويوسع عليكم من رحمته في

الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به اى تنتفعون به وجزمهم بذلك لنصوع
يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء
شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها
عليهم فتؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله زورها عنهم واصله تتزاور فادغمت
التاء فى الزاى وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار
كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين
واذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعنى يمين الكهف وشماله لقوله وهم
فى فجوة منه اى وهم فى متسع من الكهف يعنى فى وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم
كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف فى مقابلة بنات نعش واقرب المشارق
والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع
مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذى يلى المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع
شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا تقع عليهم فتؤذى اجسادهم
وتبلى ثيابهم ذلك من آيات الله اى شأنهم وايواؤهم الى كهف شأنه كذلك من آياته او اخباره
قصتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد
الذى اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الآيات
كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله
فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة
تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم فى رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الارض
ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله وتقلبهم على المصدر
منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اى وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه
فانطقه الله فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم
وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم اى وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال
ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة
لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا لهربت
منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا
يملأ صدرك لما البسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة
مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم
فقال له ابن عباس رضى الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت
عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ
الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائى ويعقوب رعبا بالتثقيل

وكذلك بعثناهم وكما انمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم
ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله
ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصى مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى
الله تعالى قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين
عليهم وقيل انهم لما دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم فى يومهم او اليوم
الذى بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما
علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم
هذه الى المدينة والورق الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر و
روح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف فى الكاف وبالتخفيف مكسور الواو
مدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود
رأى المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر ايها اى اهلها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص
فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف فى المعاملة حتى لا يغبن او فى
التخفى حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدى الى الشعور انهم ان يظهروا
عليكم ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر فى ايها يرجموكم يقتلوكم
بالرجم او يعيدوكم فى ملتهم او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا
اولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم فى ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم
وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم
على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود الذى هو البعث حق لان نومهم وانتباههم
كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيامة لا ريب فى امكانها فان من توفى
نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها
قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها اذ يتنازعون
ظرف لاعثرنا اى اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان بعضهم يقول
تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان
معا او امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال بعضهم ناموا
نومهم اول مرة او قالت طائفة نبنى عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال
آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم
قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله
ردا على الخائضين فى امرهم من اولئك المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد الرسول
او من المتنازعين للرد الى الله بعدما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام فى انسابهم و
احوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكى ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدرهم وكان عليه

اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص
عليه القصص فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم
هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية
للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا
فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم
حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا سيقولون
اي الخائضون في قصتهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين ثلثة
رابعهم كلبهم اي هم ثلثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل
قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى
او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم
عليه واتيانا به اوظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء
بعطفه على ما هو فيه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول
عليه السلام لهم عن جبرئيل وايماء الله اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم
الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعد ما
حصر اقوال الطوائف في الثلثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في هذا المحل دليل
العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث
وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة
لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رضي الله عنه
هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين
الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع
الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلثة لاهل
الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل في شان الفتية الا جدالا
ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القران من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا
تستفت فيهم منهم احدا ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما
اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح المسؤول
عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا
الا ان يشاء الله نهي تاديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح
واصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ
عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي ولا تقولن
لاجل شيء تعزم عليه اني فاعله فيما تستقبل الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيته
قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز

تعليقه

تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشية بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها
دونه لا يناسب النهي واذكر ربك مشية ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل
قال عليه الصلوة والسلام ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته
وعن ابن عباس رضي الله عنه ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء عنه
وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم
صدق ولا كذب وليس في الاية والخبر ان الاستثناء المتدارك من القول السابق بل هو
من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار
اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك
به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى
ان يهدين ربي يدلني لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة على اني
نبي من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعدة عنه
ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة
او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا
تسعا يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمله قبل وقيل انه حكاية كلام
اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة
وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع
الجمع موضع الواحد ويحسنه هاهنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في
العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلثمائة قل الله اعلم بما لبثوا له
غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلها فلا خلق يخفى عليه علما ابصر به
واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين
والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي
والهاء تعود الى الله تعالى ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر
اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له
او لزيادة الباء كما في قوله تعالى وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور
وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية
ان كانت للصيرورة مالهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي من يتولى
امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر
وقالون ويعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد عن الاشراك ثم لما دل اشتمال القران
على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول عليه السلام على انه
وحي معجز امره ان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب
ربك من القران ولا تسمع لقولهم ائت بقران غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر

على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت به
واصبر نفسك احبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في مجامع
اوقاتهم او في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فتكون
اللام فيه على تأويل التنكير يريدون وجهه رضا الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم
ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعدّ
من اعداه ولا تعدّ من عدّاه والمراد نهي الرسول ان يزدري بفقراء المؤمنين و
يعلو عينيه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء تريد زينة الحياة الدنيا
حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه
من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد
قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه
في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بتحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان
مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله قالوا انه مثل اجبنته
اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بذكرنا كقلوب
الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكروا بقوله واتبع
هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه
غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا له وراء
ظهره يقال فرس فرط اي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة
الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر لا ابالي بايمان من آمن ولا كفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد
بفعله فانه وان كان بمشيئته ليست مشيئته انا اعتدنا هيأنا للظالمين نارا احاط
بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول
الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء
كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه
اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير في الكاف بئس الشراب
المهل وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله
وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا
نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن
عملا منهم او مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد او واقع
موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لا يحسن اطلاقه على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول استئناف
لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور

وتنكيرها لتعظيم حسنها عن الاحاطة به وهو جمع اسورة او اسوار في جمع سوار ويلبسون
ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق
من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ
الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها
وحسنت الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن رجلين حال
رجلين مقدرين او موجودين هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه
يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا
وصرفها المؤمن في وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان
من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة رض
قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من كروم و
بتمامها بيان التمثيل او صفة لرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا
بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فيزيد
الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا
للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها
ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها
شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما
نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر
انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم
الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك في قوله واحيط بثمره فقال لصاحبه وهو
يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا
وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها و
يفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهو ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له
غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان
الدخول يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد
ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة
قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته وقرأ الحجازيان
والشامي منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم
على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته
وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه
اصل مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك
وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشأه الشك

وكمال قدرة الله تعالى ولذلك رتبه لا نكار على خلقه اياه من تراب فان من قدر على بدء خلقه
منه قدر ان يعيده منه لكنّا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذف الهمزة
بنقل الحركة او دونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف
في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل و
هو ضمير الشأن وهو بالجملة الواقعة خبره خبر انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا
والاستدراك من اكفرت كأنه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقد قرئ لكن هو الله ربي
ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله
الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة واي شيء شاء الله كان على انها شرطية
والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة
الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله فان ما تيسر لك من عمارتها
وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي عليه السلام من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله
لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا
وان يكون تأكيدا للمفعول الاول وقرئ بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترن وفي
قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا
او في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي
جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب
حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق عليها باستيصال نباتها
واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع له
طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه
وانذره منه فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا
على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل
فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها بان سقطت
عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك
بربي احدا كأنه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله
بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرأ حمزة و
الكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله من
دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه
هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره
تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل
بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرأ حمزة والكسائي
بالكسر ومعناها السلطان والملك اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه او يعبد

غيره كقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله
يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع عما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة وقرأ
ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ حمزة
وعاصم عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اذكر
لهم ما يشبه الحيوة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز
ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض
فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات حتى روي ورف
وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه
عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه
من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت
بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شيء من
الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يتزين بها الانسان في دنياه
وتفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات واعمال الخيرات التي تبقى ثمرتها ابد الاباد ويندرج
فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير املا لان صاحبها
ينال بها في الاخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها
في الجو او نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات
خير عند الله ويوم القيمة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ
تسير من سارت وترى الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها
وقرئ ترى على بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى
لتحقيق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى
هذا يكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره
اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك
تشبيه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم صفا مصطفين
لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير
كما خلقناكم اول مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء
كخلقتكم الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور
وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب صحائف الاعمال في الايمان
والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين خائفين
مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات
مال هذا الكتاب تعجبا من شأنه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها

الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا
فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال و
ههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال
المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم
اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها
ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن
كان من الجن حال باضمار قد او استيناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن
ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود والفاء للتسبيب وفيه دليل على ان الملك
لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة
البقرة افتتخذونه عقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته اولاده
او اتباعه وسماهم ذرية مجازا اولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي
وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض
ولا خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق
بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به في قوله وما كنت متخذ المضلين عضدا
اي اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة
من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما
لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما
خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو امنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم
طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ
وما كنت على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف
وعضدا بالاتباع وعضدا جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله للكفار
وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي
واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم
فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار والهتهم
موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه
لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك
وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ورأى المجرمون النار
فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او
مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه
وكان الانسان اكثر شيء يتأتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع

الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي والقرآن المبين ويستغفروا
ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار
او تقدير ان يأتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه او يأتيهم العذاب عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين هو
لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة
وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا وقبيلا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا
مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات
بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا
بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل
ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتي يعني القرآن
وما انذروا وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزوا بالسكون
وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فاعرض عنها فلم يتدبرها و
لم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على
قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة
ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي آذانهم وقرا يمنعهم ان يستمعوه حق
استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون
ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فان حرص
على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو
يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك باهمال قريش مع افراطهم في عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه
موئلا منجا ويقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود و
اضرابهم وتلك مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول مضمر يفسره والقرى صفته ولا بد من تقدير
مضاف في احدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي
وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون
فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخر العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اي
لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض واذ قال موسى
مقدر باذكر لفتاه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام فانه كان يخدمه ويتبعه
ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح اي لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر
وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح
مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل
وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر

ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى و
خضر عليهما السلام فان موسى كان بحر علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم
على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع او أمضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع
اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب
الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان موسى خطب الناس بعد هلاك القبط ودخل
مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه
بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين
الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني
ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم
قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال
ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل
عند الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا
فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف
على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له
ما رأى من حياته ووقوعه في البحر روي ان موسى رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في
البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء
وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا
فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت
فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه
باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا
نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القي عليه الجوع
والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال أرأيت اذ أوينا
أرأيت ما دهاني اذ أوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي
دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت ذكره بما رأيت منه وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه
وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها
لكنه لما ضري بمشاهدة امثالها عند موسى وألفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه
في الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة و
انما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما
عن الآخر يعد من نقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخذ
عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في آخر كلامه او موسى في

جوابه

جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا
قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على آثارهما
فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او
مقتصين حتى أتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن
ملكان وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا
علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على
ان تعلمن على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد
هو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني و
علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون
علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من
غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما
بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب
فاستجهل نفسه واستأذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم
بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه
من التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما
لم تحط به خبرا اي وكيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها
لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله
صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير
عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد
والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى
قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه
صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني
بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها
اخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها
فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ
حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من
أمر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قبل قال لا تؤاخذني
بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني
اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل
اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض
الكلام والمراد شيء آخر نسيه ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة

والمؤاخذة على المنسي فإن ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فإنه يقال
رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا أي بعد ما خرجا
من السفينة حتى إذا لقيا غلاما فقتله قيل فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل
أضجعه فذبحه والفاء للدلالة على أنه لما لقيه قتله من غير تروٍّ واستكشاف حال ولذلك
قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس أي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو و
رويس عن يعقوب زاكية والأول أبلغ وقال أبو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية
التي أذنبت ثم غفرت ولعله اختار الأول لذلك فإنها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم أو أنه
لم يرها قد أذنبت ذنبا يقتضي قتلها أو قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على أن القتل إنما يباح
حدا أو قصاصا وكلا الأمرين منتف ولعل تغيير النظم بأن جعل خرقها جزاء واعتراض موسى
مستأنفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لأن القتل أقبح والاعتراض عليه
أدخل فكان جديرا بأن يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا أي منكرا
وقرأ نافع في رواية قالون وابن عامر ويعقوب وأبو بكر نكرا بضمتين قال ألم أقل لك إنك
لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات
والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير أول مرة حتى زاد في الاستنكار
ثاني مرة قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وإن سألت صحبتك وعن يعقوب فلا
تصحبني أي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك
ثلاث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه
لأبصر أعجب الأعاجيب وقرأ نافع من لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني من
نصر الخبيبين قدي وأبو بكر لدني بتحريك النون وإسكان الدال إسكان الضاد من عضد فانطلقا
حتى إذا أتيا أهل قرية قرية أنطاكية وقيل أبلة البصرة وقيل باجروان أرمينية استطعما
أهلها فأبوا أن يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من أضافه يقال ضافه إذا نزل به ضيفا و
أضافه وضيفه أنزله وأصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض إذا مال فوجدا فيها جدارا
يريد أن ينقض يداني أن يسقط فاستعيرت الإرادة للمشارفة كما استعير لها الهم
والعزم قال يريد الرمح صدر أبي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال إن دهرا يلف شملي بجمل
لزمان يهم بالإحسان وانقض انفعل من قضضته إذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب
لهويه أو افعل من النقض وقرئ أن ينقض وأن ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن إذا
انشقت طولا فأقامه بعمارته أو بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه
قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا تحريضا على أخذ الجعل لنتعشى به أو تعريضا بأنه فضول
لما في لو من النفي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه
واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الأخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت
أي لأخذت وأظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وأدغمه الباقون قال هذا فراق بيني وبينك

الإشارة إلى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني أو إلى الاعتراض الثالث أو الوقت أي هذا
الاعتراض سبب فراقنا أو هذا الوقت وقته وإضافة الفراق إلى البين إضافة المصدر
إلى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الأصل سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا
بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر أما السفينة فكانت
لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على أن المسكين يطلق على من يملك شيئا
إذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك أو لزمانتهم فإنها كانت لعشرة إخوة
خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فأردت أن أعيبها أجعلها ذات عيب وكان وراءهم
ملك قدامهم أو خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منوار بن جلندى الأزدي
يأخذ كل سفينة غصبا من أصحابها وكان حق النظم أن يتأخر قوله فأردت أن أعيبها عن
قوله وكان وراءهم ملك لأن إرادة التعييب مسببة عن خوف الغصب وإنما قدم للعناية
أو لأن السبب لما كان مجموع الأمرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على أقوى الجزئين و
أدعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها
وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما أن يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما
بعقوقه فيلحقهما شرا أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ
كافر أو يعديهما بعلته فيرتدا بإضلاله أو بممالأته على طغيانه وكفره حبا وإنما خشي ذلك
لأن الله أعلمه وعن ابن عباس أن نجدة الحروري كتب إليه كيف قتله وقد نهى النبي عليه الصلاة والسلام
عن قتل الولدان فكتب إليه إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل وقرئ
فخاف ربك أي فكره كراهة من خاف سوء عاقبة ويجوز أن يكون قوله فخشينا حكاية قول الله
عز وجل فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه أن يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكاة طهارة
من الذنوب والأخلاق الردية وأقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية
فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به أمة من الأمم وقرأ نافع وأبو عمرو ويبدلهما بالتشديد
وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكاة
وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما أصرم وصريم واسم المقتول
جيسور وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله
والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب
العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن
بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل و
عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وكان
أبوهما صالحا تنبيه على أن سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الأب الذي حفظا
فيه سبعة آباء وكان سياحا واسمه كاشح فأراد ربك أن يبلغا أشدهما أي الحلم وكمال
الرأي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز أن يكون علة أو مصدرا

لا راد فإن إرادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة
من ربك ولعل إسناد الإرادة أولاً إلى نفسه لأنه المباشر للتعييب وثانياً إلى الله
وإلى نفسه لأن التبديل بإهلاك الغلام وإيجاد الله بدله وثالثاً إلى الله وحده لأنه
لا مدخل له في بلوغ الغلامين أو لأن الأول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج
أو لاختلاف حال العارف في الالتفات إلى الوسائط وما فعلته وما فعلت ما رأيته عن أمري عن رأيي
وإنما فعلته بأمر الله عز وجل ومبنى ذلك على أنه متى تعارض ضرران يجب تحمل أهونهما
لدفع أعظمهما وهو أصل ممهد غير أن الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تأويل ما لم تسطع
عليه صبراً أي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفاً ومن فوائد هذه القصة أن لا يعجب المرء بعلمه
ولا يبادر إلى إنكار ما لم يستحسنه فلعل فيه سراً لا يعرفه وأن يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم
ويراعي الأدب في المقال وأن ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق إصراره ثم يهاجر عنه
ويسألونك عن ذي القرنين يعني إسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب
ولذلك سمي ذا القرنين أو لأنه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لأنه انقرض في أيامه قرنان
من الناس وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل أنه لقب بذلك
لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كأنه ينطح أقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على إيمانه
وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحاناً أو مشركو مكة قل سأتلو عليكم منه ذكراً
خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله إنا مكنا له في الأرض أي مكنا له أمره من التصرف
فيها كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء أراده وتوجه إليه سبباً وصلة توصله
إليه من العلم والقدرة والآلة فأتبع سبباً أي فأراد بلوغ المغرب فأتبع سبباً يوصله
إليه حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات حمأة من حمئت البئر إذا
صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر حامية أي حارة ولا تنافي
بينهما لجواز أن تكون العين جامعة للوصفين أو حمية على أن ياءها مقلوبة عن الهمزة
لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك إذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك
قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل إن ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية
فقال حمئة فبعث معاوية إلى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك
نجده في التوراة ووجد عندها عند تلك العين قوماً قيل كان لباسهم جلود الوحش
وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفاراً فخيره الله بين أن يعذبهم أو يدعوهم إلى الإيمان
كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب أي بالقتل على كفرهم وإما أن تتخذ فيهم
حسناً بالإرشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين القتل والأسر وسماه إحساناً في مقابلة القتل
ويؤيد الأول قوله قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً
أي فاختار الدعوة وقال أما من دعوته فظلم نفسه بالإصرار على كفره أو استمر على ظلمه
الذي هو الشرك فنعذبه أنا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذاباً منكراً

لم يعهد مثله وأما من آمن وعمل صالحاً وهو ما يقتضيه الإيمان فله في الدارين جزاء
الحسنى فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء منوناً منصوباً على الحال
أي فله المثوبة الحسنى مجزياً بها أو على المصدر لفعله المقدر حالاً أي يجزى بها جزاء أو التمييز
وقرئ منصوباً غير منون على أن تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنوناً مرفوعاً على أنه
المبتدأ والحسنى بدله ويجوز أن يكون إما وأما للتقسيم دون التخيير أي ليكن شأنك معهم
إما التعذيب وإما الإحسان فالأول لمن أصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله إياه
إن كان نبياً فبوحي وإن كان غيره فبإلهام أو على لسان نبي وسنقول له من أمرنا مما نأمر به
يسراً سهلاً ميسراً غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم أتبع سبباً ثم أتبع طريقاً
يوصله إلى المشرق حتى إذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه أولاً من معمورة
الأرض وقرئ بفتح اللام على إضمار مضاف أي مكان مطلع الشمس فإنه مصدر وجدها تطلع
على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً من اللباس أو البناء فإن أرضهم لا تمسك الأبنية أو
أنهم اتخذوا الأسراب بدل الأبنية كذلك أي أمر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان
وبسطة الملك أو أمره فيهم كأمره في أهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز أن يكون
صفة مصدر محذوف لوجد أو نجعل أو صفة قوم أي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب
عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد أحطنا بما لديه من الجنود والآلات والعدد والأسباب خبراً
علماً تعلق بظواهره وخفاياه والمراد أن كثرة ذلك بلغت مبلغاً لا يحيط به إلا علم اللطيف
الخبير ثم أتبع سبباً يعني طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب آخذاً من الجنوب إلى
الشمال حتى إذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا أرمينية وأذربيجان
وقيل جبلان في أواخر الشمال في منقطع أرض الترك منيفان من ورائهما يأجوج ومأجوج
وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان و
قيل المضموم لما خلقه الله والمفتوح لما عمله الناس لأنه في الأصل مصدر سمي به حدث
يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين هاهنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من
دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي
يُفقهون أي لا يُفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين
أي قال مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم إن يأجوج ومأجوج قبيلتان
من ولد يافث بن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل وهما اسمان أعجميان بدليل
منع الصرف وقيل عربيان من أجّ الظليم إذا أسرع وأصلهما الهمز كما قرأ عاصم و
منع الصرف للتعريف والتأنيث مفسدون في الأرض أي في أرضنا بالقتل والتخريب و
إتلاف الزروع وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون لهم شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه
وقيل كانوا يأكلون الناس فهل نجعل لك خرجاً جعلاً نخرجه من أموالنا وقرأ حمزة والكسائي
خراجاً وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الأرض والذمة والخرج المصدر

على أن تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السد غير حمزة و
والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون
لي من الخراج ولا حاجة بي اليه وقرأ ابن كثير مكنني على الاصل فاعينوني بقوة اي بقوة
فعلة او بما اتقوى به من الآلات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من
السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاع فوق رقاع آتوني زبر الحديد قطعه و
الزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء
بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ايتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى
جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة
بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها
وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ
بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات في الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعدل عن الآخر و
التصادف للتقابل قال انفخوا اي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد حتى اذا جعله
جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي
نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون
على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول
آتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة وابو بكر قال ائتوني موصولة الالف
فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين
على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه
وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر و
النحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع
المنافخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه ببعض
وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب
في تجاويفها قال هذا اي هذا السد او الاقدار على تسويته رحمة من ربي على عباده فاذا
جاء وعد ربي وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيامة جعله
دكا مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض مصدر بمعنى المفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام
وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو آخر
حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج
حين يخرجون من وراء السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض
فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة
فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين وابرزناها واظهرناها
لهم عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد و

التعظيم

التعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق
فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين
كفروا افظنوا والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح
من دوني اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف
الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم
في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة
ساوى الفعل في العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم
وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما يستحقر دونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا
نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا
ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فانهم خسروا دنياهم واخراهم ومحله الرفع على
الخبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بآيات ربهم
بالقرآن او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه
فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم و
لا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها ذلك
الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره و
العائد محذوف او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا
واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اي بسبب ذلك ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت
لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة
واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا
تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تأكيد الخلود
قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج
لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه بل مجموع
قبل ان تنفد كلمات ربي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود
مددا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام
لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير
المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب ومدادا
وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤن
وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة على كلماته يوحى
الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يأمل حسن
لقائه فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه

او يطلب منه اجرا روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني
لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت
تصديقا له وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال
الرياء والاية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قراها عند مضجعه كان له نورا في مضجعه يتلالا الى مكة
حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان
له نورا يتلالا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه
حتى يستيقظ وعنه عليه السلام من قرا سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من
قرنه الى قدمه ومن قراها كانت له نورا من الارض الى السماء والله اعلم بالصواب

سورة مريم مكية الا اية السجدة وهي ثمان او تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص امال ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء التهجي يا آت وابن عامر
وحمزة الياء والكسائي وابو بكر كليهما ذكر رحمت ربك خبر ما قبله ان اول بالسورة او القران
فانه مشتمل عليه او خبر محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدا خبره محذوف اي
فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على الماضي وذكر على الامر عبده
مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا
بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا لان الاخفاء والجهر عند الله سيان
والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر او لئلا
يطلع عليه مواليه الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه حينئذ فقيل
ستون وقيل سبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون قال رب اني وهن العظم مني
تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه ولانه اصلب
ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم
والكسر ونظيره كمل في الحركات واشتعل الراس شيبا شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ
النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة واسند
الاشتعال الى الراس الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى
باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغني عن تقييده ولم اكن بدعائك
رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه
على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه
فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه واني خفت الموالي يعني بني عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل
فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم من ورائي بعد موتي وعن
ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف او بمعنى الموالي او خفت فعل الموالي
ورائي والذين يلون الامر من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا

عن اقامة

وحروفها ... وثمانمائة وحرفاه وكلماتها تسعمائة وثمانون وكذا
فيه اخفاء فذلك انما معدود اطلق الكهيعص [illegible]
هذه استعارات الكناية حيث ذكر الشيب [illegible]
قال ابن عباس هو اسم من اسماء الله وقيل انه اسم الله الاعظم وقال قتادة
هو اسم للسورة وقال علي بن طلحة عن ابن عباس هو قسم اقسم الله به
وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس كاف من كريم وهاد وعليم وعظيم وصادق [illegible]

ورا نقرضوا

من اقامة الدين بعدي او خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت
وكانت امراتي عاقرا لا تلد فهب لي من لدنك فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني
وامراتي لا نصلح للولادة وليا من صلبي يرثني ويرث من ال يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو
والكسائي على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل
يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من ال يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما السلام وقيل
يعقوب كان اخا زكريا او عمران بن ماثان من نسل سليمان وقرئ يرثني وارث ال يعقوب
على الحال من احد الضميرين واو يرث بالتصغير لصغره ووارث من ال يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا
يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد عن المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا ترضاه
قولا وعملا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى
تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي
الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان
في الاسم والاظهر انه اعجمي وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر قيل سمي به لانه حيي به رحم
امه او لان دين الله حيي بدعوته قال رب انى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من
الكبر عتيا جساوة وقحولا في المفاصل واصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين و
الواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرا حمزة والكسائي
وحفص عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته
وان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال اي الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك
الامر كذلك ويجوز ان تكون الكاف منصوبة بقال في قال ربك وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي
هين ويؤيد الاول قراءة من قرا وهو علي هين اي الامر كما قلت او كما وعدت وهو على ذلك يهون
علي او كما وعدت وهو علي هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني
محذوف وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس
بشيء وقرا حمزة والكسائي وقد خلقناك قال رب اجعل لي اية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني
به قال ايتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا سوي الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر
الليالي هنا والايام في ال عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر
والشكر ثلثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب من المصلى او من الغرفة فاوحى اليهم فاومى
اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض ان سبحوا اي صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا
طرفي النهار ولعله كان مامورا بان يسبح ويامر قومه بان يوافقوه ويحتمل ان تكون مصدرية
وان تكون مفسرة يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب التورية بقوة بجد واستظهار
بالتوفيق واتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه
واستنباه وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما
عطف على الحكم وزكوة وطهارة من الذنوب او صدقة اي تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه

للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه وبارا بهما
ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصي ربه وسلام عليه من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان
بما ينال به بني آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهول القيمة
واذكر في الكتاب في القرآن مريم يعني قصتها اذ انتبذت اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال
لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه
هما واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك لا اكرمك اذ لم تكرمني
فيكون بدلا لا محالة من اهلها مكانا شرقيا في بيت المقدس او من شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى
المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول لان انتبذت متضمنة معنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا
سترا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض
محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينما
هي في مغتسلها اتاها جبريل عليه السلام متمثلا بصورة شاب امرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه
ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها قالت اني اعوذ بالرحمن منك من غاية عفافها
ان كنت تقيا تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اي فاني
عائذة منك او فتتعظ بتعويذي او فلا تتعرض لي ويجوز ان يكون للمبالغة اي ان كنت تقيا متورعا
فاني اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك قال انما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك
غلاما لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول الله سبحانه ويؤيده
قراءة ابي عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا
من سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال
فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده
عطف قوله ولم اك بغيا عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا
ولذلك لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كطالق قال
كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله اي ونفعل ذلك لنجعله او لنبين به قدرتنا ولنجعله
وقيل عطف على لنهب على طريق الالتفات آية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا
على العباد يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا تعلق به قضاء الله في الازل او قدر وسطر
في اللوح او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة فحملته بان نفخ في درعها فدخلت
النفخة في جوفها وكان مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع
لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت
حيضتين فانتبذت به فاعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور
في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار فاجاءها المخاض فالجأها
المخاض وهو في الاصل منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال كآتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر و
هما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه

عند الولادة

ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم تكن ثم غيرها
او المتعارف

عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا راس لها وكانت كالمتعالم عند الناس
ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها وليطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء
الموافقة لها قالت يا ليتني مت قبل هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر وابو بكر مت من مات يموت وكنت نسيا ما من شأنه ان ينسى ولا يطلب ونظيره
الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمزة وهو
الحليب المخلوط بالماء ينسأه اهله لقلته منسيا منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر
الميم على الاتباع فناداها من تحتها عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها
وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان في ناداها ضميرا احدهما وقيل
الضمير في تحتها للنخلة الا تحزني اي لا تحزني او بان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا جدولا
هكذا روي مرفوعا وقيل سريا من السرو وهو عيسى وهزي اليك بجذع النخلة واميليه اليك
والباء مزيدة للتأكيد او افعلي الهز والامالة به او هزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب و
دفع تساقط عليك تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص
تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع
رطبا جنيا تمييز او مفعول روي انها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمرة وكان الوقت شتاء
فهزته فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على
براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها على ان من قدر
ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قادر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه
من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال فكلي واشربي من الرطب وماء السري او من الرطب
وعصيره وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ قري بالكسر وهو لغة نجد
واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة
السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه
فاما ترين من البشر احدا فان تري آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة
وحرف اللين فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم
فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم
بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى فانه قاطع في قطع الطاعن
فاتت به قومها راجعة اليهم بعدما طهرت من النفاس تحمله حاملة اياه قالوا يا
مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا من فري الجلد قطعه يا اخت هارون يعنون هارون
النبي وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة
وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما رأوا قبل من صلاحها او
شتموها به ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا تقرير لان ما جاءت به فري وتنبيه
على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه الى عيسى عليه السلام اي كلموه ليجيبكم قالوا

كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم يعهد صبي في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف
صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار
قال اني عبد الله انطقه الله به اولا لانه اول المقامات والرد على من يزعم ربوبيته آتاني
الكتاب الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي
اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنبأه
طفلا اينما كنت حيث كنت واوصاني وامرني بالصلوة والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير
النفس عن الرذائل ما دمت حيا وبرا بوالدتي وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر
وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على
الصلوة ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت
ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه
لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى بن مريم اي الذي تقدم
نعته هو عيسى بن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهاني
حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف اي هو قول الحق الذي
لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه
كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى
القول الذي فيه يمترون في امره يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى
ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله عما بهتوه
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان منزها
من شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب وان
الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره في سورة ال عمران وقرأ الحجازيان
والبصريان وان بالفتح على ولانه وقيل انه معطوف على الصلوة فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود و
النصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض
ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من
شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيامة او من وقت الشهود او مكانه فيه او من شهادة
ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم بالكفر والفسوق
او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب معناه ان
اسماعهم وابصارهم يوم يأتوننا اي يوم القيامة جدير بان يتعجب منهما بعدما كانوا صما وعميا
في الدنيا او تهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد
ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في محل النصب
لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث
اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين وانذرهم يوم

الحسرة يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته والمحسن على قلة احسانه اذ قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر
الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون حال متعلقة
بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا
متضمنة للتعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك
او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه والينا يرجعون يردون
للجزاء واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق
من غيوب الله واياته وكتبه ورسله نبيا استنبأه الله اذ قال بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض
او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت التاء معوضة عن ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي
ويقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع
ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني عنك شيئا في جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله و
احتج عليه ابلغ احتجاج وارشقه برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه
الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق
الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه
على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا
على النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة
والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر
ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي
مستقلا بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا
ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف
بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة الشيطان
من حيث انه الامر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان استهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان
مستعص على ربك المولي للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي
عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه
فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن او العذاب
تليه ويليك او ثابتا في موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف
والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته
لارتقاء همته في الربانية او لانه ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لادم وذريته منبه عليها
قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد
فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني واخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدره بالهمزة لانكار
نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك
فيها او الرغبة عنها لارجمنك يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني واهجرني عطف

علی ما دل علیه لارجمنک ای فاحذرنی واهجرنی ملیا زمانا طویلا من الملاوة او ملیا بالذهاب
عنی قال سلام علیک تودیع ومتارکة ومقابلة للسیئة بالحسنة ای لا اصیبک بمکروه ولا
اقول لک بعد ما یؤذیک ولکن ساستغفر لک ربی لعله یوفقک للتوبة والایمان فان حقیقة
الاستغفار للکافر استدعاء التوفیق لما یوجب مغفرته وقد مر تقریره فی سورة التوبة انه کان
بی حفیا بلیغا فی البر والالطاف واعتزلکم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بدینی وادعو ربی
واعبده وحده عسی الا اکون بدعاء ربی شقیا خائبا ضایع السعی مثلکم فی دعاء الهتکم وفی تصدیر
الکلام بعسی للتواضع وهضم النفس والتنبیه علی ان الاجابة والاثابة تفضل غیر واجب وان ملاک الامر
خاتمته وهو غیب فلما اعتزلهم وما یعبدون من دون الله بالهجرة الی الشام وهبنا له اسحق و
یعقوب بدل من فارقهم من الکفرة وقیل انه لما قصد الشام اتی اولا حران وتزوج بسارة وولدت
له اسحق وولد منه یعقوب ولعل تخصیصهما بالذکر لانهما شجرتا الانبیاء او لانه اراد ان یذکر
اسمعیل بفضله علی الانفراد وکلا جعلنا نبیا وکلا منهما او منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة و
الاموال والاولاد وجعلنا لهم لسان صدق علیا یفتخر بهم الناس ویثنون علیهم استجابة لدعوته
واجعل لی لسان صدق فی الاخرین والمراد باللسان ما یوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الی الصدق
وتوصیفه بالعلو للدلالة علی انهم احقاء بما یثنون علیهم وان محامدهم لا تخفی علی تباعد الاعصار
وتحول الدول وتبدل الملل واذکر فی الکتاب موسی انه کان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن
الشرک والریاء او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرأ الکوفیون بالفتح علی ان الله اخلصه
وکان رسولا نبیا ارسله الله الی الخلق فانباهم عنه ولذلک قدم رسولا مع انه اخص واعلی و
نادیناه من جانب الطور الایمن من ناحیته الیمنی من الیمین وهی التی تلی یمین موسی او من جانبه المیمون
من الیمن بان تمثل له الکلام من تلک الجهة وقربناه تقریب تشریف شبهه بمن قربه الملک لمناجاته
نجیا مناجیا حال من احد الضمیرین وقیل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع لما روی انه رفع فوق السموات
حتی سمع صریر القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا اخاه معاضدة اخیه
وموازرته اجابة لدعوته واجعل لی وزیرا من اهلی فانه کان اسن من موسی وهو مفعول او بدل هرون
عطف بیان له نبیا حال منه واذکر فی الکتاب اسمعیل انه کان صادق الوعد ذکره بذلک لانه المشهور
به والموصوف باشیاء فی هذا الباب لم یعهد من غیره وناهیک انه وعد الصبر علی الذبح فقال ستجدنی
ان شاء الله من الصابرین فوفی وکان رسولا نبیا یدل علی ان الرسول لا یلزم ان یکون صاحب شریعة
فان اولاد ابرهیم کانوا علی شریعته وکان یأمر اهله بالصلوة والزکوة اشتغالا بالاهم وهو
ان یقبل الرجل علی نفسه ومن هو اقرب الناس الیه بالتکمیل قال الله تعالی وانذر عشیرتک الاقربین
وامر اهلک بالصلوة قوا انفسکم واهلیکم نارا وقیل اهله امته فان الانبیاء اباء الامم وکان
عند ربه مرضیا لاستقامة اقواله وافعاله واذکر فی الکتاب ادریس وهو سبط شیث وجد
ابی نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادریس من الدرس یرده منع صرفه نعم لا یبعد ان یکون معناه
فی تلک اللغة قریبا من ذلک فلقب به لکثرة درسه اذ روی انه تعالی انزل علیه ثلثین صحیفة وانه

اول من خط بالقلم ونظر فی علم النجوم والحساب انه کان صدیقا نبیا ورفعناه مکانا علیا
یعنی شرف النبوة والزلفی عند الله وقیل الجنة وقیل السماء السادسة او الرابعة اولئک اشارة
الی المذکورین فی السورة من زکریا الی ادریس الذین انعم الله علیهم بانواع النعم الدینیة
والدنیاویة من النبیین بیان للموصول من ذریة ادم بدل منه باعادة الجار ویجوز ان یکون
من فیه للتبعیض لان المنعم علیهم اعم من الانبیاء واخص من الذریة وممن حملنا مع نوح ای ومن
ذریة من حملنا خصوصا وهم من عدا ادریس فان ابرهیم کان من ذریة سام بن نوح ومن
ذریة ابرهیم الباقون واسرائیل عطف علی ابرهیم ای ومن ذریة اسرائیل وکان منهم موسی وهرون
وزکریا ویحیی وعیسی وفیه دلیل علی ان اولاد البنات من الذریة وممن هدینا ومن جملة من هدیناه
الی الحق واجتبینا للنبوة والکرامة اذا تتلی علیهم ایات الرحمن خروا سجدا وبکیا خبر لاولئک
ان جعلت الموصول صفته واستیناف ان جعلته خبره لبیان خشیتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم
من علو الطبقة فی شرف النسب وکمال النفس والزلفی من الله عز وجل وعن النبی صلی الله علیه وسلم اتلوا
القران وابکوا فان لم تبکوا فتباکوا والبکی جمع باک کالسجود فی جمع ساجد وقری یتلی بالیاء
لان التأنیث غیر حقیقی وقرا حمزة والکسائی بکیا بکسر الباء فخلف من بعدهم فعقبهم وجاء بعدهم عقب
سوء یقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسکون اضاعوا الصلوة ترکوها او اخروها
عن وقتها واتبعوا الشهوات کشرب الخمر واستحلال نکاح الاخت من الاب والانهماک فی المعاصی
وعن علی رضی الله عنه واتبعوا الشهوات من بنی المشید ورکب المنظور ولبس المشهور فسوف
یلقون غیا شرا کقوله فمن یلق خیرا یحمد الناس امره ومن یغو لا یعدم علی الغی لائما او جزاء
غی کقوله تعالی یلق اثاما او غیا عن طریق الجنة وقیل هو واد فی جهنم تستعیذ منه اودیتها
الا من تاب وامن وعمل صالحا یدل علی ان الایة فی الکفرة فاولئک یدخلون الجنة وقرأ
ابن کثیر وابو عمرو وابو بکر ویعقوب علی البناء للمفعول من ادخل ولا یظلمون شیئا ولا ینقصون
شیئا من جزاء اعمالهم ویجوز ان ینتصب شیئا علی المصدر وفیه تنبیه بان کفرهم السابق لا یضرهم
ولا ینقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها علیها او منصوب علی المدح
وقری بالرفع علی انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف الیه فی العلم او علم للعدن بمعنی الاقامة
کبرة ولذلک صح وصف ما اضیف الیه بقوله التی وعد الرحمن عباده بالغیب ای وعدها ایاهم
وهی غائبة عنهم او وهم غائبون عنها او وعدهم بایمانهم بالغیب انه ای ان الله کان وعده الذی هو الجنة ماتیا
یأتیها اهلها الموعود لهم لا محالة وقیل هو من اتی الیه احسانا ای مفعولا منجزا لا یسمعون فیها
لغوا فضول کلام الا سلاما ولکن یسمعون قولا یسلمون فیه من العیب والنقیصة او الا تسلیم
الملائکة علیهم وتسلیم بعضهم علی بعض علی الاستثناء المنقطع او علی معنی ان التسلیم ان کان لغوا
فلا یسمعون لغوا سواه کقوله ولا عیب فیهم غیر ان سیوفهم بهن فلول من قراع الکتائب او علی
ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنیاء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاکرام ولهم
رزقهم فیها بکرة وعشیا علی عادة المتنعمین والتوسط بین الزهادة والرغابة وقیل المراد

دوام الرزق ودروره تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم
من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التمليك و
الاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث
المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورّث
بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه
فيه فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان
ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزّل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزّل
بمعنى انزل والمعنى وما نتنزل وقتا غب وقت الا بامر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما
يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن
والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته
وما كان ربك نسيا تاركا لك اي ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك
عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل اول الآية
حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله ولطفه و
هو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله
وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما
وعد لهم من الثواب عليها وقوله رب السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو
خبر محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
مرتب عليه اي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها
ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما تورد
عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق ان يسمى الها
او احدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته
وتعالي ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اي اذا صح ان لا احد
مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار
على مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان المقول مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم
كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابي بن خلف
فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ائذا ما مت لسوف اخرج
حيا من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد
الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي
ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ
اقترانها بحرف الاستقبال او لا يذكر الانسان عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين

وبين العاطف

ان يكون خالقا رازقا وما سمي من دونه بالالهة تسمية باطلة كقوله تعالى ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان

وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف
عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتأمل انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا
لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرأ نافع
وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل
فوربك لنحشرنهم اقسام باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول عليه السلام
والشياطين عطف او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين
اغووهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره
فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول
جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا
لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا
على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب
والعقاب واهل الموقف جاثون لقوله وترى كل امة جاثية على المعتاد في مواقف التقاول وان كان
المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة او لعجزهم عن
القيام لما عراهم من الشدة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم ثم لننزعن من كل شيعة من
كل امة شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر
الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم
اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب او يدخل كلا طبقتها التي تليق به وايهم مبني على
الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة
فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا
ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام
لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم
للعلم او مستانفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة
واما بشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم بالذين
هم اولى بها صليا اي لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون و
يجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم
وان منكم وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها الا واصلها
وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه
فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال
لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل
ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان على ربك حتما مقضيا كان ورودهم واجبا
اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا

وقرأ حمزة والكسائي وحفص صليا بكسر الصاد

فيساقون الى الجنة. وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثَمّ ننجي بفتح الثاء اي هناك ونذر الظالمين
فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين
يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم ويبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيأتهم واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين
كفروا للذين امنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين المؤمنين والكافرين خير مقاما موضع قيام او
مكانا وقرأ ابن كثير بالضم اي موضع اقامة ومنزل واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما
سمعوا الايات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ
الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله لقصور نظرهم على الحال
وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله وكم اهلكنا قبلهم
من قرن هم احسن اثاثا ورئيا وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه
يتقدم من بعدهم وهم احسن صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد
منه والخرثي ما رث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرأ نافع وابن عامر
ريا على قلب الهمزة وادغامها او على انه من الري الذي هو النعمة وابو بكر رئيا على القلب وقرئ
ريا بحذف الهمزة وزيا من الزي وهو الجمع فان محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس
باكرام وانما العيار على الفضل والنقص ما يكون في الاخرة بقوله قل من كان في الضلالة فليمدد
له الرحمن مدا فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله
مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا للمعاذير كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم
نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر حتى اذا راوا ما يوعدون غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين
امنوا اي خير حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود فانه اما
العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم
فيه من الخزي والنكال فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه
وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى واضعف جندا
اي فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادي باجتماع وجوه القوم واعيانهم و
ظهور شوكتهم واستظهارهم ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على الشرطية المحكية بعد القول
كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ
المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله عز وجل اراد به ما هو خير وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه
في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية والباقيات
الصالحات الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الاباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية
التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله
وخير مردا والخير هنا اما لمجرد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره منه

في برده

في برده افرأيت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا نزلت في العاص بن وائل كان
لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا
ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية
اقوى سند الاخبار استعمل ارايت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر
عقيب حديث اولئك وقرأ حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او لغة فيه كالعرب
والعرب اطلع الغيب اقد بلغ من عظمة شأنه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى
ادعى ان يؤتاه في الاخرة مالا وولدا وتألى عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا او اتخذ من عالم الغيوب
عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة
والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره
لنفسه سنكتب ما يقول سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة
اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس
الكتبة لا تتأخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ونمد له من العذاب مدا
ونطول له من العذاب ما يستأهله او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه
على الله ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال
والولد ويأتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا
وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا
ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده كلا ردع وانكار لتعززهم
بها سيكفرون بعبادتهم ستجحد الالهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا كقوله اذ تبرأ الذين
اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا
والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز اي
ويكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة في عذابهم بان توقد بها نيرانهم او
جعل الواو للكفرة اي يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى
الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم
وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قبل ان لا يصدق في قوله شعر اقلي اللوم عاذل
والعتابن او على معنى كل هذا الرأي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون
كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين بان سلطناهم
عليهم او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات
والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد
وضوح الحق على ما نطقت به الايات المتقدمة فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى تستريح انت و
المؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم انما نعد لهم ايام اجالهم عدا والمعنى لا تعجل
بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن

اى شأن عظيم

الى ربهم الذي غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شأن ولعله لان مساق
الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها وفدا وافدين عليه
كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى
جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء لا
يملكون الشفاعة الضمير فيها للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم الا من اتخذ
عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد به ويستاهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل
الصالح على ما وعد الله او الا من اتخذ من الله اذنا فيها كقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير
مضاف اي الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا
من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير
يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات
للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجرأة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة
وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن منه
يتشققن مرة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول
ابلغ لان التفعل مطاوع فعّل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة او لانها تهد اي تكسر وهو تقرير لكونه ادا و
المعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام
العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم
وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد
او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع
على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن
وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له
ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان
يتخذ ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم
بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم
كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذ ولدا ثم صرح به في قوله ان كل من في السموات
والارض اي ما منهم الا آتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك له يأوي اليه بالعبودية والانقياد
وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصيهم حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة
قدرته وعدهم عدا عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شيء عنده بمقدار وكلهم
آتيه يوم القيمة فردا منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذه ولدا
ولا يناسبه ليشرك به ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث لهم

في القلوب

في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل
احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا
فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا
ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام او لان الموعود في القيمة حين
تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل فانما يسرناه بلسانك بان
انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرناه معنى انزلنا اي انزلناه بلغتك
لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى وتنذر به قوما لدا اشداء الخصومة آخذين في كل
لديد اي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف
للكفرة وتجسير للرسول على انذارهم هل تحس منهم من احد هل تشعر باحد منهم وتراه او تسمع
لهم ركزا وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح
اذا غيب طرفه في الارض والركاز للمال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم
اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين
فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله

سورة طه مكية وهي مائة واربع وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمها ابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم
الطاء وحده ابو عمرو لاستعلائه واما لهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل
على لغة عك فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله
ان السفاهة طه في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله
حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه فانه كان
يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ الفا كقوله
لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها
والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد ذلك كتبتها على صورة الحرف وكذا التفسير
بيا رجل او اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ما انزلنا عليك القرآن لتشقى خبر طه
ان جعلته مبتدأ على انه مؤول بالسورة او القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجواب ان جعلته
مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء واستيناف ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدأ او طائفة
من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش اذ ما عليك
الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب
ومنه اشقى من رائض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه
ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما رأوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا
وان القرآن انزل عليك لتشقى به الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع
ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد
لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر في موضع الحال من الكاف او القرآن او مفعول له على ان لتشقى متعلق

بمحذوف هو صفة القرآن اى ما انزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة لمن يخشى لمن فى قلبه
خشية ورقة يتأثر بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به تنزيلا
نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح او على البدل من تذكرة ان جعل حالا لا ان جعل مفعولا له
لفظا او معنى فان الشئ لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما بعده
الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب
الذى هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التى هى اصول العالم وقدم الارض لانها اقرب
الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات
وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب
ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات
وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة
تابعة للارادة وهى لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها
على سواء فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى اى وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم
انه غنى عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر
فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره
وهضمها بالتضرع والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المنفرد بها
والمتوحد بمقتضاها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ومن فى ممن خلق صلة لتنزيلا
او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن فى الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله
الى ضمير الواحد العظيم الشأن ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان
به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شأنه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبرئيل والملائكة
النازلين معه وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان
رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض
وهى آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء فى الحسن لدلالتها
على معان هى اشرف المعانى وافضلها وهل اتاك حديث موسى قفى تمهيد نبوته صلى الله عليه وسلم بقصة موسى
ليأتم به فى تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من
اوائل ما نزل اذ رأى نارا ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استأذن شعيبا
فى الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادى طوى وفيه الطور ولد له ابن فى ليلة شاتية
مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد اضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا
فقال لاهله امكثوا اقيموا مكانكم انى آنست نارا ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس
ابصار ما يؤنس به لعلى آتيكم منها بقبس بشعلة من النار وقيل جمرة او اجد على النار هدى
هاديا يدلنى على الطريق او يهدينى ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها فى كل ما يعن لهم
ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه

لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء فى على النار ان اهلها مشرفون
عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه
فلما اتاها اتى النار وجد نارا بيضاء تتقد فى شجرة خضراء نودى يا موسى انى انا ربك فتحه ابن كثير
وابو عمرو اى بانى وكسره الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد
والتحقيق قيل انه لما نودى قال من المتكلم قال انى انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام
شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة
الى انه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى
الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك امره بذلك لان الحفوة
تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار
غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال انك بالواد المقدس تعليل للامر
باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للوادى ونونه ابن عامر
والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثنى من الطى مصدر لنودى او المقدس اى نودى نداءين
او قدس مرتين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك فاستمع
لما يوحى للذى يوحى اليك او للوحى واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين اننى انا الله
لا اله الا انا فاعبدنى بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو منتهى
العلم والامر بالعبادة التى هى كمال العمل واقم الصلوة لذكرى خصها بالذكر وافردها
بالامر للعلة التى اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل
لذكرى خاصة لا ترائى بها ولا تشوبها بذكر غيرى وقيل لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلوة
او لذكر صلوتى لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها
ان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكرى ان الساعة آتية كائنة لا محالة اكاد اخفيها اريد
اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا ما فى الاخبار باتيانها من اللطف
وقطع الاعذار لما اخبرت به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح
من خفاه اذا اظهره لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية او باخفيها على المعنى الاخير فلا يصدنك
عنها عن تصديق الساعة او عن الصلوة من لا يؤمن بها نهى الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه
ان ينصد عنها كقولهم لا ارينك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها
ولم يعرض عنها وانه ينبغى ان يكون راسخا فى دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه
واتبع هواه ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها فتردى فتهلك
بالانصداد بصد وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب بيمينك
حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك يا موسى تكرير لزيادة الاستيناس والتنبيه قال هى عصاى
وقرئ عصى على لغة هذيل اتوكؤ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع
واهش بها على غنمى واخبط الورق بها على رؤوس غنمى وقرئ اهش وكلاهما من هش الخبز

يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اي انحي عليها زاجرا لها
ولي فيها مارب اخرى حاجات اخر مثل ان كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته
وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا
تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكانه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها او
ما يرى من منافعها حتى اذا راها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى
خارقة للعادة مثل ان تشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء و
تطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق
وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك ايات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله
وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصا تنفع منافع
امثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه قال القها يا موسى فالقيها فاذا هي حية تسعى قيل لما القاها
انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدأ
وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان
وجلادة الجان ولذلك قال كانها جان قال خذها ولا تخف فانه لما راها حية تسرع و
تبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها سنعيدها سيرتها الاولى هيئتها وحالتها المتقدمة وهي
فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض او على ان اعاد منقول من عاده
بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها اي سنعيد العصا بعد ذهابها
تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمان نفسه حتى
ادخل يده في فمها واخذ بلحييها واضمم يدك الى جناحك اي جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين
جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران تخرج
بيضاء كانها مشعة من غير سوء من غير عاهة وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوءة عن العورة لان
الطباع تعافه وتنفر عنه اية اخرى معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او
مفعول باضمار خذ او دونك لنريك من اياتنا الكبرى متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه اية
او القصة اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة اياتنا او مفعول نريك ومن اياتنا حال
منها اذهب الى فرعون بهاتين الايتين وادعه الى العبادة انه طغى عصى وتكبر قال رب اشرح لي
صدري ويسر لي امري لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم ساله ان يشرح صدره ويفسح قلبه
لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الامر عليه باحداث الاسباب ورفع الموانع
وفائدة لي ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تاكيدا ومبالغة واحلل عقدة
من لساني يفقهوا قولي فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك
ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت اسية انه صبي لا يفرق بين الجمر
والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبييضهما كان لذلك وقيل
احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى

الذي ابرأه وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد
اوتيت سؤلك يا موسى ومن لم يقل احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب
عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل
يفقهوا قولي جواب الامر ومن لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل واجعل
لي وزيرا من اهلي هرون اخي يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل
عن اميره او من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برايه ويلتجئ اليه في اموره ومنه الموازرة وقيل
اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته كقلبها في
موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولي صلة او حال او لي وزيرا
وهرون عطف بيان للوزير او وزيرا من اهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي
على الوجوه بدل من هرون او مبتدا خبره اشدد به ازري واشركه في امري على لفظ الامر
وقراهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون
يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر الخير وتزايده انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون
مما يصلحنا وان هرون نعم المعين لي فيما امرتني به قال قد اوتيت سؤلك يا موسى اي سؤلك فعل
بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والماكول ولقد مننا عليك مرة اخرى انعمنا عليك
في وقت اخر اذ اوحينا الى امك بالهام او في منام او على لسان نبي في وقتها او ملك لا على وجه النبوة
كما اوحي الى مريم ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحي او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط
الاهتمام به ان اقذفيه في التابوت بان اقذفيه او اي اقذفيه لان الوحي بمعنى القول فاقذفيه في اليم
والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله
غلام رماه الله بالحسن يافعا فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا
واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج الجواب مخرج
الامر والاولى ان يجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل
وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض ياخذه عدو لي وعدو له جواب فليلقه وتكرير عدو
للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع قيل انها جعلت في التابوت قطنا
ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه
فاداه الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على راسها مع امراته اسية بنت مزاحم فامر به فاخرج
ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال والقيت عليك محبة مني اي محبة
كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك احبك فرعون ويجوز
ان يتعلق مني بالقيت اي احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله
وهو شاطئه لان الماء يسحله فالتقطه منه لكن لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهره
ولتصنع على عيني لتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل
ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام

وسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء اي وليكون عملك على عيني لئلا تخالف
به عن امري اذ تمشي اختك ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت
متسع فتقول هل ادلكم على من يكفله وذلك انه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت اخته
مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل
ثديها فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن
هي بفراقك او انت على فراقها وفقد اشفاقها وقتلت نفسا نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي
فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه
بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن
او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى
وهو اجمال ما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا على حذر
وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك اوله ولما سبق ذكره فلبثت سنين في اهل مدين لبثت
فيهم عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين ومدين على ثماني مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته
لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر او على مقدار من السن يوحى فيه
الى الانبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك واصطنعتك لنفسي و
اصطفيتك لمحبتي مثله فيما خولته من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه اذهب انت واخوك
باياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ بكسر التاء في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما
وقيل في تبليغ ذكري والدعاء الي اذهبا الى فرعون انه طغى امر به اولا موسى وحده وههنا
اياه واخاه فلا تكرير قيل اوحى الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله فقولا له
قولا لينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة في صورة عرض ومشورة
حذرا ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما او احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه
وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا
لا يزول الا بالموت لعله يتذكر او يخشى متعلق باذهبا او قولا اي باشرا الامر على رجائكما
وطمعكما انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجي مجتهد والايس متكلف والفائدة في ارسالهما
والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ما حدث
في تضاعيف ذلك من الايات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول اي ان لم
يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا
ان يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط
وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل
من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسي او جني على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط
في الاذية او ان يطغى ان يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته وقساوته
واطلاقه من حسن الادب قال لا تخافا انني معكما بالحفظ والنصرة اسمع وارى ما يجري

بينكما

290

بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز
ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا
تم الحفظ فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف
الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا في ايدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل و
يقتلون ذكورهم في عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين
من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج في الدعوة قد جئناك باية من
ربك جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الاية وكان معه
ايتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك
قوله قد جئتكم ببينة فأت باية او لو جئتك بشيء مبين والسلام على من اتبع الهدى وسلام
الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة في الدارين لهم انا قد اوحي الينا ان العذاب على من
كذب وتولى ان عذاب المنزلين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد و
التوكيد فيه لان التهديد في اول الامر اهم وانجع وبالواقع اليق قال فمن ربكما يا موسى اي بعد
ما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله حذف لدلالة الحال فان المطيع اذا امر بشيء فعله وانما
خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف ان له
رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد
يبين قال ربنا الذي اعطى كل شيء من الانواع خلقه صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن
له او اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم المفعول الثاني لانه المقصود بيانه
وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف
على شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفا اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق
بما اعطي وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره
واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على ان الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله
وان جميع ما عداه مفتقر اليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذي كفر
وافحم عن الدخل فلم ير الا صرف الكلام عنه قال فما بال القرون الاولى فما حالهم بعد موتهم من
السعادة والشقاوة قال علمها عند ربي اي انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك
لا علم لي منه الا ما اخبرني به في كتاب مثبت فيه وهو اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه
في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى والضلال ان
تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان
على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله بالاشياء كلها وتخصيصه
ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون
الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم
فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى الذي

جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربي او خبر لمحذوف او منصوب على المدح وقرأ الكوفيون مهدا
اي كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد
وسلك لكم فيها سبلا وحصل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها
من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل من السماء ماء مطرا فاخرجنا به عدل به عن لفظ الغيبة
الى صيغة المتكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة
والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله تعالى
الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل
لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها
ببعض من نبات بيان او صفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه من حيث
انه مصدر في الاصل مستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اي متفرقات في
الصور والاغراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال كلوا وارعوا
انعامكم وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا
والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف اذنين فيه ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي
العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم فان التراب اصل
خلقة اول آبائكم واول مواد ابدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة
اخرى بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد الارواح اليها
ولقد اريناه آياتنا بصرناه اياها او عرفناه صحتها كلها تأكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد
على ان المراد بآياتنا آيات معهودة هي الآيات التسع المختصة بموسى او انه عليه السلام اراه آياته وعدد
عليه ما اوتي غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده وابى الايمان والطاعة لعتوه قال اجئتنا
لتخرجنا من ارضنا ارض مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف
وعن الفوله منه على ملكه فان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه فلنأتينك بسحر
مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف
لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به فانه موصوف وبانه بدل
من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة
من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان
موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة كما قرئ بالنصب وهو ظاهر
في ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم
عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم
النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الاشهاد و
يشيع ذلك في الاقطار وان يحشر الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على بناء الفاعل
بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه فتولى فرعون

فجمع

مصدرا فان جعلته زمانا كان مكانا هو الاول وان جعلته مصدرا ... موعدكم مبتدأ ويوم الزينة خبره ... وقت موعدكم يوم الزينة ابو البقاء

فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله
كذبا بان تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستأصلكم به وقرأ حمزة والكسائي
وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وقد خاب من افترى
كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اي
تنازعت السحرة في امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا
النجوى بان موسى ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا
في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله قالوا ان هذان لساحران تفسير لاسروا النجوى كانهم
تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحارث
بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف
وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا يدخل
خبر المبتدأ وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به
الحذف وقرأ ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هي المخففة واللام
هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء عليها
بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء
دينه لقوله اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب
علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث
انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم
وقرأ ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو قول
بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا
مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب من
غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى اي بعدما اتوا مراعاة
للادب وان بما بعده منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية محذوف اي اختر القاءك اولا او القاءنا
او الامر القاؤك او القاؤنا قال بل القوا مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا
الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول في شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم
ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم
وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجأة والتحقيق انها ايضا
ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة يضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجأة
والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى تخيله وقت تخيل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم
وذلك انهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرأ ابن عامر
وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ
يخيل على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفا من مفاجأته

اعطاه

على ما هو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف ما توهمت
انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير و
تعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه و
لم يقل عصاك تحقيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد التي في يدك او تعظيما
لها اي لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها اثرا فالقه تلقف ما
صنعوا تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذفت احدى التائين وتاء المضارعة تحتمل التانيث
والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وقرا ابن عامر بالرفع على الحال او الاستيناف وحفص
بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته انما صنعوا ان الذي زوروا وافتعلوا كيد ساحر
وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرا حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر او بتسمية الساحر سحرا
على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد
به الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول
العجاج يوم ترى النفوس ما اعدت في سعي دنيا طالما قد مدت كانه قيل ان ما صنعوا كيد سحري
حيث اتى حيث كان واين اقبل فالقي السحرة سجدا اي فالقي فتلقفت فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر
وانما هو من ايات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا و
اعتابا وتعظيما لما راوا قالوا امنا برب هرون وموسى قدم هرون لكبر سنه او لروي الاية
او لان فرعون ربى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون
وذكر هرون على الاستتباع روي انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال امنتم له اي
لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع قبل ان اذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في
فنكم واعلمكم به او لاستاذكم الذي علمكم السحر وانتم تواطأتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو
وهي مع المجرور بها في حيز النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف
ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب
ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى لقوله امنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد به
تضيع موسى والهزء به فانه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل رب موسى الذي امنوا به اشد عذابا
وابقى وادوم عقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى به ويجوز ان يكون الضمير
فيه لما من البينات المعجزات الواضحات والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت
قاض ما انت قاضيه اي صانعه او حاكم به انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انما تصنع ما تهواه او
تحكم بما تراه في هذه الدنيا والاخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ
تقضى هذه الحيوة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر
والمعاصي وما اكرهتنا عليه من السحر في معارضة المعجزة روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما
فوجدوه يحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه

والله

والله خير وابقى جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا انه ان الامر من يات ربه مجرما بان يموت على كفره
وعصيانه فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة مهناة ومن ياته مؤمنا قد عمل
الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من
الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار
وذلك جزاء من تزكى تطهر من ادناس الكفر والمعاصي والايات الثلاث يحتمل ان تكون من كلام
السحرة وان يكون ابتداء كلام من الله ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي من مصر فاضرب
لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له من ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله في البحر
يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به
المؤنث فقيل شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف على فعل كصعب
او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله شعر كان قتود رحلي حين ضمت حوالب غرزا
ومعا جياعا او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال من المأمور
اي امنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعائد محذوف وقرا حمزة لا تخف على انه جواب
الامر ولا تخشى استينافا اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون
بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى ولا تخشى الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده وذلك ان
موسى خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه
جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء
للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وزادهم خلفهم فغشيهم من اليم ما غشيهم
الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اي غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه
الا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم اي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله او ما غشاهم او
فرعون لانه الذي ورطهم للهلاك واضل فرعون قومه وما هدى اي اضلهم في الدين وما هداهم
وهو تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم في البحر وما نجا يا بني اسرائيل خطاب
لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
بما فعل بابائهم قد انجيناكم من عدوكم من فرعون وقومه وواعدناكم جانب الطور الايمن
لمناجاة موسى وانزال التوراة عليه وانما عدى المواعدة اليهم وهي لموسى او له وللسبعين المختارين
للملابسة ونزلنا عليكم المن والسلوى يعني في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم لذائذه او حلاله
وقرا حمزة والكسائي انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم بالتاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم
والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم بالاخلال بشكره و
التعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم غضبي فيلزمكم
عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى فقد تردى
وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرا الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل واني
لغفار لمن تاب عن الشرك وامن بما يجب الايمان به وعمل صالحا ثم اهتدى ثم استقام على الهدى

جمع قتد وهو خشب الرحل

المذكور وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها
نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظيم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين
وقدم جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثري ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها
عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت اليك
رب لترضى فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك قال فانا
قد فتنا قومك من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم
مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا واضلهم السامري
باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اي اشدهم ضلالة لانه كان ضالا مضلا
وان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بايامها اربعين وقالوا
قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس في الاية ما يدل
عليه كان ذلك اخبارا من الله عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع الشيء ان
يكون في علمه ومقتضى مشيئته والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة و
قيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى الى
قومه بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية غضبان عليهم اسفا حزينا بما فعلوا قال يا قوم
الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها هدى ونور افطال عليكم العهد اي الزمان
يعني زمان مفارقته لهم ام اردتم ان يحل عليكم يجب عليكم غضب من ربكم بعبادة ما هو
مثل في الغباوة فاخلفتم موعدي وعدكم اياي بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم
به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد
الاربعين وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له قالوا ما اخلفنا
موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامري لما اخلفناه وقرا
نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وثلثتها لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا
حملنا اوزارا من زينة القوم احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من
مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل
هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها آثام فان
الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستامنين وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي
فقذفناها اي في النار فكذلك القى السامري اي ما كان معه منها روي انهم لما حسبوا ان
العدة قد كملت قال لهم السامري انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم
فالراي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف فيها كل ما معنا ففعلوا وقرا ابو عمرو وحمزة
والكسائي وابو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلي المذابة له
خوار صوت العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم واله موسى فنسي
اي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من اظهار الايمان

قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر

افلا يرون

افلا يرون الا يرجع اليهم قولا انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا
وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين ولا يملك لهم
ضرا ولا نفعا ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم ولقد قال لهم هرون من قبل من قبل رجوع
موسى او قول السامري كانه اول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفيرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم
يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني واطيعوا امري في الثبات على الدين
قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى وهذا الجواب
يؤيد الوجه الاول قال يا هرون اي قال له موسى لما رجع ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة
العجل الا تتبعن ان تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تاتي عقبي وتلحقني
ولا مزيدة كما في قوله ما منعك ان لا تسجد افعصيت امري بالصلابة في الدين والمحاماة عليه
قال يا ابن ام خص الام استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما
كانا من ابوام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي بشعر راسي قبض عليهما يجره اليه من شدة غيظه
وفرط غضبه لله وكان موسى عليه السلام حديدا خشنا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين راهم
يعبدون العجل اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض
ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني في قومي واصلح فان الاصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة
بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برايك قال فما خطبك يا سامري ثم اقبل عليه وقال له
منكرا ما خطبك اي ما طلبك له وما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الشيء اذا طلبه قال بصرت
بما لم يبصروا به وقرا حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب اي علمت ما لم يعلموه وفطنت لما لم يفطنوا
له وهو ان الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس اثره شيئا الا احياه او رايت ما لم تروه
وهو ان جبريل جاء على فرس الحيوة قيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون
وكان جبريل يغذوه حتى استقل فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه والقبضة المرة من
القبض فاطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع الكف والثاني للاخذ
باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه
جبريل واراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور فنبذتها في الحلي المذاب
او في جوف العجل حتى حيي وكذلك سولت لي نفسي زينته وحسنته لي قال فاذهب فان لك
في الحيوة عقوبة على ما فعلت ان تقول لا مساس خوفا من ان يمسك احد فياخذك الحمى
ومن مسك فتحامى الناس ويحاموك ويكون طريدا وحيدا كالوحشي النافر وقرئ لا مساس
كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدا في الاخرة لن تخلفه لن يخلفكه الله وينجزه لك في
الاخرة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرا ابن كثير والبصريان بكسر اللام اي لن تخلف الواعد اياه
وسياتيك لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت
الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت
عليه عاكفا ظللت على عبادته مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة

الخضم الاكل بجميع الفم والقضم باطراف الاسنان

اللام اليها لنحرقنه اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد
بالمبرد ويعضده قراءة لنحرُقنه ثم لننسفنه لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين
في اليم نسفا فلا يصادف منه شئ والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة
المفتتنين به لمن له ادنى نظر انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذي لا اله الا هو اذ لا احد
يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل شئ علما وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل
الذي يصاغ ويحرق وان كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرئ وسّع فيكون انتصاب
علما على المفعولية لانه وان انتصب على التمييز في المشهور لكنه فاعل في المعنى فلما عدي الفعل
بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص يعني قصة موسى عليه السلام نقص
عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في
علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا
مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل
ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من اعرض عنه عن الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة
والنجاة وقيل عن الله تعالى فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها
وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره
او اثما عظيما خالدين فيه في الوزر او في حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ
وساء لهم يوم القيمة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء
حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الذي فيه
للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ في الصور وقرأ ابو عمرو بالنون
على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله تعالى او
اسرافيل عليه السلام وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ في الصور وهو جمع صورة وقد
سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ ويحشر المجرمون زرقا زرق العيون وصفوا بذلك
لان الزرقة اسوء الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم
زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة
الاعمى تزراق يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت
خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اي في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها
لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم
استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر لقوله تعالى ويوم تقوم الساعة
الى آخر الآيات نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رأيا
او عملا ان لبثتم الا يوما استرجاع لقول من يكون اشد تقاللا منهم ويسئلونك عن الجبال
عن مآل امرها وقد سأل رجل من ثقيف فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها
الرياح فتفرقها فيذرها فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال

عليها

عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا كأن اجزاءها على صف
واحد لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوّا ان تأملت فيها بالقياس الهندسي وثلثها
احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج
بالكسر وهو يخص المعاني والامت وهو النتوّ اليسير وقيل لا ترى استيناف مبين للحالين يومئذ
اي يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيمة يتبعون
الداعي داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل عليه السلام يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس
فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات
للرحمن وخضعت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف
الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له
الرحمن الاستثناء من الشفاعة اي الا شفاعة من اذن او من اعم المفاعيل اي الا من اذن في
ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية وعلى الثاني منصوب على
المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن ومن الاذن ورضي له قولا اي ورضي لمكانه عند الله
قوله في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع في شانه او قوله لاجله في شانه يعلم ما بين ايديهم
ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط
علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا
تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى
في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فيكون اللام
بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما وهو يحتمل الحال والاستيناف لبيان ما لاجله عنت
وجوههم ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات
فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم
لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص
اي ومثل ذلك الانزال او مثل هذه الآيات المتضمنة للوعيد انزلناه قرآنا عربيا كله على
هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه آيات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي فتصير
التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه
النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن فتعالى الله في ذاته وصفاته عن مماثلة
المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه
الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته يستحقه لذاته او الثابت في
ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي
من جبريل ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد
وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتي بيانه وقل رب زدني علما اي سل الله
زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا الى آدم

فان قلت قد فرقوا بين العِوج والعَوج فقالوا العِوج بالكسر في المعاني والعَوج بالفتح في الاعيان والارض عين
فكيف صح فيها المكسور العين قلت اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستواء
والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها
وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على انه لم يبق فيها اعوجاج
قط ثم استطلعت رأي المهندس فيها وامرته ان يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر
فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي
فنفى الله عز وجل ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس الذي يعرفه
صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس
لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر كشاف

ولقد امرناه تقدم الملك اليه واوعزنا اليه وعزم عليه وعهدا اليه اذا امره واللام جواب
قسم محذوف وانما عطف قصة ادم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس
بني ادم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان من قبل من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن به
حتى غفل عنه او ترك ما وصى به من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم راي وثبات
على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك
كان في بدء امره قبل ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت
احلام بني ادم بحلم ادم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب فانه
اخطأ ولم يتعمد ولم نجد ان كان من الوجود العلمي بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان
من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم
مقدر باذكر اي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك انه نسي ولم يكن من اولي العزيمة و
الثبات فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه ابى جملة مستانفة لبيان ما منعه من السجود و
هو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى
اظهر الاباء عن المطاوعة فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا
لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما من الجنة فتشقى افرده
باسناد الشقاء اليه بعد اشتراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث
انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل او لان المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة
الرجال ويؤيده قوله ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان
وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن
مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقايضها ليطرق
سمعه باصناف الشقوة المحذر منها والعاطف وان ناب عن ان لكنه ناب من حيث انه عامل لا
من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه فوسوس اليه الشيطان
فانهى اليه وسوسته قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد الشجرة التي من اكل منها خلد ولم يمت اصلا
فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانه سببه بزعمه وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف فاكلا منها
فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اخذا يلزقان الورق على سواتهما
للتستر وهو ورق التين وعصى ادم ربه باكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب
الخلد باكل الشجرة او عن المامور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي
الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر
بليغ لاولاده عنها ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق له من جبى الي كذا
فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب
وهدى الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة قال اهبطا منها جميعا الخطاب لادم
وحوا اوله ولابليس ولما كانا اصل الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض عدو

لامر المعاش

لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الاخر
ويؤيد الاول قوله فاما ياتينكم مني هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا
ولا يشقى في الاخرة ومن اعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي والداعي الى عبادتي فان له
معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى
كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره يكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها
خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للاخرة مع انه تعالى قد يضيق بشوم الكفر ويوسع ببركة الايمان
كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا التورية والانجيل ولو ان اهل القرى
امنوا الايات وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره قرئ بسكون الهاء
على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة لانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى اعمى البصر
او القلب ويؤيد الاول قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقد امالهما حمزة والكسائي لان
الالف منقلبة وفرق ابو عمرو بان الاول راس الاية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير قال كذلك
اي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال اتتك اياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها
غير منظور اليها وكذلك ومثل تركك اياها اليوم تنسى تترك في العذاب والعمى وكذلك نجزي
من اسرف بالانهماك في الشهوات والاعراض عن الايات ولم يؤمن بايات ربه بل كذبها وخالفها
ولعذاب الاخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اي وللنار بعد ذلك اشد وابقى من ضنك
العيش او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من ترك
الايات والكفر بها افلم يهد لهم مسند الى الله او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم من القرون
اي اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق يجري مجرى اعلم ويدل عليه القراءة
بالنون يمشون في مساكنهم ويشاهدون اثار هلاكهم ان في ذلك لايات لاولي النهى لذوي
العقول الناهية عن التغافل والتعامي ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتاخير عذاب
هذه الامة الى الاخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر
وصف به او اسم الة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم واجل مسمى عطف على كلمة اي
ولولا العدة بتاخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة او يوم بدر لكان العذاب
لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن في
كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك
حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه المولى للنعم كلها قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها
يعني الظهر والعصر لانهما من اخر النهار او العصر وحده ومن اناء الليل ومن ساعاته جمع اني بالكسر و
القصر واناء بالفتح والمد فسبح يعني المغرب والعشاء وانما قدم الزمان فيه لاختصاصهما بمزيد الفضل
فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة فكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال تعالى ان
ناشئة الليل هي اشد وطا واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلوتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص
ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلوة الظهر فانه نهاية

النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخر وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك وقرا الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم ناسا زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرا يعقوب بالفتح وهي لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهرو الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم في الاخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك في الاخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وابقى فانه لا ينقطع وامر اهلك بالصلوة امره بان يأمر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا تلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها وداوم عليها لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الاخرة والعاقبة المحمودة للتقوى لذوي التقوى روي انه صلى الله عليه وسلم اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الاية وقالوا لولا يأتينا باية من ربه باية تدل على صدقه في ادعاء النبوة او باية مقترحة انكارا لما جاء به من الايات او للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقران الذي هو ام المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى من التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتمالها على زبدة ما فيها من العقايد والاحكام الكلية مع ان الاتي بها امي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرئ الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد او البينة والتذكير لانها في معنى البرهان او لان المراد بها القران لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبي في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيمة وقد قرئ نذل ونخزى للمفعول قل كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد والسوء والسوأى والسوي وهو تصغيره ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز ان يكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فيكون معطوفة على

الثروة كثرة العدد من الناس والمال قاموس

بالقتل والسبي في الدنيا

محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وعنه عليه الصلوة والسلام من قراطه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار

سورة الانبياء عليهم السلام مكية وهي مائة واثنا عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم بالاضافة الى ما مضى او عند الله لقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون او لان كل ما هو ات قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب وتأكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون اي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما يأتيهم من ذكر ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر او صلة ليأتيهم محدث تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون يستهزؤن به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر اخر للضمير واسروا النجوى بالغوا في اخفائها وجعلوها بحيث خفي تناجيهم بها الذين ظلموا بدل من واو اسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتداء والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون باسره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا لقول مقدر كانهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقران سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة قل ربي يعلم القول في السماء والارض جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا به وهو اكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولذلك اختير هنا وليطابق قوله واسروا النجوى وقرا حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول وهو السميع العليم فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون بل قالوا اضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء ما بعدها او للاضراب عن تحاورهم في شان الرسول صلى الله عليه وسلم وما ظهر عليه من الايات الى تقاولهم في امر القران والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه

مشحون بالحقائق والحكم ليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على
مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه شعرا
لانه لا يجانسه من حيث انه من الخوارق فليأتنا باية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به
الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث
ان الارسال يتضمن الاتيان بالاية ما آمنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها باقتراح الايات
لما جاءتهم افهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح
للابقاء عليهم اذ لو اتى به لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستيصال كمن قبلهم وما ارسلنا
قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون جواب لقولهم هل
هذا الا بشر مثلكم يأمرهم ان يسألوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة
والاحالة اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم في امر النبي صلى الله عليه وسلم و
يثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحي بالنون
وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك
عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا امثالهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام
وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي الى الفناء
وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف او تأويل الضمير بكل واحد
وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب
لان اصله لجمع الشيء واشتداده ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد فانجيناهم ومن نشاء يعني
المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او احد من ذريته ولذلك حميت العرب عن
عذاب الاستيصال واهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم يا قريش كتابا يعني
القران فيه ذكركم صيتكم لقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن
الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون فتؤمنون وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب عظيم
لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت بها لما
اقيمت مقامه وانشأنا بعدها بعد هلاك اهلها قوما اخرين مكانهم فلما احسوا بأسنا
فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها
يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم لا تركضوا
على ارادة القول اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال او المقال والقائل ملك
او من ثم من المؤمنين وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة و
مساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسئلون غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات
العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين
لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن

بعث اليهم

بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء
يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت تلك دعويهم فما زالوا يرددون
ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك
وكل من تلك ودعويهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت
المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني
كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة
له او حال من ضميره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وانما خلقناهما مشحونة
بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد
في المعاش والمعاد فينبغي ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها
سريعة الزوال لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا
او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم
في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة
والمراد الرد على النصارى ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة
كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اي بل
من شأننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه
وانما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو كسر
الدماغ بحيث يشق غشاؤه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ
فيدمغه بالنصب كقوله شعر: سأترك منزلي لبني تميم • والحق بالحجاز فاستريحا ووجهه مع بعده
الحمل على المعنى والعطف على الحق فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح
المجاز ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية
او موصولة او موصوفة وله من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده يعني الملائكة المنزلين
منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم
او لانه اعم منه من وجه او المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السماء والارض او مبتدأ
خبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جيء
بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر
منها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون حال من
الواو في يسبحون وهو استئناف او حال من ضمير قبله ام اتخذوا بل اتخذوا آلهة والهمزة لانكار
اتخاذهم من الارض صفة لآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون
التخصيص هم ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاؤهم لها الالهية فان
من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك
زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم لو كان فيهما آلهة الا الله غير الله وصف بالا

لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الالهة
فيها دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثني بغير حملا
عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام
غير موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت
عليه القدرة وان تخالفت فيه تعاوقت عنه فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجسام
الذي هو محل التدابير ومنشأ التقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد
لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية وهم
يسألون لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للالهة او للعباد ام اتخذوا من دونه الهة
كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما لانكار
ما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا الهة
ينشرون الموتى فاتخذوهم الهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا في الكتب الالهية
الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل على
فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك اما من العقل
او النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا
هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد
والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحة بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال
فيه بالنقل ومن معي امته ومن قبلي الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ
بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وشبههما بل اكثرهم
لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط
للتأكيد بين السبب والمسبب فهم معرضون عن التوحيد واتباع الرسول من اجل ذلك وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فان ذكر
من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلثة وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك بل عباد
بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم
وقرئ بالتشديد لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين
واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها
على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وانيب اللام عن الاضافة اختصارا
وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره
يعملون لا يعملون قط ما لم يأمرهم به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه خافية
مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطته بذلك يضبطون
انفسهم ويراقبون احوالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه وهم من

خشيته

وقرأ حفص وحمزة والكسائي نوحي بالنون وكسر الحا والباقون باليا وفتح الحا

خشيته من عظمته ومهابته مشفقون مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك
خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي
بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم
يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية كذلك
نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية اولم ير الذين كفروا اولم يعلموا
وقرأ ابن كثير بغير واو ان السموات والارض كانتا رتقا ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم
والالتحام اي كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز او كانت السموات
واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت
باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات او اقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل
كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا و
جمعها باعتبار الافاق او السموات باسرها على ان لها مدخلا ما في الامطار والكفرة وان لم يعلموا
ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط
او استفسارا من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات
وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض
وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان لقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه
من اعظم مواده ولفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء
لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان
افلا يؤمنون مع ظهور الايات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسا اذا ثبت ان تميد
بهم كراهة ان تميد بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا لامن الالتباس وجعلنا فيها
في الارض او الرواسي فجاجا سبلا مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له
ليصير حالا فيدل على انها حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه
خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون الى مصالحهم وجعلنا
السماء سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته
او استراق السمع بالشهب وهم عن اياتها عن احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته و
كمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة
معرضون غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك
الايات كل في فلك اي كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس
كقولهم كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح
الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما
وانما جمع باعتبار المطالع وانما جعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم وما جعلنا لبشر
من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفي معنا

قوله شعر فهل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا والفاء لتعلق الشرط
بما قبله والهمزة لانكار بعدما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها
جسدها وهو برهان على ما انكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالشر والخير بالبلايا
والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم حسب ما يوجد منكم
من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحيوة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب
تقريرا لما سبق واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا مهزوا
مهزوا به ويقولون اهذا الذي يذكر الهتكم اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان
ذكر العدو لا يكون الا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاده الخلق ببعث الرسل
وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقران هم كافرون منكرون فهم احق بان يهزا بهم وتكرير
الضمير للتاكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر خلق الانسان من عجل كانه منه
خلق لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع
هو منه مبالغة في لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال
الوعيد روي انه نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب ساريكم اياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر
وفي الاخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها
عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب او القيمة ان كنتم صادقين يعنون
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار
ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون محذوف الجواب وحين مفعول اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون
منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين يحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها
ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى
لو كان لهم علم لما استعجلوا يعلمون بطلان ما عليهم حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه
موضع المضمر للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل تاتيهم العدة او النار او الساعة بغتة فجاءة
مصدر او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد
او الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون ردها لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة
ويجوز ان يكون للنار او للبغتة ولا هم ينظرون ولا يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا
ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحاق بالذين سخروا منهم ما
كانوا به يستهزؤن وعد له بان ما يفعلونه يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما
فعلوا يعني جزاءه قل يا محمد للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من باسه
ان اراد بكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه بمهلته
بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا كلئوا منه
عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ام لهم الهة تمنعهم من دوننا بل الهم الهة تمنعهم من العذاب
تتجاوز منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضراب عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض

الغافل

الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم
منا يصحبون استيناف بابطال ما اعتقدوه فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه
نصر من الله كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا
ببيان ما هو الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او عن
الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى
طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على
انه امل كاذب فقال افلا يرون انا ناتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بتسليط
المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على ايدي المسلمين افهم الغالبون رسول الله
والمؤمنين قل انما انذركم بالوحي بما اوحي الي ولا يسمع الصم الدعاء وقرا ابن عامر ولا
تسمع على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضع
موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون اذا ما ينذرون منصوب بيسمع
او بالدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار او للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن
مستهم نفحة ادنى شيء وفيه مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب
رائحة الشيء والبناء الدال على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون به ليقولن يا ويلنا
انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع الموازين القسط
العدل يوزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء
على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ليوم القيمة لجزاء يوم
القيمة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس شيئا من حقها او من
الظلم وان كان مثقال حبة من خردل اي وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع
نافع مثقال على كان التامة اتينا بها احضرناها وقرئ اتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء
فانه قريب من اعطينا او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء واثبنا من الثواب و
جئنا والضمير للمثقال وتانيثه لاضافته الى الحبة وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا
وعدلنا ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين اي الكتاب الجامع
لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به
المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ
ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح لهم
منصوب او مرفوع بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة مشفقون خائفون
وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعني القران مبارك كثير
خيره انزلناه على محمد افانتم له منكرون استفهام توبيخ ولقد اتينا ابرهيم رشده
الاهتداء لوجوه الصلاح واضافه ليدل على انه رشد مثله وان له شانا وقرئ رشده
وهو لغة من قبل من قبل موسى وهرون او محمد وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حيث قال

اى وجهت وكتابه عالمين علمنا انه اهل لما اتيناه او جامع لمحاسن الاولين والكلام
الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات اذ قال لابيه
وقومه متعلق باتينا او برشده او بمحذوف اى اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما هذه
التماثيل التى انتم لها عاكفون تحقير لشانها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لا روح
فيها لا تضر ولا تنفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى
وانتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يؤول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة قالوا وجدنا
اباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها
وحملهم عليها قال لقد كنتم انتم واباؤكم فى ضلال مبين منخرطون فى سلك ضلال لا يخفى
على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد ان جاز فانما يجوز لمن علم فى الجملة
انه على حق قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين كانهم لاستبعادهم تضليل اباءهم
ظنوا ان ما قاله على وجه الملاعبة فقالوا أجِدٌّ تقوله ام تلعب به قال بل ربكم رب السموات
والارض الذى فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات
والارض او للتماثيل وهو ادخل فى تضليلهم والزام الحجة عليهم وانا على ذلكم المذكور من التوحيد
من الشاهدين من المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشئ وحققه
وتالله وقرئ بالباء وهى الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم
لاجتهدن فى كسرها ولفظ الكيد وما فى التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من
الحيل بعد ان تولوا عنها مدبرين الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطعا
فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائى بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ
كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجُذذا جمع جذيذ وجُذُذ جمع جُذّة الا كبيرا لهم للاصنام
كسر غيره واستبقاه وجعل الفاس على عنقه لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا
يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة الهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم
فيحجهم او لانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شان المعبود ان يرجع اليه
فى حل كل عقد فيبكتهم بذلك او الى الله اى يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز الهتهم قالوا
حين رجعوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين بجرأته على الالهة الحقيقة بالاعظام
او بافراطه فى حطمها او بتوريط نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله
فعله ويذكر ثانى مفعولى سمع او صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ فى نسبة
الذكر اليه يقال له ابرهيم هو ابرهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به الاسم قالوا فاتوا
به على اعين الناس بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته فى اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم
يشهدون بفعله او بقوله او يحضرون عقوبتنا له قالوا أانت فعلت هذا بالهتنا يا
ابرهيم حين احضروه قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل
اليه تجوزا لان غيظه لما راى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه

مع الاستهزاء او التبكيت على اسلوب تعريضى كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته
بخط رشيق أأنت كتبت هذا فقلت بل انت كتبته او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه
وقيل انه معلق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابرهيم
وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله وما روى انه صلى الله عليه وسلم
قال لابرهيم ثلث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته فرجعوا
الى انفسهم وراجعوا عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا
السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين
ثم نكسوا على رؤسهم انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم
الى الباطل بصيرورة اسفل الشئ مستعليا على اعلاه وقرئ نكّسوا بالتشديد ونكَسوا
اى نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على ارادة القول
قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم لها
بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافى الالوهية اف لكم ولما تعبدون
من دون الله تضجر منهم على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه قبحا
ونتنا واللام لبيان المتأفف له افلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اخذا فى المضارة
لما عجزوا عن المحاجة حرقوه فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا الهتكم بالانتقام
لها ان كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من اكراد فارس
اسمه هيون خسف به الارض وقيل نمروذ قلنا يا نار كونى بردا وسلاما ذات برد
وسلام اى ابردى بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة بقدرته مأمورة مطيعة
واقامة كونى ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وقيل نصب
سلاما بفعله اى وسلمنا سلاما عليه روى انهم بنوا حظيرة بكوثى واججوا فيها نارا
عظيمة ثم وضعوه فى المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما
اليك فلا فقال سل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فجعل الله ببركة قوله الحظيرة
روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمروذ من الصرح فقال انى مقرب الى الهك
فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب
النار هواء طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت
النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما ترى فى السمندر ويشعر به قوله على ابرهيم و
ارادوا به كيدا مكرا فى اضراره فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا
قاطعا على انهم على الباطل وابرهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد
العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين اى من العراق الى الشام
وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت فى العالمين شرائعهم التى هى مبادى
الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روى انه نزل بفلسطين

موضع حوالى الكوفة

ولوطا بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة
عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا
بأس به للقرينة وكلا يعني الاربعة جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح و
حملناهم عليه فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم يهدون الناس الى الحق
بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوا
عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات
وكذلك قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل
وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها وكانوا لنا
عابدين موحدين مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا اتيناه حكما
حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للانبياء ونجيناه من القرية
قرية سدوم التي كانت تعمل الخبائث يعني اللواطة وصفها بصفة اهلها واسندها اليها
على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل
له وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا
الحسنى ونوحا اذ نادى اذ دعا الله على قومه بالهلاك من قبل من قبل المذكورين فاستجبنا
له دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد
ونصرناه مطاوع انتصر اي جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا
قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر و
لعلهما لم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث
في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا
لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين ففهمناها سليمان الضمير للحكومة
او الفتوى وقرئ فافهمناها روي ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال
سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فامر بدفع الغنم الى اهل الحرث
فينتفعون بالبانها واولادها واشعارها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه
حتى يعود الى ما كان عليه ثم يترادان ولعلهما قالاه اجتهادا والاول نظير قول ابي حنيفة
في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه
في شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا و
لذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال
حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابي حنيفة لا ضمان الا ان
يكون معها حافظ لقوله صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار وكلا اتينا حكما وعلما دليل
على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو يخالف مفهوم قوله
ففهمناها سليمان ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما

تفضل

تفضل عليه في صغره وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه اما
بلسان الحال او بصوت يتمثل له او بخلق الله فيها الكلام وقيل يسرن معه من السير وهو حال
او استئناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة به او بالتسخير والطير عطف على الجبال او مفعول
معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وكنا فاعلين لامثاله فليس
ببدع منا وان كان عجيبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس عمل الدرع وهو في الاصل
اللباس قال البس لكل حالة لبوسها قيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلم
او صفة للبوس لتحصنكم من باسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود
او للبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على تأويل الدرع وفي قراءة
ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل فهل انتم شاكرون ذلك امر اخرجه في صورة الاستفهام
للمبالغة والتقريع ولسليمان الريح وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق
عائد الى سليمان نافع له وفي الاول امر يظهر في الجبال والطير مع داود وباضافته اليه
الريح عاصفة شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال
غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة
اخرى حسب ارادته تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى
الارض التي باركنا فيها الى الشام رواحا بعدما سارت به منه بكرة وكنا بكل شيء عالمين
فنجريه على ما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون نفائسه
ومن عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة ويعملون عملا دون ذلك
ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله
يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يفسدوا
على ما هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر باني مسني الضر وقرئ بالكسر
على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في
النفس كمرض وهزال وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما
يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان روميا من ولد عيص بن اسحق
استنبأه الله وكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب
امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات
روي ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما
لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله ان ادعوه
وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه
واتيناه اهله ومثلهم معهم بان ولد له ضعف ما كان او احيي ولده وولد له منهم
نوافل رحمة من عندنا وذكرى للعابدين رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين
ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم

فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق روي انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار فان قلت كيف تنطق الجبال وتسبح قلنا بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب اخر وهو ان يسبح من راها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به كشاف

ولعل اللام فيه دون الاول الخ يعني جيء صلة التسخير هنا باللام وفي الاية المتقدمة بمع لان الخارق وهو تسخير الريح هنا لاجل نفع سليمان واللام يناسب التعليل والخارق في تلك العادة وهو التسبيح فيها بمعنى انها لداود فيكون تسخيرها له ... بمعنى ظهر التسبيح في الجبال والطير للتسبيح امر عائد الى داود ... ايضا على معنى ان تسخيرها من عند الله لكن بمعنى العلية ... الخارق دعواه في انه نبي مؤيد ... وقوله ولسليمان الريح ... على البيضاوي ...

واسمعيل وادريس وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لانه كان
ذا حظ من الله او تكفل منه او له ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى
النصيب والكفالة والضعف كل كل هؤلاء من الصابرين على مشاق التكاليف وشدائد
النوب وادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة او نعمة الآخرة انهم من الصالحين الكاملين
في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد وذا النون وصاحب الحوت
يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا لقومه لما برم بطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادي
اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم و
لم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم
بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه لن نضيق
عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا او لن نعمل فيه قدرتنا
وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا
او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء
للمفعول وقرئ به مثقلا فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن
الحوت والبحر والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت سبحانك ان يعجزك شيء اني
كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب
يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له فاستجبنا له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى
الساحل بعد اربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم
الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفي الامام نجي
فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وابو بكر بتشديد
الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء
فحذفها اوقع من حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى
الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تتجافى لخوف اللبس وقيل
هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر
والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا
وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به فاستجبنا
له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او لزكريا
بتحسين خلقها وكانت حردة (سيئة الخلق) انهم يعني المتوالدين او المذكورين من الانبياء كانوا
يسارعون في الخيرات يبادرون الى ابواب الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب
او راغبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة وخائفين العقاب او المعصية
وكانوا لنا خاشعين مخبتين او دائمين الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا
بهذه الخصال والتي احصنت فرجها من الحلال والحرام يعني مريم فنفخنا فيها في عيسى فيها

اى احييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح الذي هو بامرنا
وحده او من جهة روحنا جبرئيل وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما ولذلك وحد
قوله آية للعالمين فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ان هذه
امتكم اي ملة التوحيد او الاسلام ملتكم التي يجب عليكم ان تكونوا عليها امة واحدة
غير مختلفة فيما بين الانبياء ولا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب على
البدل وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا اله لكم غيري
فاعبدون لا غير وتقطعوا امرهم بينهم صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا
في الدين وجعلوا امره قطعا موزعة بقبيح فعلهم الى غيرهم كل من الفرق المتحزبة الينا
راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله فلا كفران لسعيه
فلا تضييع استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفي نفي الجنس للمبالغة وانا
له لسعيه كاتبون مثبتون في صحيفة عمله لا نضيع بوجه ما وحرام على قرية وممتنع
على اهلها غير متصور منهم وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي حرم بكسر الحاء وسكون الراء وقرئ
حرم اهلكناها حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة
او الحيوة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره
او دليل عليه وتقدير توبتهم او حيوتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون
وحرام خبر محذوف اي وحرام عليها ذلك وهو المذكور في الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر
وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج متعلق بحرام
او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع
الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وحتى التي تحكى الكلام بعدها و
المحكي هي الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتشديد وهم يعني يأجوج ومأجوج او الناس
كلهم من كل حدب نشز (مرتفع) من الارض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون يسرعون من نسلان
الذئب وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق وهو القيامة فاذا هي شاخصة ابصار الذين
كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون
فاذا جاءت الفاء معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة او مبهم يفسره
الابصار يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول قد كنا في غفلة من هذا
لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر انكم وما تعبدون
من دون الله يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم (ايها المشركون) لما روي
انه عليه السلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة أليس
اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله
عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن او بما يعمه ويدل عليه ما روى

ى ليظهر يقال فلان ينعى ذنوبه على فلان اى يظهرها ويشهرها صح

ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله قال عليه الصلوة
والسلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز او التخصيص تاخر
عن الخطاب حصب جهنم ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء
وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر انتم لها واردون استيناف او بدل من حصب
جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها لو كان هؤلاء
آلهة ما وردوها لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها وكل فيها خالدون لا خلاص
لهم عنها لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب
ان اريد بما تعبدون الاصنام وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب وقيل
لا يسمعون ما يسرهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة
او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة اولئك عنها مبعدون لانهم يرفعون الى اعلى عليين
روي ان عليا خطب وقرأ هذه الآية قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير
وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه
وهو يقول لا يسمعون حسيسها وهو بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة
في ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون دائمون في
غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الاكبر النفخة الاخيرة
لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض او الانصراف الى النار
او حين يطبق على النار او يذبح الموت وتتلقيهم الملئكة تستقبلهم مهنئين هذا يومكم
يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي كنتم توعدون في الدنيا يوم نطوي السماء مقدر
باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقيهم او حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والطي
ضد النشر او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني ادم فاذا
انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي السجل للكتب طيا كطي الطومار
لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع اي للمعاني
الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه كما بدأنا
اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدأنا اياه في كونهما ايجادا
عن العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على
الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء
وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة
والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا
او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مقدر بفعله تاكيدا لنعيده او منتصب به لانه عدة
بالاعادة علينا اي علينا انجازه انا كنا فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور

في كتاب

في كتاب داود عليه السلام من بعد الذكر اي التورية وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة
وبالذكر اللوح المحفوظ ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة يرثها عبادي الصالحون
يعني عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها او امة محمد
صلى الله عليه وسلم ان في هذا فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا لكفاية
او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم
وقيل كونه رحمة للكفار امنهم من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال قل انما يوحى الي
انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود
الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشيء والثانية على العكس فهل
انتم مسلمون مخلصون العبادة لله على مقتضى الوحي المصدق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد
مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا عن التوحيد فقل اذنتكم اعلمتكم ما امرت به او حربي
لكم على سواء مستوين في الاعلام به او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في
المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة رأي
بالبرهان النير وان ادري وما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين او
من الحشر لكنه كائن لا محالة انه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام
ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادري لعله فتنة
لكم وما ادري لعل تاخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان لينظر
كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيته قل رب احكم بالحق اقض
بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال
على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم وربي احكم على بناء التفضيل
احكم من الاحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة
على ما تصفون من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن و
ان الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله تعالى دعوة رسوله فخيب امانيهم ونصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا
يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القران

سورة الحج مكية

الا ست ايات من هذان
خصمان اختصموا الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس
اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء على الاسناد المجازي او تحريك الاشياء
فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير في او اضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به
وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها شيء عظيم
هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم
منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويتقوها بملازمة التقوى يوم ترونها

تذهل كل مرضعة عما ارضعت تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ
تُذهَل وتُذهِل مجهولا ومعروفا اي تذهلها الزلزلة والذهل والذهول الذهاب عن الامر
بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها
نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها
وترى الناس سكارى كانهم سكارى وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد
فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ ترى من اريتك قائما او
رؤيتك قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب الفاعل وتانيثه على تاويل الجماعة
وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجمع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرأ
حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم
نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين
ولا بعث بعد الموت وهي تعمه واضرابه ويتبع في المجادلة او في عامة احواله كل شيطان
مريد متجرد للفساد واصله العري كتب عليه على الشيطان انه من تولاه تبعه والضمير
للشان فانه يضله خبر لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من تولاه لانه جبل عليه وقرئ
بالفتح على تقدير فشانه انه يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر
في الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه ويهديه الى عذاب
السعير بالحمل على ما يؤدي اليه يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا
وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم
فانا خلقناكم من تراب بخلق آدم منه او الاغذية التي يتكون منها المني ثم من نطفة مني
من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم وهي
في الاصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسواة
او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان
ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره
اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته
وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء ان نقره الى اجل مسمى هو وقت
الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر اربع سنين وقرئ ونقر بالنصب
وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة
وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف وقرئا بالياء رفعا
ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت على تاويل كل
واحد او الدلالة على الجنس او لانه في الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة
والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانها شدة في الامور ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد
او قبله وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف وقرئ

بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة
العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه والآية استدلال ثان على امكان البعث
بما يعتري الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على
ذلك قدر على نظائره وترى الارض هامدة يابسة ميتة من همدت النار اذا
صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت
وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج حسن رائق وهذه
دلالة ثالثة كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة
الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد
موتها وهو مبتدأ خبره بان الله هو الحق اي بسبب انه الثابت في نفسه الذي به تتحقق
الاشياء وانه يحيي الموتى وانه يقدر على احيائها والا لما احيى النطفة والارض الميتة وانه
على كل شيء قدير لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة
على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احيائها كلها وان الساعة آتية لا ريب فيها
فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه وان الله يبعث من في القبور بمقتضى
وعده الذي لا يقبل الخلف ومن الناس من يجادل في الله بغير علم تكرير للتاكيد
ولما نيط به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من استدلال
او وحي او الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح
عطف الهدى والكتاب عليه ثاني عطفه متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او
معرضا عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله
علة للجدال وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه
بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث هو مؤداه كالغرض
له في الدنيا خزي وهو ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق المحرق
وهو النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول اي يقال له يوم القيامة
ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد
وانما هو مجاز لهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف
على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا
فر فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه روي انها نزلت
في اعاريب قدموا الى المدينة فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا و
ولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني
هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد
ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزل خسر الدنيا والآخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله

بالارتداد وقرئ خاسرا بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير
تنصيصا على خسرانه او على انه خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله يدعو
من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك
هو الضلال البعيد عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا يدعو
لمن ضره بكونه معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الاخرة اقرب من نفعه الذي
يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله واللام متعلقة ليدعو من حيث انه
بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء ليدعو
يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به او مستانف على
ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدا وخبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب
ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله
يفعل ما يريد من اثابة الموحد ومعاقبة المشرك لا دافع له ولا مانع من كان يظن ان
لن ينصره الله في الدنيا والاخرة كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله
في الدنيا والاخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر
الرزق والضمير لمن فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه او
جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلي غضبا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق
من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبلا الى سماء الدنيا
ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه فلينظر
فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده فعله ذلك سماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر
عليه ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطؤا
نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه
انزلنا القران كله ايات بينات واضحات وان الله يهدي ولان الله يهدي به
او يثبت على الهدى من يريد هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا ان الذين امنوا
والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل
بينهم يوم القيمة بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم عن المبطل والجزاء فيجازي كلا ما
يليق به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التاكيد
ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله الم تر ان الله يسجد له من في السموات
ومن في الارض يتسخر لقدرته ولا يتابى عن تدبيره او يدل بذلته على عظمة مدبره
ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم و
الجبال والشجر والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ
والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف والجمع بين ساكنين وكثير من الناس عطف عليها
ان جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما

الى امر وباعتبار الاخر الى اخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم
او مبتدا خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل فعل مضمر اي يسجد له
كثير من الناس سجود طاعة وكثير حق عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان
يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على
الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله ومن
يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ان
الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان خصمان اي فوجان مختصمان ولذلك قال
اختصموا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون في ربهم في دينه
او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم
منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله امنا بالله وبمحمد وبنبيكم
وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين
كفروا فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم قدرت
على مقادير جثتهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب
من فوق رؤسهم الحميم حال من الضمير في لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما في بطونهم
والجلود اي يؤثر من فرط حرارته او يؤثر في باطنهم تاثيره في ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم
كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او من ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير ولهم مقامع
من حديد سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اي يكف بعنف كلما
ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم غم من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار اعيدوا فيها
اي فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم
الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق
النار البالغة في الاحراق ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده بان احمادا لحال المؤمنين
وتعظيما لشانهم يحلون فيها من حليت المراة اذا البست الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد
من اساور صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب بيان له
ولؤلؤ عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه
نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وقرئ
لؤلوا بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء وليليا بقلبهما ياءين
ولؤل كادل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة
او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي
صدقنا وعده او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة
او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام ان الذين كفروا ويصدون

عن سبيل الله لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصد منهم كقولهم فلان
يعطي ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل
عليه اخر الاية او معذبون والمسجد الحرام عطف على اسم الله واوله الحنفية بمكة واستشهدوا
بقوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطارئ على عدم
جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم
وشرى عمر دارا ليسجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه
وتكون للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول او
الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه
مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود بالحاد عدول عن القصد
بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثاني بدل عن الاول باعادة الجار او صلة له اي
ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ
بوأنا لابرهيم مكان البيت اي واذكر اذ عيناه وجعلنا له مباءة وقيل اللام زائدة
ومكان ظرف اي واذ انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء او انطمس ايام الطوفان
فاعلم الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه القديم ان لا تشرك بي
شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ان مفسرة لبوأنا من حيث
انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهي اي
فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وتطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به
ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء
ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن في الناس ناد فيهم وقرئ اذن بالحج
بدعوة الحج والامر به روي انه عليه السلام صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت
ربكم فاسمعه الله تعالى من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب
ممن سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع
ياتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقلة و
رجالى كعجالى وعلى كل ضامر اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله
ياتين صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ ياتون صفة للرجال والركبان او استيناف
فيكون الضمير للناس من كل فج طريق عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق و
المعق بمعنى ليشهدوا ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع
من المنافع مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها
وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى
الله في ايام معلومات هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل
بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر فكلوا منها من

امر بذلك

امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة
الفقراء ومساواتهم وهذا في المتطوع به دون الواجب واطعموا البائس الذي
اصابه بؤس اي شدة الفقير المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول ثم
ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد
عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وليطوفوا
طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع
بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم
من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه
دون التسلط عليه ذلك خبر محذوف اي الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين
كلامين ومن يعظم حرمات الله احكامه وسائر ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج
من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم فهو خير له فالتعظيم
خير له عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه
وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة
والسائبة فاجتنبوا الرجس من الاوثان فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان كما تجتنب
الانجاس وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور
تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان راس الزور كانه لما حث على تعظيم الحرمات
اتبعه بذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان و
الافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال عدلت
شهادة الزور الاشراك بالله ثلثا وتلا هذه الاية والزور من الزور وهو الانحراف
كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع حنفاء لله
اي مائلين من الدين الباطل الى الحق مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من الواو ومن
يشرك بالله فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير
فان الاهواء المردية توزع افكاره او تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد فان الشيطان
قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في قوله او كصيب او للتنويع فان من المشركين من
لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز ان يكونا من التشبيهات
المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلك نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين
ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا لانها
من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان تختارها حسانا سمانا غالية الاثمان
روي انه صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب
وان عمر اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها
من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب

لانها منشأ التقوى والفجور والامرة بهما لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت
العتيق اى لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية
الى البيت اى ما يليه من الحرم وثم يحتمل التراخى فى الوقت والتراخى فى الرتبة اى لكم فيها
منافع دنيوية اعظم منها وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه
لها او المراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها
منتهية الى البيت الذى يرفع اليه الاعمال او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة
وعلى الثانى لكم فيها منافع التجارات فى الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها
منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة ولكل امة ولكل اهل دين جعلنا منسكا
متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله وقرا حمزة والكسائى بالكسر اى موضع نسك ليذكروا
اسم الله دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك
تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان
يجب ان يكون نعما فالهكم اله واحد فله اسلموا اخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه
بالاشراك وبشر المخبتين المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم
من الكلف والمصائب والمقيمى الصلوة فى اوقاتها وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل ومما
رزقناهم ينفقون فى وجوه الخير والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ
به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر
لها فى اجزائها عن سبعة بقوله صلى الله عليه وسلم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول
اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم ومن رفع
جعله مبتدا من شعائر الله من اعلام دينه التى شرعها الله لكم فيها خير منافع دينية
ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر
اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس
اذا قام على ثلث وعلى طرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ
صوافنا بابدال التنوين حرف الاطلاق عند الوقف وصوافى اى خوالص لوجه الله وصواف
على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها سقطت
على الارض وهو كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع الراضى بما عنده وبما يعطى
من غير مسئلة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنع اليه قنوعا اذا خضع له فى
السؤال والمعتر والمعترض بالسؤال وقرئ والمعترى يقال عره وعراه واعتره واعتراه
كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع عظمها وقوتها حتى تاخذونها منقادة
فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون فى لباتها لعلكم تشكرون انعامنا
عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول

لحومها

لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله
التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التى تدعوكم الى تعظيم امر الله
والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة
بدمائها قربة الى الله فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا
له بقوله لتكبروا الله اى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه
بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على ما هديكم ارشدكم الى طريق تسخيرها
وكيفية التقرب بها وما يحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر
وبشر المحسنين المخلصين فيما ياتونه ويذرونه ان الله يدافع عن الذين امنوا غائلة
المشركين وقرا نافع وابن عامر والكوفيون يدفع اى يبالغ فى الدفع مبالغة من يغالب فيه
ان الله لا يحب كل خوان فى امانة الله كفور لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته
فلا يرتضى فعلهم ولا ينصرهم اذن رخص وقرا ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى
على البناء للفاعل وهو الله للذين يقاتلون المشركين والماذون فيه محذوف لدلالته
عليه وقرا نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اى للذين يقاتلهم المشركون فى القتال بانهم ظلموا بسبب
انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا
ياتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال
حتى هاجر فانزلت وهى اول اية نزلت فى القتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين اية
وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم الذين
اخرجوا من ديارهم يعنى مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الا ان يقولوا ربنا الله
على طريقة قول النابغة شعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
وقيل منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين
لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرا نافع دفاع ونافع وابن كثير لهدمت بالتخفيف
صوامع صوامع الرهبانية وبيع بيع النصارى وصلوات كنائس اليهود سميت بها
لانها تصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرية فعربت ومساجد مساجد المسلمين يذكر
فيها اسم الله كثيرا صفة للاربع او لمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن الله من ينصره
من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب
واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوى على نصرهم
عزيز لا يمانعه شئ الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل
على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن
ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وفيه تاكيد لما وعده وان يكذبوك
فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين

تسلية له عليه السلام بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدي في التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا
رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبني الفعل للمفعول لان قومه بنو اسرائيل و
لم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع واياته كان اعظم واشيع
فامليت للكافرين فامهلتهم حتى انصرمت اجالهم المقدرة ثم اخذتهم فكيف كان نكير
انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحيوة هلاكا والعمارة خرابا فكاين من قرية اهلكناها
باهلاك اهلها وقرأ البصري بغير لفظ التعظيم وهي ظالمة اي اهلها فهي خاوية على عروشها
ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطلت بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها
فسقطت فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية
ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اي هي خالية وهي على عروشها اي مطلة عليها بان سقطت وبقيت
الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لا على وهي ظالمة فانها حال و
الاهلاك ليس حال خرابها فلا محل لها ان نصبت كاين بمقدر يفسره اهلكناها وان رفعته
بالابتداء فمحلها الرفع وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت
لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع او
مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها
وقيل المراد ببئر بئر على سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة
ابن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما افلم يسيروا في الارض
حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا
لم يسافروا لذلك فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم
من الاستبصار والاستدلال او اذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي والتذكير بحال
من شاهدوا اثارهم فانها الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليها والظاهر
اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن الاعتبار اي ليس الخلل في
مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتأكيد
ونفي التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزل ومن كان
في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الاخرة اعمى فنزلت
ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم
ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون بيان لتناهي صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادي عذابه
وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وكاين من قرية اي وكم من اهل قرية
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم
والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل عن قوله فكيف كان نكير
وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تأخيره لعادته

تعالى

في بلدة يقال لها حاصورا وذلك ان اربعة الاف ممن امن بصالح ونجوا من العذاب اتوا
حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمي حضرموت لان صالحا لما حضره
مات فبنوا حاصورا وقعدوا على هذه البئر وامروا عليهم رجلا يقال له الجلد بن جلاس
ابن سويد وجعلوا وزيره سنحاريب بن سواد فاقاموا دهرا وتناسلوا وكثروا ثم عبدوا الاصنام
فارسل الله اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان كان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم
الله تعالى وما تواخذ اخرهم وعطلت بئرهم وخرب قصرهم
تفسير ابن ...

امليت لها كما امهلتكم وهي ظالمة مثلكم ثم اخذتها بالعذاب والى المصير والى حكمي
مرجع الجميع قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار
على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما
ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
لما بدر منهم ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا في
اياتنا بالرد والابطال معاجزين مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول
والتحقيق من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب
اعجاز الاخر عن اللحاق به وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين على انه حال مقدرة اولئك اصحاب
الجحيم النار الموقدة وقيل اسم دركة وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول
من بعثه الله بشريعة مجددة يدعوا الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق
كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام ولذلك شبه النبي صلى الله عليه وسلم
علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن الانبياء فقال
مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا
وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل
الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اذا
زور في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا
كما قال عليه الصلوة والسلام وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله
ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه
ثم يحكم الله اياته ثم يثبت اياته الداعية الى الاستغراق في امر الاخرة والله عليم باحوال
الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على
ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت
عليه سورة والنجم فاخذ يقرأها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى
سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون
حتى شايعوه بالسجود لما سجد في اخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد
ثم نبهه جبرئيل فاغتم به فعزاه الله بهذه الاية وهو مردود عند المحققين وان صح
فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله
اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقى الشيطان فيها ان تكلم
بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد بانه
ايضا يخل بالوثوق على القران ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم
الله اياته لانه ايضا يحتمله والاية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما
يلقي الشيطان علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق

والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم المشركين وان
الظالمين يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد عن
الحق او عن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك ان القران هو
الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به
عادته في جنس الانس من لدن ادم فيؤمنوا به بالقران او بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد
والخشية وان الله لهادي الذين امنوا فيما اشكل الى صراط مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم
الى ما هو الحق فيه ولا يزال الذين كفروا في مرية في شك منه من القران او الرسول او مما القى
الشيطان في امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه حتى تأتيهم الساعة القيمة او الموت
او اشراطها بغتة فجاة او يأتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان
اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت
عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ
مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيمة على ان المراد بالساعة
غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك يومئذ لله التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت
عليه الغاية اي يوم يزول مريتهم يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله
بقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك
لهم عذاب مهين وادخال الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات
تفضل من الله تعالى وان عقاب الكافرين مسبب من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل
هم في عذاب والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا في الجهاد او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا
حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما
في القصد واصل العمل روي ان بعض الصحابة قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد
علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا فنزلت
وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة فيها
ما يحبونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجل في العقوبة ذلك
الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب
الذي هو الجزاء للازدواج او لانه سببه ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه
الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما
ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو
والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالي شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره اولى و
تنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اي ذلك
النصر بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بسبب ان الله قادر على
تغليب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك

ايلاج احد الملوين في الاخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان
ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان الله سميع يسمع قول المعاقب
بصير يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف بكمال القدرة والعلم بان الله هو الحق
الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان
يكون مبدءا لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح
لها الا من كان قادرا عالما وان ما يدعون من دونه الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر
وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء على المفعول فيكون الواو لما فانه في معنى الالهة
هو الباطل المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية وان الله هو العلي على الاشياء
الكبير عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل
من السماء ماء استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح الارض مخضرة عطف على انزل اذ
لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك الم تر اني جئتك فتكرمني والمقصود
اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان
الله لطيف يصل علمه او لطفه الى كل ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة
له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء الحميد
المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض جعلها مذللة لكم
معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء
تجري في البحر بامره حال منها او خبر ويمسك السماء ان تقع على الارض من ان تقع او كراهة
ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك الا باذنه الا بمشيته
وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام في الجسمية
فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها ان الله بالناس لرؤوف رحيم حيث هيأ لهم
اسباب الاستدلال وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار وهو الذي
احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم يميتكم اذا جاء اجلكم ثم يحييكم في الاخرة
ان الانسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها لكل امة اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او
شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا هم ناسكوه ينسكونه فلا ينازعنك سائر ارباب الملل
في الامر في امر الدين او النسائك لانهم بين جهال واهل عناد او لان امر دينك اظهر
من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة
المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك
لا يضاربنك زيد وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار
خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك
على تهييج الرسول والمبالغة في تثبيته على دينه على انه من باب نازعته فنزعته اذا
غلبته وادع الى ربك الى توحيده وعبادته انك لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق سوي

وان جادلوك وقد ظهر الحق ولزمت الحجة فقل الله اعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة
وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم و
الكافرين بالثواب والعقاب يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالحجج والايات فيما كنتم فيه تختلفون
من امر الدين الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء ان ذلك في
كتاب هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان
ذلك ان الاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير لان علمه مقتضى
ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا
حجة تدل على جواز عبادته وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله
وما للظالمين وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم او يدفع العذاب
عنهم واذا تتلى عليهم اياتنا من القران بينات واضحات الدلالة على العقائد الحقية
والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار لفرط نكيرهم للحق و
غيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع
الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر يكادون يسطون بالذين يتلون
عليهم اياتنا يثبون ويبطشون بهم قل افانبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين
وسطوتكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار اي هو النار كانه
جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتدا خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ
بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون الجملة استينافا كما اذا وقع جرا
او حالا منها وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب مثل بين لكم حال مستغربة او قصة
رايعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اي مثل في استحقاق العبادة فاستمعوا
له للمثل او لشانه استماع تدبر وتفكر ان الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام
وقرأ يعقوب بالياء وقرئ مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين
لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من التاكيد كالنفي دالة على منافاة
بين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ولو اجتمعوا
له بجوابه المقدر في موضع حال جيء بها للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له
متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه
منه جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات
باسرها تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها
ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها
واستنقاذ ما يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها
الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده
او الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب والصنم و

الذباب

الذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه فلو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات
ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء
عنه مناسبة ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه شيء والهتهم
التي يعبدونها عاجزة عن اقلها مقهورة من اذلها الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون
بينه وبين الانبياء بالوحي ومن الناس يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل
عليهم كانه لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه غيره في صفاتها بين ان
له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله تعالى وهو اعلى
المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما
نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك ان الله سميع بصير مدرك
للاشياء كلها يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم عالم بواقعها ومتوقعها والى الله ترجع الامور
واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لا يسال عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم
يسئلون يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا في صلوتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما
اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا
له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فيما
تاتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا
هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير مستيقنين له واثقين على اعمالكم والاية اية سجدة عندنا
لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه السلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما
فلا يقراهما وجاهدوا في الله اي لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة
كالهوى والنفس وعنه عليه السلام انه رجع عن غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة
كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول
لوجه الله ومن اجله هو اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد
والداعي اليه وفي قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما يشتد القيام
به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال
بعض ما امرهم به حيث شق عليهم كقوله عليه السلام اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم
وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب
التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد ملة ابيكم
ابراهيم منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اي وسع دينكم
توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحيوتهم الابدية ووجودهم على الوجه
المعتد به في الاخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سميكم المسلمين

من قبل من قبل القرآن في الكتب المتقدمة وفي هذا وفي القرآن والضمير لله ويدل عليه انه قرئ
الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم مسلمين في القرآن وان لم تكن منه كان بسبب تسميته من
قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته
من قبل اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه قد بلغكم
فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا
شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فتقربوا الى الله بانواع
الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم و
لا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو موليكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم
النصير هو اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج
واعتمر فيما مضى وفيما بقي سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة اية
عند البصريين وثماني عشرة عند الكوفيين بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون
قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخل الماضي
ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها
بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ
افلحوا على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح
على البناء للمفعول الذين هم في صلوتهم خاشعون خائفون من الله متذللون له ملزمون
ابصارهم مساجدهم روي انه عليه السلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى
ببصره نحو مسجده وانه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه
والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول وفعل معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم عنه وهو
ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم
وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه راسا مباشرة
وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله والذين هم
للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة ليدل على انهم بلغوا الغاية
في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروة
اجتنابه والزكوة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل
الذي هو موقعه او الثاني على تقدير مضاف والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها الا
على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظون من قولك احفظ
على عنان فرسي وحال اي حفظوها في كافة الاحوال الا في حال التزوج او التسري وانما
قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شائع فيه وافراد ذلك بعد تعميم
قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا

فانهم

فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فاولئك هم العادون الكاملون
في العدوان والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق
او الخلق راعون قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفي المعارج لامانتهم على
الافراد لا من الالتباس او لانها في الاصل مصدر والذين هم على صلواتهم يحافظون
يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر
ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع في
غير المحافظة عليها وفي تصدير الاوصاف وختمها بامر الصلوة تعظيم لشانها اولئك الجامعون
لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون
الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتاكيدا وهي مستعارة
لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون
من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة
ومنزلا في النار هم فيها خالدون انث الضمير لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من خلاصة سلت من بين الكدر من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة
او من بيانية او بمعنى سلالة لانها في معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى والانسان
ادم خلق من صفوة سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار
وقيل المراد بالطين ادم لانه خلق منه والسلالة نطفته ثم جعلناه ثم جعلنا نسله فحذف
المضاف نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تاويل
الجوهر او المسلول او الماء في قرار مكين مستقر حصين يعني الرحم وهو في الاصل صفة للمستقر
وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا النطفة علقة بان احلنا النطفة
البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة
عظاما بان صلبناها فكسونا العظام لحما مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها
مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة
والصلابة وقرأ ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد
احدهما وجمع الاخر ثم انشاناه خلقا اخر هو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه
او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت فاحتج به ابو حنيفة رحمه الله على ان من غصب
بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق اخر فتبارك الله
فتعالى شانه في قدرته وحكمته احسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة
الخالقين عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر
النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم يوم القيمة تبعثون للمحاسبة
والمجازات ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة
النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها

وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات غافلين مهملين
امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال
حسب ما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يكثر
نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما علمناه من صلاحهم فاسكناه فجعلناه ثابتا مستقرا
في الارض وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر
استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه
ومبالغة في الايعاد به فلذلك جعل ابلغ من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن
يأتيكم بماء معين فانشانا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه
كثيرة تتفكهون بها ومنها ومن الجنات ثمارها وزروعها تأكلون تغذيا او ترزقون
وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب
اي لكم في ثمرتهما انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير
ذلك وطعام تأكلونه وشجرة عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اي ومما انشئ لكم
به شجرة تخرج من طور سيناء جبل موسى بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين
ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له
كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث على تأويل البقعة لا للالف لانه
فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء
من السين اذ لا فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر
والقصر معدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية
تُنبِت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا
لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول
وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على
الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به
ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ
في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها
من الالبان او من العلف فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض او للابتداء ولكم فيها منافع
كثيرة في ظهورها واصوافها وشعورها ومنها تأكلون فتنتفعون باعيانها وعليها
وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها عندهم
والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فيكون
الضمير فيه كالضمير في بعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد
عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها ما لكم من اله غيره استيناف لتعليل الامر بالعبادة

وقرأ

فعلاء بالف التانيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه

تنبت بالدهن اي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز ان يكون الباء صلة

ومعنى البيت ارى ذوي المسئلة مقيمين حول دارهم سائلين فضلهم حتى [illegible] الخصب

بالجمع اذا قام بها

وقرأ الكسائي غيره بالجر على اللفظ افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه التي لا تحصونها
فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل
عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة
رسلا ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون نوحا اي بما يدعونا به انه نبي او بكلامه به
من الحث على عبادة الله ونفي اله غيره او من دعوى النبوة وذلك اما من فرط عنادهم
او لانهم كانوا في فترة متطاولة ان هو الا رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول ذلك
فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعدما ايس من
ايمانهم رب انصرني باهلاكهم او بانجاز ما اوعدتهم من العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم
اياي او بسببه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا نحفظه ان تخطئ
فيه او يفسده عليه مفسد ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا
بالركوب او نزول العذاب وفار التنور روي انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور
اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن
يمين الداخل مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها في هود
فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ما سلككم في سقر من كل
زوجين اثنين من كل امتي الذكر والانثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين
اي من كل نوع زوجين واثنين تاكيد واهلك واهل بيتك او من معك الا من سبق
عليه القول منهم اي القول من الله باهلاكه لكفره وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء
باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في الذين ظلموا
بالدعاء بالانجاء انهم مغرقون لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا شانه لا يشفع
له ولا يشفع فيه كيف وقد امر بالحمد على النجاة منهم باهلاكهم بقوله فاذا استويت
انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين كقوله فقطع
دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني منزلا في السفينة او في الارض
مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرأ ابو بكر منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال وانت
خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة
وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوي هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا
بان في دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه
لآيات يستدل بها ويعتبر اولو الاستبصار والاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين
قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هي المخففة واللام هي الفارقة
ثم انشانا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد او ثمود فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود
او صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم و
انما اوحي اليه وهو بين اظهرهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره تفسير لارسلنا اي قلنا

لهم على لسان الرسول ان اعبدوا الله افلا تتقون عذاب الله وقال الملأ من قومه
الذين كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف كلام قوم نوح
وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال وكذبوا بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب
او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة
الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة والحال ياكل مما تاكلون منه ويشرب
مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور
حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يامركم انكم اذا لخاسرون
حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم ايعدكم انكم
اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب انكم مخرجون من الاجداث
او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما طال الفصل بينه
وبين خبره او انكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المتقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا
للشرط والجملة خبر الاول اى انكم اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز
ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة هيهات
هيهات بعد التصديق او الصحة لما توعدون او بعد ما توعدون واللام للبيان كما في
هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون
وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير و
بالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون
على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هي الا حيوتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حيوتنا
الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان
تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حيوة الا هذه
الحيوة لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي
ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيى يموت بعضنا ويولد بعضنا وما نحن بمبعوثين بعد الموت
ان هو ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله له وفيما يعدنا
من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون
بسبب تكذيبهم اياى قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة او
نكرة موصوفة ليصبحن نادمين على التكذيب اذا عاينوا العذاب فاخذتهم الصيحة
صيحة جبرئيل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان
القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله كقولك فلان
يقضي بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو
حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار
والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التي تنصب بافعال لا يستعمل

اظهارها

اظهارها واللام لبيان من دعى عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ثم
انشانا من بعدهم قرونا آخرين يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة
اجلها الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستاخرون الاجل ثم ارسلنا
رسلنا تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتوراة و
تيقور والالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرا ابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى
المواترة وقع حالا كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل
ومع المجئ الى المرسل اليهم لان الارسال الذي هو مبدأ الامر منه والمجئ الذي هو منتهاه
اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات
يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون
ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا بالايات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة
ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اول المعجزات وانها تعلقت
بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون
من الحجر بضربها بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان
يراد به المعجزات وبالايات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها ايات للنبوة وحجة بينة
على ما يدعيه النبي الى فرعون وملائه فاستكبروا عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما
عالين متكبرين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا
سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه
القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبهة المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على
احوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة يظهر للمستبصر بادنى تامل فان النفوس البشرية
وان تشاركت في اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيها وكما ترى في جانب
النقصان اغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن ان يكون في طرف الزيادة اغنياء عن
التعلم والتفكر في اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون
ما لا ينتهي اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد
وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا
من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية لعلهم لعل بني
اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التورية نزلت بعد اغراقهم يهتدون
الى المعارف والاحكام وجعلنا ابن مريم وامه اية بولادتها اياه من غير مسيس فالاية
امر واحد مضاف اليهما او جعلنا ابن مريم اية بان تكلم في المهد وظهر منه معجزات اخر
وامه اية بان ولدت من غير مسيس فحذف الاولى لدلالة الثانية عليها واويناهما الى
ربوة ارض بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها
على الربى وقرا ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر

النوع كما من الاخس الذي نلح فيه

من الارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها
ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد
في الشئ او من الماعون وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه
لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب
المكان يا ايها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك
دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على ان كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل
تحته عيسى دخولا اوليا ويكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم
لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية
في رفض الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا
بالرسل في تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ
من المباحات وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله
فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا فانه المقصود منكم
والنافع عند ربكم اني بما تعملون عليم فاجازيكم عليه وان هذه اي ولان هذه
والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون وقرأ
ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستيناف امتكم امة واحدة ملتكم ملة واحدة
اي متحدة في العقائد واصول الشرائع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان
والتوحيد في العبادة ونصب امة على الحال وانا ربكم فاتقون في شق العصا ومخالفة
الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم فتقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا
وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها
زبرا قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال
من امرهم على تقدير او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه يتضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت
الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء
كرسل في رسل كل حزب من المتحزبين بما لديهم من الدين فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق
فذرهم في غمرتهم في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون
بها وقرئ في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به ان ما
نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاتب عليه وانما
المعاتب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم في الخيرات والراجع محذوف و
المعنى ايحسبون ان الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون
بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج
لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون
فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم من خوف عذابه

مشفقون

مشفقون حذرون والذين هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق
مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما آتوا
يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات
وقلوبهم وجلة خائفة ان لا تقبل منهم وان لا تقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به انهم الى
ربهم راجعون لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك يسارعون
في الخيرات يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها اليها كقوله فآتاهم الله
ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم او للثواب او الجنة او سابقونها اي
ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله هم لها عاملون ولا نكلف نفسا
الا وسعها قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس
ولدينا كتاب يعني اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف
الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب او نقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة
في غفلة غامرة لها من هذا من الذي وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة ولهم اعمال خبيثة
من دون ذلك متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون
معتادون فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر او الجوع
حين دعا عليهم الرسول فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني
يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة اذا هم يجأرون فاجؤوا
الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب
لا تجأروا اليوم فانه مقدر بالقول اي قيل لهم لا تجأروا انكم منا لا تنصرون تعليل
للنهي اي لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم نصر ومعونة من
جهتنا قد كانت آياتي تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم على اعقابكم تنكصون تعرضون مدبرين
عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين به الضمير للبيت و
شهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه اغنت عن سبق ذكره او لآياتي فانها بمعنى
كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين او لان استكبارهم وافتخارهم على المسلمين
حدث بسبب استماعه او بقوله سامرا تهجرون اي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو في الاصل
مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ سمرا جمع سامر تهجرون من الهجر بالفتح اما بمعنى
القطيعة او الهذيان اي تعرضون عن القرآن او تهذون في شأنه والهجر بالضم الفحش ويؤيد
الثاني قراءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة افلم يدبروا القول اي القرآن
ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين
من الرسول والكتاب او من الامن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف اباؤهم الاقدمون
كاسماعيل واعقابه فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة
والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء فهم له منكرون

او يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة م

وهم لها سابقون لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعة م

دعواه لا حجة من الوجوه اذ لا وجد لها غيرها فان انكار الشيء قطعا او ظنا انما يتجه
اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد
ام يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم نظرا
بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه
وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة
فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق ولو اتبع الحق اهواءهم بان كان في الواقع آلهة
شتى لفسدت السموات والارض ومن فيهن كما سبق تقريره في قوله لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى
او لو اتبع الحق الذي جاء به محمد اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة واهلك العالم
من فرط غضبه او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج
عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم
بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او صيتهم او الذكر الذي تمنوه بقولهم لو
ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم معرضون اي لا يلتفتون اليه
ام تسألهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا على اداء الرسالة فخراج ربك رزقه
في الدنيا او ثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج
بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار
بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج
وحمزة والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك
لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم
له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلل في هذه الآيات بان حصر اقسام
ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة و
ان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط السوي لناكبون لعادلون عنه،
فان خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه ولو رحمناهم وكشفنا
ما بهم من ضر يعني القحط للجوا لثبتوا واللجاج التمادي في الشيء في طغيانهم افراطهم
في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون عن الهدى روي
انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك
الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والابناء
بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم وما
يتضرعون بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر
انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع
وهو استشهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعني الجوع فانه اشد

العلهز بكسر العين والهاء طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر الابل

من الاسر

من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك
وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الآيات والافئدة لتتفكروا
فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية قليلا ما تشكرون
تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان
لمانحها من غير اشراك وما صلة للتأكيد وهو الذي ذرأكم في الارض خلقكم وبثكم فيها
بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف
الليل والنهار ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون ردا لنسبته الى الشمس حقيقة
او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما وازدياد الآخر افلا تعقلون بالنظر
والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء
على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال الاولون اباؤهم
ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون استبعادا ولم
يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل
ان هذا الا اساطير الاولين الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما
يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن
فيها ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط
جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره
ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم
بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها قل بعد ما قالوه افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض
ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون من اعادته وقرئ
تذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم فانه اعظم من ذلك سيقولون
لله قرأ ابو عمرو ويعقوب بغير لام وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال قل افلا تتقون
عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت
كل شيء ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار
عليه ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون
سيقولون لله قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر
وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا
ذلك ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه
في الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء
شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل اله بما
خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب
كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع و

الاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد سبحان الله عما
يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده عالم الغيب والشهادة خبر مبتدا
محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل
آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون
بالفاء قل رب اما تريني ان كان لا بد من ان تريني لان ما والنون للتأكيد ما يوعدون
من العذاب في الدنيا والآخرة رب فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم في العذاب
وهو اما لهضم النفس او لان شؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله واتقوا فتنة لا
تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له في امته نقمة ولم
يطلعه على وقتها فامر بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل
تضرع وجؤار وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون لكنا نؤخره علما بان بعضهم
او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود
واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ادفع بالتي هي
احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين
وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ
من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل نحن اعلم بما يصفون بما
يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم وقل
رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض
شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة الدواب على المشي والجمع للمرات او لتنوع
الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون ويحوموا حولي في شيء
من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن وحلول الاجل لانها احرى الاحوال
بان يخاف عليه حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتأكيد
الاغضاء بالاستعاذة بالله عن ان يزله الشيطان عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم
لكاذبون قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر رب ارجعون
ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا و
اطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي تركته اي لعلي آتي بالايمان واعمل
فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا
انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى واما
الكافر فيقول رب ارجعون الى آخره والكلمة الطائفة من الكلام كلا ردع عن طلب
الرجعة واستبعاد لها انها كلمة يعني قوله رب ارجعون الى آخره والكلمة الطائفة من الكلام
المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم امامهم
والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلي

اى اذا بعثنا الناس

عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى
حيوة تكون في الآخرة فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه
بكسر الصاد يؤيد ان الصور جمع الصورة فلا انساب بينهم ينفعهم لزوال التعاطف
والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة (اى الحيرة) بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه و
صاحبته وبنيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون ولا يسأل
بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة والنار النار
فمن ثقلت موازينه موزونات عقائده واعماله اي فمن كانت له عقائد واعمال صالحة
يكون لها وزن عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والدرجات
ومن خفت موازينه ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم
لهم يوم القيمة وزنا فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان
استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان
لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفخ الا انه اشد تأثيرا وهم فيها كالحون
من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن آياتي
تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن فكنتم بها تكذبون تأنيب وتذكير لهم عما
استحقوا هذا العذاب لاجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت
احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرا حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ
بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا
الى التكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسؤوا فيها اسكتوا سكوت هوان فانها
ليست مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ ولا تكلمون في رفع العذاب او
لا تكلمون رأسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون
حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده
فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك (ليميتنا) فيجابون انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا
اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون الفا ربنا اخرنا الى اجل قريب فيجابون
اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال فيقولون الفا رب ارجعون فيجابون اخسؤوا
فيها ثم لا يكون لهم الا زفير وشهيق وعواء (صوت الكلب) انه الشان وقرئ بالفتح اي لانه كان
فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة يقولون ربنا آمنا فاغفر
لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزؤا وقرأ نافع وحمزة والكسائي
هنا وفي ص بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيين
المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية حتى انسوكم ذكري من
فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في اوليائي وكنتم منهم تضحكون استهزاء

بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم
مخصوصين به وهو ثاني مفعولي جزيتهم وقرا حمزة والكسائي بالكسر استينافا قال اي الله
او الملك المامور بسؤالهم وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل
النار كم لبثتم في الارض احياء وامواتا في القبور عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما
او بعض يوم استقصار لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم
وايام السرور قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم فاسال العادين الذين
يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها
واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين
بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا
يستقصرون قال وفي قراءة الكوفيين (حمزة والكسائي) قل ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون تصديق
لهم في مقالهم افحسبتم انما خلقناكم عبثا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او
مفعول له اي لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل
على البعث وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرا حمزة والكسائي ويعقوب
بفتح التاء وكسر الجيم فتعالى الله الملك الحق الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك
بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال لا اله الا هو فان ما عداه
عبيده رب العرش الكريم الذي يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك
وصفه بالكرم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ومن يدع مع الله
الها اخر يعبده افرادا او اشراكا لا برهان له به صفة اخرى لالها لازمة له فان الباطل
لا برهان به جيء بها للتاكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا
عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك فانما حسابه عند ربه فهو مجاز له مقدار
ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل والخبر حسابه
عدم الفلاح بدا السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله
بان يستغفره ويسترحمه فقال وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول
ملك الموت وعنه انه قال صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة
ثم قرا قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي ان اولها واخرها من كنوز الجنة من عمل بثلث ايات
من اولها واتعظ باربع من اخرها فقد نجا وافلح والله تعالى اعلم

سورة النور مدنية

وهي اثنتان او اربع وستون اية بسم الله الرحمن الرحيم سورة اي هذه سورة او فيما اوحينا
اليك سورة انزلناها صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون لها محل الا اذا
قدر اتل او دونك او نحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو
لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها وانزلنا فيها ايات بينات واضحات

تلخيصه افحسبتم انكم مهملون
لهوت به لهوا لعبت به وتلهيت به

الدلالة

الدلالة لعلكم تذكرون فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزاني اي
فيما فرضنا او انزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا
كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمنهما معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئ بالنصب على اضمار
فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة لاجل الامر والزان بلا ياء وانما قدم الزانية
لان الزنا في الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة
اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن هو الرجم
وزاد الشافعي عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام
وليس في الاية ما يدفعه لينسخ احدهما بالاخر نسخا مقبولا او مردودا وله في العبد ثلثة
اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام
ايضا وهو مردود برجمه عليه السلام يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن
اذ المراد المحصن الذي يقتص له من المسلم ولا تاخذكم بهما رافة رحمة في دين الله في
طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو سرقت
فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرا ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ان كنتم
تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة احكامه
وهو من باب التهييج وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة في التنكيل فان التفضيح قد
ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول شيء من الطوف واقلها
ثلثة وقيل واحد او اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة
والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اذ الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح
الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة
سبب للنفرة والافتراق وكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان او
مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن لان الاية نزلت في ضعفة المهاجرين لما
هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية
ولذلك قدم الزاني وحرم ذلك على المؤمنين لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب
لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم
مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب
الذي ورد فيه او منسوخ بقوله وانكحوا الايامى منكم الاية فانه يتناول المسافحات و
يؤيده انه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم
الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول الى نهي الزاني عن الزنا الا بزانية والزانية
ان يزني بها الا زان وهو فاسد والذين يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنا
لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار اربعة شهداء بقوله
ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا

فرضناها

شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان هاهنا بالحرية والبلوغ والعقل و
الاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص
الواقعة او لان قذف النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا
يعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابي حنيفة فان الامر بالجلد وليكن ضربه اخف
من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ولا تقبلوا لهم شهادة
اي شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء
الجلد خلافا لابي حنيفة فان الامر بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا
للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد اسوء مما بعده ابدا
ما لم يتب وعند ابي حنيفة الى اخر عمره واولئك هم الفاسقون المحكوم بفسقهم الا
الذين تابوا من بعد ذلك عن القذف واصلحوا اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام
للحد او الاستحلال عن المقذوف والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط
لهذه الامور ولا يلزم سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له والاستحلال
ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهي ومحله الجر على البدل من هم في لهم و
قيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع متصل بما بعده فان الله غفور
رحيم علة للاستثناء والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم نزلت في
هلال بن امية راى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى
غير فشهادة احدهم اربع شهادات فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم و
اربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على انه خبر شهادة بالله متعلق
بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اي فيما رماها به من الزنا
واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تاكيدا والخامسة والشهادة
الخامسة ان لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين في الرمي وقرا نافع ويعقوب بالتخفيف
في الموضعين هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه
فرقة فسخ عندنا وتحريمها مؤبدا لقوله صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق
الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة رح ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المراة
لقوله ويدرؤا عنها العذاب اي الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما
رماني به والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء
وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرا نافع ان
غضب الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم اي
لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ان الذين جاؤا بالافك بابلغ ما يكون من الكذب من الافك
وهو الصرف لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها وذلك
انه صلى الله عليه وسلم استصحبها في بعض الغزوات فاذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت

لقضا

لقضاء حاجتها ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع
فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها انها دخلت في الهودج فرحله على مطيتها وسار
فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمة احدا فجلست كي يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل
السلمي قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها
فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به عصبة منكم جماعة منكم وهي من العشرة الى الاربعين
وكذلك العصابة يريد عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة
وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهو خبر ان وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستانف والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعائشة وصفوان والهاء للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم
به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثماني عشرة اية في برائتكم وتعظيم شانكم و
تهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم لكل جزاء
ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به والذي تولى كبره معظمه وقرا يعقوب بالضم وهو لغة
فيه منهم من الخائضين وهو ابن ابي فانه بداه واذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذي بمعنى الذين له عذاب عظيم في الاخرة
او في الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابي مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمى اشل اليدين
ومسطح مكفوف البصر لولا هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا بالذين
منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة
مبالغة في التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب
الطاعنين عنهم كما يذبون عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه
نزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لان
ذكر الظرف اهم فان التحضيض على ان لا يخلوا باوله وقالوا هذا افك مبين كما يقول
المستيقن المطلع على الحال لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء
فاولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه
فكذب عند الله اي في حكمه ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل الله عليكم ورحمته في
الدنيا والاخرة لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم
في الدنيا بانواع النعم التي من جملتها الامهال للتوبة ورحمته في الاخرة بالعفو والمغفرة
المقدران لكم لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه خضتم فيه عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم
والجلد اذ ظرف لمسكم او افضتم تلقونه بالسنتكم ياخذه بعضكم من بعض
بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه
من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاء بعضهم على بعض
وتلقونه وتألقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته
فوجدته وتقفونه اي تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي وتقولون كلاما

مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله
يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله
عظيم في الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم
تلقي الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله
عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا ما ينبغي وما يصح لنا
سبحانك هذا يجوز ان يكون اشارة الى القول المخصوص وان يكون الى نوعه
فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بهتان عظيم تعجب ممن يقول ذلك واصله ان يذكر عند معجب من
صنايعه تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب او تنزيه لله تعالى
من ان يكون حرم نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود البعثة والزواج
بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله يعظكم الله لعظمة المبهوت عليه فان
حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها ان تعودوا لمثله كراهة ان تعودوا
او في ان تعودوا ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فان الايمان يمنع عنه وفيه
تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا و
تتأدبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم في تدابيره ولا يجوز الكشخنة اي الدياثة على نبيه ولا يقرره
عليها ان الذين يحبون يريدون ان تشيع ان تنتشر الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب
اليم في الدنيا والآخرة بالحد والسعير الى غير ذلك والله يعلم ما في الضمائر وانتم لا تعلمون
فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الاشاعة
ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على
عظم الجريمة وكذا عطف قوله وان الله رؤف رحيم على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف
الجواب وهو مستغنى عنه بذكره يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان باشاعة
الفاحشة وقرأ نافع والبزي وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها وقرئ بفتح الطاء ومن يتبع
خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء
ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية
للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا آخر الدهر
ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على التوبة وقبولها والله سميع لمقالهم عليم بنياتهم ولا
يأتل ولا يحلف افتعال من الالية او لا يقصر من الالو ويؤيد الاول انه قرئ ولا
يتال وانه نزل في ابي بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته و
كان من فقراء المهاجرين اولو الفضل منكم في الدين والسعة في المال وفيه دليل على فضل
ابي بكر وشرفه ان يؤتوا على ان لا يؤتوا او في ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات اولي
القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد اعني ناسا جامعين

بمقصود التزويج

لها

لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود
وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض عنه الا تحبون ان يغفر الله لكم على عفوكم
وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه
روي انه صلى الله عليه وسلم قرأها على ابي بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته
ان الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات مما قذفن به المؤمنات بالله
ورسوله استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كابن ابي لعنوا
في الدنيا والآخرة لما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف
ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس لا توبة
له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل في افك عائشة رضي الله عنها يوم تشهد
عليهم ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائي بالياء
للتقدم والفصل السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق الله
اياها بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ يوفيهم
الله دينهم الحق جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم الامر ان الله هو الحق المبين الثابت
بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه
وذو الحق المبين اي العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم
لا محالة الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون
للطيبات اي الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل
على قوله اولئك يعني اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم او الرسول وعائشة وصفوان مبرؤن
مما يقولون اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات من
الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين اي مبرؤن مما يقولون فيهم
او للخبيثين والخبيثات اي مبرؤن من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم
يعني الجنة ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها و
موسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم عليها السلام بانطاق
ولدها وعائشة بهذه الآيات مع هذه المبالغات وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول
واعلاء منزلته يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها فان الآجر
والمعير ايضا لا يدخل الا باذن حتى تستأنسوا تستأذنوا من الاستيناس بمعنى
الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه
هل يراد دخوله او يؤذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن
مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن استأنس او تتعرفوا اهلها ثمة انسان او لا
وتسلموا على اهلها بان تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه صلى الله عليه وسلم التسليم
ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم خير

صلى الله عليه وسلم

لكم اي الاستيذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية كان الرجل
منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل وربما اصاب
الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استأذن على امي
قال نعم قال لا خادم لها غيري استأذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة
قال لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل عليكم وقيل لكم هذا
ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم فلا تدخلوها
حتى يؤذن لكم حتى يأتي من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات
فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما
اذا عرض فيه حرق او غرق او كان فيه منكر ونحوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا
هو ازكى لكم الرجوع اطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك
المروءة او انفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما
خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط والخانات
والحوانيت فيها متاع استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس
للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم
اي عما يكون نحو محرم ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه
كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة
سترها ذلك ازكى لهم انفع لهم او اطهر لما فيه من البعد عن الريبة ان الله خبير بما يصنعون
لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا
على حذر منه في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل
لهن النظر اليه من الرجال ويحفظن فروجهن بالتستر والتحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان
النظر بريد الزنا ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا
يحل ان تبدي له الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان سترها فيه حرج
وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى
هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلوة لا في النظر فان كل بدن
الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة
وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا لاعناقهن وقرأ نافع وعاصم وابو عمرو بضم الجيم
ولا يبدين زينتهن كرر لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن فانهم المقصودون
بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره او آبائهن او آباء بعولتهن او
ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن
واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة

القرائب

القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال
لانهم في معنى الاخوان او لان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم او
نسائهن يعني المؤمنات فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او النساء
كلهن وللعلماء في ذلك خلاف او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد لما روي انه صلى الله
عليه وسلم اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها
واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال صلى الله عليه وسلم انه ليس عليك بأس انما هو ابوك
وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي او التابعين غير اولي الاربة
من الرجال اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي
خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء
وقرأ ابن عامر وابو بكر بالنصب على الحال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء
لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة
الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم
انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا في الرجال وهو ابلغ من النهي عن اظهار الزينة
وادل على المنع من رفع الصوت وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون اذ لا يكاد يخلو
احد منكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية
فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر لعلكم تفلحون
بسعادة الدارين وقرأ ابن عامر ايه المؤمنون وفي الزخرف يا ايه الساحر وفي الرحمن ايه
الثقلان بالضم في الوصل في الثلاثة والباقون بفتحها ووقف ابو عمرو والكسائي عليهن بالالف و
وقف الباقون بغير الف وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم لما نهى عما عسى
يفضي الى السفاح المخل بالنسب المقتضي للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء
النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه امر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل
على وجوب تزويج المولية والمملوكة وذلك عند طلبها واشعار بان المرأة والعبد لا يستبدان
به اذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى وايامى مقلوب ايايم كيتامى جمع ايم وهو
العزب ذكرا كان او انثى بكرا او ثيبا قال فان تنكحي انكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم
اتأيم وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشأنهم اهم وقيل المراد الصالحون
للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رد لما عسى يمنع من النكاح
والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله غنية عن المال فانه
غاد ورائح او وعد من الله بالاغناء لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنى في هذه الاية
لكن بشريطة المشية لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء
والله واسع ذو سعة لا ينفد نعمته اذ لا ينتهي قدرته عليم يبسط الرزق ويقدر
على ما يقتضيه حكمته وليستعفف وليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون

قوله تعالى ولا يضربن

نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه حتى يغنيهم الله من فضله
فيجدوا ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتاب المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك
على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتأجيله او من
الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض مما ملكت ايمانكم عبدا كان
او امة والموصول بصلته مبتدأ خبره فكاتبوهم او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى
الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب
كغيرها واحتجاج الحنفية بالاطلاق على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن
الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل ان علمتم فيهم خيرا امانة وقدرة على
اداء المال بالاحتراف وقد روي مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر
لفظا ومعنى وهو شرط للامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز وآتوهم من مال الله الذي آتاكم
امر للموالي كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفي معناه حط شيء من مال الكتابة وهو
للوجوب عند الاكثر ويكفي اقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه يحط الربع وعن ابن عباس الثلث
وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة
المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا يأخذه صدقة كالدائن
والمشتري ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا
فتياتكم على البغاء على الزنا كانت لعبد الله بن ابي ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن
الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ان اردن تحصنا تحفظا وتعففا
شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهي لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز
ان يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء
كالشاذ النادر لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور
رحيم اي لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود من بعد اكراههن
لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة
بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات يعني الآيات
التي بينت في هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص
في الموضعين هنا وفي الطلاق بالكسر لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة
من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ومثلا من امثال من
قبلكم اي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة رضي الله عنها فانها كقصة يوسف ومريم عليهما السلام
وموعظة للمتقين يعني ما وعظ به في تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد
بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته الله نور السموات والارض النور في الاصل كيفية تدركها
الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية
لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على

تجوز

تجوز بمعنى منور السموات والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار
او بالملائكة والانبياء او مدبرهما من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به
في الامور او موجدهما فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء
هو العدم والله سبحانه موجود بذاته موجد لما عداه او الذي به تدرك او يدرك اهلها من حيث
انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها له في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها
اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات
وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا
لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء
ولذلك سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون
فاضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات
البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول عليهما مثل نوره صفة نوره العجيبة الشان واضافته
الى ضميره سبحانه وتعالى دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كمشكوة كصفة مشكوة وهي الكوة
الغير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل المشكوة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح
الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة في قنديل من الزجاج الزجاجة كانها كوكب دري
مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدرء فانه
يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة
حمزة وابي بكر على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا يوقد من شجرة
مباركة زيتونة اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته
بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشانها وقرأ نافع وابن عامر
وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى
الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد وتوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو
غريب لا شرقية ولا غربية يقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون
على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة في شرق المعمورة و
غربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما
فتحرقها او في مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها نيئا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا في نبات في
مقنأة ولا خير فيهما في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي يكاد يضيء بنفسه من
غير نار لتلألئه وفرط وبيصه نور على نور نور متضاعف فان نور المصباح زاد في
انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكوة لاشعته وقد ذكر في معنى
التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات البينات في جلاء مدلولها
وظهور ما تضمنته من الهدى او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم
بالمصباح وانما ولي الكاف المشكوة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او

تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكوة المنبث فيها من مصباحها
ويؤيده قراءة أبي مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة
التي منوط بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية
التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التي تدرك
الحقايق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات ليستنتج منها علم ما لم يعلم والقوة
القدسية تتجلى فيها لوايح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية
بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة في الآية
وهي المشكوة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكوة لان محلها
كالكوى ووجهها الى الظاهر لا تدرك ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية
كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما يشتمل عليه
من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والمفكرة
كالشجرة المباركة لتاديتها الى ثمرات لا نهاية لها الزيتونة المثمرة للزيت الذي هو مادة
المصابيح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور
والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها
وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها
بذلك فانها في بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكوة ثم تنتقش بالعلوم
الضرورية فتراه بتوسط احساس الجزئيات بحيث يتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة
متلألئة في نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة
وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالذي يكاد زيتها يضيء لانها
تكاد تعلم ولو لم يتصل بملك الوحي والالهام الذي مثله النار من حيث ان العقول تشتعل
عنها ثم اذا حصل لها العلوم بحيث يتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا
استحضرها كان نورا على نور يهدي الله لنوره لهذا النور الثاقب من يشاء فان الاسباب
دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها ويضرب الله الامثال للناس ادناء للمعقول من المحسوس
توضيحا وبيانا والله بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد
ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها في بيوت متعلق بما قبله اي كمشكوة في بعض بيوت
او توقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد
يكون اعظم او تمثيلا لصلوة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت وحدة
المشكوة اذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو
يسبح وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت
والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلثة والتنكير للتعظيم اذن الله
ان ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله و

المباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال ينزهونه او يصلون له فيها بالغدوات
والعشيات والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصل وقرئ
والايصال وهو الدخول في الاصيل وقرأ ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف
الثلثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورة لتأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده
الى اوقات الغدو لا تلهيهم تجارة لا يشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله مبالغة
بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافرادها هو اهم من قسمي التجارة فان
الربح يتحقق بالبيع ويتوقع في الشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه اصلها ومبداؤها وقيل
الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار واقام الصلوة
عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله واخلفوك عدى الامر
الذي وعدوا وايتاء الزكوة ما يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم عليه
من الذكر والطاعة تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها
فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع
النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية تؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق
بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة ويزيدهم
من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم تخطر ببالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير
للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشية وسعة الاحسان والذين كفروا اعمالهم
كسراب بقيعة والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة
عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس
عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية
وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات في ديمة يحسبه الظمآن ماء اي العطشان
وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه
ماء او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه ووجد الله عنده عقابه او زبانيته او وجده
محاسبا اياه فوفيه حسابه استعراضا او مجازاة والله سريع الحساب لا يشغله حساب
عن حساب يروى انها نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما
جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة
لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب
او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار
وقتين فانها كالظلمات في الدنيا والسراب في الآخرة في بحر لجي عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء
يغشاه يغشى البحر موج من فوقه موج اي امواج مترادفة متراكمة من فوقه من فوق الموج الثاني
سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ظلمات اي هذه ظلمات بعضها
فوق بعض وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب اليها برواية البزي

اوله
ان الخليط اجدوا البين فانجردوا

اذا اخرج يده وهي اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها اي لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها
كقوله اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح والضمائر للواقع في
البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا ومن لم يقدر له
الهداية ولم يوفقه لاسبابها فما له من نور خلاف الموفق الذي له نور على نور الم تر
الم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي او الاستدلال ان الله يسبح
له من في السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض ومن
العقلاء او الملائكة والثقلين بما يدل عليه من مقال او دلالة حال والطير على الاول تخصيص
لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطاء الاجرام
الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط
حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم
صلوته وتسبيحه اي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله والله عليم بما
يفعلون او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال
من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة
في اسباب تعيشها لا تكاد تهتدي اليها العقلاء ولله ملك السموات والارض فانه الخالق لهما ولما
فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب والى الله
المصير مرجع الجميع الم تر ان الله يزجي سحابا يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل
احد ثم يؤلف بينه بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى
بين اجزائه ثم يجعله ركاما متراكما بعضه على بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله
من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك فهو سماء
من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها من برد بيان للجبال والمفعول
محذوف اي ينزل مبتدأ من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان يكون من الثانية او الثالثة
للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض
جبال من حجر وليس في العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها
حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد
البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا و
الا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او
الثلج وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة
لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من
يشاء والضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال في
السين وبرقه بفتح الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع يذهب
بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة

من حيث

من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة
بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم
ذلك ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي الابصار لدلالة على وجود الصانع القديم
وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي اليها لمن
يرجع الى بصيرة والله خلق كل دابة حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائي خالق كل
دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة
الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق
فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة او المشاكلة ومنهم من
يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له اكثر
من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير
عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء
مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات والحركات
والطبايع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته ان الله على كل شيء قدير
فيفعل ما يشاء لقد انزلنا آيات مبينات للحقايق بانواع الدلائل والله يهدي من يشاء
بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى درك
الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا
فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في مغيرة بن وائل
خاصم عليا في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول صلى الله عليه وسلم واطعنا اي واطعناهما ثم
يتولى بالامتناع عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك من بعد قولهم هذا وما اولئك
بالمؤمنين اشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله تعالى بان جميعهم وان آمنوا
بلسانهم لم يؤمن قلوبهم او الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة
على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان والثابتون عليه واذا
دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي ليحكم النبي صلى الله عليه وسلم فانه الحاكم ظاهرا والمدعو
اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله اذا فريق منهم معرضون
فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي
ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق اي الحكم لا عليهم يأتوا اليه مذعنين منقادين لعلمهم بانه يحكم
لهم والصلة ليأتوا او لمذعنين وتقديمها للاختصاص افي قلوبهم مرض كفر او ميل الى الظلم
ام ارتابوا بان رأوا منك تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم بك ام يخافون ان يحيف الله
عليهم ورسوله في الحكومة بل اولئك هم الظالمون اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم
الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا
عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم

يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى
حكمه انما كان قول المومنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا
واولئك هم المفلحون على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد
انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير
مصدره على معنى ليفعل الحكم ومن يطع الله ورسوله فيما يامرانه او في الفرائض والسنن
ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقي من عمره وقرأ يعقوب وقالون
عن نافع بلا ياء وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف وخفف
فاولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم انكارا للامتناع عن
حكمه لئن امرتهم بالخروج عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا
على الكذب طاعة معروفة اي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين للطاعة النفاقية المنكرة
او طاعة معروفة امثل منها او ليكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة ان الله خبير بما
تعملون فلا يخفى عليه سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ ما خاطبهم الله
على الحكاية مبالغة في تبكيتهم فان تولوا فانما عليه على محمد صلى الله عليه وسلم ما حمل من التبليغ
وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه في حكمه تهتدوا الى الحق وما على الرسول الا
البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادى وانما بقي ما حملتم وان اديتم فلكم
وان توليتم فعليكم وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات خطاب للرسول ومن
معه ولمن بعده ومن للبيان ليستخلفنهم في الارض ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض
تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او
الوعد في تحققه منزل منزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل استخلفهم
في مصر والشام بعد الجبابرة وقرأ ابو بكر بكسر اللام وضم التاء وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى
لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعداء وقرأ ابن كثير
وابو بكر بالتخفيف امنا منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين
خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده
فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار عن الغيب
على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل
الخوف من العذاب والامن منه في الاخرة يعبدونني حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على
التوحيد او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والامن لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني
غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد او حصول الخلافة فاولئك
هم الفاسقون الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الايات او كفروا تلك
النعمة العظيمة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول في سائر ما امركم به و
يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المامور به فيكون تكريرا للامر بطاعة

الرسول

الرسول صلى الله عليه وسلم للتاكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هي فيه بقوله لعلكم ترحمون
كما علق به الهدى لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين
عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين او لا يحسبن الكفار في الارض احدا معجزا لله
فيكون معجزين في الارض مفعوليه او ولا تحسبوهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل و
المفعولين لشيء واحد فاكتفي بذكر اثنين عن الثالث وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاول
في الاحتمالات ومأويهم النار عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين
ومأويهم النار لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير المأوى
الذي يصيرون اليه يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام
السالفة بعد الفراغ عن الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيره
والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال
لما روي ان غلام اسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف
عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا هذه
الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية
والذين لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام
لانه اقوى دلائله ثلاث مرات في اليوم والليلة مرة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع
وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات او الرفع خبر المحذوف
اي هي من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم اي ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة بيان
للحين ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ثلاث عورات
لكم اي هي ثلاث اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره ما بعده واصل العورة الخلل
ومنها اعور المكان ورجل اعور وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالنصب بدلا من ثلاث مرات ليس عليكم
ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات في ترك الاستئذان وليس فيه ما ينافي اية الاستئذان
فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين طوافون عليكم
اي هم طوافون استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة
وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلثة وغيرها بانها عورات بعضكم
على بعض بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله
لكم الايات اي الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما شرع لكم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم
فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل
به من اوجب استئذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين
جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم كرره
تاكيدا ومبالغة في الامر بالاستئذان والقواعد من النساء العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل

اللاتی لا یرجون نکاحا لا یطمعن فیه لکبرهن فلیس علیهن جناح ان یضعن ثیابهن ای الثیاب
الظاهرة کالجلباب والفا فیه لان اللام فی القواعد بمعنی اللاتی او لوصفها بها غیر متبرجات بزینة
غیر مظهرات لزینة مما امر باخفائه فی قوله ولا یبدین زینتهن واصل التبرج التکلف فی اظهار
ما یخفی من قولهم سفینة بارجة لا غطاء علیها والبرج سعة العین بحیث یری بیاضها محیطا
بسوادها کله لا یغیب منه شیء الا انه خص بتکشف المراة زینتها ومحاسنها للرجال وان
یستعففن خیر لهن من الوضع لانه ابعد من التهمة والله سمیع لمقالتهن للرجال علیم بمقصودهن
لیس علی الاعمی حرج ولا علی الاعرج حرج ولا علی المریض حرج نفی لما کانوا یتحرجون من مواکلة
الاصحاء حذرا من استقذارهم او اکلهم من بیت من یدفع الیهم المفتاح ویبیح لهم التبسط فیه
اذا خرج الی الغزو وخلفهم علی المنازل مخافة ان لا یکون ذلک من طیبة قلب او من اجابة من یدعوهم
الی بیوت ابائهم او اولادهم واقاربهم فیطعمونهم کراهة ان یکونوا کلا علیهم وهذا انما یکون
اذا علم رضا صاحب البیت باذن او قرینة او کان فی اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا
بیوت النبی الا ان یؤذن لکم الی طعام وقیل نفی الحرج عنهم فی القعود عن الجهاد وهو لا یلائم
ما قبله وما بعده ولا علی انفسکم ان تاکلوا من بیوتکم من البیوت التی فیها ازواجکم وعیالکم فیدخل
فیها بیوت الاولاد لان بیت الولد کبیته لقوله صلی الله علیه وسلم انت ومالک لابیک وقوله
ان اطیب ما یاکل المرء من کسبه وان ولده من کسبه او بیوت ابائکم او بیوت امهاتکم او
بیوت اخوانکم او بیوت اخواتکم او بیوت اعمامکم او بیوت عماتکم او بیوت اخوالکم او بیوت خالاتکم
او ما ملکتم مفاتحه وهو ما یکون تحت ایدیکم وتصرفکم من ضیعة او ماشیة وکالة او حفظا
وقیل بیوت الممالیک والمفاتح جمع مفتح وهو ما یفتح به وقرئ مفتاحه او صدیقکم او بیوت
صدیقکم فانهم ارضی بالتبسط فی اموالهم واسر به وهو یقع علی الواحد والجمع کالخلیط هذا کله انما
یکون اذا علم رضا صاحب البیت باذن او قرینة ولذلک خصص هؤلاء فانه یعتاد التبسط
بینهم او کان فی اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفیة به علی ان لا قطع بسرقة مال المحرم لیس
علیکم جناح ان تاکلوا جمیعا او اشتاتا مجتمعین او متفرقین نزلت فی بنی لیث بن عمرو
من کنانة کانوا یتحرجون ان یاکل الرجل وحده او فی قوم من الانصار اذا نزل بهم ضیف لا
یاکلون الا معه او فی قوم تحرجوا عن الاجتماع علی الطعام لاختلاف الطعام فی الکثرة والقلة والنهمة
فاذا دخلتم بیوتا من هذه البیوت فسلموا علی انفسکم علی اهلها الذین هم منکم دینا و
قرابة تحیة من عند الله ثابتة بامره مشروعة من لدنه ویجوز ان یکون صلة للتحیة فانها طلب الحیوة
وهی من عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنی التسلیم مبارکة لانها یرجی بها زیادة الخیر و
الثواب طیبة تطیب بها نفس المستمع وعن انس انه صلی الله علیه وسلم قال متی لقیت احدا من امتی
فسلم یطل عمرک واذا دخلت بیتک فسلم علیهم یکثر خیر بیتک وصل صلوة الضحی فانها
صلوة الابرار الاوابین کذلک یبین الله لکم الایات کرره ثالثا لمزید التاکید وتفخیم
الاحکام المختتمة به وفصل الاولین بما هو المقتضی لذلک وهذا بما هو المقصود منه فقال

لعلکم

لعلکم تعقلون ای الحق والخیر فی الامور انما المؤمنون ای الکاملون فی الایمان الذین
امنوا بالله ورسوله من صمیم قلوبهم واذا کانوا معه علی امر جامع کالجمعة والاعیاد والحروب
والمشاورة فی الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جمیع لم یذهبوا حتی یستأذنوه
یستأذنوا رسول الله صلی الله علیه وسلم فیاذن لهم واعتباره فی کمال الایمان لانه کالمصداق
لصحته والممیز للمخلص فیه عن المنافق فان دیدنه التسلل والفرار ولتعظیم الجرم فی
الذهاب عن مجلس رسول الله صلی الله علیه وسلم بغیر اذنه ولذلک اعاده مؤکدا علی اسلوب
ابلغ فقال ان الذین یستأذنونک اولئک الذین یؤمنون بالله ورسوله فانه یفید
ان المستأذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بغیر اذن لیس کذلک فاذا استأذنوک
لبعض شأنهم ما یعرض لهم من المهام وفیه ایضا مبالغة وتضییق للامر فاذن لمن شئت
منهم تفویض للامر الی رای الرسول علیه السلام واستدل به علی ان بعض الاحکام مفوضة
الی رایه ومن منع ذلک قید المشیة بان تکون تابعة لعلمه بصدقه فکان المعنی فاذن
لمن علمت ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستیذان ولو لعذر
قصور لانه تقدیم لامر الدنیا علی امر الدین ان الله غفور لفرطات العباد رحیم بالتیسیر علیهم
لا تجعلوا دعاء الرسول بینکم کدعاء بعضکم بعضا لا تقیسوا دعاءه ایاکم علی دعاء
بعضکم بعضا فی جواز الاعراض والمساهلة فی الاجابة والرجوع بغیر اذن فان المبادرة
الی اجابته واجبة والمراجعة بغیر اذنه محرمة وقیل لا تجعلوا نداءه وتسمیته کدعاء بعضکم
بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولکن بلقبه المعظم مثل یا نبی الله ویا
رسول الله مع التوقیر والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه علیکم کدعاء بعضکم
علی بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه کدعاء صغیرکم
کبیرکم یجیبه مرة ویرده اخری فان دعاءه مستجاب قد یعلم الله الذین یتسللون
منکم یتسللون قلیلا قلیلا من الجماعة ونظیر تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان
یستتر بعضهم ببعض حتی یخرج او یلوذ بمن یؤذن فینطلق معه کانه تابعه وانتصابه
علی الحال وقرئ بالفتح فلیحذر الذین یخالفون عن امره یخالفون امره بترک مقتضاه و
یذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنی الاعراض او یصدون عن امره دون المؤمنین
من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بیان المخالف والمخالف
عنه والضمیر لله تعالی فان الامر له فی الحقیقة او للرسول فانه المقصود بالذکر ان تصیبهم فتنة
محنة فی الدنیا او یصیبهم عذاب الیم فی الاخرة واستدل به علی ان الامر للوجوب فانه
یدل علی ان ترک مقتضی الامر مقتض لاحد العذابین فان الامر بالحذر عنه یدل علی حسنه
المشروط بقیام المقتضی له وذلک یستلزم الوجوب الا ان لله ما فی السموات والارض
قد یعلم ما انتم علیه ایها المکلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما
اکد علمه بقد لتاکید الوعید ویوم یرجعون الیه یوم یرجع المنافقون الیه للجزاء ویجوز

ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات فينبئهم بما عملوا من سوء
الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن
ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية سبع وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة
وهي كثرة الخير او تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى
الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام
من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل
الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله
بين الحق والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض
في الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته لقوله ولقد انزلنا
اليكم او الانبياء عليهم السلام على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون العبد
او الفرقان للعالمين للانس والجن نذيرا منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار
وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي
له ملك السموات والارض بدل من الاول ومدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم
النصارى ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم
مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال وخلق كل شيء احدثه احداثا مراعى فيه
التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره
تقديرا فقدره وهيأه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم
والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك
او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق
فيكون المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا واتخذوا من دونه آلهة
لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا
وهم يخلقون لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون ولا يستطيعون لانفسهم ضرا
دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا يملكون اماتة
احد ولا احياءه اولا ولا بعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها
واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء وقال
الذين كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه افتريه اختلقه واعانه عليه
قوم آخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر
ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر فقد جاؤ ظلما بجعل الكلام المعجز افكا
مختلقا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو بريء منه اليه واتى وجاء يطلقان

بمعنى

بمعنى فعل فيعديان تعديته وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون اكتتبها كتبها
لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امي واصله اكتتبها كاتب له فحذف
اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل
للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة واصيلا ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر
من الكتاب او ليكتب قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه اعجزكم عن
آخركم بفصاحته وتضمن اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها
الا عالم الاسرار فكيف يجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل
في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم صبا
وقالوا ما لهذا الرسول ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم ياكل الطعام
كما ناكل ويمشي في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله
لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس
بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى انما هو بشر مثلكم
يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا لنعلم صدقه
بتصديق الملك او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش او تكون له
جنة يأكل منها على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون له بستان
كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي بالنون وقال الظالمون
وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون ما تتبعون الا رجلا
مسحورا سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اي بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا لك
الامثال اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة فضلوا
عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي عليه السلام والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشوا
فلا يستطيعون سبيلا الى القدح او الى الرشد والهدى تبارك الذي ان شاء جعل لك
في الدنيا خيرا من ذلك مما قالوه ولكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى جنات تجري من تحتها
الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر
وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه
خليل يوم مسئلة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون له
في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام
الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك لفقرك او فلذلك كذبوك لا
لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وهو قوله تعالى تبارك
الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا فيصدقون
بما وعد الله لك في الآخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب
بالساعة سعيرا نارا شديدة الاشتعال وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان

اذا رأتهم اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما اى لا تتقاربا بحيث
يكون احدهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار او جهنم من
مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ
شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان
الحيوة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله تعالى فيها حيوة فترى
وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف
المضاف واذا القوا منها مكانا اى فى مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا ضيقا لزيادة
العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان
عرضها السموات والارض مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل دعوا هنالك
اى فى ذلك المكان ثبورا هلاكا اى يتمنون الهلاك وينادونه ويقولون يا ثبوراه
تعال فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اى يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا
كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد كقوله كلما
نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو فى كل وقت
ثبور قل اذلك خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون الاشارة الى العذاب والاستفهام
والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف
واضافة الجنة الى الخلد للمدح او للدلالة على خلودها او التمييز عن جنات الدنيا كانت لهم
فى علم الله او اللوح او لان ما وعده الله فى تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا
ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضائهم مع جواز ان يراد
بالمتقين من يتقى الكفر والتكذيب لانهم فى مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤن ما يشاؤنه من النعيم
ولعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك الكامل
بالتشهى وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا فى الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم كان
على ربك وعدا مسؤلا الضمير فى كان لما يشاؤن والوعد الموعود اى كان ذلك موعودا
حقيقا بان يسأل او مسؤلا سأله الناس فى دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او
الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم وما فى على من معنى الوجوب لامتناع
الخلف فى وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على
الوعد الموجب للانجاز ويوم يحشرهم للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص
بالياء وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم و
لذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم او
لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة
السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله او تتكلم بلسان الحال كما قيل فى كلام الايدى والارجل
فيقول اى للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون أأنتم اضللتم عبادى هؤلاء

ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام
تقريع وتبكيت للعبدة واصله أأضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلى حرف الاستفهام
المقصود بالسؤال وهو المتولى للفعل دونه لانه محقق لا شبهة فيه والا لما توجه
العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة
او انبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شئ او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده
فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله عن الانداد ما كان ينبغى لنا ما يصح لنا ان نتخذ
من دونك من اولياء للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى
احدا دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذى له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابرهيم
خليلا ومفعوله الثانى من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفى ولكن متعتهم و
آباءهم بانواع النعم فاستغرقوا فى الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك او
التذكر لآلائك والتدبر فى آياتك وهو نسبة الضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد
له الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة
وكانوا فى قضائك قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع او
جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف
القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون فى قولكم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا والباء
بمعنى فى او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اى كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى
لنا فما تستطيعون اى المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا
للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف اى يحتال ولا نصرا فيعينكم عليه ومن يظلم
منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا هى النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه فى اقتضاء
الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا
وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق اى الا
رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا
الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا
الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وقرئ يمشون اى تمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا
بعضكم ايها الناس لبعض فتنة ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل
اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر أتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا
بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر
على ما افتتنوا به وكان ربك بصيرا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلى به وغيره وقال الذين
لا يرجون لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة
واصل اللقاء الوصول الى الشئ ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئى والمراد

الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لولا هلا انزل علينا الملائكة فيخبروننا
بصدق محمد وقيل فيكونون رسلا الينا او نرى ربنا فيامرنا بتصديقه واتباعه لقد
استكبروا فى انفسهم اى فى شانها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين
هم اكمل خلق الله فى اكمل اوقاتها وما هو اعظم من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد فى الظلم
عتوا كبيرا بالغا فى اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا
لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامع النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف
وفى الاستيناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة
جساس ابأنا نابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها يوم يرون الملائكة ملائكة الموت
او العذاب ويوم نصب بما ذكر او بما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون
البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق
به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام
يتناول حكمهم من طريق برهان ولا يلزم من نفى البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفى البشرى بالعفو
والشفاعة فى وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما
هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول اى ويقول
الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم وهى مما كانوا يقولون
عند لقاء عدو او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى
وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك و
لذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتاكيد كقولهم موت مائت وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اى وعمدنا الى ما عملوا فى كفرهم من المكارم كقرى الضيف
وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم و
اعمالهم بحال قوم استعصوا على سلطانهم فقدم الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها
اثرا والهباء غبار يرى فى شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهى الغبار ومنثورا
صفته شبه به عملهم المحبط فى حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه فى انتشاره بحيث لا
يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التى كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه
كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقر فيه
فى اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج
والتمتع بهن يجوز له من مكان القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك غالبا اذ
لا نوم فى الجنة وفى احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من المحاسن
ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل
من الامكنة والازمان والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين
فى الدنيا روى انه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة فى الجنة واهل

النار

النار فى النار ويوم تشقق السماء اصله تتشقق فحذف التاء وادغمها ابن كثير ونافع و
ابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور فى قوله هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا فى ذلك الغمام
بصحائف اعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت وانزلت ونزل ونزل
بحذف نون الكلمة الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى
الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متاخر او
صفة والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا ويوم يعض الظالم
على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات
عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابى معيط كان
يكثر مجالسة النبى صلى الله عليه وسلم فدعاه الى ضيافته فابى ان يأكل طعامه حتى ينطق
بالشهادتين ففعل وكان ابى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن
ابى ان يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا
ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق فى وجهه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال
النبى صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فاسر يوم
بدر فامر عليا رضى الله عنه بقتله وطعن ابيا باحد فى المبارزة فرجع الى مكة ومات
يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق
الحق ولم يتشعب فى طرق الضلالة يا ويلتى وقرئ بالياء على الاصل ليتنى لم اتخذ فلانا
خليلا يعنى من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس لقد اضلنى
عن الذكر عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة بعد اذ جاءنى وتمكنت
منه وكان الشيطان يعنى الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول او
كل من تشيطن من جن او انس للانسان خذولا يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه
ولا ينفعه فعول من الخذلان وقال الرسول محمد يومئذ او فى الدنيا بثا الى الله يا رب
ان قومى قريشا اتخذوا هذا القرآن مهجورا بان تركوه وصدوا عنه وعنه صلى الله عليه
وسلم من تعلم القرآن وعلق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به
يقول يا رب عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه او هجروا ولغوا فيه اذا
سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز
ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى
الله قومهم عجل لهم العذاب وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين كما جعلناه لك
فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع وكفى بربك هاديا
الى طريق قهرهم ونصيرا لك عليهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن اى انزل عليه
كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله جملة واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلاثة وهو اعتراض

الملائكة

فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصارى وقال يا محمد الى من الصبية
وقال النار نسخه

لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها
ما اشار اليه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك اى كذلك انزلناه مفرقا لنقوى
بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله تخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان
اميا وكانوا يكتبون فلو القى عليه جملة لعيى بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف
لا يتأتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في
المعنى ولانه اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه
ومنها اذا نزل به جبرئيل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ
ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة
مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه القرآن
جملة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى
الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا وقرأناه عليك
شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة او ثلث وعشرين واصل الترتيل في الاسنان
وهو تفليجها ولا يأتونك بمثل سؤال عجيب كانه مثل في البطلان يريدون به القدح في
نبوتك الا جئناك بالحق الدامغ له في جوابه واحسن تفسيرا وبما هو احسن بيانا او
معنى من سؤالهم او لا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك
من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت به الذين يحشرون على وجوههم
الى جهنم اى مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها
وعنه صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اصناف صنف على الدواب وصنف
على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب او مبتدأ خبره اولئك شر مكانا واضل
سبيلا والمفضل عليه هو الرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من
ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسولة تحقير
مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه
متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازى
للمبالغة ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا يوازره في
الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر
متوازرون عليه فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا يعنى فرعون وقومه
فدمرناهم تدميرا اى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاختصر على حاشيتي القصة اكتفاء
بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب
باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة
وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد
من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم

اغراقهم او قصتهم للناس آية عبرة واعتدنا للظالمين عذابا اليما يحتمل التعميم
والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم وعادا وثمود عطف على
هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرأ حمزة وحفص
وثمود على تأويل القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم
شعيبا فكذبوه فبينما هم حول الرس وهى البئر الغير المطوية فانهارت فخسفت بهم
وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه
فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب
حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء
لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم
اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة
ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل هم قوم كذبوا نبيهم ورسوه اى دسوه في بئر وقرونا واهل
اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك اشارة
الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص
الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتنا تفتيتا
ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا و
الثاني بتبرنا لانه فارغ ولقد اتوا يعنى قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام
على القرية التي امطرت مطر السوء يعنى سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة
افلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله بل كانوا
لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا و
لم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا في
الثواب ولا يخافونه على اللغة التهامية واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك
الا موضع هزء او مهزوا به اهذا الذي بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر والاشارة
للاستحقار واخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار
تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا اهذا الذي زعم انه بعثه الله تعالى رسولا ان كاد
ليضلنا عن آلهتنا ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة
ما يورد مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها و
استمسكنا بعبادتها ولولا في مثله تقييد للحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ
وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا
فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان
امهلهم ارأيت من اتخذ الهه هواه بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر
دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية افانت تكون عليه وكيلا حفيظا يمنعه عن

الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثاني للانكار
ام تحسب بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدي لهم الايات والحجج فتهتم بشانهم
وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه
كان منهم من امن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة ان هم الا كالانعام
في عدم انتفاعهم بقرع الايات اذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات
بل هم اضل سبيلا من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها
وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة
الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد
المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف
هؤلاء ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق
ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون ومستحقون اعظم
العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك الم تنظر الى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه او
الم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح
برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع
الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل
وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر
وشعاع الشمس يسخن الهواء ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود ولو
شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع
واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض
الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها ثم قبضناه الينا اي ازلناه بايقاع
الشعاع موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه
الذي هو في معنى الكف قبضا يسيرا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون
ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادي
اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها
ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلا اي مسلطا عليه مستتبعا اياه
كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه يتفاوت بتفاوت تحركها ويتحول
بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى ان ينتهي غاية نقصانه او قبضا
سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها وهو الذي جعل لكم
الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره والنوم سباتا راحة للابدان بقطع المشاغل
واصل السبت القطع او موتا لقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه
المسبوت للميت وجعل النهار نشورا ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث

من النوم

من النوم بعث الاموات ويكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور
وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي ارسل الرياح
وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس نشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر
بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم
بشرا بالتخفيف تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر بين يدي رحمته يعني قدام المطر وانزلنا
من السماء ماء طهورا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ
ويوقد به قال صلى الله عليه وسلم التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه
ان يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين
لكنه قد جاء للمفعول كالضبور وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به
اشعارا بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنا وانفع مما خالطه
ما يزيل طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم بذلك
اولى لنحيي به بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه غير جار على
الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي
كثيرا يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم
لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية
عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان
مساق هذه الايات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية
الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما
قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى واسقى لغتان و
قيل اسقاه جعل له سقيا واناسي بحذف ياء وهو جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على
ان اصله اناسين فقلبت النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في
القران وسائر الكتب او المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات
المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس ما امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين
عباده على ما شاء وتلا هذه الاية او في الانهار او في المنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا
كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم فابى اكثر
الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء
كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء
وسائط وامارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها
فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشانك و
تفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق
فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به بالقران او بترك

طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد
في مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة
الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد
مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين
بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته
وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد في بارد و
جعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول
للآخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري
في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر
الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فيكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع
ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية وهو
الذي خلق من الماء بشرا يعني الذي خمر به طينة آدم او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع و
تسلس وتقبل الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين
ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن لقوله فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة و
طباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا و
انثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام او كل ما عبد من
دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه ظهيرا يظاهر
الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع
له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر
اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين قل ما اسألكم عليه على تبليغ
الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ
الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة
الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية
الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب اجرا وافيا
مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته
وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على
الحي الذي لا يموت في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل
عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده و
نزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر
على سوابغه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا مطلقا فلا عليك ان

آمنوا

امنوا او كفروا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى
على العرش قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه
من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامر فانه تعالى
مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج الرحمن
خبر للذي ان جعلته مبتدأ ولمحذوف ان جعلته صفة للحي او بدل من المستكن في استوى و
قرئ بالجر صفة للحي فاسأل به خبيرا فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته
وهو الله تعالى او جبريل او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن
والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله فسل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه
في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه
معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا
للرحمن قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره
ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرناه يعني تأمرنا بسجوده او لامرك لنا من
غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرأ بالياء حمزة والكسائي على انه قول بعضهم
لبعض وزادهم اي الامر بسجود الرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا
يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل
لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا يعني الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا
وقرأ حمزة والكسائي سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ
وقمرا اي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه
فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا لقوله واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة
والجلسة لمن اراد ان يذكر ان يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع
حكيم واجب الذات رحيم على العباد او اراد شكورا ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا
تذكر ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه وعباد الرحمن مبتدأ
خبره اولئك يجزون الغرفة الذين يمشون على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص و
التفضيل او لانهم الراسخون في عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين
او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر او سدادا من القول
يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه فان المراد هو الاغضاء
وترك مقابلتهم في الكلام والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما في الصلوة وتخصيص البيتوتة
لان العبادة بالليل احمز وابعد من الرياء وتأخير القيام للروي وهو جمع قائم او مصدر
اجري مجراه والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما

الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالفتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة
الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم و
وثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما اي بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم
يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان او احزنت وفيها ضمير
اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان
الحكاية والابتداء من الله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا
ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب وقرا
نافع وابن عامر ولم يقتروا بضم الياء من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد وكان بين
ذلك قواما وسطا عدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما و
قرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة
ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير
متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون
مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق
بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفى عنهم امهات المعاصي بعد ما اثبت لهم اصول
الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك
وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق
اثاما جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب
يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لانه في معناه كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا
تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرا ابو بكر بالرفع على الاستئناف او الحال وكذلك ويخلد
فيه مهانا وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع وابو عمرو ويخلد على البناء للمفعول
مخففا وقرئ مثقلا وتضعف العذاب ومضاعفته لانضمام المعصية الى الكفر ويدل
عليه قوله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان
يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس
بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب
ثوابا وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات ومن تاب عن
المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة
فانه يتوب الى الله يرجع الى الله بذلك متابا مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا
للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله
والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون
الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه واذا
مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف

عليه

عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفحش والصفح عن الذنوب والكناية عما
يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بايات ربهم بالوعظ او القراءة لم يخروا عليها
صما وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل
اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي
نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو
والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة و
حيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقر بهم عينه
لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك
رأيت منك اسدا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر وذريتنا وتنكير الاعين
لارادة تنكير القرة وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم
واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا في امر الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده
للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله او لان المراد
واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع
ام كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع
الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم في الغرفات امنون والقراءة بها وقيل هي من اسماء
الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات
ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة اي يحييهم الملئكة ويسلمون عليهم
او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل افة وقرا حمزة والكسائي
وابو بكر ويلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما مقابل
ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما يعبؤ بكم ربي ما يصنع بكم من عبات الجيش اذا
هيأته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة
والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة
وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كانه قيل اي عبء يعبأ بكم فقد كذبتم
بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ
فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما
وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب لازما
يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل
والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما
وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفرقان
لقي الله وهو مؤمن بان الساعة اتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب سورة الشعراء مكية
الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى اخرها وهي مائتان وست او سبع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين
كراهة العود الى اليا المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده تلك
ايات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القران على ما
مر في اول البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع
وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة
ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها ان لا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او
خيفة ان لا يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية دلالة ملجئة الى الايمان او بلية
قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين واصله فظلوا لها خاضعين
فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق
بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤسا والجماعات من قولهم جاءنا عنق من
الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة وظلت عطف على ننزل عطف واكن على فاصدق
لانه لو قيل انزلنا بدله لصح وما يأتيهم من ذكر موعظة او طائفة من القران من الرحمن
بوحيه الى نبيه محدث مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه
معرضين الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم
وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزا به المخبر به عنهم ضمنا في قوله فسيأتيهم اي
اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة انبا ما كانوا به يستهزؤن من انه كان حقا
ام باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره اولم يروا الى
الارض اولم ينظروا الى عجائبها كم انبتنا فيها من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة
وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة مع
القدرة وان تكون مبينة منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره
وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها ان في ذلك في اثبات تلك الاصناف او في كل واحد
لاية على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة وما كان اكثرهم مؤمنين في علم الله
وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الايات العظام وان ربك لهو العزيز الغالب
القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث امهلهم او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم
لمن تاب وامن واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر او ظرف لما بعده ان ائت اي ائت
او بان ائت القوم الظالمين بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون
بدل من الاول او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى
بذلك الا يتقون استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم في الظلم
واجترائهم عليه وقرئ بالتا على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا
غيبا اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه
مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ

بكسر النون

بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا
يا اسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل
الى هرون رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له في الامر على الامور الثلثة خوف
التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح
الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي
قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك
تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذر فيه
وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف منه ولهم
علي ذنب اي تبعة ذنب فحذف المضاف او سمي باسمه والمراد قتل القبطي وانما سماه
ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة في مواضع فاخاف ان يقتلون به قبل اداء
الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذلك
استمداد واستظهار في امر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا باياتنا اجابة له الى الطلبتين
بوعده لدفع بلائهم اللازم ردعه عن الخوف وضم اخيه اليه في الارسال والخطاب في
فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى
عما تظن فاذهب انت والذي طلبته انا معكم يعني موسى وهرون وفرعون مستمعون
سامعون لما يجري بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه تعالى بمن حضر مجادلة قوم استماعا
لما يجري بينهم وترقبا لامداد اوليائه منهم مبالغة في الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع
الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او
الخبر وحده ومعكم لغو فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين افرد الرسول لانه
مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال الشاعر لقد كذب الواشون ما فهت عندهم
بسر ولا ارسلتهم برسول ولذلك ثني تارة وافرد اخرى او لاتحادهما للاخوة او لوحدة
المرسل والمرسل به او لانه اراد ان كل واحد منا ان ارسل معنا بني اسرائيل اي ارسل
لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن لمعنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشام
قال اي فرعون لموسى بعد ما اتياه فقالا له ذلك الم نربك فينا في منازلنا وليدا طفلا
سمي به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى
مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين ثم بقي بعد الغرق خمسين وفعلت
فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وبخه به معظما اياه بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ
فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز وانت من الكافرين بنعمتي حتى عمدت الى قتل خواصي
او ممن تكفرهم الآن فان موسى عليه السلام يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التائين ويجوز
ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او
من الذين كانوا يكفرون في دينهم قال فعلتها اذا وانا من الضالين من الجاهلين وقد قرئ

به والمعنى من الفاعلين فعلا اولى الجهل والسفه او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله او
الذاهلين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التاديب او الناسين من قوله ان تضل
احديهما ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما حكمة وجعلني من المرسلين فرد
اولا بذلك ما وبخه قدحا في نبوته ثم كر على ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه
كان صادقا غير قادح في دعواه بل نبه على انه كان في الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها
فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي وتلك التربية نعمة تمنها علي ظاهرا
وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي اليك
وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي او تلك نعمة تمنها علي وهي ان
عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة او الجر باضمار الباء او النصب
بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى
تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وانما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت
منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب
ما طعن به فيه ورأى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار
عن حقيقة المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع
تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله ان كنتم موقنين اي ان كنتم
موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها
وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لا بد وان يكون مبدأ لسائر الممكنات
ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب او استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما
محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو
داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته قال لمن حوله الا تستمعون جوابه سألته عن حقيقته
وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية
او غير معلوم افتقارها الى المؤثر قال ربكم ورب آبائكم الاولين عدولا الى ما لا يمكن
ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح
عند التأمل قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر
وسماه رسولا على السخرية قال رب المشرق والمغرب وما بينهما تشاهدون كل يوم انه
يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب
على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات ان كنتم تعقلون ان كان لكم عقل علمتم ان لا
جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم
قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد
الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه الالوهية و
انكاره للصانع وان تعجبه بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله

كان

كان دهريا اعتقد ان من ملك قطرا او تولى امره بقوة طالعه استحق العبادة
من اهله واللام في من المسجونين للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني فانه كان
يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لاسجننك قال اولو
جئتك بشيء مبين اي أتفعل ذلك ولو جئتك بشيء يبين صدق دعواي يعني
المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي
نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل قال فأت به ان كنت من الصادقين في
ان لك بينة او في دعواك فان مدعي النبوة لا بد له من حجة فالقى عصاه فاذا هي
ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر
ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين روي ان فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل
غيرها فاخرج يده قال فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار
ويسد الافق قال للملأ حوله مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر
عليم فائق في علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان
المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار
الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل
احبسهما وابعث في المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة يأتوك بكل سحار عليم يفضلون
عليه في هذا الفن وقرئ بكل ساحر وامالها ابو عمرو وحمزة والكسائي فجمع السحرة لميقات
يوم معلوم لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة وقيل للناس هل
انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرا هل انت
باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق اي ابعث الينا احدهما سريعا
لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي
باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلي ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا
السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما جاء
السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا
لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذن على مقتضى
الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اي
اي بعد ما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه
بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق فالقوا حبالهم وعصيهم
وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم
في انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف
تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم
فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة فالقي السحرة

ساجدين لعلمهم بان مثله لا يتأتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل
شيئا لا حقيقة له وان التبحر في كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله
ويدل على انهم لما رأوا لم يتمالكوا انفسهم وكانهم اخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تعالى
القاهم بما خولهم من التوفيق قالوا آمنا برب العالمين بدل من ألقي بدل اشتمال او حال باضمار
قد رب موسى وهرون ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم
ما اجراه على ايديهما قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فعلمكم
شيئا دون شيء ولذلك غلبكم او فواعدكم ذلك وتواطأتم عليه اراد به التلبيس على قومه
لئلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر وروح
أآمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
ولاصلبنكم اجمعين بيان له قالوا لا ضير لا ضرر علينا في ذلك انا الى ربنا منقلبون
بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله او بسبب من
اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان
كنا لان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل
ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم
الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره ان احسنت اليك فلا تنس حقي واوحينا الى
موسى ان اسر بعبادي وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات
فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع ان اسر بكسر النون ووصل الالف من
سرى وقرئ ان سر من السير انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء
اي اسر بهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم
الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم
فارسل فرعون حين اخبر بسراهم في المدائن حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة
قليلون على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة
الى جنوده اذ روي انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة
ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل
وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حذرون وانا لجمع من عادتنا
الحذر واستعمال الحزم في الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم
ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شانهم حثا عليه او اعتذر
بذلك الى اهل المدائن كي لا يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر والكوفيون حاذرون
والاول للثبات والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو ايضا من الحذر
لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اي اقوياء قال احب الصبي السوء
من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر او تامو السلاح فان ذلك يوجب حدة

في اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات و
عيون وكنوز ومقام كريم يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية كذلك مثل ذلك
الاخراج اخرجنا فهو مصدر او مثل ذلك المقام الذي كان لهم على انه صفة مقام او الامر
كذلك فيكون خبر المحذوف واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين
داخلين في وقت شروق الشمس فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث رأى كل منهما الآخر و
قرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون لملحقون وقرئ لمدّركون من ادّرك
الشيء اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في الهلاك على ايديهم قال كلا لن يدركوكم فان الله
وعدكم الخلاص منهم ان معي ربي بالحفظ والنصر سيهدين طريق النجاة منهم روي ان
مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك
آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك
البحر القلزم او النيل فانفلق اي فضرب فانفلق وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك
فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط
في شعب وازلفنا وقربنا ثم الآخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم
وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا ثم اغرقنا
الآخرين باطباقه عليهم ان في ذلك لآية واية آية وما كان اكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها
اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد ممن بقي في مصر من القبط وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة
يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وان ربك لهو العزيز
المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم على مشركي العرب نبأ ابراهيم اذ قال لابيه
وقومه ما تعبدون سألهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة قالوا نعبد اصناما
فنظل لها عاكفين فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا
بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم يسمعون دعاءكم
او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون عليه وقرئ يُسمعونكم اي يُسمعونكم
الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها او
ينفعونكم على عبادتكم لها او يضرون من اعرض عنها قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون
اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضر او نفع والتجأوا الى التقليد قال أفرأيتم
ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب
به الباطل حقا فانهم عدو لي يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم
فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او ان المغري بعبادتهم اعدى اعدائهم وهو
الشيطان لكنه صور الامر في نفسه تعريضا لهم فانه انفع في النصح من التصريح واشعارا
بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول وافراد العدو لانه في الاصل مصدر
او المعنى النسب الا رب العالمين استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه

وكان من آبائهم من عبد الله الذي خلقني فهو يهدين لأنه يهدي كل مخلوق لما خلق له من
أمور المعاش والمعاد كما قال والذي قدر فهدى هداية مدرجة من مبدأ إيجاده
إلى منتهى أجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدأها بالنسبة إلى الإنسان هداية
الجنين إلى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعم
بلذائذها والفاء للسببية إن جعل الموصول مبتدأ وللعطف إن جعل صفة رب العالمين
فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله والذي هو يطعمني ويسقين
عطف على الأول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول
على الوجهين للدلالة على أن كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم وإذا مرضت
فهو يشفين عطف على يطعمني ويسقين لأنه من روادفهما من حيث أن الصحة والمرض
في الأغلب يتبعان المأكول والمشروب وإنما لم ينسب المرض إليه لأن مقصوده تعديد النعم
ولا ينتقض بإسناد الإماتة إليه فإن الموت من حيث إنه لا يحس به لا ضرر فيه
إنما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم إنه لأهل الكمال وصلة إلى نيل المحاب التي يستحقر
دونها الحياة الدنيوية وخلاص من أنواع المحن والبلية ولأن المرض في غالب الأمر
إنما يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الأخلاط والأركان
من التنافي والتنافر والصحة إنما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها
قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم والذي يميتني ثم يحيين في الآخرة والذي أطمع
أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للأمة أن يجتنبوا
المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لأن يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر
منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلث إني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هي أختي
ضعيف لأنها معاريض وليست خطايا رب هب لي حكما كمالا في العلم والعمل أستعد
به لخلافة الحق ورياسة الخلق وألحقني بالصالحين ووفقني للكمال في العمل لأنتظم به
في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره
واجعل لي لسان صدق في الآخرين جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره إلى يوم
الدين ولذلك ما من أمة إلا وهم محبون له مثنون عليه أو صادقا من ذريتي
يجدد أصل ديني ويدعو الناس إلى ما كنت أدعوهم إليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم
واجعلني من ورثة جنة النعيم وقد مر معنى الوراثة فيها واغفر لأبي بالهداية والتوفيق
للإيمان إنه كان من الضالين طريق الحق وإن كان هذا الدعاء بعد موته فلعله
كان لظنه أنه كان يخفي الإيمان تقية من نمروذ ولذلك وعده به أو لأنه لم يمنع
بعد من الاستغفار للكفار ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت أو بنقص رتبتي
عن رتبة بعض الوراث أو بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا أو بتعذيب
والدي أو ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان أو من الخزاية بمعنى

الحياء

الحياء يوم يبعثون الضمير للعباد لأنهم معلومون أو للضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون
إلا من أتى الله بقلب سليم أي لا ينفعان أحدا إلا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل
المعاصي وسائر آفاته أو لا ينفعان إلا مال من هذا شأنه وبنوه حيث أنفق ماله في سبيل
البر وأرشد بنيه إلى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم أن يكونوا عباد الله مطيعين
شفعاء له يوم القيمة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون أي لا ينفع غنى إلا غناه
وقيل منقطع والمعنى لكن سلامة من أتى الله بقلب سليم ينفعه وأزلفت الجنة للمتقين
بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بأنهم المحشورون إليها وبرزت الجحيم للغاوين فيرونها
مكشوفة ويتحسرون على أنهم المسوقون إليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد
وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله أين آلهتكم الذين تزعمون أنهم شفعاؤكم
هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم أو ينتصرون بدفعه عن أنفسهم لأنهم وآلهتهم يدخلون
النار كما قال فكبكبوا فيها هم والغاوون أي الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب
لتكرير معناه كأن من ألقي في النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها وجنود
إبليس متبعوه من عصاة الثقلين أو شياطينه أجمعون تأكيد للجنود إن جعل مبتدأ خبره
ما بعده وللضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود إليه في قوله قالوا وهم
فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين على أن الله ينطق الأصنام فتخاصم العبدة
ويؤيده الخطاب في قوله إذ نسويكم برب العالمين أي في استحقاق العبادة ويجوز أن
يكون الضمائر للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى أنهم مع
تخاصمهم في مبدأ ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها وما أضلنا إلا
المجرمون فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء ولا صديق حميم إذ الأخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين أو فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم
شفعاء وأصدقاء أو وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع
ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ولأن الصديق الواحد يسعى
أكثر مما يسعى الشفعاء أو لإطلاق الصديق على الجمع كالعدو لأنه في الأصل مصدر كالحنين
والصهيل فلو أن لنا كرة تمني للرجعة وأقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير
أو شرط حذف جوابه فنكون من المؤمنين جواب التمني أو عطف على كرة أي لو أن لنا كرة أن
نكر فنكون إن في ذلك فيما ذكر من قصة إبرهيم لآية لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها
ويعتبر فإنها جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما
فيها من الإشارة إلى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم
وحسن مخالقته معهم وكمال إشفاقه عليهم وتصوير الأمر في نفسه وإطلاق الوعد والوعيد
على سبيل الحكاية تعريضا وإيقاظا لهم ليكون أدعى لهم إلى الاستماع والقبول وما
كان أكثرهم أي أكثر قومه مؤمنين به وإن ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام

الرحيم بالامهال لكي يؤمنوا هم او احد من ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنثة
ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح لانه كان منهم
الا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره اني لكم رسول امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا الله
واطيعون فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله وما اسألكم عليه على ما انا عليه من الدعاء
والنصح من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره للتاكيد والتنبيه
على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا
اجتمعا قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون الاقلون جاها ومالا جمع الارذل
على الصحة وقرأ يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال
وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها
مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه ودليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم
ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون
انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة وما علي الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربي
ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم
تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم من استدعاء
طردهم وتوقيفا ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ان انا الا نذير مبين
كالعلة له اي ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا
اعزاء او اذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم
انذارا بينا بالبرهان الواضح ولا علي ان اطردهم لاسترضائكم قالوا لئن لم تنته يا نوح
عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين او المضروبين بالحجارة قال رب ان قومي
كذبون اظهارا بما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه
فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة ونجني ومن معي من المؤمنين من قصدهم
او شؤم عملهم فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملوء ثم اغرقنا بعد بعد انجائه
الباقين من قومه ان في ذلك لآية شاعت وتواترت وما كان اكثرهم مؤمنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم ابيهم
اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة
مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه
وكان الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنية
والاغراض الدنيوية اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها
آية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها
او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليها للعبث بمن يمر عليهم او قصورا يفتخرون بها

وتتخذون

وتتخذون مصانع مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون فتحكمون
بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة
ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون
فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون كرره مرتبا عليه
امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام
الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض
مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في الا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث
على التقوى فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون ثم اوعدهم فقال اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام
قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوي عما نحن عليه
وتغيير شق النفي عما يقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه ان هذا الا
خلق الاولين ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى
ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين
اي وما هذا الذي جئت به الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذي
نحن عليه الا من خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن
عليه من الحياة والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وما نحن بمعذبين على ما
نحن عليه فكذبوه فاهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر ان في ذلك لآية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم
صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه
من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ها هنا آمنين انكار لان يتركوا
كذلك او تذكير بالنعمة في تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله في جنات وعيون
وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف لين وطلع اناث النخل هو لطف ما يطلع منها كنصل السيف
في جوفه شماريخ القنو للطف الثمر او لان النخل انثى او متدلي منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله
على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين
بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرأ نافع
وابن كثير وابو عمرو فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين
استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الامر او نسب حكم الآمر الى امره مجازا الذين
يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون
دلالة على خلوص فسادهم قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب على
عقلهم او من ذوي السحر وهي الرئة اي من الاناسي فيكون ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا
له فأت بآية ان كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة اي بعدما اخرجها الله

من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي
والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها
في شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم
ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الى كلهم لان عاقرها
انما عقر برضاهم ولذلك أخذوا جميعا فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا من حلول
العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فاخذهم العذاب اي العذاب
الموعود ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم في نفي الايمان
عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا
انما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
أتأتون الذكران من العالمين اي أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم
فيه غيركم او أتأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهن قد اعوزتكم
فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم
لاجل استمتاعكم من ازواجكم للبيان ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به
العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضا بل
انتم قوم عادون متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات
او مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذاك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم
هذه الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه او عن نهينا او تقبيح امرنا لتكونن من المخرجين
من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال قال اني
لعملكم من القالين من المبغضين غاية البغض لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ
من ان يقول اني لعملكم قال لدلالته على انه معدود في زمرتهم مشهور بانه من جملتهم
رب نجني واهلي مما يعملون اي من شومه وعذابه فنجيناه واهله اجمعين اهل بيته
والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا هي امرأة
لوط في الغابرين مقدرة في الباقين في العذاب اذ اصابها حجر في الطريق فاهلكها
لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقي في القرية فانها لم
تخرج مع لوط ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا قيل امطر الله
على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح
وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لاية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين
الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم
شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم

يقل

يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير
ونافع وابن عامر ليكة بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة
وهي اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفي ص بغير الف اتباعا للفظ اني لكم رسول امين فاتقوا
الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل اتموه
ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان
السوي وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلول
وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا شيئا من
حقوقهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي
خلقكم والجبلة الاولين وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق قالوا انما
انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين
للرسالة مبالغة في تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين في دعواك فاسقط علينا كسفا
من السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين
ان كنت من الصادقين في دعواك قال ربي اعلم بما تعملون وبعذابه المنزل عليكم ما اوجب
لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا بان
سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت
عليهم نارا فاحترقوا انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد
انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاتهم به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات
فلكية او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح
الامين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد به الروح
فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم
ينتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة
والروح الامين جبريل فانه امين الله على وحيه وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي بتشديد
الزاي ونصب الروح لتكون من المنذرين عما يؤدي الى عذاب من فعل او ترك بلسان
عربي مبين واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق
بالمنذرين اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد
عليهم الصلوة والسلام وانه لفي زبر الاولين وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة اولم
يكن لهم آية على صحة القرآن او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ان يعلمه علماء بني اسرائيل ان يعرفوه بنعته
المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم

والخبر لهم وان يعلمه بدلا والفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال او ان اسمها ضمير القصة وآية
خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة في اعجازه او
بلغة العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة كذلك سلكناه ادخلناه
في قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على انه بخلق الله
وقيل للقرآن اي ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا لا يؤمنون
به حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان فيأتيهم بغتة في الدنيا والآخرة وهم لا
يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا وتأسفا افبعذابنا يستعجلون
فيقولون امطر علينا حجارة فأتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة
افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون
لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون
انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى
الانذار او الرفع على انها صفة منذرين باضمار ذووا او بجعلهم ذكرى لامعانهم في
التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار
وما تنزلت به الشياطين كما زعم المشركون انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة وما ينبغي
لهم وما يصح لهم ان يتنزلوا به وما يستطيعون وما يقدرون انهم عن السمع لكلام الملائكة
لمعزولون لانه مشروط بمشاركة في صفاء الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور
الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق
ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين تهييج
لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين وانذر عشيرتك الاقربين الاقرب منهم
فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا
حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني
نذير لكم بين يدي عذاب شديد واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين لين جانبك لهم
مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع
لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان
فان عصوك ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز
الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرأ
نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم الى التهجد وتقلبك
في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف
تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير
لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع
والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه تعالى بعلمه بحاله التي بها يستأهل ولايته بعد وصفه

فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم

اي فخذا فخذا

منها سمع

بان من شانه

بان من شانه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه انه هو السميع
بما تقوله العليم بما تنويه هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم
لما بين ان القرآن لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا
صلى الله عليه وسلم لا يصلح ان يتنزلوا عليه من وجهين احدهما انه انما يكون على شرير كذاب
كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد صلى الله عليه وسلم
على خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع واكثرهم كاذبون اي الافاكون يلقون السمع
الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم
اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد
فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عليه وسلم فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى
وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم
على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضمائر للشياطين اي يلقون السمع الى
الملأ الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم او يلقون
مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما
تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون
واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استئناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله
الم تر انهم في كل واد يهيمون لان اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها واغلب كلماتهم في
النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والوعد الكاذب و
الافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه واليه اشار بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون
وكأنه لما كان اعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين
وفي اللفظ بانه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة
حال الرسول صلى الله عليه وسلم لحال اربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد
وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا
وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون
اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار
ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان صلى الله
عليه وسلم يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال
له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون
تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب
ينقلبون اي بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاه ابو بكر لعمر حين عهد اليه وقرئ اي
منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله
وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء

كان لمن الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم
وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم سورة النمل مكية وهي ثلث واربع وتسعون
اية بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك ايات القران وكتاب مبين الاشارة الى آي السورة و
الكتاب المبين اما اللوح وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتأخيره
باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او القران وابانته لما اودع فيه
من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه على القران كعطف احدى الصفتين على الاخرى
وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه هدى وبشرى
للمؤمنين حالان من الايات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران اخران او خبران
لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة الذين يعملون الصالحات من الصلوة والزكوة
وهم بالاخرة هم يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم
وثباته وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات
هم الموقنون بالاخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير
للاختصاص ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم زين لهم اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة
للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها فهم يعمهون
عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او نفع اولئك الذين لهم سوء العذاب كالقتل والاسر يوم بدر
وهم في الاخرة هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة وانك لتلقى
القران لتؤتاه من لدن حكيم عليم اي حكيم واي عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة لعموم
العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القران منها ما هي حكمة كالعقائد و
الشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم
بقوله اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا اي اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم
سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى
عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ او آتيكم بشهاب قبس
شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب
على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما
بصيغة الترجي في طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر
الامر وثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لعلكم تصطلون رجاء
ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي ان بورك اي بورك فان
النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان
اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة من
في النار ومن حولها من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ
الواد الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه عام في كل من في تلك الوادي

وحواليها

وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا
وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير
الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام وسبحان
الله رب العالمين من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من
عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته يا موسى انه انا الله الهاء للشان
وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله
ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا
حية الفاعل كل ما يفعله بحكمة وتدبير والق عصاك عطف على بورك اي نودي ان بورك
من في النار وان الق عصاك ويدل عليه قوله وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني
انا الله بتكرير ان فلما رآها تهتز تتحرك باضطراب كأنها جان حية خفيفة سريعة وقرئ
جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من عقب
المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه قوله يا موسى
لا تخف اي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله اني لا يخاف لدي المرسلون حين يوحى اليهم من
فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس اي من الله او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون منه
الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما يختلج
في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها
ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل متصل
وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف اي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة وادخل يدك في جيبك
لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء
آفة كبرص في تسع ايات في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل و
الضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا
واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب
في تسع ايات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاول يتعلق بنحو
مبعوثا ومرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال فلما جاءتهم اياتنا بان جاءهم
موسى بها مبصرة بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث
تكاد تبصر نفسها لو كانت مما تبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا عن
ان تهدي او مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا
هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها وكذبوا واستيقنتها انفسهم وقد استيقنتها
لان الواو للحال ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا من الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في الاخرة ولقد آتينا
داود وسليمان علما طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اي علم وقالا الحمد لله

عطف

بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا
شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يعني من لم يؤت
علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس
الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله
على ما آتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير وورث
سليمان داود النبوة او العلم او الملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا
تسعة عشر وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء تشهيرا لنعمة الله و
تنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من
عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان
او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه او التبع لقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق
والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات نازلة منزلة العبارات
سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما من جنسه ولعل سليمان عليه السلام مهما
سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك
ما حكي انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا
وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع
وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه
او له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك
فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين الذي لا يخفى على احد وحشر
لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون يحبسون بحبس اولهم على آخرهم
ليتلاحقوا حتى اذا اتوا على واد النمل وادي بالشام كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى
اما لان اتيانهم كان من علو او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره
كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادي قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم كانها لما
رأتهم متوجهين الى الوادي فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها الحاضرة
من النمال فتبعها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع
ان خلق الله فيها العقل والنطق لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها
عن التوقف بحيث يحطمونها كقولك لا ارينك ههنا فهو استئناف او بدل من الامر لا جواب له
فان النون لا يدخله في السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت
عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استئناف اي فهم سليمان والقوم لا يشعرون فتبسم
ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله
به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك
اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث لا انفك عنه التي انعمت علي

وعلى والدي ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه
والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية وان اعمل صالحا ترضاه اتماما للشكر واستدامة
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في عدادهم الجنة وتفقد الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها
الهدهد فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين ام منقطعة كانه لما لم يره ظن انه
حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال ما لي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك
واخذ يقول اهو غائب كانه يسأل عن صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه والقائه
في الشمس او حيث النمل تأكله او جعله مع ضده في قفص او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او ليأتيني
بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن
لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير ليأتينني
بنونين الاولى مفتوحة مشددة فمكث غير بعيد زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه
خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف فقال احطت بما لم تحط به يعني حال سبأ وفي مخاطبته اياه بذلك
تنبيه له على ان في ادنى خلق الله من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه
وقرئ بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق وجئتك من سبأ وقرأ ابن كثير برواية البزي وابو عمرو
غير مصروف على تأويل القبيلة او البلدة بنبأ يقين بخبر محقق روي انه عليه السلام لما اتم بناء
بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء
ظهرا فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحسن طلب الماء
فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فتواصفا
وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجائب قدرة الله وما
خص خاصة عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها اني
وجدت امرأة تملكهم بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير لسبأ او لاهلها واوتيت
من كل شيء يحتاج اليها الملوك ولها عرش عظيم عظمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها
وقيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا وسمكا او ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا
بالجواهر وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله كانهم كانوا يعبدونها و
زين لهم الشيطان اعمالهم عبادة الشمس وغيرها من مقابح اعمالهم فصدهم عن السبيل
سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون اليه الا يسجدوا فصدهم لئلا يسجدوا
او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا
وقرأ الكسائي ويعقوب الا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اي
الا يا قوم اسجدوا كقوله وقالت الا يا اسمع اعظك بخطة فقلت سميعا فانطق واصيبي
وعلى هذا صح ان يكون استئنافا من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون وكان امرا بالسجود
وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا
وهلا بقلب الهمزتين هاء والا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات

بخطة اي خصلة

والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون وصفه بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد
بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء ما خفي في غيره واخراجه
اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج
ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجوب والوجود
ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون بالتاء الله لا اله
الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين
بون عظيم قال سننظر سنتعرف من النظر بمعنى التأمل اصدقت ام كنت من الكاذبين اي
ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم
تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون ماذا يرجع بعضهم
الى بعض من القول قالت اي بعد ما القي اليها يا ايها الملؤ اني القي الي كتاب كريم لكرم مضمونه
او مرسله او لانه كان مختوما او لغرابة شانه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الابواب فدخل
الهدهد من كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به انه من سليمان استيناف كانه قيل لها
ممن هو وما هو فقالت انه اي الكتاب او العنوان من سليمان وانه اي المكتوب او المضمون
وقرئا بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا علي
ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلتها خبر محذوف اي هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل
من كتاب واتوني مسلمين مؤمنين او منقادين وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال
الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا او
التزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل
وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء
الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الدلالة قالت يا ايها الملؤ افتوني في امري اجيبوني في امري
المفتي واذكروا ما تستصوبون فيه ما كنت قاطعة امرا ما ابت امرا حتى تشهدون الا بمحضركم
استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة قالوا نحن اولوا قوة بالاجساد والعدد واولوا
باس شديد نجدة وشجاعة والامر اليك موكول فانظري ماذا تامرين من المقاتلة و
الصلح نطعك ونتبع رايك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها تزييف لما
احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح
مخافة ان يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان
الحرب سجال لا يدرى عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب ديارهم
الى غير ذلك من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون تاكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان
ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله عز وجل واني مرسلة اليهم بهدية
بيان لما ترى تقديمه في المصالحة والمعنى اني مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكي فناظرة
بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روي انها بعثت منذر بن عمرو في وفد

وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري
خرزة

وارسلت معهم غلمانا على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وثقب الدرة ثقبا مستويا
وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا عظم شانه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما
وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل عليه السلام بالحال فطلب الحق واخبر عما فيه فامر الارضة
فاخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء وكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في
الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية فلما جاء سليمان
اي الرسول او ما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا قال اتمدونن بمال خطاب للرسول ومن معه
او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ يعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة و
بنونين وحذف الياء فما آتاني الله من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه خير مما آتاكم فلا حاجة
لي الى هديتكم ولا وقع لها عندي بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من
الحيوة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم
والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتعليله الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو قياس
حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع ايها الرسول اليهم الى بلقيس و
قومها فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ
بهم ولنخرجنهم منها من سبأ اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم صاغرون اسراء مهانون
قال يا ايها الملؤا ايكم ياتيني بعرشها اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه الله به من العجائب الدالة
على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه
ام تنكره قبل ان ياتوني مسلمين فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها قال
عفريت خبيث مارد من الجن بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه
ذكوان او صخرا انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف
النهار واني عليه لقوي امين لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب آصف
ابن برخيا وزيره او الخضر او جبريل او ملك ايده الله به او سليمان نفسه فيكون التعبير عنه
بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب في انا آتيك به قبل
ان يرتد اليك طرفك للعفريت كانه استبطأه فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة في
نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتاتى له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد
بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح المحفوظ او نوع للعلم واتيك في الموضعين صالح للفعلية
والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال
الطرف كما في قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر
وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شيء فقبل
ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع ومثل فيه فلما رآه اي
العرش مستقرا عنده حاصلا بين يديه قال تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من
عباد الله هذا من فضل ربي تفضل به علي من غير استحقاق ولا شاني الى التمكن من احضار

العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان مثله
قد مر في اية الاسراء ليبلوني أأشكر ام اكفر بان اراه فضلا من الله بلا حول مني
ولا قوة واقوم بحقه او اكفر بان اخذ نفسي في البين او اقصر في اداء مواجبه ومحلها
النصب على البدل من الياء ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها
ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران ومن كفر فان ربي غني عن الشكر
كريم بالانعام عليه ثانيا قال نكروا لها عرشها بتغيير هيئته وشكله ننظر جوابا لها
وقرئ بالرفع على الاستئناف أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون الى معرفته او الجواب الصواب
وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب
موكلة عليها الحراس فلما جاءت قيل أهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها
اذ ذكرت عنده بسخافة العقل قالت كأنه هو ولم تقل هو هو لاحتمال ان يكون مثله
وذلك من كمال عقلها واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كأنها ظنت انه
اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت واوتينا العلم من قبلها بكمال قدرة الله
وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه كلام سليمان وقومه عطفوه
على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها
تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر الا على الانبياء
اي واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل
على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا له وصدها
ما كانت تعبد من دون الله اي وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام او وصدها
الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان انها كانت من قوم كافرين وقرئ بالفتح على الابدال من
فاعل صدها على الاول اي صدها نشؤها بين اظهر الكفار او التعليل له قيل لها ادخلي
الصرح القصر وقيل عرصة الدار فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها روي انه امر قبل
قدومها فبني قصر صحنه من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه حيوانات البحر ووضع
سريره في صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وعن ابن كثير
سأقيها بالهمز حملا على جمعه سؤق واسوق قال انه اي ما ظنته ماء صرح ممرد مملس
من قوارير من الزجاج قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادتي الشمس وقيل بظني بسليمان فانها
حسبت انه يغرقها في اللجة واسلمت مع سليمان لله رب العالمين فيما امر به عباده وقد
اختلف في انه تزوجها او زوجها من ذي تبع ملك همدان ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم
صالحا ان اعبدوا الله بان اعبدوا وقرئ بضم النون على اتباع الباء فاذا هم فريقان
يختصمون ففاجؤوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين
قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل التوبة
فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ لولا

تستغفرون الله قبل نزوله لعلكم ترحمون بقبولها فانها لا تقبل حينئذ قالوا اطيرنا بك
وبمن معك اذ تتابعت علينا الشدائد او وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم قال
طائركم سببكم الذي جاء منه شركم عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده بل انتم
قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضطراب من باب طائركم الذي هو مبدأ
ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة تسعة رهط تسعة انفس وانما وقع
تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة او السبعة الى العشرة والنفر
من الثلاثة الى التسعة يفسدون في الارض ولا يصلحون اي شأنهم الافساد الخالص عن شوب
الصلاح قالوا اي قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر مقول او خبر وقع بدلا او
حالا باضمار قد لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله في القراءات الثلاث ليلا وقرأ حمزة
والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر ثم لنقولن فيه
القراءات الثلاث لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك اهله فضلا ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل
المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ
ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا وانا لصادقون ونحلف انا لصادقون او والحال انا لصادقون
فيما ذكرنا لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه
ومهلكهم كقولك ما رأيت ثم رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا
بان جعلناها سببا لاهلاكهم وهم لا يشعرون بذلك روي انه كان لصالح في الحجر مسجد
في شعب يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فذهبوا
الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثم وهلك الباقون
في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه بقوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين
وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استئناف او خبر محذوف لا خبر كان لعدم
العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على
انه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية خالية من خوى
البطن اذا خلا او ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الاشارة
وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك لآية لقوم يعلمون
فيتعظون وانجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون الكفر والمعاصي فلذلك
خصوا بالنجاة ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه
اذ قال لقومه بدل على الاول ظرف على الثاني أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون تعلمون
فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم
كانوا يعلنون بها فيكون افحش أئنكم لتأتون الرجال شهوة بيان لاتيانهم الفاحشة و
تعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر
من دون النساء اللاتي خلقن لذلك بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون

سفههما لا تميز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون
عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها
من الغابرين قدرنا كونها من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين
مر مثله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بعد
ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظمة شأنه وما خص به رسله من الآيات
الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليهم
او علمه ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا بان يحمده
على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك آلله خير
اما يشركون الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه رأسا
حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء امن خلق
السموات والارض التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع وقرئ أمن بالتخفيف على انه بدل
من الله وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة عدل به عن الغيبة الى
التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع
المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله ما كان لكم ان
تنبتوا شجرها شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق وهو الاحاطة أإله مع الله أغيره يقرن
به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ أإلها باضمار فعل مثل أتدعون او
أتشركون وتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون عن الحق الذي
هو التوحيد امن جعل الارض قرارا بدل من امن خلق السموات وجعلها قرارا ابدى بعضها من
الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها وجعل خلالها انهارا جارية
وجعل لها رواسي جبالا يتكون فيها المعادن وينبع من حضيضها المنابع وجعل بين
البحرين العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا وقد مر بيانه في الفرقان
أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيشركون امن يجيب المضطر اذا دعاه المضطر الذي
احوجه شدة ما به الى اللجأ الى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس
لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف السوء ويدفع عن الانسان ما يسوءه
ويجعلكم خلفاء الارض خلفاء فيها بان ورثكم سكناها من قبلكم والتصرف فيها أإله مع الله
الذي خلقكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلا ما تذكرون اي تذكرون الآية تذكرا
قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ ابو عمرو وروح
بالياء وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال امن يهديكم في ظلمات البر والبحر بالنجوم
وعلامات الارض وظلمات الليالي اضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق
يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يعني المطر و

مع

مع ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار
حرها وتموجها المهوا فلو شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله
والفاعل للسبب فاعل للمسبب أإله مع الله يقدر على شيء من ذلك تعالى الله عما يشركون
تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق امن يبدأ الخلق ثم يعيده والكفرة
وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم من السماء والارض اي
باسباب سماوية وارضية أإله مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم على ان غيره
يقدر على شيء من ذلك ان كنتم صادقين في اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية
قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة
العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى
على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن في السموات والارض ففيها من يعلم الغيب
مبالغة في نفيه عنهم او متصل على ان المراد ممن في السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع
عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولي العلم من خلقه وهو موصول او موصوف
وما يشعرون ايان يبعثون متى ينشرون مركبة من اي وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير
وقيل للكفرة بل ادارك علمهم في الآخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم
بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم
من الحجج والآيات وهو ان القيمة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي بل هم في شك منها كمن تحير
في امر لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان
اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل و
الاضرابات الثلث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيمة عنهم و
وصفهم باستحكام علمهم في امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم
ادركت الثمرة لانها تلك غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بل
ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في
الهلاك وابو بكر ادّرك واصلهما تفاعل وافتعل وقرئ أأدرك بهمزتين وألف بينهما وبل
ادرك وبل تدارك وبلى ادرك وبلى أأدرك وأم ادرك وأم تدارك وما فيه استفهام
صريح او مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على
التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها
بل انهم منها عمون اورد لشعورهم وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون كالبيان
لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام
مانعة من عمل ما بعدها فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث
او من حال الفناء الى الحياة لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل من قبل وعد محمد صلى الله عليه وسلم
وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث ان هذا

الا اساطير الاولين التي هي كالاسمار قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين
تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين
ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن
في ضيق في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اي امر ضيق مما يمكرون
من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ويقولون متى هذا الوعد العذاب الموعود ان كنتم
صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد او الفعل
مضمن معنى فعل يعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون حلوله
وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه
اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله تعالى
ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس بتأخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة
الافضال وجمعها فضول وفواضل ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه
فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه
وقرئ بفتح التاء من كننت اي سترت وما يعلنون من عداوتك فيجازيهم عليه وما من غائبة في
السماء والارض من خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او
اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عافية وعاقبة الا في كتاب مبين بين او مبين ما فيه لمن يطالعه
والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه
يختلفون كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وانه لهدى ورحمة للمؤمنين
فانهم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل
عليه انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه فتوكل
على الله ولا تبال بمعاداتهم انك على الحق المبين وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله
ونصره انك لا تسمع الموتى تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن مشايعتهم
ومعاضدتهم رأسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا
بالصم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان اسماعهم في هذه الحال ابعد
وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر
وقرأ حمزة وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا من يؤمن باياتنا من هو
في علم الله كذلك فهم مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله واذا وقع القول عليهم اذا
دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب اخرجنا لهم دابة من الارض
وهي الجساسة روي ان طولها ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها
هارب ولا يدركها طالب وروي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن مخرجها فقال من اعظم المساجد
حرمة على الله يعني المسجد الحرام تكلمهم من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروي
انها تخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض

وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ان الناس كانوا باياتنا خروجها
وسائر احوالها فانها من ايات الله وقيل القران لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معنى
قولها او حكايتها لقول الله عز وجل او علة خروجها او تكلمها على حذف الجار ويوم نحشر من كل
امة فوجا يعني يوم القيمة ممن يكذب باياتنا بيان للفوج اي فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض
لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين فهم يوزعون يحبس اولهم على
اخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم حتى اذا جاؤا الى المحشر
قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال اي اكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين
فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب او للعطف اي اجمعتم بين
التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها اماذا كنتم تعملون ام اي شيء كنتم تعملون بعد
ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك
ووقع القول عليهم حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم
وهو التكذيب بايات الله فهم لا ينطقون باعتذار لشغلهم بالعذاب الم يروا ليتحقق لهم التوحيد
ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته
لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على
ابدال الموت بالحيوة في مواد الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم
لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه
بالنوم والقرار والنهار مبصرا فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله
المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون لدلالتها على الامور الثلثة
ويوم ينفخ في الصور في الصور او القرن صورة وصور كصوفة وصوف وقيل انه تمثيل لانبعاث
الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع من في السموات ومن في الارض من الهول وعبر
عنه بالماضي لتحقق وقوعه الا من شاء الله ان لا يفزع بان يثبت قلبه قيل هم جبرائيل وميكائيل
واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل
المراد ما يعم ذلك وكل اتوه حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرأ حمزة
وحفص اتوه على الفعل وقرئ اتاه لتوحيد لفظ الفعل داخرين صاغرين وقرئ دخرين
وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب في السرعة وذلك لان الاجرام
الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه و
هو مضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله الذي اتقن كل شيء احكم خلقه وسواه على ما ينبغي
انه خبير بما تفعلون عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة
فله خير منها اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة وقيل خير منها اي خير حاصل
من جهتها وهو الجنة وهم من فزع يومئذ امنون يعني به خوف عذاب يوم القيمة وبالاول ما يلحق
الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيون بالتنوين

لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وآمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله
ومن جاء بالسيئة قيل بالشرك فكبت وجوههم في النار فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان
يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدي في قوله ولا تلقوا بايديكم هل تجزون الا
ما كنتم تعملون على الالتفات او باضمار القول اي قيل لهم ذلك انما امرت ان اعبد
رب هذه البلدة الذي حرمها امر الرسول ان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدأ و
المعاد وشرح احوال القيمة اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال
بشانه والاستغراق في عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشانها
وفي الذي حرمها وله كل شيء خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين او الثابتين
على ملة الاسلام وان اتلوا القران وان اواظب على تلاوته لينكشف لي حقايقه في تلاوته
شيأ فشيأ او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى باتباعه اياي في ذلك
فانما يهتدي لنفسه فان منافعه عائدة اليه ومن ضل بمخالفتي فقل انما انا من المنذرين
فلا علي من وبال ضلاله شيء اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة
النبوة او على ما علمني ووفقني للعمل به سيريكم اياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر و
خروج دابة الارض او في الاخرة فتعرفونها فتعرفون انها ايات الله ولكن حين لا ينفعكم
المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون فلا تحسبوا ان تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرأ
نافع وابن عامر وحفص بالتاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وصالح وابرهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو
ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية

وقيل الا قوله الذين اتيناهم الكتاب
الى قوله الجاهلين ثمان وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك ايات الكتاب
المبين نتلو عليك نقرؤه بقراءة جبريل ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا من نبأ موسى وفرعون
بعض نبأهما مفعول نتلو بالحق محقين لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به ان فرعون علا
في الارض استئناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر وجعل اهلها شيعا فرقا
يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه استعمل كل صنف
في عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة لئلا يتفقوا عليه يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل
والجملة حال من فاعل جعل او صفة شيعا او استئناف وقوله يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل
منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك
كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين
فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ونريد ان نمن على الذين
استضعفوا في الارض ان نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية
معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ او حال من يستضعف و
لا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد لجواز ان يكون تعلق الارادة

به حينئذ

به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز ان يجري
مجرى المقارن ونجعلهم ائمة مقدمين في امر الدين ونجعلهم الوارثين لما كان في ملك فرعون
وقومه ونمكن لهم في الارض ارض مصر والشام واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه
ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم من بني اسرائيل
ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرأ حمزة والكسائي ويرى
بالياء وفرعون وهامان بالرفع واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك
اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس به فالقيه في اليم في البحر يريد النيل ولا تخافي عليه ضيعة
ولا شدة ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك عن قريب تامنين عليه وجاعلوه من المرسلين
روي انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى
على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها من السعاية
فارضعته ثلثة اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت تابوتا
فقذفته في النيل فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل لالتقاطهم
اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائي حزنا ان فرعون
وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شيء فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم
اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون وقيل مذنبين فعاقبهم الله بان ربى
عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتاكيد خطاهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين
تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطأ وقالت امرأت فرعون اي لفرعون حين اخرجته من
التابوت قرت عين لي ولك وقرت عين لنا لانهما لما راياه اخرج من التابوت احباه او
لانه كانت لهما ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه
فبرأت وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها لا تقتلوه
خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان فيه مخائل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت
من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه او نتخذه ولدا او نتبناه
فانه اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين او من القائلة والمقول له اي وهم لا يشعرون
انهم على الخطأ في التقاطه او في طمع النفع منه والتبني له او من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس
اي وهم لا يشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا خاليا صفرا من العقل لما
دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون لقوله وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول
فيها ويؤيده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر او من الهم لفرط وثوقها
بوعد الله او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به انها كادت
لتظهر موسى اي بامره وقصته من فرط الضجر او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها
بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله او من الواثقين بحفظه
لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ موسى اجراء للضمة في جار الواو مجرى ضمتها في استدعاء

همّت بها همزًا واو وجوب وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دلّ عليه ما قبله وقالت
لأخته مريم قصّيه اتبعي أثره وتتبعي خبره فبصرت به عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب
وعن جنب وهو بمعناه وهم لا يشعرون أنها تقصّ أو أنها أخته وحرّمنا عليه المراضع
ومنعناه أن يرتضع من المرضعات جمع مرضع أو مرضع وهو الرضاع أو موضعه يعني
الثدي من قبل من قبل قصّها أثره فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون
لا يقصرون في إرضاعه وتربيته روي أن هامان لما سمعه قال إنها لتعرفه وأهله
خذوها حتى تخبر بحاله فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون فأمرها فرعون بأن
تأتي بمن يكفله فأتت بأمها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها
استأنس والتقم ثديها فقال لها من أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك فقالت إني امرأة
طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني فدفعه إليها وأجرى لها عليها فرجعت به إلى بيتها
من يومها وهو قوله فرددناه إلى أمه كي تقرّ عينها بولدها ولا تحزن بفراقه ولتعلم أن
وعد الله حق علم مشاهدة ولكن أكثرهم لا يعلمون أن وعده حق فيرتابون فيه أو
أن الغرض الأصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت
بوقوعه في يد فرعون ولما بلغ أشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوءه وذلك من ثلاثين إلى
أربعين سنة فإن العقل يكمل حينئذ وروي أنه لم يبعث نبي إلا على رأس الأربعين واستوى
قده أو عقله آتيناه حكمًا نبوة وعلمًا بالدين أو علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه
فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو أوفق لنظم القصة لأنه استنبئ بعد الهجرة في
المراجعة وكذلك مثل ذلك الذي فعلنا بموسى وأمه نجزي المحسنين على إحسانهم ودخل المدينة
ودخل مصر آتيًا من قصر فرعون وقيل منف أو حابين أو عين شمس من نواحيها على حين غفلة
من أهلها في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين
فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه أحدهما ممن شايعه على دينه و
هم بنو إسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والإشارة على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته
على الذي من عدوه فسأله أن يغيثه بالإعانة ولذلك عدّي بعلى وقرئ استعانه فوكزه
موسى فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه أي فضرب به صدره فقضى عليه فقتله وأصله
أنهى حياته من قوله وقضينا إليه ذلك الأمر قال هذا من عمل الشيطان لأنه لم يؤمر بقتل الكفار
أو لأنه كان مأمونًا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ و
إنما عدّه من عمل الشيطان وسماه ظلمًا واستغفر منه على عادتهم في استعظام محقرات
فرطت منهم إنه عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال رب إني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي ذنبي
فغفر له باستغفاره إنه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قال رب بما أنعمت علي قسم
محذوف الجواب أي أقسم بإنعامك علي بالمغفرة وغيرها لأتوبن فلن أكون ظهيرًا للمجرمين
أو استعطاف أي بحق إنعامك علي اعصمني فلن أكون معينًا لمن أدت معاونته إلى جرم وعن ابن

لعله

عباس رض

منف غير منصرف للتأنيث والعلمية والعجمة كما وجد كذا

أنه

أنه لم يستثن فابتلي به مرة أخرى وقيل معناه بما أنعمت علي من القوة أعين أولياءك فلن
أستعملها في مظاهرة أعدائك فأصبح في المدينة خائفًا يترقب يترصد الاستقادة فإذا
الذي استنصره بالأمس يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ قال له موسى إنك لغوي
مبين بيّن الغواية لأنك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما أن أراد أن يبطش بالذي
هو عدو لهما لموسى والإسرائيلي لأنه لم يكن على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل
قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس قاله الإسرائيلي لأنه لما سماه غويًا ظن
أنه يبطش عليه أو القبطي وكأنه توهم من قوله أنه الذي قتل القبطي بالأمس لهذا الإسرائيلي إن
تريد ما تريد إلا أن تكون جبارًا في الأرض تتطاول على الناس ولا تنظر إلى العواقب وما تريد
أن تكون من المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي أحسن ولما قال هذا انتشر الحديث
وارتقى إلى فرعون وملئه فهمّوا بقتله فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال
وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى يسرع صفة الرجل أو حال منه إذا جعل من أقصى المدينة صفة
له لا صلة لجاء لأن تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك
يتشاورون بسببك وإنما سمي التشاور ائتمارًا لأن كلًا من المتشاورين يأمر الآخر و
يأتمر فاخرج إني لك من الناصحين اللام للبيان وليس صلة للناصحين لأن معمول الصلة لا يتقدم
الموصول فخرج منها من المدينة خائفًا يترقب لحوق طالب قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني
منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين
ابن إبراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان قال عسى ربي أن
يهديني سواء السبيل توكلًا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعنّ له ثلاث طرق
فأخذ في أوسطها وجاء الطلاب عقيبه فأخذوا في الآخرين ولما ورد ماء مدين وصل إليه
وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه وجد فوق شفيره أمة من الناس جماعة كثيرة مختلفين
يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في مكان أسفل من مكانهم امرأتين تذودان تمنعان
أغنامهما عن الماء لئلا تختلط بأغنامهم قال ما خطبكما ما شأنكما تذودان قالتا
لا نسقي حتى يصدر الرعاء يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرًا عن مزاحمة الرجال وحذف
المفعول لأن الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه إلى السقي لهما ثم دونه وقرأ أبو عمرو
وابن عامر يصدر أي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال وأبونا شيخ
كبير كبير السن لا يستطيع أن يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارًا فسقى لهما مواشيهما رحمة
عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرًا لا يقله إلا سبعة رجال أو أكثر
فأقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرًا أخرى عليها
صخرة فرفعها واستقى منها ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي لأي شيء أنزلت
إلي من خير قليل أو كثير وحمله الأكثرون على الطعام فقير محتاج سائل ولذلك عدي
باللام وقيل معناه إني لما أنزلت إلي من خير الدين صرت فقيرًا في الدنيا لأنه كان في سعة عند فرعون

من القود

فالغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك فجاءته احديهما تمشي على استحياء اي مستحيية متخفرة
قيل كانت الصغرى منهما واسمها صفورا او صفرا وهي التي تزوجها موسى قالت ان ابي يدعوك
ليجزيك ليكافيك اجر ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية
الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر بل روي انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع
عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا
هذا وان من فعل معروفا فاهدي بشيء لم يحرم اخذه فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف
نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون وقومه قالت احديهما يعني التي استدعته يا ابت استأجره
لرعي الغنم ان خير من استأجرت القوي الامين تعليل جامع يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار
للمبالغة فيه جعل خير اسما وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امر مجرب معروف روي
ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب رأسه
حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على
ان تأجرني ان تأجر نفسك مني او تكون لي اجيرا او تثيبني من اجرك الله ثماني حجج ظرف
على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اي رعية ثماني حجج فان اتممت عشرا عملت
عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء العقد
لا نفسه فلعله جرى على معينة وبمهر اخر او برعيه الاجل الاول ووعد له ان يوفي الاخر ان
تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك وما اريد ان
اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال و
اشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ورأيك
في مزاولته ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء اطولهما او
اقصرهما بالمعاهدة قال ذلك بيني وبينك اي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج
عنه ايما الاجلين اطولهما او اقصرهما قضيت وفيتك اياه فلا عدوان علي لا يعتدى
علي بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثمان او فلا
اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم علي وهو ابلغ في اثبات الخيرة وتساوي
الاجلين في القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي وقرئ ايما كقوله
تنظرت نصرا والسماكين ايهما على من الغيث استهلت مواطره واي الاجلين ما قضيت
فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل اي اي الاجلين جردت عزمي لقضائه وعدوان بالكسر
والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد حفيظ فلما قضى موسى الاجل وسار باهله
بامرأته روي انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عشرا اخر ثم عزم على الرجوع آنس
من جانب الطور نارا ابصر من الجهة التي تلي الطور قال لاهله امكثوا اني آنست نارا
لعلي آتيكم منها بخبر بخبر الطريق او جذوة من النار عود غليظ سواء كان في رأسه نار
او لم يكن قال باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر والقى على قبس

اثابه اثابة وثوابه ثوبا يثيبه وهو الثواب والمثوبة اي العوض

من النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها ولذلك بينه بقوله من النار وقرأ عاصم بالفتح
وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون بها فلما اتيها نودي من شاطئ الواد
الايمن اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او
صلة لنودي من الشجرة بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ان
يا موسى اي يا موسى اني انا الله رب العالمين هذا وان خالف ما في طه والنمل لفظا فهو
طبقه في المقصود وان الق عصاك فلما رآها تهتز اي فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت
فلما رآها تهتز كانها جان في الهيئة والجثة او السرعة ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب
ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين من المخاوف فانه لا يخاف
لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك ادخلها تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك
يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس
او بادخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك في وجه العدو اظهار جراءة
ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية
استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمأن ضمهما اليه من الرهب
من اجل الرهب اي اذا اعتراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ
ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرأ حفص بالفتح والسكون وقرئ بضمتيهما
وكلها لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس برهانان
حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض
ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن من ربك مرسلا بهما الى
فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقاء بان يرسل اليهم قال رب اني قتلت
منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بها واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا
معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق
وتقرير الحجة وتزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل
المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم
وحمزة يصدقني بالرفع على انه صفة والجواب محذوف قال سنشد عضدك باخيك سنقويك
به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة
العضد ونجعل لكما سلطانا غلبة او حجة فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج بآياتنا
متعلق بمحذوف اي اذهبا بآياتنا او بنجعل اي نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون
منهم او قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون في قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى
انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات
قالوا ما هذا الا سحر مفترى سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله او سحر تعمله ثم تفتريه على الله او سحر
موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر او ادعاء النبوة في آبائنا

الاولين كائنا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جا بالهدى من عنده فيعلم اني محق
وانتم مبطلون وقرا ابن كثير قال بغير واو لانه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد
حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار
العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا
الى الاخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض وقرا حمزة
ويكون بالياء انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى وقال
فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده
ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر ببنا الصرح ليصعد اليه ويتطلع على الحال بقوله فاوقد
لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان
جسما في السما يمكن الترقي اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا
يترصد منها اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل
المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه
بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها
انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الاجر فرعون ولذلك امر باتخاذه
على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك ناداه باسمه بيا في وسط
الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم الينا
لا يرجعون بالنشور وقرا حمزة ونافع ويعقوب بفتح اليا وكسر الجيم فاخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشان الاخذ واستحقار للماخوذين كانه
اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها
وجعلناهم ائمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون الى
النار الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم في
هذه الدنيا لعنة يلعنهم الملائكة والمؤمنون ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين او ممن
قبح وجوههم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اقوام نوح
وهود وصالح ولوط بصائر للناس انوار القلوبهم يتبصر بها الحقايق ويميز بين الحق و
الباطل وهدى الى الشرايع التي هي سبل الله ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله تعالى
لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت وما كنت
بجانب الغربي يريد الوادي او الطور فانه كان في شق الغرب من مقام موسى او الجانب الغربي منه
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي ما كنت حاضرا اذ قضينا الى موسى الامر اذ اوحينا
اليه الامر الذي اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم السبعون

المختارون

المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن
المغيبات التي لا يعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا انشانا قرونا
فتطاول عليهم العمر اي ولكنا اوحيناه اليك لانا انشانا قرونا مختلفة بعد موسى
فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرايع واندرست العلوم فحذف المستدرك
واقام سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين شعيب والمؤمنين به تتلو عليهم
تقرا عليهم تعلما منهم آياتنا التي فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين لك
بها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به وقت اعطائه التورية وبالاول
حين ما استنباه لانهما المذكوران في القصة ولكن رحمة من ربك ولكن علمناك رحمة
وقرئ بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما متعلق بالفعل المحذوف ما اتاهم من نذير من
قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين
اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى عليهما السلام كانت مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم
لعلهم يتذكرون يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا
لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها
لانها لما اجيبت بالفا تشبيها لها بالامر مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء
المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب
به وانه لا يصدر عنهم حتى يلجاهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم
عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها
ونكون من المصدقين ما ارسلناك اي انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم
فنتبع آياتك يعني الرسول المصدق بنوع من المعجزات ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا
قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرهما اقتراحا وتعنتا اولم
يكفروا بما اوتي موسى من قبل يعني ابنا جنسهم في الراي والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان
فرعون عربيا من اولاد عاد قالوا ساحران يعنيان موسى وهرون او موسى ومحمد تظاهرا
تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقرا الكوفيون سحران بتقدير مضاف او جعلهما
سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا على
الادغام وقالوا انا بكل كافرون اي بكل منهما او بكل الانبياء قل فاتوا بكتاب
من عند الله هو اهدى منهما مما نزل على موسى وعلى واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد
ان المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما السلام اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران
مختلقان وهذا من الشروط التي يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجي حرف الشك للتهكم بهم
فان لم يستجيبوا لك دعاك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به و
لان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعا وباللام الى الداعي فاذا عدي اليه حذف الدعا
غالبا كقوله وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب فاعلم انما يتبعون

اهواءهم اذ لو اتبعوا الحجة لأتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفي بغير هدى
من الله في موضع الحال للتوكيد او التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله
لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى ولقد وصلنا
لهم القول اتبعنا بعضه بعضا في الانزال ليتصل التذكير او في النظم لتتقرر الدعوة بالحجج
والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر لعلهم يتذكرون فيؤمنون ويطيعون الذين آتيناهم
الكتاب من قبله هم به يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل الانجيل
اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر الطيار من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن
كالمستكن في واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به اي بانه كلام الله انه الحق من ربنا استيناف
لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من قبله مسلمين استيناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما
احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام
قبل نزول القرآن او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما
مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين
او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ويدرؤن
بالحسنة السيئة ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها
ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا
للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة
عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي من احببت لا تقدر
ان تدخله في الاسلام ولكن الله يهدي من يشاء فيدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين
بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخي قد علمت
انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف
من ارضنا نخرج منها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن
اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا اولم
نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه يجبى اليه
يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء ثمرات كل شيء من كل اوب رزقا
من لدنا فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف اذا
ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا
يتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان
ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى
يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا

من بأس الله

من بأس الله على ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي وكم من اهل قرية
كانت حالهم كحالكم في الامن وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم
فتلك مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما
او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا نحن الوارثين
منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب
معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان
مضاف اليه او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت وما كان ربك وما كانت عادته
مهلك القرى حتى يبعث في امها اصلها التي مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت هي اعمالها
لان اهلها يكون افطن وانبل رسولا يتلو عليهم آياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة وما
كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو في الكفر وما اوتيتم من شيء من
اسباب الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها تتمتعون وتتزينون به مدة حيوتكم المنقضية
وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى لانه
ابدي افلا تعقلون فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرأ ابو عمرو بالياء وهو
ابلغ في الموعظة افمن وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فانه حسن الموعود فهو لاقيه
مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية كمن
متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع
ثم هو يوم القيمة من المحضرين للحساب او العذاب وثم للتراخي في الزمان او الرتبة وقرأ نافع والكسائي
في رواية ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتي
قبلها ولذلك رتبت عليها بالفاء ويوم يناديهم عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول
اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما
قال الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين وغيره من آيات الوعيد ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هؤلاء هم الذين اغويناهم فحذف
الراجع الى الموصول اغويناهم كما غوينا اي اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو
استيناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا
ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاد زيادة على الصفة
وهو وان كانت فضلة لكنه صار من اللوازم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروا من الكفر
هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ما كانوا ايانا يعبدون
اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اي
اي تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم
لعجزهم عن الاجابة والنصرة ورأوا العذاب لازما بهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من
الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمني اي تمنوا انهم كانوا

مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول فانه تعالى يسأل
اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء
كالعمى عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان
ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره و
المراد بالانباء ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون في الجواب عن مثل ذلك
من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه
معنى الخفاء فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه
مثله فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين
عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق
ما يشاء ويختار لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير و
ظاهره نفي الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله
منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك
خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل في قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم وقيل ما موصولة مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار الذي كان لهم فيه
الخيرة اي الخير والصلاح سبحان الله تنزيها له ان ينازعه احد ويزاحم اختياره اختيار وتعالى
عما يشركون عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة الرسول
وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا
هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولي للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة
كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا
بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ في كل شيء واليه ترجعون بالنشور قل
ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص
الى يوم القيامة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله يأتيكم
بضياء كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين افلا
تسمعون سماع تدبر واستبصار قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة
باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون
فيه استراحة عن متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته
مقصود بنفسه ولا كذلك الليل حيث قال تسكنون فيه ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله
ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر
من استفادته من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله
في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ويوم
يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب

لغضب الله

لغضب الله من الاشراك به والاول لتقرير فساد رأيهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند
وانما كان محض تشه وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم
بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا حينئذ ان
الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا
يفترون من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي
وكان ممن آمن به فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم
قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل او حسدهم لما روي انه لما قال لموسى لك
الرسالة ولهارون الحبورة وانا في غير شيء الى متى اصبر وآتيناه من الكنوز من الاموال المدخرة
ما ان مفاتحه مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها
المفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل
اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء
على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر والفرح بالدنيا
مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها
من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه
انتقالا ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبة الله فقال
ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه
فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسي
نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك او تأخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله
كما احسن الله اليك فيما انعم عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام
ولا تبغ الفساد في الارض نهي له عما كان عليه من الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم
قال انما اوتيته على علم عندي فضلت به الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال
وعلى علم في موضع الحال وهو علم التوراة وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة
والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك
جاز هذا عندي اي في ظني واعتقادي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون
من هو اشد منه قوة واكثر جمعا تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه
بذلك لانه قرأه في التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي
هذا العلم منه اي اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعى ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع
الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة
فانهم يعذبون بها بغتة كانه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه و
اغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن ما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم
عليها لا محالة فخرج على قومه في زينته كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها

قارون اسم اعجمي مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف
وقيل سمي قارون لانه ... وقيل ... ابن عم موسى ... بن يصهر بن قاهث
ابن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث بن يصهر ... وقيل كان موسى ابن اخيه

وقيل كانت تحمل مفاتح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع
وكانت من جلود ...

مُسْرَجٍ من ذهب ومعه اربعة الاف على زيّه قال الذين يريدون الحيوة الدنيا على ما هو
عادة الناس من الرغبة يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون تمنّوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد
انه لذو حظ عظيم من الدنيا وقال الذين اوتوا العلم باحوال الاخرة للمتمنين ويلكم دعا
بالهلاك استعمل للزجر عما لا يُرتضى ثواب الله فى الاخرة خير لمن امن وعمل صالحا مما اوتى
قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقيها الضمير فيه للكلمة التى تكلم بها العلماء او للثواب فانه
بمعنى المثوبة او للجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما فى معنى السيرة والطريقة الا الصابرون
على الطاعات وعن المعاصى فخسفنا به وبداره الارض روى انه كان يوذى موسى عليه السلام
كل وقت وهو يداريه لقرابته امر الله حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه
فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بنى اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما
كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنا غير محصن جلدناه ومن زنا
محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت
بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على ان ارمى
بنفسى فخر موسى شاكيا منه الى ربه فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه
فاخذته الى ركبته ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم قال
خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه فى هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه
ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتى لو دعانى مرة لاجبته ثم قال بنو اسرائيل انما
فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة اعوان مشتقة من فاوت
رأسه اذا ميلته ينصرونه من دون الله فيدفعون عنه عذابه وما كان من المنتصرين
الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع واصبح الذين تمنوا
مكانه بالامس منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكان الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضى البسط ولا لهوان
يوجب القبض وويكان عند البصريين مركب من وى للتعجب وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه
الامر ان الله يبسط وقيل من ويك بمعنى ويلك وان وتقديره ويك اعلم ان الله لولا
ان من الله علينا فلم يعطنا ما تمنينا لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف بنا
لاجله وقرأ حفص بفتح الخاء والسين ويكانه لا يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون برسله
وبما وعدوا لهم من ثواب الاخرة تلك الدار الاخرة اشارة تعظيم كانه قال تلك التى
سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض
غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون والعاقبة المحمودة للمتقين
ما لا يرضاه الله من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة فلا
يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد
السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون مثل ما كانوا يعملون وحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون

مبالغة

فبرطل اي بتزوير رشوة

مبالغة فى المماثلة ان الذى فرض عليك القران اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل
بما فيه لرادك الى معاد اى معاد وهو المقام المحمود الذى وعدك ان يبعثك فيه او مكة التى
اعتدت بها على انه من العادة رده اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين اكد ذلك
بوعد المحسنين ووعيد المسيئين ووعده بالعاقبة الحسنى فى الدارين روى انه لما بلغ
جحفة فى مهاجره اشتاق الى مولده ومولد ابائه فنزلت قل ربى اعلم من جاء بالهدى وما
يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم ومن هو فى ضلال مبين وما استحقه
من العذاب والاذلال يعنى به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وما كنت
ترجو ان يلقى اليك الكتاب اى سيردك الى معاد كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا
رحمة من ربك ولكن القاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قال وما
القى اليك الكتاب الا رحمة اى لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم
والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك عن ايات الله عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك
وقرئ يُصِدّنك من اصد وادع الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم
ولا تدع مع الله الها اخر هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم لا اله
الا هو كل شىء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم
له الحكم القضاء النافذ فى الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ
طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك فى السموات والارض
الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون اية
بسم الله الرحمن الرحيم الم سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل استقلاله
بنفسه او بما يضمر معه احسب الناس الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة
ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما كقوله ان يتركوا ان يقولوا
امنا وهم لا يفتنون فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك اول
مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم هو الثانى كقولك حسبت ضربه للتأديب وانفسهم متروكين
غير مفتونين لقولهم امنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمجاهدة والمهاجرة ورفض
الشهوات ووظائف الطاعات وانواع المصائب فى الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق
والثابت فى الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالى الدرجات فان مجرد الايمان
وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص من الخلود فى العذاب روى انها نزلت فى ناس من الصحابة
جزعوا من اذى المشركين وقيل فى عمار قد عذب فى الله وقيل فى مهجع مولى عمر بن الخطاب رضى
رماه عامر بن الحضرمى بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته ولقد فتنا الذين من قبلهم
متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية فى الامم كلها فلا ينبغى ان
يتوقع خلافه فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا
يتميز به الذين صدقوا فى الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل

المعنى وليجزيه او ليجازين وقرئ وليُعلِمَنّ من الاعلام اى وليعرفنهم الناس او وليسمنهم بسمة
يعرفونهم بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات الكفر
والمعاصى فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح ان يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر ان
نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولى احسب وام منقطعة والاضراب فيها
لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ساء ما يحكمون اى بئس الذى يحكمونه
او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله فى الجنة وقيل المراد
بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله
بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه ببشر
لما رضى من افعاله او بسخط لما سخط منها فان اجل الله لات فان الوقت المضروب للقائه
لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر ما يحقق امله ويصدق
رجاءه او ما يستوجب القربة والرضى وهو السميع لاقوال العباد العليم بعقايدهم وافعالهم
ومن جاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات فانما يجاهد لنفسه لان
منفعته لها ان الله لغنى عن العالمين فلا حاجة الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم
ومراعاة لصلاحهم والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان
والمعاصى بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون اى احسن جزاء اعمالهم ووصينا
الانسان بوالديه حسنا بايتائه فعلا ذا حسن او كانه فى ذاته حسن لفرط حسنه ووصى
يجرى مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اى وقلنا له احسن بوالديك حسنا وقيل
حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اى قلنا اولهما او افعل بهما حسنا
وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداك
لتشرك بى ما ليس لك به علم بالهيته عبر عن نفيها بنفى العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته
لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه فلا تطعهما فى ذلك فانه لا طاعة
لمخلوق فى معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل الى مرجعكم مرجع من امن منكم
ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه والاية نزلت فى
سعد بن ابى وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لا ينتقل من الضح ولا تطعم و
لا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلثة ايام كذلك وكذا التى فى لقمان والاحقاف والذين امنوا وعملوا
الصالحات لندخلنهم فى الصالحين فى جملتهم والكمال فى الصلاح منتهى درجات المؤمنين
ومتمنى انبياء الله المرسلين او فى مدخلهم وهى الجنة ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا
اوذى فى الله بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس ما يصيبهم من اذيتهم
فى الصرف عن الايمان كعذاب الله فى الصرف عن الكفر ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة
ليقولن انا كنا معكم فى الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعيف ايمانهم فارتدوا
من اذى المشركين ويؤيد الاول اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين من الاخلاص والنفاق

وليعلمن

وليعلمن الله الذين امنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين فيجازى الفريقين وقال الذين
كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا الذى نسلكه فى ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان
ذلك خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم
بالاتباع مبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا
لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ
انهم لكاذبون من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين من خطاياهم
شيئا من شئ انهم لكاذبون وليحملن اثقالهم اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم
واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصى من غير ان ينقص من اثقال من
تبعهم شئ وليسئلن يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون من الاباطيل التى
اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد
المبعث اذ روى انه بعث على راس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان
ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد
يطلق على ما يقرب منه ولما فى ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود
من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما يكابده من الكفرة واختلاف المميزين
لما فى التكرير من البشاعة فاخذهم الطوفان طوفان الماء وهو لما اطاف بكثرة من سيل
او ظلام او نحوهما وهم ظالمون بالكفر فانجيناه اى نوحا واصحاب السفينة ومن
ركب معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم
ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اى السفينة او الحادثة اية للعالمين يتعظون ويستدلون
بها وابرهيم عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابرهيم
اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلنا اى ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث
عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر واتقوه ذلكم خير لكم
مما انتم عليه ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون ما هو خير مما هو شر او كنتم تنظرون فى
الامور بنظر العلم دون نظر الجهل انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون
افكا وتكذبون كذبا فى تسميتها الهة وادعاء شفاعتها عند الله او تعملونها وتنحتونها
وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلقون من خلق للتكثير
وتخلقون من تخلق للتكلف وافكا نصب على انه مصدر كالكذب او نعت بمعنى خلقا
ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا دليل ثان على شرارة
ذلك من حيث انه لا يجدى بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان
يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله فانه المالك
له واعبدوه واشكروا له متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم
بشكره او مستعدين للقائه بهما فانه اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء وان تكذبوا

وان تكذبوني فقد كذب امم من قبلكم من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضروا انفسهم
حيث تسببوا لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين
الذي زال معه الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالآية وما بعدها من جملة قصة
ابرهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان يكون اعتراضا بذكر شأن النبي صلى الله عليه
وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصته من حيث
ان مساقها لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان
ممنوا بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابرهيم في قومه اولم
يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة ومن غيرها وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالتاء
على تقدير القول وقرئ يبدأ ثم يعيده اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم
يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان يأول الاعادة بان ينشئ
في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ
ان ذلك الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر في
فعله الى شيء قل سيروا في الارض حكاية كلام الله لابرهيم او لمحمد عليهما الصلوة والسلام
فانظروا كيف بدأ الخلق على اختلاف الاجناس والاحوال ثم الله ينشئ النشأة الآخرة
من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره
في بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود بيان الانشاء وان من عرف بالقدرة
على الابداء ينبغي ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام في العطف على
ما مر وقرأ ابن كثير وابو عمرو والنشاءة كالرأفة ان الله على كل شيء قدير لان قدرته لذاته
ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة
الاولى يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم
بمعجزين ربكم عن ادراككم في الارض ولا في السماء ان فررتم من قضائه بالتواري في الارض
او الهبوط في مهاويها والتحصن في السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء
كقول حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء وما لكم من دون الله من
ولي ولا نصير يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين
كفروا بآيات الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا من رحمتي
اي ييأسون منها يوم القيمة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة او ايسوا في الدنيا لانكار
البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب قومه قوم ابرهيم له و
قرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وكان ذلك قول
بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون اسند الى كلهم فانجاه الله من النار اي فقذفوه
في النار فانجاه منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها لآيات
هي حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها لقوم

يؤمنون

يؤمنون لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها وقال انما اتخذتم من دون الله
اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على
عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني بتقدير
المضاف او بتأويلها بالمودودة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرأها نافع وابن عامر
وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة
على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او
خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول وقرئت مرفوعة منونة
ومنصوبة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم ثم يوم القيمة يكفر
بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين
الاوثان على تغليب المخاطبين لقوله ويكونون عليهم ضدا ومأواكم النار وما لكم من
ناصرين يخلصونكم منها فآمن له لوط هو ابن اخيه واول من آمن به وقيل انه آمن به حين
رأى النار لم تحرقه وقال اني مهاجر من قومي الى ربي الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الذي
يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما فيه صلاحي روي انه هاجر من كوثى سواد
الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل
لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس عن الولادة من عجوز عاقر
ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد به الجنس ليتناول
الكتب الاربعة وآتيناه اجره على هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد في غير اوانه والذرية
الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه الى آخر الدهر وانه
في الآخرة لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في الصلاح ولوطا عطف على ابرهيم او على ما
عطف عليه اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح وقرأ الحرميان
وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام وجمعوا على الاستفهام في
الثاني ما سبقكم بها من احد من العالمين استيناف مقرر لفحاشتها من حيث انها مما اشمأزت
به الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم ائنكم لتأتون الرجال
وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت
الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتأتون
في ناديكم في مجالسكم الغاصة ولا يقال النادي الا لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط
وحل الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها وقيل الخذف ورمي البنادق فما كان
جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين في استقباح ذلك
او في دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ قال رب انصرني بانزال العذاب على القوم المفسدين
بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب و
اشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى بالبشارة

بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى
الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي
هو الكفر وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة
للموجب بالمانع وهو كون النبي بين اظهرهم قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله تسليم
لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل
بمن عداه واهله او تأقيت الاهلاك باخراجهم عنها وفيه تأخير البيان عن الخطاب الا امرأته
كانت من الغابرين الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم
جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتأكيد الفعلين
واتصالهما وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت
يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال ما لا
يناله قصير الذراع وقالوا لما رأوا فيه اثر الضجرة لا تخف ولا تحزن على تمكنهم منا انا
منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين وقرأ حمزة وابن كثير والكسائي ويعقوب
لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر في الثاني وموضع الكاف جر على المختار ونصب
اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية
رجزا من السماء عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي
اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم ولقد تركنا
منها آية بينة هي حكايتها الشائعة او آثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها
كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار
والاعتبار وهو متعلق بتركنا او آية والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا
اليوم الآخر وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء
بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة
وقيل صيحة جبريل لان القلوب ترجف لها فاصبحوا في دارهم في بلدهم او دورهم ولم يجمع
لأمن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوبان باضمار اذكر او
فعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير مصروف على
تأويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم اي تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة
مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي
فصدهم عن السبيل السوي الذي بين الرسل لهم وكانوا مستبصرين متمكنين
من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبارهم
باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوفون على
عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض
وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين

أخذنا

أخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريحا عاصفا فيها حصباء
او ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض
كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم
معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته ولكن كانوا انفسهم يظلمون
بالتعريض للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا
اي مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل يبني بيتا من حجر وجص كمثل العنكبوت
اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما
والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على
عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة واعكب وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لا بيت
اوهى واقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم
او ان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا
للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون من
دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب
بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بيدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين
او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون او مصدرية وشيء مصدر او موصولة مفعول ليعلم
ومفعول يدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى
الآخرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك
ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ
في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان هذا من صفته قادر على مجازاتهم وتلك
الامثال يعني هذا المثل ونظائره نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها
ولا يعقل حسنها وفائدتها الا العالمون الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغي وعنه صلى الله عليه وسلم
انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله
السموات والارض بالحق محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما
افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ان في ذلك لآية للمؤمنين
لانهم المنتفعون بها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه
واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له
اول ما قرع سمعه واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر بان تكون سببا
للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه
روي ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيئا
من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال عليه الصلوة والسلام ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب
ولذكر الله اكبر وللصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل بان اشتمالها

على ذكره هي العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات او ولذكر الله اياكم برحمته
اكبر من ذكركم اياه بطاعته من سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة والله يعلم
ما تصنعون ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن كمقابلة
الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ باية السيف اذ لا
مجادلة اشد منه وجوابه انه آخر الدواء وقيل المراد ذو العهد منهم الا الذين ظلموا منهم بالافراط
في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية
وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم هو من المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله
عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل
اليكم هو من المجادلة بالتي هي احسن بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم
وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة
وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك ومثل ذلك
الانزال انزلنا اليك الكتاب وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله
فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد الرسول صلى الله
عليه وسلم من اهل الكتاب ومن هؤلاء ومن العرب او اهل مكة او ممن في عهد الرسول من الكتابيين
من يؤمن به بالقران وما يجحد باياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها الا الكافرون الا المتوغلون
في الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول
صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه بقوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق
العادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد اذا لارتاب المبطلون
اي لو كنت ممن يخط ويقرا لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وانما سماهم
مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب
اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون
المقدر بل هو بل القران ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه لا يقدر احد
تحريفه وما يجحد باياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح
دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه مثل ناقة صالح و
عصا موسى ومائدة عيسى وقرا نافع وابن عامر والبصريان وحفص ايات قل انما الايات
عند الله ينزلها كما يشاء لست املكها فاتيكم بما تقترحونه وانما انا نذير مبين ليس من شاني
الا الانذار وابانته بما اعطيت من الايات اولم يكفهم اية مغنية عما اقترحوه انا انزلنا
عليك الكتاب يتلى عليهم يدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم اية ثابتة لا تضمحل
بخلاف سائر الايات او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك
ان في ذلك في ذلك الكتاب الذي هو اية مستمرة وحجة مبينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى

منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة

لقوم

لقوم يؤمنون وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة
قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم
شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي
بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والارض فلا يخفى عليه حالي وحالكم والذين
امنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون في صفقتهم
حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم امطر علينا حجارة من السماء
ولولا اجل مسمى لكل عذاب او قوم لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم بغتة فجأة في الدنيا
كوقعة بدر او الاخرة عند نزول الموت بهم وهم لا يشعرون باتيانه يستعجلونك
بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب او هي كالمحيطة
بهم الان لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر
للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشيهم
العذاب ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم من جميع
جوانبهم ويقول الله او بعض الملائكة بامره لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون
ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون
اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم
وعنه عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق
ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم
تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها كل نفس ذائقة الموت تناله لا محالة ثم
الينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له وقرأ ابو بكر بالياء
والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا عالية وقرأ حمزة
والكسائي لنثوينهم اي لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم
او بنزع الخافض او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
نعم اجر العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا على
اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولا
يتوكلون الا على الله وكاين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخر
وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم
مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله لان الرزق لكل باسباب
هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال
بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم
بضميركم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض المسؤول عنهم اهل مكة ليقولن الله

لما تقرر في العقول وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود فانى يؤفكون يصرفون
عن توحيده بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يحتمل
ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب وان لا يكون
على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ان الله بكل شيء عليم يعلم
مصالحهم ومفاسدهم ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها
ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به
بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك من مثل هذه الضلالة
او على تصديقك واظهار حجتك بل اكثرهم لا يعقلون فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدأ
لكل ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه
الحيوة الدنيا اشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب
الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين
وان الدار الاخرة لهي الحيوان لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او هي
في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية
واوا وهو ابلغ من الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك اختير
عليها ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة والحيوة فيها
عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم اي هم على ما
وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من اخلص
دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد
الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجؤا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما اتيناهم
اللام فيه لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة
الاصنام وتوادهم عليها او لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون
عن نافع وليتمتعوا بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاقبون اولم يروا يعني اهل مكة
انا جعلنا حرما امنا اي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي امنا اهله عن القتل والسبي
ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب
افبالباطل اي ابعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليها الا الله بالصنم او الشيطان
يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على
طريق المبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا او كذب بالحق لما جاءه يعني
الرسول او الكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتاملوا قط حين جاءهم بل سارعوا
الى التكذيب اول ما سمعوه اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم كقوله الستم خير من ركب
المطايا اي الا تستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق
مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا هذه الجراءة

والذين

والذين جاهدوا فينا في حقنا واطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة
بانواعه لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية
الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها لقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل
بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين بالنصر والاعانة قال صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين و
المنافقين

سورة الروم مكية

الا قوله فسبحان الله حين تمسون وهي ستون او تسع
وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض ارض العرب
منهم لانها الارض المعهودة عندهم او في ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة
وهم من بعد غلبهم من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب
سيغلبون في بضع سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى
وقيل بالجزيرة وهي ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون
وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون فقد ظهر
اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر لا يقرر الله اعينكم فوالله
ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا
اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر وماده
في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد قفوله من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابي
وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة
في دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والاية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب
وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام والمؤمنون
سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا
يكون اضافة الغلب الى الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد من قبل كونهم غالبين وهو وقت
كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اي له الامر حين غلبوا و
حين يغلبون ليس شيء منهما الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه
كانه قيل قبلا وبعدا اي اولا واخرا ويومئذ اي ويوم يغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر الله
من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين
وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم
او بان ولى بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى
وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى وعد الله
مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه

ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعده ولا صحته وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وهم عن الآخرة التي هي غايتها و
المقصودة منها هم غافلون لا يخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون
خبره والجملة خبر الاول وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى
الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقرير لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور
ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخواصها
وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا واما باطنها
انها مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعارا بانه لا فرق بين عدم العلم
والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا اولم يتفكروا في انفسهم اولم يحدثوا التفكر فيها او لم
يتفكروا في امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى له في الممكنات
باسرها ليتحقق لهم قدرة مبدعها على اعادتها قدرته على ابدائها ما خلق الله السموات والارض
وما بينهما الا بالحق متعلق بقول او علم محذوف يدل الكلام عليه واجل مسمى تنتهي عنده ولا تبقى
بعده وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم بلقاء جزائه عند انقضاء الاجل المسمى او قيام الساعة
لكافرون جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الآخرة لا تكون اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم في اقطار الارض ونظرهم الى آثار
المدمرين قبلهم كانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود واثاروا الارض وقلبوا وجهها لاستنباط
المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها وعمروا الارض اكثر مما عمروها
من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم
بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط
في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤن الى
واد لا نفع له وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم
ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عملوا
ما ادى الى تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى اي ثم كان عاقبتهم العقوبة او الخصلة
السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم وانهم جاؤا
بمثل افعالهم والسوأى تأنيث الاسوء كالحسنى او مصدر كالبشرى نعت بها ان كذبوا بآيات الله
وكانوا بها يستهزؤن علة او بدل او عطف بيان للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا
او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الآيات
واستهزؤا بها ويجوز ان يكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر محذوف للابهام
والتهويل وان يكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة
معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى وان كذبوا على
الوجوه المذكورة الله يبدؤ الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول

الى الخطاب للمبالغة في المقصود وقرأ ابو عمرو وابو بكر وروح بالياء على الاصل ويوم تقوم
الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس
من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته
ولم يكن لهم من شركائهم ممن اشركوهم بالله شفعاء يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ
الماضي لتحققه وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بآلهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا
في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعؤا وعلمؤا بني اسرائيل بالواو والسوأى بالالف
اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي
المؤمنون والكافرون لقوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ارض
ذات ازهار وانهار يحبرون يسرون سرورا تهللت له وجوههم واما الذين كفروا و
كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون مدخلون لا يغيبون عنه
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين
تظهرون اخبار في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات او دلالة على ان ما
يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات و
الارض التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان آثار
القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشي العين اذا نقص
نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين
تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا عن ابن عباس ان الآية جامعة للصلوات الخمس
تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر
ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اي وقت اتفقت
وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له
بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية وعنه صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح
فسبحان الله حين تمسون الآية الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في ليلته ومن قال حين
يمسي ادرك ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه
يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطائر من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة
او يعقب الحيوة بالموت وبالعكس ويحيي الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك
الاخراج تخرجون من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحيوة بالموت وبالعكس وقرأ حمزة والكسائي بفتح
التاء ومن آياته ان خلقكم من تراب اي في اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر
تنتشرون ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا
لان حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من
جنس آخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة الضم والاختلاف سبب
للتنافر وجعل بينكم اي بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج

حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوان نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف
والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله تعالى
ورحمة منا ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيعلمون ما في ذلك من الحكم ومن اياته خلق
السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف لغة او الهمه وضعها او
اقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية
والوانكم بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيآتها والوانها وحلاها بحيث
وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما
في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة ان في ذلك لايات للعالمين لا تكاد تخفى
على عاقل من ملك او انس او جن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون
ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم في الزمانين لاستراحة القوى
النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار
فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين (اي المنام وفي الابتغاء) اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما
فهو صالح للاخر عند الحاجة ويؤيده سائر الايات الواردة فيه ان في ذلك لايات لقوم
يسمعون سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ومن اياته يريكم البرق مقدر بان
كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي او الفعل فيه منزل
منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره اية يريكم بها البرق
كقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح خوفا من الصاعقة للمسافر
وطمعا في الغيث للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان ارائتهم تستلزم رؤيتهم او له
على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع او تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته
رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتشديد فيحيي به الارض
بالنبات بعد موتها يبسها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في استنباط
اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره
قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما في حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة
في كمال القدرة والغناء عن الالة ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون عطف على ان تقوم
على تأويل مفرد كانه قيل ومن اياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم
دعوة واحدة فيقول ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك (اي القيام) على تعلق
ارادته تعالى بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعي المطاع على دعائه وثم
اما للتراخي زمانه او لعظم ما فيه ومن الارض متعلق بدعا لقوله دعوته من اسفل الوادي فطلع
الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبله واذا الثانية للمفاجأة ولذلك نابت مناب الفاء
في جواب الاولى (اي اذا الاولى) وله من في السموات والارض كل له قانتون منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه
وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو اهون عليه والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة

الى قدركم

الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون
بمعنى هين وتذكير هو لاهون او لان الاعادة بمعنى ان يعيد وله المثل الاعلى الوصف العجيب الشان
كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية
الاعلى الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه في السموات والارض يصفه به ما فيهما دلالة (له)
ونطقا وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته الحكيم الذي يجري الافعال
على مقتضى حكمته ضرب لكم مثلا من انفسكم منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم
هل لكم مما ملكت ايمانكم من مماليككم من شركاء فيما رزقناكم من الاموال وغيرها فانتم فيه سواء
فتكونون انتم وهم فيه شرع تتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى
للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي تخافونهم ان
يستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم انفسكم كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض كذلك مثل ذلك
التفصيل نفصل الايات نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم في تدبر الامثال بل اتبع الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم بغير علم
جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه فمن يهدي من اضل الله
فمن يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن افاتها فاقم وجهك
للدين حنيفا فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به فطرت
الله خلقته نصب على الاغراء او المصدر لما دل عليه ما بعدها التي فطر الناس عليها خلقهم عليها
وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم
اليها وقيل العهد المأخوذ من ادم وذريته لا تبديل لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره او ما
ينبغي ان يغير ذلك اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة
الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم
منيبين اليه راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب
وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لان الاية خطاب للرسول والامة لقوله
واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين غير انها صدرت بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم
تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم
وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا فرقا تشايع كل امامها
الذي اضل دينها كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون
صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا واذا مس الناس ضر شدة دعوا ربهم منيبين اليه
راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون
فاجأ فريق منهم بالاشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا بما اتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل
للامر بمعنى التهديد لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه للمبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة
تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ام انزلنا عليهم سلطانا حجة وقيل ذا سلطان اي

ملكا او برهان فهو يتكلم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم بالحق او نطق معه بصحة بما كانوا
به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر الذي بسببه يشركون به والوهيته واذا اذقنا الناس رحمة نعمة
من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشوم
معاصيهم اذا هم يقنطون فاجؤا القنوط من رحمته اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج به الحنفية على
وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به والمسكين وابن السبيل ما وظف لهما من الزكوة والخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم او لمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله
ذاته او جهته اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون
حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربوا زيادة محرمة في المعاملة او عطية
يتوقع بها مزيد مكافاة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربوا ليربو في اموال الناس
ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربو عند الله فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب لتربوا
اي لتزيدوا او لتصيروا ذا ربوا وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا
فاولئك هم المضعفون ذووا الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذوي القوة
واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة
عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كانه خاطب به الملائكة وخواص الخلق
تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان
جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به او فمؤتوه اولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم
ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له لوازم الالوهية ونفاها
راسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع
عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركاء فقال سبحانه وتعالى عما يشركون
ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى
والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة
بالتاكيد لتعجيز الشركاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق
الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ
والبحور بما كسبت ايدي الناس بشوم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل
اخاه وفي البحر بان جلندي كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض جزائه
فان تمامه في الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم
يرجعون عما هم عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا
مصداق ذلك وتتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استئناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان
لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين

القيم

ان يرده

القيم البليغ الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد وقوله من الله متعلق
بياتي ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه
يومئذ يصدعون يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال من كفر فعليه كفره
اي وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون منزلا في الجنة
وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
من فضله علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات
والاكتفاء على فحوى قوله انه لا يحب الكافرين فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد
اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم وتعليل له ومن فضله دال على
ان الاثابة تفضل محض وتاويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ومن آياته
ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على
ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول
المطر المسبب عنها او الروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او
عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا
من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا
الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين
اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه صلى الله
عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا
ذلك وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا
فيبسطه متصلا تارة في السماء في سمتها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من
جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرأ ابن عامر بالسكون على
انه مخفف جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا
اصاب به من يشاء من عباده يعني بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون بمجيء الخصب وان
كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر و
استحكام ياسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال لمبلسين لآيسين فانظر الى
آثار رحمة الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة
والكسائي وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك
يعني الذي قدر على احياء الارض بعد موتها لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما
كان في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية
هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتتت وتبددت
من جنسها في بعض الاعوام السالفة وهو على كل شيء قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على

سواء ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا فرأوا الأثر او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم
وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله
لظلوا من بعده يكفرون جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات ناعية
على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان
النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم
ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته
ولم يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه
فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا
مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام تفطن منه
بواسطة الحركات شيئا وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من
الابصار او لعمى قلوبهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر
المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان فهم مسلمون لما تأمرهم به الله الذي خلقكم من
ضعف اي ابتداكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان من عجل او خلقكم من
اصل ضعيف وهو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم
الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها و
الضم اقوى لقول ابن عمر قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف بالضم وهما لغتان
كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس عين المتقدم يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة
وشيبة وهو العليم القدير فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة
ويوم تقوم الساعة القيمة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة
وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا في الدنيا او في القبور او فيما
بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو
محتمل للساعات والايام والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم في
الآخرة او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون في
الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه
او قضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث
ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه فهذا يوم البعث الذي انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق
لتفريطكم في النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اي فقد
تبين بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة
بمعنى العذر او لان تأنيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي
اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان
فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولقد وصفناهم

بانواع الصفات التي هي في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيمة وما يقولون وما يقال
لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل ينبئهم
على التوحيد والبعث وصدق الرسول ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن ليقولن الذين كفروا
من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم ان انتم يعنون الرسول والمؤمنين الا مبطلون مزورون
كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ويصرون
على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على اذاهم
ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك
ولا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون
لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ لا يستحقنك اي لا يزيغنك فيكونوا
احق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمن مكية

وقيل الا آية وهي الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لانه
لا ينافي شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلثا من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وهي اربع و
ثلثون او ثلث وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه
في يونس هدى ورحمة للمحسنين حالان عن الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على
الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان
لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلثة من شعبه لفضل اعتدادها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين
خبره اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح
ومن الناس من يشتري لهو الحديث ما يلهي عما يعني كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي
لا اعتبار فيها والمضاحك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من تبيينية ان اراد بالحديث المنكر
وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان
يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم
واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القينات ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه
عنه ليضل عن سبيل الله دينه او قراءة كتابه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على
ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ويتخذها
هزوا ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم
عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا
متكبرا لا يعبأ بها كأن لم يسمعها مشابها حاله حال من لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا ثقلا
من في اذنيه ثقل لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن في ولى او مستكبرا والثانية بدل منها
او حال من المستكن في لم يسمعها ويجوز ان يكونا استئنافين فبشره بعذاب اليم اعلمه بان
العذاب يحيقه لا محالة وقرأ نافع في اذنيه وذكر البشارة على التهكم ان الذين آمنوا وعملوا

لهم جنات النعيم اي لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات
والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان
قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن انجاز وعده
ووعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته خلق السموات بغير عمد ترونها استيناف
وقد سبق في الرعد والقى في الارض رواسي جبالا شوامخ ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم
فان تشابه اجزائها يقتضي تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او
لشيء من لوازمه بحيز ووضع معينين وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها
من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة وكانه استدل بذلك على عزته التي هي كمال القدرة
وحكمته التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله هذا خلق الله فاروني ما
ذا خلق الذين من دونه هذا الذي ذكر مخلوقه فما ذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وما
ذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه بل الظالمون في
ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ولقد آتينا لقمن الحكمة يعني لقمان بن باعوراء
من اولاد آزر ابن اخت ايوب او خالته وعاش حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتي قبل
مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية
باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها
ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم
لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت
في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه امره بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين
منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله
عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ان اشكر لله لان اشكر او اي
اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو
دوام النعمة واستحقاق مزيدها ومن كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق بالحمد
وان لم يحمد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال واذ قال لقمن لابنه انعم او اشكم
او ماثان وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق لا تشرك بالله قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم
ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة
الا منه ومن لا نعمة منه ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن اي تهن وهنا
على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال تتضاعف ضعفها والجملة في موضع الحال
وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين وفطامه
في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة
الرضاع حولان ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال

وذكر

وذكر الحمل والفصال في الفصل اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير فاحاسبك
على شكرك وكفرك وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه الاشراك
تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم به نفيه فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا
صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم واتبع في الدين سبيل من اناب الي
بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون بان
اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمن
تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى وذكر الوالدين للمبالغة
في ذلك فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا في
الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلاثا لم
تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك مثقال
حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل
ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبة
كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات
او في الارض في اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض
وقرئ بكسر الكاف من وكن الطير اذا استقر في وكنته يأت بها الله يحضرها فيحاسب عليها ان الله
لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وأمر بالمعروف
وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد سيما في ذلك ان ذلك اشارة
الى الصبر او الى كل ما امر به من عزم الامور مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب مصدر
اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اي جد ولا تصعر خدك
للناس لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء
يعتري البعير فيلوي عنقه وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر
والكل واحد مثل علاه واعلاه وعالاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع
الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر ان الله لا يحب كل مختال فخور علة للنهي وتأخير
الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحا لتوافق رؤوس الآي واقصد في مشيك
توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول
عائشة كان اذا مشى اسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد
الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات
اوحشها لصوت الحمير والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال الطويل الاذنين وفي
تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان
المراد تفصيل الجنس في النكير دون الآحاد او لانه مصدر في الاصل الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات

الوكنة ماوى الطير

بان جعل اسبابا محصلة لمنافعكم وما في الارض بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او بغير وسط
واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه و
قد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار في كل سين اجتمع
مع الغين او الخاء او القاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة
ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى
راجع الى الرسول ولا كتاب منير انزله الله بل بالتقليد كما قال واذا قيل لهم اتبعوا ما
انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا وهو منع صريح من التقليد في الاصول اولو
كان الشيطان يدعوهم يحتمل ان يكون الضمير لهم ولابائهم الى عذاب السعير الى ما يؤول اليه
من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجيب ومن يسلم
وجهه الى الله بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلم المتاع الى الزبون ويؤيده
القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن معنى الاخلاص وهو محسن في عمله فقد استمسك
بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان
يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه
ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك في الدنيا والاخرة وقرئ ولا يحزنك من احزن وليس
بمستفيض الينا مرجعهم في الدارين فننبئهم بما عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم بذات
الصدور فمجاز عليه فضلا عما في الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول
بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم
الى الاحراق الضغط ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل المانع
من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف
بما يوجب بطلان معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض
لا يستحق العبادة فيها غيره ان الله هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمد
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مداد
ممدود بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد بمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه
للعطف على محل ان ومعمولها ويمده حال او للابتداء على انه مستأنف والواو للحال ونصبه البصريان
بالعطف على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده ويمده بالياء والمد ما نفدت كلمات الله بكتبها
بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفي بالقليل فكيف
بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر والاية جواب لليهود سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم او امروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله وما اوتيتم من العلم الا
قليلا وقد انزل الله التورية وفيها علم كل شيء ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا
كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شأن عن شأن لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة
مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع

ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الاحاد

يسمع

يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر اذ لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق
الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري
كل من النيرين يجري في فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معلوم الشمس الى اخر السنة والقمر الى اخر
الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجري وثمة
غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات وان الله بما تعملون خبير عالم
بكنهه ذلك الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري بها
بان الله هو الحق بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وان
ما يدعون من دونه الباطل المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا يتصرف الا بجعله او الباطل
الهيته وقرأ البصريان والكوفيون غير ابي بكر بالياء وان الله هو العلي الكبير مترفع على كل شيء ومتسلط
عليه الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد اخر على
باهر قدرته وكمال حكمته وشمول نعمته والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله
بسكون العين وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من اياته دلائله ان في ذلك لايات
لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الافاق والانفس شكور يعرف النعم ويتعرف
مانحها او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر واذا غشيهم علاهم وغطاهم
موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله
مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف والشدائد
فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر
لانزجاره بعض الانزجار وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري او
لما كان في البحر والختر اشد الغدر كفور للنعم يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي
والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف
اي لا يجزي فيه ولا مولود معطوف على والد او مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير
النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه
الكافر في الاخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي ان الله
عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روي ان الحرث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال متى قيام الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر او انثى وما
اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه الصلوة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية وينزل
الغيث في ابانه المقدر له والمحل المعين له في علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد ويعلم
ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من خير او شر و
ربما تعزم على شيء وتفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت
روي ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت

فقال كانه يريد بي فمر الريح ان تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظري اليه
تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله والدراية
للعبد لما فيها من معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان عمل حيلته وانفد فيها
وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ
باية ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلتهن ان الله عليم يعلم الاشياء كلها خبير يعلم
بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لقمن كان له لقمن رفيقا يوم القيمة
واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر **سورة السجدة مكية**
وهي ثلثون او تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم الم ان جعل اسما للسورة او القران
فمبتدا خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل
خبر محذوف او مبتدا خبره لا ريب فيه فيكون من رب العالمين حالا من الضمير في فيه لان المصدر
لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في
فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله ام يقولون افتريه فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله
بل هو الحق من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه
ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه
على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى اثبات انه الحق المنزل
من الله وبين المقصود من تنزيله فقال لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك اذ كانوا اهل
الفترة لعلهم يهتدون بانذارك اياهم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في
ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه في الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم
اذا جاوزتم رضا الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي
يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق
لكم ولي ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر امر الدنيا
باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة اثارها الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه و
يثبت في علمه موجودا في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون في برهة من الزمان متطاولة
يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم
يعرج اليه في زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين السماء والارض
مسيرة خمسمائة وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف اخر وقيل
يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يرجع اليه الامر كله يوم القيمة وقيل يدبر المامور به من الطاعات منزلا
من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين
والاعمال الخلص وقرئ يعرج ويعدون ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر امرهما على وفق
الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح تفضلا و
احسانا الذي احسن كل شيء خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة

خلقه

عالم الغيب والشهادة ويدبر امرهما حسبما تقتضيه الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على عباده وهما
خبران اخران وفيه ايماء بانه تعالى متفضل في جميع ما ذكر فاعل بالاحسان الذي احسن كل شيء خلقه
خبر اخر او نصب على المدح بحسنه احسن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق خلقه الا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة
واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته ومعرفته [illegible]
وقرئ خلقه على انه بدل اشتمال من كل شيء والضمير للمبدل منه اي احسن خلق كل شيء وقيل بدل الكل [illegible]
على ان الضمير لله تعالى [illegible] مفعوله الاول [illegible]
معنى اعطى وقيل [illegible] والمعنى الهم خلقه كل شيء مما يحتاجون اليه [illegible]
وقال ابو البقاء [illegible] كل شيء يحتاجون اليه [illegible]
تفسير ارشاد

وخلقه بدل من كل شيء بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن
معرفته وخلقه مفعول ثان وقرا نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل
وعلى الثاني بمتصل وبدا خلق الانسان يعني ادم من طين ثم جعل نسله ذريته سميت به لانها تنسل
منه اي تنفصل من سلالة من ماء مهين ممتهن ثم سواه قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغي ونفخ
فيه من روحه اضافه الى نفسه تشريفا واظهارا بانه خلق عجيب وان له شانا له مناسبة ما
الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون تشكرون شكرا قليلا وقالوا ائذا
ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا فيها وقرئ
ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن وقرا ابن عامر اذا على الخبر والعامل
فيه ما دل عليه ائنا لفي خلق جديد وهو يبعث او يجدد وقرا نافع والكسائي ويعقوب
انا على الخبر والقائل ابي بن خلف واسناده اليهم لرضاهم به بل هم بلقاء ربهم بالبعث او بتلقي
ملك الموت وما بعده كافرون جاحدون قل يتوفيكم يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئا او
لا يبقي منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقضيته واستقضيته وتعجلته واستعجلته
ملك الموت الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء اجالكم ثم الى ربكم ترجعون للحساب والجزاء
ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزي ربنا قائلين ربنا ابصرنا
ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون
اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرايت امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمني
والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى
لو تكون منك رؤية في هذا الوقت او يقدر ما دل عليه صلة اذ والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل احد ولو شئنا لاتينا كل نفس هديها ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق
له ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين و
ذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يدفعه
جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم
لقاء يومكم هذا فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او في
العذاب ترك المنسي وفي استينافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا
عذاب الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر للتاكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم
السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان كلا
منهما يقتضي ذلك انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب
الله وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم حامدين له خوفا من عذاب الله
وشكرا على ما وفقهم للاسلام واتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة كما
يفعل من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى عن المضاجع الفرش ومواضع النوم يدعون

ربهم داعين اياه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها
قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلوة والسلام اذا جمع الله الاولين والاخرين جاء مناد ينادي
بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت
تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون
الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس
وقيل كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم ومما رزقناهم ينفقون
في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما اخفي لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل من قرة اعين مما تقر
به عيونهم وعنه عليه السلام يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما
اخفي وقرأ حمزة ويعقوب اخفي على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفي واخفى والفاعل للكل
هو الله تعالى وقرأت اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية معلق
عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جوزوا جزاء او اخفي للجزاء فان اخفاءه لعلو شانه
وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا
عن الايمان لا يستوون في الشرف والمثوبة تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى اما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى فانها المأوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل
عنها لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنان نزلا سبق في آل عمران بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم
او على اعمالهم واما الذين فسقوا فمأويهم النار مكان جنة للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها عبارة عن خلودهم وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون
اهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الادنى عذاب الدنيا يريد ما محنوا به
من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر عذاب الآخرة لعلهم لعل من بقي منهم
يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الايات
ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها
مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكر بها عقلا كما في بيت الحماسة ولا
يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها انا من المجرمين منتقمون فكيف من
كان اظلم من كل ظالم ولقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فلا تكن في مرية شك من لقائه
من لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقى القرآن فانا لقيناك الكتاب مثل ما لقيناه منه
فليس ذلك ببدع مما لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى
عليه السلام رأيت ليلة اسري بي موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة و
جعلناه اي المنزل على موسى هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس الى ما فيه من الحكم
والاحكام بامرنا اياهم به او بتوفيقنا له لما صبروا وقرأ حمزة والكسائي ورويس لما صبروا اي
لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا وكانوا بآياتنا يوقنون لامعانهم فيها النظر ان ربك هو

يفصل

يفصل بينهم يوم القيمة يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون
من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه
كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير الله بدليل القراءة
بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشّون بالتشديد
ان في ذلك لآيات افلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز
التي جرز نباتها اي قطع وازيل لا التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن
تأكل منه من الزرع انعامهم كالتبن والورق وانفسهم كالحب والثمر افلا يبصرون فيستدلون
به على كمال قدرته وفضله ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح
بيننا ان كنتم صادقين في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون
وهو يوم القيمة فانه يوم نصر المسلمين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد
بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه
جوابا على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا
واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف
وانتظر النصرة عليهم انهم منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر
هلاكهم وان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي
بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ الم تنزيل
في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما
لشأن التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله ولا تطع الكافرين
والمنافقين اي فيما يعود بوهن في الدين روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور
السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير وجد
ابن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت ان الله
كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى اليك من
ربك كالنهي عن طاعتهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلحه ويغني عن
الاستماع الى الكفرة وقرأ ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اي ان الله
خبير بمكائدهم فيدفعها عنك وتوكل على الله وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا
موكولا اليه الامور كلها ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اي ما جمع قلبين في جوف لان القلب
معدن الروح الحيواني المتعلق للنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع
التعدد وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم
وما جمع الزوجية والامومة في امرأة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك رد
ما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر او لجميل بن اسد

الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالام ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا
يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله ابن محمد او المراد نفي الامومة والبنوة عن المظاهر
عنها والمتبنى ونفي القلبين لتمهيد اصل يحمل عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لادائه
الى تناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعي
اللذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ ابو عمرو اللاي
بالياء وحده على ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب
بالهمز وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرأ ابن عامر
تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون
من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة
انت علي كظهر امي اي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى
التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما
عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقارب ذكر
الفرج والتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المرأة وظهرها الى السماء وادعياءكم جمع
دعي على الشذوذ وكأنه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى كل ما ذكر او الى
الاخير قولكم بافواهكم لا حقيقة له في الاعيان كقول الهاذي والله يقول الحق ماله حقيقة
عينية مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل الحق ادعوهم لابائهم انسبوهم اليهم وهو
افراد للمقصود من اقوال الحقة وقوله هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط
افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في العدل فان لم
تعلموا اباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه
فقولوا هذا اخي ومولاي بهذا التأويل وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولا اثم عليكم
فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي او بعده على النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت
قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدت او ولكن فيما تعمدت قلوبكم الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه
عن المخطئ واعلم ان التبني لا عبرة له عندنا وعند ابي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذي
يمكن الحاقه به النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم في الامور كلها فانه لا يأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه
صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ
عليهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي انه صلى الله عليه وسلم اراد غزوة تبوك
فامر الناس بالخروج فقال اناس نستأذن اباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين
فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه
امهاتهم منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت
عائشة لسنا امهات النساء واولوا الارحام وذووا القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث
وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح

اوفيما

اوفيما انزل وهو هذه الاية او اية المواريث او فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين بيان
لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق
الدين والمهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم
ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك
في الكتاب مسطورا كان ما ذكر في الايتين ثابتا في اللوح او القران وقيل في التورية واذ
اخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء
الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم خصهم بالذكر لانهم
مشاهير ارباب الشرايع وقدم نبينا تعظيما له واخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيم الشأن
او مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ليسأل الصادقين عن صدقهم اي فعلنا
ذلك ليسأل الله يوم القيمة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم
اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق او
المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم واعد للكافرين
عذابا اليما عطف على اخذنا من جهة ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين
او على ما دل عليه ليسأل كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود
قريظة وبني النضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا وجنودا
لم تروها الملائكة روي انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم في ثلثة
الاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة
حتى بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم واطفأت نيرانهم
وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد
الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون
من حفر الخندق وقرأ البصريان بالياء اي بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة بصيرا رائيا
اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم
من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها حيرة
وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا فان الرية تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها
الى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله الظنونا الانواع
من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده في اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا
الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم والالف مزيدة في
امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف
ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس هنالك ابتلي المؤمنون اختبروا
فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ

زلزالا بالفتح وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله
ورسوله من الظفر وإعلاء الدين إلا غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير
قال يعدنا محمد فتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا إلا وعد غرور
وإذ قالت طائفة منهم يعني أوس بن قيظي وأتباعه يا أهل يثرب أهل المدينة وقيل هو اسم أرض
وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص بضم الميم على أنه مكان
أو مصدر من أقام فارجعوا إلى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا
إلى الشرك وأسلموه لتسلموا أو لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها و
يستأذن فريق منهم النبي للرجوع يقولون إن بيوتنا عورة ٢ بل هي حصينة إن يريدون إلا
فرارا وما يريدون بذلك إلا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة أو بيوتهم من
أقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للإيماء بأن دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم
من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين
لآتوها لأعطوها وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤوها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة
أو بإعطائها إلا يسيرا ريثما للسؤال والجواب وقيل وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد إلا يسيرا
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله
يوم أحد حين فشلوا ثم تابوا أن لا يعودوا لمثله وكان عهد الله مسؤولا مسؤولا عن الوفاء
مجازا عليه قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل فإنه لا بد لكل شخص من حتف
أنف أو قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم وإذا لا تمتعون إلا قليلا أي وإن
نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا تمتيعا أو زمانا قليلا قل من ذا الذي
يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة أي أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر
الكلام كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع ولا
يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم
المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين لإخوانهم من ساكني المدينة هلم
إلينا قربوا أنفسكم إلينا وقد ذكر أصله في الأنعام ولا يأتون البأس إلا قليلا إلا إتيانا أو
زمانا أو بأسا قليلا فإنهم يعتذرون ويتثبطون ما أمكن لهم أو يخرجون مع المؤمنين ولكن
لا يقاتلون إلا قليلا وقيل إنه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي أصحاب محمد عليه السلام حرب الأحزاب
ولا يقاومونهم إلا قليلا أشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة أو النفقة في سبيل الله أو الظفر
والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون أو المعوقين أو على الذم فإذا جاء الخوف رأيتهم
ينظرون إليك تدور أعينهم في أحداقهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشي عليه أو كدوران عينه
أو مشبهين به أو مشبهة بعينه من الموت من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك فإذا ذهب الخوف و
حيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بألسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد
أو باللسان أشحة على الخير نصب على الحال أو الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لأن كلا منهما مقيد

(هامش: ٢ غير حصينة وأصلها الخلل ويجوز أن يكون تخفيف العورة من عور الدار إذا اختلت وقد قرئ بها وما هي بعورة ٢)

من وجه أولئك لم يؤمنوا إخلاصا فأحبط الله أعمالهم فأظهر بطلانها إذ لم تثبت لهم أعمال
فتبطل أو أبطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك الإحباط على الله يسيرا هينا لتعلق الإرادة
به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الأحزاب لم يذهبوا أي هؤلاء لجبنهم يظنون أن الأحزاب
لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا إلى داخل المدينة وإن يأت الأحزاب كرة ثانية يودوا لو
أنهم بادون في الأعراب تمنوا أنهم خارجون إلى البدو حاصلون بين الأعراب يسألون
كل قادم من جانب المدينة عن أنبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا
إلى المدينة وكان قتال ما قاتلوا إلا قليلا رياء وخوفا عن التعيير لقد كان لكم في رسول الله
أسوة حسنة خصلة حسنة من حقها أن يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد أو هو
في نفسه قدوة يحسن التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا أي هي في نفسها هذا القدر
من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر أي ثواب الله
أو لقاءه ونعيم الآخرة أو أيام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك أرجو زيدا وفضله
فإن اليوم الآخر داخل فيها والرجاء يحتمل الأمل والخوف ولمن كان صلة لحسنة أو صفة لها وقيل
بدل من لكم والأكثر على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء كثرة الذكر
المؤدية إلى ملازمة الطاعة فإن المؤتسي بالرسول من كان كذلك ولما رأى المؤمنون الأحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم الآية وقوله عليه السلام سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم
وقوله عليه السلام إنهم سائرون إليكم بعد تسع أو عشر وصدق الله ورسوله وظهر صدق خبر الله
ورسوله أو صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء وإظهار الاسم للتعظيم وما زادهم فيه
ضمير لما رأوا أو الخطب أو البلاء إلا إيمانا بالله ومواعيده وتسليما لأوامره ومقاديره من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لإعلاء الدين من صدقني
إذا قال لك الصدق فإن المعاهد إذا وفى بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بأن قاتل
حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر والنحب النذر استعير للموت لأنه كنذر لازم
في رقبة كل حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا
شيئا من التبديل روي أن طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال عليه السلام
أوجب طلحة وفيه تعريض لأهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم
ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به وكأن المنافقين قصدوا
بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة
بتوبتهم أو المراد به التوفيق للتوبة إن الله كان غفورا رحيما لمن تاب ورد الله الذين
كفروا يعني الأحزاب من أهل الكتاب بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان
بتداخل أو تعاقب وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكان الله قويا على
إحداث ما يريده عزيزا غالبا على كل شيء وأنزل الذين ظاهروهم ظاهروا الأحزاب من أهل

(هامش: أسيته تأسية أي عزيته وأزلت حزنه)

الكتاب

يعني قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن
الثور والظبي وشوكة الديك وقذف في قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون
وتأسرون فريقا وقرئ بضم السين روي ان جبرئيل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة
الليلة التي انهزم فيها الاحزاب فقال أتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان
الله يأمرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فأذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا
ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون
على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم
ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة
او اكثر واسر سبعمائة واورثكم ارضهم مزارعهم وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم و
مواشيهم واثاثهم روي انه صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار
فقال انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لي طعمة
وارضا لم تطؤها كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وكان الله على كل
شيء قديرا فيقدر على ذلك يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة
والتنعم فيها وزينتها زخارفها فتعالين امتعكن اعطكن المتعة واسرحكن سراحا جميلا
طلاقا من غير ضرار وبدعة روي انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ
بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله
ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما
لارادتهن الرسول يدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن
ومالك واحدى الروايتين عن علي ويؤيده قول عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة
كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف
في وجوبه للمدخول بها وليس فيها ما يدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستيناف
وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما
يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن كن محسنات يا نساء النبي من يأت منكن
بفاحشة مبينة بكبيرة مبينة ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وابو بكر والباقون بكسر الياء يضاعف لها
العذاب ضعفين ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة
فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به
غيرهم وقرأ البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب
وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه ومن يقنت
منكن ومن يدم على الطاعة لله ورسوله ولعل ذكر الله للتعظيم لقوله وتعمل صالحا نؤتها
اجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضا النبي صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة

وقرأ حمزة

وقرأ حمزة والكسائي ويعمل بالياء ايضا حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله واعتدنا لها
رزقا كريما في الجنة زيادة على اجرها يا نساء النبي لستن كأحد من النساء اصل احد وحد بمعنى
الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن
كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل ان اتقيتن مخالفة حكم الله ورضا رسوله فلا تخضعن
بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وقرئ
بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول
وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا او قر يقر
حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغني عن همزة الوصل ويؤيده قراءة
نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع ولا تبرجن
ولا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الاولى تبرجا مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة
وقيل هي ما بين آدم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابرهيم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ
فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام
وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام
ويعضده قوله عليه السلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال
جاهلية كفر واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله في سائر ما امركن به ونهاكن
عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن
على الاستيناف ولذلك عمم الحكم اهل البيت نصب على النداء او المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا
واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة
وعلي وابنيهما عليهم السلام لما روي انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من
شعر اسود فجلس فاطمة فادخلها فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان
التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم
واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم
عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة
الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به ان الله كان لطيفا خبيرا
يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح
ان يكون اهل بيته ان المسلمين والمسلمات الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله والمؤمنين
والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة
والصادقين والصادقات في القول والعمل والصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصي
والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات
بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات

عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة
لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات واجرا عظيما على طاعتهم والآية وعد لهن ولامثالهن
على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روي ان ازواج النبي قلن يا رسول الله ذكر الله
الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين
فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف
الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات
وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
ما صح لهم اذا قضى الله ورسوله امرا اي قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان
قضاءه قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم
فزوجها من زيد امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان
يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن
ومؤمنة من حيث انهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء
ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب واذ تقول للذي انعم
الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه
وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك زينب وذلك انه صلى الله عليه وسلم ابصرها
بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت
لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق
صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم
علي فقال له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها
وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم
اياك به والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء
فانه حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى
في امثال ذلك ان يصمت ويفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا حاجة بحيث ملها ولم يبق له
فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة
لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر بتزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد و
يؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تولى نكاحي وانتن زوجكن
اولياؤكن وقيل كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه لكيلا
يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج وهو دليل
على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل وكان امر الله امره الذي يريده مفعولا
مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر

من قولهم

من قولهم فرض له في الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم سنة الله سن ذلك سنة
في الذين خلوا من قبل من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا
قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم
منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله تعريض بعد تصريح
وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه ما كان محمد ابا احد
من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا
ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا
رجاله لا رجالهم ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح
لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع
على انه خبر محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول الله من عرفتم انه لم يعش له ولد
ذكر وخاتم النبيين وآخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن
بالغ لاق بمنصبه ان يكون نبيا كما قال صلى الله عليه وسلم في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا
ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ وكان الله
بكل شيء عليما فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله
ذكرا كثيرا يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد وسبحوه
بكرة واصيلا اول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر
الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان
موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار
لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم
مستعار من الصلوة وقيل الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف
الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما
وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابوا الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر والمعصية
الى نور الايمان والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما حيث اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل
في ذلك ملائكته المقربين تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه عند
الموت او الخروج من القبر او دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة واعد لهم اجرا
كريما هي الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي انا
ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته باذنه
بتيسيره واطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتأتى الا بمعونة
من جانب قدسه وسراجا منيرا يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر
وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا على سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف

على محذوف فراقب احوال الناس ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج له على ما عليه من مخالفتهم
ودع اذاهم ايذائهم اياك ولا تحتفل به او ايذائك اياهم مجازاة او مؤاخذة على كفرهم و
لذلك قيل انه منسوخ وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامر في الاحوال
كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد
وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن
مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير
بالاكتفاء به فان من اناره الله تعالى برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفى به عن غيره يا ايها
الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن تجامعوهن وقرا حمزة والكسائي
بالالف وضم التاء فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن بانفسهن فيها تعتدونها تستوفون عددها
من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة
على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى
الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة
بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على ان من شان المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا
لنطفته وفائدة ثم ازاحة ما عسى ان يتوهم تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة كما يؤثر في النسب يؤثر
في العدة فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة
وهي سنة للمفروض لها وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا
من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول
بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع
وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة
بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها و
ما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك
وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول ام هانئ
بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الاية
فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي نصب بفعل
يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال
الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امراة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك
نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة
الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان
وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب
الحل فان هبتها نفسها منه لا توجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول و
العدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله تعالى خالصة لك من دون

المؤمنين

المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج
به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه السلام
بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اي خلص
احلالها او احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت
او صفة لمصدر محذوف اي هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرائط العقد
ووجوب القسم والمهر بالوطي حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها انه كيف
ينبغي ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه وهو خالصة
للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه والتضييق عليهم
تارة وبالعكس اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان
الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم
اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرا حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء
والمعنى واحد ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء من ذلك
ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن ذلك التفويض الى
مشيئتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت
بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن
وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد نون يرضين
وقرئ بالنصب تاكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه وكان الله عليما
بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء بالياء
لان تانيث الجمع غير حقيقي وقرا البصريان بالتاء من بعد من بعد التسع وهو في حقه كالاربع
في حقنا او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن من ازواج
فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق ولو اعجبك حسنهن
حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله
في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان الاية محكمة او منسوخة بقوله
ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق
بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن
لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه
يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا فتحفظوا امركم ولا
تتخطوا ما حد لكم يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الا وقت
ان يؤذن او الا ماذونا لكم الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار
بانه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله غير ناظرين اناه
غير منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام

فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة و
الكسائي اناه لانه مصدر اني الطعام اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم
فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا والاية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل
بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستأنسين لحديث لبعضكم بعضا
او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا او ولا تمكثوا
مستأنسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما
لا يعنيه فيستحيي منكم من اخراجكم لقوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان
لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء
حركتها على الحاء واذا سألتموهن متاعا شيئا ينتفع به فسألوهن المتاع من وراء حجاب
ستر روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين
بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة (رضي الله عنها)
فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية وما كان
لكم وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا
من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في
ايام عمر فهم برجمها فاخبر بانه صلى الله عليه وسلم فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير ان ذلكم
يعني ايذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب
لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد فقال ان تبدوا شيئا كنكاحهن على السنتكم او
تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي هذا التعميم
مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن
ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه
لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء الحجاب
فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي ابا في قوله واله آبائك ابراهيم
واسمعيل واسحق او لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفاهن لابنائهما ولا نسائهن يعني
نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور
واتقين الله فيما امرتن به ان الله كان على كل شيء شهيدا لا تخفى عليه خافية ان الله وملائكته
يصلون على النبي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا
انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك
ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره والاية تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه في الجملة وقيل تجب
الصلوة كلما جرى ذكره لقوله عليه السلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت
عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويجوز الصلوة على غيره تبعا ويكره استقلالا لانه

في العرف صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا
جليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي او يؤذون
رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز
اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين لعنهم الله ابعدهم
من رحمته في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام والذين يؤذون
المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا واثما
مبينا ظاهرا روي انها نزلت في منافقين يؤذون عليا رضي الله عنه وقيل في اهل الافك وقيل
في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء
المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة
ومن للتبعيض فان المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض ذلك ادنى ان يعرفن
يميزن من الاماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله
غفورا لما سلف رحيما بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته المنافقون
عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين
او فجورهم والمرجفون في المدينة يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم
واصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت لنغرينك
بهم لنأمرنك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على
لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول صلى الله عليه وسلم اعظم ما يصيبهم
فيها في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ملعونين نصب على الشتم او الحال والاستثناء
شامل له ايضا اي لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد
اي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا في وهنهم بالارجاف
ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه لا يبدلها او لا يقدر احد ان يبدلها يسألك
الناس عن الساعة عن وقت قيامها استهزاء او تعنتا او امتحانا قل انما علمها عند الله
لم يطلع عليها ملكا ولا نبيا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا او تكون شيئا قريبا
وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين
واسكات للمتعنتين ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة الايقاد خالدين فيها
ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم في النار
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب وقالوا ربنا انا
اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا
على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا ربنا آتهم ضعفين من العذاب
مثلي ما آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا كثير العدد وقرأ عاصم بالباء

سادتهم رؤساء الكفرة الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم يقال ضل السبيل واضله اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدته الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستأنف — من كشاف

اى لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه
الله مما قالوا فاظهر براته من مقولهم يعنى مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض
امراة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر فى القصص او اتهمه ناس بقتل هرون لما خرج معه
الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا بهم حتى راوه غير مقتول وقيل احياه الله
فاخبرهم ببراءته او قذفوه بعيب فى بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله
على انه برئ منه وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ كان عبد الله وجيها يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله فى ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذى رسوله وقولوا قولا سديدا
قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهى عن ضده بحديث زينب من غير قصد
يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم
ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم فى القول والعمل ومن يطع الله ورسوله فى الاوامر
والنواهى فقد فاز فوزا عظيما يعيش فى الدنيا حميدا وفى الاخرة سعيدا انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة
شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين ان
يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فاز الراعى
لها والقائم بحقوقها بخير الدارين انه كان ظلوما جهولا حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا
بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التى تعم الطبيعية
والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذى يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره
من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها
فيبرا ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان يتاتى منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير
وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها انى فرضت فريضة وخلقت جنة
لمن اطاعنى فيها ونارا لمن عصانى فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبتغى ثوابا
ولا عقابا ولما خلق ادم عرض عليه مثل ذلك فتحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا
بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة
الى استعدادهن وباباءهن الاباء الطبيعى الذى هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل
الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية
وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا
لهما عن التعدى ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل
للحمل من حيث انه نتيجته كالتاديب للضرب فى ضربته تاديبا وذكر التوبة فى الوعد اشعار بان
كونهم ظلوما جهولا فى جبلتهم لا يخليهم عن فرطات وكان الله غفورا رحيما حيث تاب على

فرطاتهم

فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاحزاب وعلمها
اهله وما ملكت يمينه اعطى الامان من عذاب القبر سورة سبا مكية وقيل الا ويرى
الذين اوتوا العلم الاية وانها خمس واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
الذى له ما فى السموات وما فى الارض خلقا ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته وعلى
تمام نعمته وله الحمد فى الاخرة لان ما فى الاخرة ايضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على
المطلق فان الوصف يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية قيد فيه الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص
فان النعم الدنيوية قد يكون بوساطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الاخرة وهو الحكيم
الذى احكم امور الدارين الخبير ببواطن الاشياء يعلم ما يلج فى الارض كالغيث ينفذ
فى موضع وينبع فى موضع اخر وكالكنوز والدفائن والاموات وما يخرج منها كالحيوان والنبات
والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق و
الانداء والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم
الغفور للمفرطين فى شكر نعمته مع كثرتها او فى الاخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة
للحصر وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة انكار لمجيئها او استبطاء استهزاء بالوعد به قل بلى
رد لكلامهم واثبات لما نفوه وربى لتاتينكم عالم الغيب تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا
لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفى استبعاده على ما مر غير مرة وقرا حمزة والكسائى
علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدا خبره
لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وقرا الكسائى لا يعزب بالكسر ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين جملة مؤكدة لنفى العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة
بالفتح على نفى الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح فى موضع الجر لامتناع
الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير فى عنه للغيب وجعل المثبت فى اللوح
خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شىء الا مسطورا فى
اللوح ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات علة لقوله لتاتينكم وبيان لما يقتضى اتيانها
اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا فى اياتنا بالابطال
وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين كى يفوتونا وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين اى مثبطين
عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب من رجز من سىء العذاب اليم مؤلم ورفعه ابن كثير
ويعقوب وحفص ويرى الذين اوتوا العلم ويعلم اولوا العلم من اصحابه ومن شايعهم من
الامة او من مسلمى اهل الكتاب الذى انزل اليك من ربك القران هو الحق ومن رفع الحق
جعل هو ضمير ابتداء والحق خبره والجملة ثانى مفعولى يرى وهو مرفوع مستانف للاستشهاد
باولى العلم على الجهلة الساعين فى الايات وقيل منصوب معطوف على ليجزى اى وليعلم اولوا العلم
عند مجىء الساعة انه الحق عيانا كما علموها الان برهانا ويهدى الى صراط العزيز الحميد الذى
هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقال الذين كفروا قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل

بعوث محمد صلى الله عليه وسلم ينبئكم يحدثكم بأعجب الأعاجيب إذا مزقتم كل ممزق إنكم
لفي خلق جديد إنكم تنشأون خلقا جديدا بعد أن تمزق أجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث
تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما
بعده فإن ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بأن وممزق يحتمل
يكون مكانا بمعنى إذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحت كل مطرح وجديد بمعنى
فاعل من جد كحديد من حد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب إذا قطعه أفترى
على الله كذبا أم به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعله إياه قسيم
الافتراء غير معتقدين صدقه على أن بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن
بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لأن الافتراء أخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة
في العذاب والضلال البعيد رد من الله عليهم ترديدهم واثبات لهم ما هو أفظع من القسمين
وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله
رسيلا له في الوقوع ومقدما عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له والبعد في الأصل
صفة الضال ووصف الضلال به على الإسناد المجازي أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم
من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء تذكير بما
يعاينونه مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه إزاحة لاستحالتهم الإحياء حتى جعلوه افتراء
وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا إلى ما أحاط بجوانبهم من السماء والأرض ولم
يتفكروا أهم أشد خلقا أم هي وأنا إن نشأ نخسف بهم أو نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم
بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائي يشأ ويخسف ويسقط بالياء كقوله أفترى
على الله كذبا وحفص كسفا بالتحريك إن في ذلك إن في النظر والفكر فيهما وما يدلان عليه لآية
لدلالة لكل عبد منيب راجع إلى ربه فإنه يكون كثير التأمل في أمره ولقد آتينا داود
منا فضلا أي على سائر الأنبياء وهو ما ذكر بعد أو على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب
والملك والصوت الحسن يا جبال أوبي معه رجعي معه التسبيح أو النوح على الذنب والتوجد وذلك
إما بخلق صوت مثل صوته فيها أو بحملها إياه على التسبيح إذا تأمل ما فيها أو سيري معه حيث سار
وقرئ أوبي من الأوب أي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا أو من آتينا
بإضمار قولنا أو قلنا والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها
تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة الإعراب أو على فضلا أو مفعول معه لأوبي وعلى
هذا يجوز أن يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الأصل ولقد آتينا داود منا فضلا
تأويب الجبال والطير فبدل به هذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شأنه وكبرياء
سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لأمره في نفاذ مشيئته فيها
وألنا له الحديد جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير إحماء وطرق بآلاته أو بقوته
أن اعمل أمرناه وأن مفسرة أو مصدرية سابغات دروعا واسعات وقرئ صابغات

وهو

وهو أول من اتخذها وقدر في السرد وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها أو قدر مساميرها
فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بأن دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله وألنا له
الحديد واعملوا صالحا الضمير فيه لداود وأهله إني بما تعملون بصير فأجازيكم عليه
ولسليمان الريح أي وسخرنا له الريح وقرئ الريح والرياح بالرفع أي ولسليمان الريح مسخرة
غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها
وروحتها وأسلنا له عين القطر النحاس المذاب أسال له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع
ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح ومن الجن حال
متقدمة أو جملة من مبتدأ وخبر بإذن ربه بأمره ومن يزغ منهم عن أمرنا ومن يعدل منهم عما
أمرناه من طاعة سليمان وقرئ يزغ من أزاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الآخرة يعملون
له ما يشاء من محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت به لأنها يذب عنها ويحارب عليها
وتماثيل وصورا وتماثيل للملائكة والأنبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا
نحو عباداتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد وروي أنهم عملوا أسدين في أسفل كرسيه ونسرين
فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما
وجفان وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة
وقدور راسيات ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية
لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة أي اعملوا له واعبدوه شكرا أو المصدر لأن العمل له شكر أو
الوصف له أو الحال أو المفعول به وقليل من عبادي الشكور المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه
وجوارحه ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر فلما قضينا عليه الموت أي على سليمان
ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل آله إلا دابة الأرض أي الأرضة أضيفت إلى فعلها وقرئ
بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال أرضت الأرضة الخشبة أرضا فأرضت أرضا
مثل أكلت القوادح الأسنان أكلا فأكلت أكلا تأكل منسأته عصاه من نسأت البعير إذا
طردته لأنها تطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير القياس إذ القياس
إخراجها بين بين ومنسأته على مفعالة كميضأة في ميضاة ومن سأته أي طرف عصاه مشتقا
من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة وقرأ نافع وأبو عمرو ومنساته بألف ساكنة بدلا من
الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة إذا وقف عليها جعلها بين بين فلما خر تبينت الجن
علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين أنهم
لو كانوا يعلمون كما يزعمون لعلموا موته حيثما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره إلى
أن خر أو ظهرت الجن وأن بما في حيزه بدل منه أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا
في العذاب وذلك أن داود أسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل تمامه
فوصى به إلى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد إذ دنا أجله فأعلم به فأراد أن يعمي
عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه

كركر

١٧ اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه للشكر نعمة
تستدعي شكرا اخر لا الى نهاية له م

وكان بعد ذلك انه لا يصبح يوما الا ينبت في محراب بيت المقدس شجرة فيسالها
ما اسمك فتقول اسمي كذا فيقول لاي شيء انت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع
فان كانت تنبت لغرس غرسها وان كانت لدواء كتب حتى نبتت الخروبة فقال لها ما انت
قالت الخروبة قال لاي شيء نبت قالت لخراب مسجدك قال سليمان ما كان الله ليخربه
وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له
ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن
تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب اشياء ويعلمون ما في غد من معالم التنزيل

فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا
وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد
مات منذ سنة وكان عمره ثلثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وابتدأ عمارة
بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبا لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن
قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا
ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب في مساكنهم في مواضع سكناهم وهي
باليمن يقال لها مارب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح و
الكسائي بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع آية علامة دالة على وجود الصانع
المختار وانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان
السابق كما في قصتي داود وسليمان جنتان بدل من آية او خبر محذوف تقديره الآية جنتان
وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم و
جماعة عن شماله كل واحدة منها في تقاربها وتضايقها كانها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم
عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال
او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استئناف للدلالة
على موجب الشكر اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم
رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اخصب البلاد واطيبها
لم يكن فيها عاهة ولا هامة فاعرضوا عن الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر العرم اي
الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف
اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار
ما يحتاجون اليه او المسناة التي عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل اسم
واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما السلام وبدلناهم بجنتيهم جنتين
ذواتي اكل خمط ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر ذي
شوك لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا
او عطف بيان واثل وشيء من سدر قليل معطوفان على اكل لا على خمط فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيانا فان الاثل هو الطرفا ولا ثمر له وقرئا بالنصب عطفا على
جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين
وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم وقرأ ابو عمرو ذواتي اكل خمط بغير تنوين وقرأ الحرميان
بتخفيف اكل ذلك جزيناهم بما كفروا بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي انه بعث اليهم ثلثة
عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص وهل نجازي الا الكفور وهل يجازى
بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ في الكفران او الكفر وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص نجازي
بالنون والكفور بالنصب وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي

قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء
السبيل وقدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية الى ان يبلغ
الشام سيروا فيها على ارادة القول بلسان المقال او الحال ليالي واياما متى شئتم من ليل
ونهار آمنين لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدة سفركم
فيها او سيروا فيها ليالي اعماركم وايامها لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين
اسفارنا اشروا النعمة وملوا العافية كبني اسرائيل فسألوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز
ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى
المتوسطة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر على انه
شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا في الترفه وعدم الاعتداد بما انعم عليهم فيه ومثله قرأ من قرأ
ربنا بعد او بعد على النداء واسناد الفعل الى بين وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا
بها فجعلناهم احاديث يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم
كل ممزق ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة
والازد بعمان ان في ذلك فيما ذكر لآيات لكل صبار عن المعاصي شكور على النعم ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه
بنفسه كما في صدق وعد لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا
وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه
الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبأ حين رأى
انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين رأى اباهم النبي ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب
او سمع من الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها فقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من
المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من
فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان تسلط واستيلاء
بوسوسة واستغواء الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك الا ليتعلق علمنا بذلك
تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله
والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى وربك على كل شيء
حفيظ محافظ والزنتان متقاربتان قل ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا
زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته مقامه ولا يجوز ان يكون هو
مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه من دون الله
والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب
عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر
في السموات ولا في الارض في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان آلهتهم بعضها سماوية
كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية

وارضية والجملة استيناف لبيان حالهم وما لهم فيهما من شرك من شركة لا خلقا ولا ملكا
وما له منهم من ظهير يعينه على تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده فلا تنفعهم شفاعة ايضا
كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن اذن له اذن له ان يشفع او اذن ان
يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى
الثاني كاللام في جئتك لزيد وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة حتى اذا فزع عن
قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان ثم توقفا وانتظارا للاذن اي يتربصون فزعين
حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد
تقدم ذكرهم ضمنا وقرا ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ اي نفي الوجل
من فرغ الزاد اذا فني قالوا قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق قالوا
قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اي مقوله الحق
وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه
قل من يرزقكم من السموات والارض يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه
وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او تلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم
وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة
الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من
الهدى والضلال المبين وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو في
الضلال ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان اتهجوه
ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادي كمن
صعد منارا ينظر الاشيا ويتطلع عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشا والضال كانه منغمس في
ظلام مرتبك لا يرى شيئا او محبوس مطمور لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسالون عما اجرمنا
ولا نسال عما تعملون هذا ادخل في الانصاف وابلغ في الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم
والعمل الى المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل
المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفاصل في القضايا المنغلقة العليم بما
ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء لارى باي صفة الحقتموهم بالله في استحقاق
العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم
عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة
والحكمة وهؤلاء الملحقون متسمون بالذلة متابية عن قبول العلم والقدرة راسا والضمير لله
او للشان وما ارسلناك الا كافة للناس الا رسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم
فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء
للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون
فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط جهلهم متى هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه

مثل قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله

او الموعود

او الموعود بقوله يجمع بيننا ان كنتم صادقين يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان وعد واضافته للتبيين ويؤيده انه قرئ على البدل
وقرئ يوما باضمار اعني لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اذا فاجاكم وهو جواب
تهديد جاء مطابقا لما قصدوا بسؤالهم من التعنت والانكار وقال الذين كفروا لن نؤمن
بهذا القران ولا بالذي بين يديه ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث وقيل ان كفار
مكة سألوا اهل الكتاب عن الرسول عليه السلام فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا
وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه يوم القيمة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اي في
موضع المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا
يقول الاتباع للذين استكبروا للرؤسا لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان
لكنا مؤمنين باتباع الرسول عليه السلام قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم
عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا
انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى واثروا التقليد عليه ولذلك بنوا
الانكار على الاسم وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب عن
اضرابهم اي لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا اذ
تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى
الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف
ومكر الليل من الكرور واسروا الندامة لما راوا العذاب واضمر الفريقان الندامة على الضلال
والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة
تصلح للاثبات والسلب كما في اشكيته وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم
فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي
لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعديته يجزى اما لتضمين معنى يقضى او لنزع الخافض
وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه
وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم الى التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا الانهماك
في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا
انا بما ارسلتم به كافرون مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى
بما تدعونه ان امكن وما نحن بمعذبين اما لان العذاب لا يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا
يهيننا بالعذاب قل رد لحسبانهم ان ربي يبسط الرزق لمن يشا ويقدر ولذلك يختلف
فيه الاشخاص المتماثلة في الخصايص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن
بمشيته ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة
وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى
قربة والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم واولادكم او لانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة

وقرئ بالذي اي بالشيء الذي يقربكم الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي
الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم
ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف فاولئك لهم جزاء
الضعف ان يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول و
قرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز
او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم بما عملوا وهم في الغرفات آمنون من المكاره وقرئ
بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا بالرد و
الطعن فيها معاجزين سابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب
محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق
عليه اخرى فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير وما انفقتم
من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا وهو خير الرازقين فان غيره وسط في ايصال
رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا المستكبرين والمستضعفين ثم يقول للملائكة
أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا عما يتوقعون من شفاعتهم
وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك
واصله قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا
وبينهم كأنهم بينوا براءتهم عن الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة
بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون و
يخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس او للمشركين و
الاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر فيه كله
لله لان الدار دار جزاء وهو المجازي وحده ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم
بها تكذبون عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا
ما هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم
بما يستبدعه وقالوا ما هذا يعنون القرآن الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته
الى الله سبحانه وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة او للاسلام او للقرآن والاول باعتبار
لفظه والثاني باعتبار اعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة
وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة الى البت تمهيد للقول
انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك وما
ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه
له فمن اين لهم هذه الشبهة وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال
وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا
اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى

فكذبوا رسلي فكيف كان نكير فحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير فكيف كان نكيري
لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير في كذب لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب والاول
مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم وانصح
لكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه ان تقوموا لله وهو القيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
او الانتصاب في الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد مثنى وفرادى متفرقين اثنين
اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول ثم تتفكروا في امر
محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع او
النصب باضمار هي او اعني ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك او استئناف
على ان ما عرفوا من رجاحة عقله كاف في ترجح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء
امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهانه فيفتضح على رؤوس الاشهاد ويسلم ويلقي
نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا
اي شيء به من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدامه لانه مبعوث في نسم
الساعة قل ما سألتكم من اجر اي شيء سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال
فانه جعل التنبي مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع عليه لانه اما ان يكون لغرض
او غيره وايا ما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما
اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى
واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم
صدقي وخلوص نيتي قل ان ربي يقذف بالحق يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به
الباطل فيدمغه او يرمي به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه علام
الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان او خبر محذوف
وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني والغيوب بالكسر كالبيوت وبالضم كالعشور وبالفتح
كالصبور على انه مبالغة غائب قل جاء الحق اي الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد وزهق
الباطل اي الشرك بحيث لم يبق له اثر مأخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة
قال اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى
لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما
بعده قل ان ضللت عن الحق فانما اضل على نفسي فان وبال ضلالي عليها فانه بسببها اذ هي
الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله وان اهتديت
فبما يوحي الي ربي فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد
وفعله وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف
مثل لرأيت امرا فظيعا فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب
من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا

اولا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اى فلا فوت هناك وهناك اخذ
وقالوا امنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره فى قوله ما بصاحبكم من جنة وانى لهم التناوش
ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه فى حيز التكليف وقد بعد
عنهم وهو تمثيل حالهم فى الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد عنهم بحال من يريد ان
يتناول الشئ من غلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرا ابو عمرو والكوفيون غير حفص
بالهمز على قلب الواو لضمتها او انه من ناشت الشئ اذا طلبته قال رؤبة اقحمنى جار ابى الجاموس
اليك ناش القدر النؤوش او من ناشت اذا تاخرت ومنه قوله تمنى نئيشا ان يكون
اطاعنى وقد حدثت بعد الامور امور فيكون بمعنى التناول من بعد وقد كفروا به بمحمد صلى الله
عليه وسلم او بالعذاب من قبل من قبل ذلك اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون
بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى الرسول صلى الله عليه وسلم من المطاعن او فى العذاب من البت
على نفيه من مكان بعيد من جانب بعيد من امره وهو الشبه التى تمحلوها فى امر الرسول
وحال الاخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرمى شيئا لا يراه من
مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقى اليهم ويلقنهم ذلك
والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف
فى تحصيل ما ضيعوه من الايمان فى الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة به
من النار كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا فى شك
مريب موقع فى الريبة او ذى ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سبا لم يبق رسول ولا نبى الا كان له يوم القيمة
رفيقا ومصافحا سورة فاطر مكية وهى خمس او اربع واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم باخراجهما منه
والاضافة محضة لانه بمعنى الماضى جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين
من عباده يبلغون رسالاته بالوحى والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون
اليهم اثار صنعه اولى اجنحة مثنى وثلث ورباع ذوى اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت
ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على
ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفى ما زاد عليها لما روى انه صلى الله عليه وسلم راى
جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح يزيد فى الخلق ما يشاء استئناف للدلالة على ان تفاوتهم
فى ذلك مقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا امر تستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع
بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافى لوازم الامور المتفقة وهو محال
والاية متناولة زيادات الصور والمعانى كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة
النفس ان الله على كل شئ قدير وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة
الارادة ما يفتح الله للناس ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب من رحمة كنعمة

وامن

وامن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها وما يمسك فلا مرسل له يطلقه واختلاف
الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثانى مطلق يتناولها والغضب وفى ذلك
اشعار بان رحمته سبقت غضبه من بعده من بعد امساكه وهو العزيز الغالب على ما يشاء
ليس لاحد ان ينازعه فيه الحكيم لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك
والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه فقال يا ايها الناس اذكروا
نعمت الله عليكم احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون
لغيره فى ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء
والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون فمن اى وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره
به ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفى او لانه
فاعل خالق وجره حمزة والكسائى حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة
لخالق او استيناف مفسر له او كلام مبتدا وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من
اطلاقه على غير الله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك اى فتاس بهم فى الصبر على تكذيبهم
فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضى
زيادة التسلية والحث على المصابرة والى الله ترجع الامور فيجازيك واياهم على الصبر
والتكذيب يا ايها الناس ان وعد الله بالحشر والجزاء حق لا خلف فيه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
فيذهلكم التمتع بها عن طلب الاخرة والسعى لها ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان
بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع
كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر او جمع كقعود ان الشيطان
لكم عدو عداوة عامة قديمة فاتخذوه عدوا فى عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه
فى مجامع احوالكم انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه
فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه و
قطع للامانى الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله افمن زين له سوء عمله
فراه حسنا تقرير له اى فمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس
رايه فراى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال
واستقبحها على ما هى عليه فحذف الجواب لدلالة ٣ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه
ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاءات الثلث
للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة على المسبب وعليهم ليس صلة لها لان صلة المصدر لا
يتقدمه بل صلة لتذهب او بيان للمتحسر عليه ان الله عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه
الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك
اسند اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر فسقناه الى

٣ فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وقيل تقديره افمن زين له
سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة ٣

بلد ميت فأحيينا به الأرض بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره أو بالسحاب فإنه
سبب السبب والصائر مطرا بعد موتها بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة إلى ما هو أدخل
في الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع كذلك النشور أي مثل إحياء الموات نشور الأموات
في صحة المقدورية إذ ليس بينهما إلا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه وذلك لا مدخل
فيها وقيل في كيفية الإحياء فإنه تعالى يرسل ماء من تحت العرش ينبت منه أجساد الخلق من
كان يريد العزة الشرف والمنعة فلله العزة جميعا أي فليطلبها من عنده فإن له
كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان
لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما إليه مجاز عن قبوله إياهما أو
صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم فإن العمل لا يقبل إلا بالتوحيد ويؤيده
أنه نصب العمل أو للعمل فإنه يحقق الإيمان ويقويه أو لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه
من الكلفة وقرئ يُصعَد على البناءين والمُصعِد هو الله تعالى أو المتكلم به أو الملك وقيل
الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعنه صلى الله عليه وسلم هو سبحان الله
والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيا بها وجه
الرحمن فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات يعني مكرات
قريش للنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداورهم الرأي في إحدى ثلاث حبسه وقتله
وإجلائه لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون به ومكر أولئك هو يبور يفسد ولا
ينفذ لأن الأمور مقدرة ولا تتغير به كما دل عليه بقوله والله خلقكم من تراب بخلق
آدم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم أزواجا ذكرانا وإناثا وما تحمل من أنثى
ولا تضع إلا بعلمه إلا معلومة له وما يعمر من معمر وما يمد في عمر من مصيره إلى الكبر ولا
ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بأن يعطى له عمر ناقص من عمره أو لا ينقص من عمر المنقوص
عمره بجعله ناقصا والضمير له وإن لم يذكر لدلالة مقابله عليه أو للمعمر على التسامح فيه
ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه إلا بحق وقيل الزيادة والنقصان
في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت في اللوح مثل أن يكون فيه إن حج عمرو فعمره ستون
سنة وإلا فأربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينقص فإنه يكتب في صحيفة
عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على البناء للفاعل إلا في كتاب هو علم الله
أو اللوح أو الصحيفة إن ذلك على الله يسير إشارة إلى الحفظ أو الزيادة والنقص
وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ضرب مثل للمؤمن
والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره والأجاج الذي يحرق
بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد والتخفيف وملح على فعل ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون
حلية تلبسونها استطراد في صفة البحرين وما فيهما أو تمام التمثيل والمعنى كما أنهما وإن اشتركا
في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث إنهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء

فإنه خالط

فإنه خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوي المؤمن الكافر وإن
اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصة العظمى
وبقاء أحدهما على الفطرة الأصلية دون الآخر أو تفضيل للأجاج على الكافر بما
يشارك العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلئ واليواقيت وترى الفلك فيه
في كل مواخر تشق الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة
بمواخر ويجوز أن يتعلق بما دل عليه الأفعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف
الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس
والقمر كل يجري لأجل مسمى هي مدة دوره أو منتهاه أو يوم القيمة ذلكم الله ربكم له
الملك الإشارة إلى الفاعل لهذه الأشياء وفيها إشعار بأن فاعليته لها موجبة لثبوت
الأخبار المترادفة ويحتمل أن يكون له الملك كلاما مبتدأ في قران والذين تدعون
من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بالألوهية والربوبية والقطمير لفافة
النواة إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لأنهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا
لكم لعدم قدرتهم على الانتفاع أو لتبرئهم منكم مما تدعون لهم ويوم القيمة يكفرون
بشرككم بإشراككم لهم يقرون ببطلانه أو يقولون ما كنتم إيانا تعبدون ولا ينبئك
مثل خبير ولا يخبرك بالأمر مخبر مثل خبير به أخبرك وهو الله سبحانه فإنه الخبير به على الحقيقة
دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما أخبر به عن آلهتهم ونفي ما يدعون لهم يا أيها الناس
أنتم الفقراء إلى الله في أنفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كأنهم لشدة
افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وأن افتقار سائر الخلائق بالإضافة إلى فقرهم غير
معتد به ولذلك قال وخلق الإنسان ضعيفا والله هو الغني الحميد المستغني على الإطلاق
المنعم على سائر الموجودات حتى يستحق عليهم الحمد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد بقوم آخرين
أطوع منكم أو بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر أو متعسر ولا تزر
وازرة وزر أخرى ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى وأما قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا
مع أثقالهم ففي الضالين المضلين فإنهم يحملون أثقال إضلالهم مع أثقال ضلالهم وكل
ذلك أوزارهم ليس فيها شيء من أوزار غيرهم وإن تدع مثقلة نفس أثقلتها الأوزار
إلى حملها تحمل بعض أوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب بحمل شيء منه نفى أن يحمل عنها ذنبها
كما نفى أن يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها فأضمر المدعو
لدلالة إن تدع عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو أولى من جعل كان التامة فإنها
لا تلائم نظم الكلام إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب غائبين عن عذابه أو عن
الناس في خلواتهم أو غائبا عنهم عذابه وأقاموا الصلوة فإنهم المنتفعون بالإنذار
لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر عن دنس المعاصي فإنما يتزكى لنفسه
إذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فإنما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلوة

لانهما من جملة التزكي والى الله المصير فيجازيهم على تزكيهم وما يستوي الاعمى والبصير الكافر
والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل
ولا الحق ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب والعقاب ولا لتاكيد نفي الاستواء وتكريرها
على الشقين لمزيد التاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا
والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين
ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء ان الله يسمع من يشاء هدايته
فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين
على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم ان انت الا نذير فما عليك الا الانذار
واما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق
محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا
اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اهل عصر الا خلا مضى فيها نذير من
نبي او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما وقد قرن
به من قبل ولان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم
جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وبالزبر وبصحف ابراهيم وبالكتاب
المنير كالتوراة والانجيل على التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير
الوصفين ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة الم تر ان الله انزل
من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اجناسها او اصنافها على ان كلا منها له
اصناف مختلفة او هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوهما ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط
وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جُدُد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة
وجَدَد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف
وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلف اللون ومنها
غرابيب متحدة اللون وهو تاكيد مضمر يفسره فان الغربيب تاكيد للاسود ومن حق التاكيد ان
يتبع المؤكد ونظير ذلك في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير وفي مثله مزيد تاكيد لما
فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه
كذلك كاختلاف الثمار والجبال انما يخشى الله من عباده العلماء اذ شرط الخشية معرفة
المخشي والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال عليه السلام اني
اخشاكم لله واتقاكم له ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول
لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على
ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب
الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون
كتاب الله يداومون قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله

القرآن

نفق الدرهم راج زيرك

القرآن او جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين منهم بعد اقتصاص حال المكذبين
واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف اتفق من غير قصد
اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة
وهو خبر ان لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ليوفيهم اجورهم
علة لمدلوله اي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم او
لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون ويزيدهم من فضله
على ما يقابل اعمالهم انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اي مجازيهم عليها وهو علة
للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من واو وانفقوا والذي اوحينا اليك
من الكتاب يعني القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض هو الحق مصدقا لما بين يديه
احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه
في العقائد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر
فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار
على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة في ذلك الامور الروحانية ثم اورثنا
الكتاب حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضي لتحققه او ورثناه من الامم
السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذي اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية
التوريث الذين اصطفينا من عبادنا يعني علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم
فان الله اصطفاهم على سائر الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به ومنهم مقتصد
يعمل به في اغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات باذن الله بضم التعليم والارشاد
الى العمل به وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم و
المقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته
مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما
الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك
يحبسون في طول المحشر حتى يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد
وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة و
الاقتصاد والسبق عارضان ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث او الاصطفاء
او السبق جنات عدن يدخلونها مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة او للذين او للمقتصد والسابق
فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو عمرو
يُدخَلونها على بناء المفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يَحْلَوْن من حليت المرأة
فهي حالية من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين ولؤلؤا عطف
على ذهب اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا
على محل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن همهم

من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ
الحزن ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة دار
الاقامة من فضله من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا
فيها لغوب كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع نفي النصب وما يتبعه مبالغة والذين
كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه
باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف
عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد استعارها كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور مبالغ
في الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو يجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم
يصطرخون فيها يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث
صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح
بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم
لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والان تحقق لهم خلافه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من
تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه متناول لكل عمر تمكن المكلف فيه
من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين الى الستين وعنه عليه السلام العمر الذي اعذر الله فيه
الى ابن ادم ستون سنة والعطف على معنى اولم نعمركم فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير
وهو النبي او الكتاب وقيل العقل او الشيب او موت الاقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير
يدفع العذاب عنهم ان الله عالم غيب السموات والارض فلا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه
احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون
كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الارض ملقى اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل
خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره ولا يزيد الكافرين
كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان له والتكرير للدلالة
على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد
بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الاخرة قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون
من دون الله يعني الهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء الله ولانفسهم فيما يملكونه
اروني ماذا خلقوا من الارض بدل من ارايتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني كانه قال
اخبروني عن هؤلاء الشركاء اروني اي جزء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك في
السموات ام لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية
ام اتيناهم كتابا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه على حجة من ذلك الكتاب
بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرأ
نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر على بينات فيكون ايماء على ان الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد
الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب

عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلاف او الرؤساء الاتباع بانهم شفعاء
عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليهم ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان
الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من بعد الله او من
بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء انه كان
حليما غفورا حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى
الامم وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود
والنصارى لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اي من واحدة من الامم اليهود والنصارى
وغيرهم او من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة
فلما جاءهم نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما زادهم اي النذير او مجيئه على التسبب الا نفورا
تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء اصله و
ان مكروا المكر السيء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم
اضيف ولا يحيق ولا يحيط المكر السيء الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر و
قرئ ولا يحيق المكر اي لا يحيق الله فهل ينظرون ينتظرون الا سنت الاولين سنة الله
فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا اذ لا
يبدلها بجعل غير التعذيب تعذيبا ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله اولم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه بما يشاهدونه
في مسائرهم الى الشام واليمن والعراق من اثار الماضين وكانوا اشد منهم قوة وما كان
الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض انه كان عليما بالاشياء
كلها قديرا عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها ظهر الارض
من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله
ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وهو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا
فيجازيهم على اعمالهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب
الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس

وعنه عليه الصلوة والسلام تدعى المعمة
تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة
وهي مكية وآيها ثلث وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم يس كالم في المعنى وقيل معناه
يا انسان بلغة طيء على ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل م الله
في ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء كاين او الاعراب على اتل يس او باضمار حرف
القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث او اعرابا على هذه يس وامالها الياء حمزة و
الكسائي وابو بكر وروح وادغم النون في واو والقرآن الحكيم ابن عامر والكسائي وابو بكر وورش

ويعقوب وهو والقسم والعطف اذ جعل يس مقسما به انك لمن المرسلين على صراط مستقيم
لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الامور فيجوز ان يكون
على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة
صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى
المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب باضمار اعني او فعله على انه
وقرئ بالجر على البدل من القرآن لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما انذر
آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم يعني آباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة
مبينة لشدة حاجتهم الى ارسالك او الذي انذر به او شيئا انذر به آباؤهم الابعدون
فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار آبائهم على المصدر فهم غافلون متعلق بالنفي
على الاول اي لم ينذروا فبقوا غافلين وبقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخر اي
ارسلتك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم يعني قوله لاملأن جهنم
من الجنة والناس اجمعين فهم لا يؤمنون لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم
بالذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطاطئون
فهم مقمحون رافعون رؤوسهم غاضون ابصارهم في انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون
اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤوسهم له وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا
فاغشيناهم فهم لا يبصرون وبمن احاط بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم
ووراءهم في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل
وقرأ حمزة والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان
بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الآيتان في بني مخزوم حلف ابو جهل
ان رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده
انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي
آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
سبق تفسيره في البقرة انما تنذر انذارا يترتب عليه البغية المرومة من اتبع الذكر اي
القرآن بالتأمل فيه والعمل به وخشي الرحمن بالغيب وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة
اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار فبشره بمغفرة واجر
كريم انا نحن نحيي الموتى الاموات بالبعث او الجهال بالهداية ونكتب ما قدموا ما اسلفوا
من الاعمال الصالحة والطالحة وآثارهم الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة
باطل وتأسيس ظلم وكل شيء احصيناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم
ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اي مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين
لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا واصحاب القرية على حذف مضاف اي اجعل لهم مثل اصحاب القرية

وذلك ان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطاطئ رأسه

مفعولا اول

مفعولا ثانيا على هذا التوجيه

مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية
اذ جاءها المرسلون بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى عليه السلام الى اهلها و
اسناده الى نفسه في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى
ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا وقرأ ابو بكر مخففا من عزه اذا غلبه و
حذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به بثالث وهو شمعون
فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة الاصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين
فلما قربا من المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا
نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرأ فآمن حبيب
وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى آلهتنا
قالا نعم من اوجدك وآلهتك قال قوما حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل
متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به واوصلوه الى الملك فانس به فقال له يوما
سمعت انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما
قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله
حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له
شمعون ارأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال الملك ليس لي
عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به
فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام فقال اني دخلت سبعة اودية من النار
وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء
الثلاثة شمعون وهذين فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن
صاح عليهم جبريل فهلكوا قالوا ما انتم الا بشر مثلنا لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم
بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء وحي ورسالة
ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا
بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما علينا الا
البلاغ المبين الظاهر البين بالآيات الشاهدة بصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه
لا يحسن الا ببينة قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم
له وتنفرهم عنه لئن لم تنتهوا عن مقالتكم لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم
قالوا طائركم معكم سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طيركم معكم
أئن ذكرتم وعظتم به وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقد
زيد الف بين الهمزتين وفتحت ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان بغير استفهام وأين
ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف

في العصيان فمن ثم جاءكم الشوم او في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم
ويتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم و
هو ممن امن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في غار يعبد الله فلما
بلغه خبر الرسل اظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم اجرا على
النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى خير الدارين وما لي لا اعبد الذي فطرني تلطف
في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد
تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال واليه ترجعون مبالغة في
التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر
لا تغن عني شفاعتهم شيئا لا تنفعني شفاعتهم ولا ينقذون بالنصر والمظاهرة اني
اذا لفي ضلال مبين فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع
والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل اني امنت بربكم الذي خلقكم فاسمعون
فاسمعوا ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان
يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا في دخولها
كسائر الشهداء او لما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض
بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام استيناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند
لقاء ربه بعد تصلبه في نصر دينه وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني
من المكرمين فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم
على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة على دأب الاولياء في كظم
الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على حق
وقرئ المكرمين وما خبرية او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على الاصل
والباء صلة غفر اي باي شيء غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم وما
انزلنا على قومه من بعده من بعد اهلاكه او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر
والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام
وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شيء سببا و
جعلنا ذلك سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة
على جند اي ومما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة ان كانت ما كانت
الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبريل وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم خامدون
ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحي كالنار الساطع والميت كرمادها كما قال لبيد
وما المرء الا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد تعالى
فهذه من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليها ما يأتيهم من رسول الا
كانوا به يستهزءون فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين

احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين و
يجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم
ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى
محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسره على العباد
باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن قوله كم اهلكنا قبلهم من
القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام انهم اليهم
لا يرجعون بدل من كم على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين
اليهم وقرئ بالكسر على الاستيناف وان كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيمة للجزاء وان
مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للتاكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما
بالتشديد بمعنى الا فيكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون
وآية لهم الارض الميتة وقرأ نافع بالتشديد احييناها خبر للارض والجملة خبر آية او صفة
لها اذ لم يرد بها معينة وهي الخبر او المبتدأ والآية خبرها او استيناف لبيان كونها آية واخرجنا
منها حبا جنس الحب فمنه ياكلون قدم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا
فيها جنات من نخيل واعناب من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على
الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب
والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر
والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون اي شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة
مقامه او العيون ومن مزيدة عند الاخفش ليأكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير
لله على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرأ حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة
فيه او جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه
كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد
الاول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها افلا يشكرون
امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه سبحان الذي خلق الازواج كلها الانواع والاصناف
مما تنبت الارض من النبات والشجر ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون وازواجا
مما لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته وآية لهم الليل نسلخ منه النهار نزيله
ويكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في اعرابه ما سبق فاذا هم مظلمون
داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر
المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ حيث يظن ان لها هناك
وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر
لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا
تطلع كل يوم من مطلع وتغرب في مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها

معناه تذهب بالنهار ونجيء بالليل وذلك ان الاصل هي الظلمة والنهار
داخل عليها اذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة معالم
الى مستقر لها قيل الى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة
وقيل انها تسير حتى انتهى الى ابعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها
لانها لا تجاوزه وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف
ونهاية هبوطها في الشتاء وقد صح عن النبي عليه السلام انه قال مستقرها
تحت العرش عن ابي ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المستقر والشمس تجري
تحت العرش عن ابي ذر قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غربت الشمس الذي
اين تذهب قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش
فيستاذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا تقبل منها وتستاذن
فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله
والشمس تجري لمستقر لها معالم التنزيل

عن خراب العالم وقرئ لا مستقر لها اى لا سكون فانها متحركة دائما ولا مستقر
على ان لا بمعنى ليس ذلك الجرى على هذا التقدير المتضمن للحكم التى تكل الفطن عن
احصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم
والقمر قدرناه منازل اى مسيره فى منازل وهى ثمانية وعشرون الشرطين البطين
الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة
العوا السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة
سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرع الدلو المؤخر
الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان
فى اخر منازله وهو الذى يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ الكوفيون وابن عامر
بنصب القمر حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج
وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر عليه
حول فصاعدا لا الشمس ينبغى لها يصح لها ويتسهل ان تدرك القمر فى سرعة سيره فان ذلك
يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او فى آثاره ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله او
سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفى الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد
بها ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران
وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم
لسرعة سيره وكل وكلهم والتنوين عوض المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف
الاحوال يوجب تعددا ما فى الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها فى فلك يسبحون
يسيرون فيه بانبساط وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او
صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم
لان استقرارهم فى السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم فى الفلك
المشحون المملوء وقيل المراد فلك نوح عليه السلام وحمل الله ذرياتهم وتخصيص الذرية لانه
ابلغ فى الامتنان وادخل فى التعجب مع الايجاز وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون
من الابل فانها سفائن البر او من السفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا
مغيث لهم يحرسهم عن الغرق او فلا استغاثة كقولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون
ينجون من الموت به الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة ولتمتيع بالحيوة الى حين زمان قدر
لآجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم الوقائع التى خلت والعذاب المعد
فى الآخرة او نوازل السماء ونوائب الارض كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء
والارض او عذاب الدنيا وعذاب الآخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم
ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية
من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا

لانهم

الشرطان بفتحتين كوكبان بهما قرنا الحمل الواحد شرط وهو العلامة كقوله
شرطت لغلام شرطا اى جعلته علامة يعرف بها ما بينى وبينه وانما سميا به لانهما
علامة المطر والريح بسبب طلوعها وقت الصبح علامة الربيع

لانهم اعتادوا وتمرنوا عليه واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم قال الذين
كفروا بالصانع يعنى معطلة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم
الامور بمشيئته انطعم من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم
فقراء المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم فلم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا
من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له
ان انتم الا فى ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشيئة الله ويجوز ان يكون جوابا من الله
لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون وعد
البعث ما ينظرون ما ينتظرون الا صيحة واحدة هى النفخة الاولى تأخذهم وهم يخصمون
يتخاصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله فاخذتهم الساعة بغتة
وهم لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى
ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو
وقالون به مع اختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان وكانه جوز الجمع بين الساكنين اذا
كان الثانى مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية فى
شئ من امورهم ولا الى اهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم ونفخ فى الصور
اى مرة ثانية وقد سبق فى سورة المؤمنين فاذا هم من الاجداث من القبور وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون يسرعون وقرئ بالضم قالوا يا ويلنا وقرئ يا ويلتنا من بعثنا
من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز
واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة
والمصدر هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة
الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف اى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق
وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة او المؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم
وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذى يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كانهم قالوا
بعثكم الرحمن وعدكم البعث وارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنونه فانه ليس
ببعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال ان كانت ما كانت الفعلة
الا صيحة واحدة هى النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم جميع لدينا محضرون
بمجرد تلك الصيحة وفى كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب
التى ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون
حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له فى النفوس وكذا قوله ان اصحاب
الجنة اليوم فى شغل فاكهون متلذذون فى النعمة من الفكاهة وفى تنكير شغل وابهامه
تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه
الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو فى شغل بالسكون ويعقوب فى رواية

كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون افعال الله بمشيئته فيقولون
لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء الله لاعز ولو شاء لكان كذا
فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من
تعليق الامور بمشيئته تعالى ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم
وذلك انهم كانوا دافعين ان يكون الغنى والفقر من الله لانهم معطلة
لا يؤمنون بالصانع كشاف

فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون
بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وشغل
بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات هم وازواجهم في ظلال على الارائك جمع ظل
كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في ظلل على الارائك على السرر المزينة
متكئون وهم مبتدأ خبره في ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان او متكئون والجار
صلة له او تأكيد للضمير في شغل او فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر ثان وازواجهم
عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلثة وفي ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه لهم
فيها فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل
اذا شوى وجمل لنفسه او ما يتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادع
على ما شئت بمعنى تمنه على او ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة
مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله سلام بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها
او خبر محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اي لهم
مرادهم خالصا قولا من رب رحيم اي يقول الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان
الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم
ويحتمل نصبه على الاختصاص وامتازوا اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك
حين يسار بهم الى الجنة لقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير او
تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يرى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان
لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم ما نصب لهم
من الحجج العقلية والسمعية الامرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان
لانه الامر بها المزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة واحهد واحد على لغة تميم انه لكم
عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني عطف على
ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته فالجملة استيناف لبيان
المقتضي للعهد بشقيه او بالشق الاخر والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد
سلوك بعض الطريق المستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون رجوع الى
بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأي والجبل
الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو
بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد
الاجيال هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها
اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم بان نمنعها عن الكلام وتكلمنا ايديهم
وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون بظهور اثار المعاصي عليها ودلالتها على افعالها او
بانطاق الله اياها وفي الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم وتكلمهم ايديهم

وارجلهم

وارجلهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا اعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا
الصراط فاستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين
الاستباق معنى الابتدار او جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف فانى يبصرون
الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على
مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم فما استطاعوا مضيا ذهابا
ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ
مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي ومضيا كصبي و
المعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول
الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم ومن نعمره ومن نطل عمره ننكسه في الخلق نقلبه
فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدؤ امره وقرأ
عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر افلا يعقلون ان من قدر على ذلك
قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدرج وقرأ نافع وابن عامر
ويعقوب بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمدا شاعر اي
ما علمناه الشعر بتعليم القرآن فانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء
من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان اراد
قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد منه الى ذلك
وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا
هذا وقد روي انه حرك الباءين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير
للقرآن وما يصح للقرآن ان يكون شعرا ان هو الا ذكر عظة وارشاد من الله وقرآن مبين
وكتاب سماوي يتلى في المعابد ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه من الاعجاز لينذر القرآن
او الرسول عليه السلام ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء من كان حيا عاقلا فهما
فان الغافل كالميت او مؤمنا في علم الله فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار
به لانه المنتفع به ويحق القول ويجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وجعلهم
في مقابلة من كان حيا اشعارا بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات في الحقيقة
اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا
وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث
انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع فهم لها مالكون متملكون
بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها قال اصبحت لا احمل
السلاح ولا املك رأس البعير ان نفرا وذللناها لهم صيرناها منقادة لهم فمنها
ركوبهم مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم

اي نقلبه فيه نخلقه على عكس ما خلقناه وذلك انا خلقناه على ضعف فجعلناه في خلق من غفل
وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال ويرتقي من درجة الى درجة الى ان يبلغ اشده
ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله
وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله كشاف

يعني ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن وما هو الا قرآن سماوي تقرأ في المحاريب
ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي
هو من همزات الشياطين كشاف

اى ذلول كوبهم او فمن منافعها ركوبهم ومنها يأكلون اى ما يأكلون لحمه ولهم فيها منافع
من الجلود والاصواف والاوبار ومشارب من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر
افلا يشكرون نعم الله فى ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها كيف امكن التوصل
الى تحصيل هذه المنافع المهمة واتخذوا من دون الله آلهة اشركوها به فى العبادة
بعدما رأوا منه تلك القدر الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بها لعلهم
ينصرون رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانهم لا يستطيعون
نصرهم وهم لهم لآلهتهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب عنهم او محضرون
اثرهم فى النار فلا يحزنك قولهم فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من احزن قولهم فى الله
بالالحاد والشرك او فيك بالتكذيب والتهجين انا نعلم ما يسرون وما يعلنون فنجازيهم
عليه وكفى ذلك ان يتسلى به وهو تعليل للنهى على الاستئناف ولذلك لو قرئ انا بالفتح
على حذف لام التعليل جاز اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين
تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره
حيث عجب منه وجعله افراطا فى الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو اهون
مما عمله فى بدء خلقه ومقابلة النعمة التى لا مزيد عليها وهى خلقه من اخس شئ وامهنه شريفا
مكرما بالعقوق والتكذيب روى ان ابى بن خلف اتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته
بيده وقال اترى الله يحيى هذا بعد ما رم فقال عليه السلام نعم ويبعثك ويدخلك
النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا مميز منطيق
قادر على الخصام معرب عما فى نفسه وضرب لنا مثلا امرا عجيبا وهو نفى القدرة على
احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسى خلقه خلقنا اياه قال
من يحيى العظام وهى رميم منكرا اياه مستبعدا له والرميم ما بلى من العظام ولعله فعيل بمعنى
فاعل من رم الشئ صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته وفيه
دليل على ان العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء قل يحييها الذى انشأها
اول مرة فان قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها فى القابلية اللازمة
لذاتها وهو بكل خلق عليم يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص
المتفتتة المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض على
النمط السابق واعادة الاعراض والقوى التى كانت فيها او احداث مثلها الذى جعل
لكم من الشجر الاخضر كالمرخ والعفار نارا بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان
يقطر منهما الماء فتنقدح النار فاذا انتم منه توقدون لا تشكون فى انها نار تخرج منه
فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان
اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلى وقرئ من الشجر الخضراء على
المعنى كقوله فمالئون منها البطون اوليس الذى خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم

شانها

المرخ شجر سريع الورى ومثل فى كل شجر نار والعفار ضرب من الشجر كثير النار

شانهما بقادر على ان يخلق مثلهم فى الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم فى اصول
الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر بلى جواب من الله لتقرير ما بعد النفى
مشعر بانه لا جواب سواه وهو الخلاق العليم كثير المخلوقات والمعلومات انما امره
انما شانه اذا اراد شيئا ان يقول له كن اى تكون فيكون فهو يكون اى يحدث وهو
تمثيل لتأثير قدرته فى مراده بامر المطاع للمطيع فى حصول المأمور من غير امتناع
وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة
الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائى عطفا على يقول فسبحان الذى
بيده ملكوت كل شئ تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا
للملك كله قادرا على كل شئ واليه ترجعون وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ
يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روى فى فضل يس كيف خصت به فاذا
انه بهذه الآية وعنه صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد
بها وجه الله غفر الله له ولوالديه واعطى من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة
وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون
بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه
وايما مؤمن قرأ يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت حتى يجيئه رضوان بشربة
من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء
حتى يدخل الجنة وهو ريان

سورة الصافات مكية وآيها احدى او اثنتان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا اقسم بالملائكة
الصافين فى مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله
الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور فيها او الناس عن المعاصى بالهام الخير او
الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوائف
الاجرام المترتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة
فى بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء الصافين فى العبادات الزاجرين
عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافين
فى الجهاد الزاجرين الخيل او العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مباراة العدو والعطف
لاختلاف الذوات او الصفات والفاء لترتيب الوجود لقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم
فالآئب فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاشاقة الى قبول الخير والتلاوة افاضة
او الرتبة كقوله عليه السلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتأخر و
هذا بالعكس وادغم ابو عمرو وحمزة التاءات فيما يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول الثنايا
ان الهكم لواحد جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف
فى كلامهم واما تحقيقه فبقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها

وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر
ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال العباد
فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب ومشارق الشمس في السنة وهي ثلثمائة
وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق
ادل على القدرة وابلغ في النعمة وما قيل انها مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف اوقات
الانتقال انا زينا السماء الدنيا القربى منكم بزينة الكواكب بزينة هي الكواكب والاضافة
للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه او بزينة
هي لها كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما
جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة ابي بكر بالتنوين والنصب على الاصل او بان
زينتها على اضافته الى الفاعل وركوز الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في
الست المتوسطة بينها وبين سماء الدنيا ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها
بأسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة وحفظا منصوب باضمار
فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا
من كل شيطان مارد خارج من الطاعة برمي الشهب لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام مبتدأ
لبيان حالهم بعدما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان يكون
الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف
ان كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغا فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار
المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل
عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمع وهو طلب السماع والملأ الاعلى الملائكة او
اشرافهم ويقذفون ويرمون من كل جانب من جوانب السماء اذا قصدوا اصعوده دحورا علة
اي للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه
الباء جمع دحر وهو ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول
او صفة له اي قذفا دحورا ولهم عذاب اي عذاب اخر واصب دائم شديد وهو عذاب الاخرة
الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس
كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها
واصلهما اختطف فاتبعه شهاب تبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كان كوكبا انقض وما
قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض
من الفلك ولا في قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل
نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كانه على سطحه ولا
يبعد ان يصير الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما للشياطين يتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما
روي ان ذلك حدث بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ان صح فلعل المراد كثرة وقوعه او مصيره

دحورا

ففي ... تادية وتأدى اليه الخبر ... انتهى

دحورا واختلف في ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد
لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه رأسا ولا يقال ان الشيطان من النار
فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا
استولت على الضعيفة استهلكتها ثاقب مضيء كانه يثقب الجو بضوئه فاستفتهم فاستخبرهم والضمير
لمشركي مكة او لبني ادم اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض
وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه
ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ ام من عددنا وقوله انا خلقناهم من طين لازب فان الفارق
بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر
فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة
ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما
باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم
بحدوث العالم او بقصة ادم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة
فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر على خلق هذه
الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بدأهم اولا وقدرته ذاتية
لا تتغير بل عجبت من قدرة الله وانكارهم للبعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث
وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي اني عجبت منها وهؤلاء
بجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب
من الله اما على الفرض والتخيل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري
الانسان عند استعظام الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت واذا
ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا بشيء لا يتعظون به واذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر
لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم واذا رأوا اية معجزة تدل على صدق القائل يستسخرون
يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا
يعنون ما يرون الا سحر مبين ظاهر سحريته ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة
مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحال اشد استنكارا
فهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح
الثانية او اباؤنا الاولون عطف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول
عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع برواية قالون
وابن عامر الواو على معنى الترديد قل نعم وانتم داخرون صاغرون وانما اكتفى به
في الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال
اي الله او الرسول ونعم بالكسر وهو لغة فيه فانما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر

اي اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اي صيحة واحدة وهي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه
اذا صاح عليها وامرها باعادة كامر كن في الابتداء ولذلك رتب عليها فاذاهم ينظرون
فاذاهم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا هذا
يوم الدين اليوم الذي نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا يوم الفصل الذي
كنتم به تكذبون جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق
بين المحسن والمسيء احشروا الذين ظلموا امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم
الى الموقف وقيل منه الى الجحيم وازواجهم واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد
الكوكب مع عبدته لقوله وكنتم ازواجا ثلاثة او ونساءهم اللاتي على دينهم او قرناءهم
من الشياطين وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم
وهو عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وفيه دليل على ان الذين ظلموا
المشركون فاهدوهم الى صراط الجحيم فعرفوهم طريقها ليسلكوها وقفوهم احبسوهم في الموقف
انهم مسئولون عن عقائدهم واعمالهم والواو لا يوجب الترتيب مع جواز ان يكون موقفهم متعددا ما لكم لا
تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون
لعجزهم وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم بعضهم
بعضا ويخذله واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء يتساءلون
يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين
عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين والخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا
مستعار من يمين الانسان الذي هو اقوى الجانبين واشرفه وانفعه ولذلك سمي يمينا وتيمن
السانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم
على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين
اجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين في انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم
على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان
فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين ثم بينوا ان ضلال الفريقين
ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم
الى الغي لانهم كانوا على الغي فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم في الحقيقة
ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء غاو فمن اغواهم فانهم الاتباع والمتبوعين
يومئذ في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل
بالمجرمين بالمشركين لقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي عن كلمة التوحيد
او على من يدعوهم اليه ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه
وسلم بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان
وتطابق عليه المرسلون انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك وتكذيب الرسول وقرئ

بنصب

اليمين لما كانت اشرف الاعضاء وامتنها وكانوا يتيمنون بها فيها يصافحون
ويماسحون ويناولون ويتناولون استعير لجهة الخير وجانبه فقيل اتاه عن
اليمنى اي من قبل الخير وناصيته فصد عنه واضله ولا ان يجعل مستعارا للقوة
والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تأتوننا عن
القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال و
تقسروننا عليه

بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو قليل ضعيف في المحلى
باللام وعلى الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين
استثناء منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار
المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار اولئك لهم رزق
معلوم خصائصه من الدوام وتمحض اللذة ولذلك فسره بقوله فواكه فان الفاكهة ما يقصد
للتلذذ دون التغذي والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة
عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون في نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال
كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن
في مكرمون او خبر ثان لاولئك على سرر يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين حالا من المستكن
فيه او في مكرمون وان يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون يطاف عليهم بكأس باناء
فيه خمر كقوله وكأس شربت على لذة من معين من شراب معين او نهر معين اي ظاهر للعيون
او خارج من العيون وهو صفة الماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجري كالماء
او للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة
وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين وهما ايضا صفتان لكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة
او لانها تأنيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض
العدى من خشية الحدثان لا فيها غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده
ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا
ذهب عقله افرده بالنفي وعطفه على ما يعمه لانه من اعظم فساده كانه جنس برأسه وقرأ
حمزة والكسائي بكسر الزاي وتابعهما عاصم في الواقعة من انزف الشارب اذا نفد عقله او
شرابه واصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها و
عندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء
كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون عن الغبار ونحوه في الصفاء والبياض
المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون
معطوف على يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون على الشراب قال وما بقيت من اللذات
الا احاديث الكرام على المدام والتعبير عنه بالماضي للتأكيد فيه فانه الذ تلك اللذات
الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا قال
قائل منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول أئنك لمن المصدقين
يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال اي ذلك القائل هل انتم مطلعون الى اهل
النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم وعن ابي عمرو مطلعون فاطلع
بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان ادب المجالسة يمنع

أو استبعاد له أو خاطب به الملائكة، ووضع المتصل موضع المنفصل كقوله: هم الفاعلون
الخير والآمرونه، أو شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم فرآه أي قرينه في سواء الجحيم
وسطه قال تالله إن كدت لتردين لتهلكني بالإغواء، وقرئ لتغوين، وإن هي المخففة
واللام هي الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين معك فيها
أفما نحن بميتين عطف على محذوف أي أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين أي بمن شأنه الموت
وقرئ بمائتين إلا موتتنا الأولى التي كانت في الدنيا، وهي متناولة لما في القبر بعد
السؤال، ونصبها على المصدر من اسم الفاعل، وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين
كالكفار، وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعاً له، أو معاودة إلى مكالمة جلسائه تحدثاً بنعمة الله
وتبجحاً بها وتعجباً منها وتعريضاً للقرين بالتوبيخ إن هذا لهو الفوز العظيم يحتمل أن يكون
من كلامهم وأن يكون كلام الله لتقرير قوله، والإشارة إلى ما هم عليه من النعمة والخلود والأمن
من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون أي لنيل مثل هذا يجب أن يعمل العاملون، لا للحظوظ
الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام، وهو أيضاً يحتمل الأمرين أذلك خير نزلاً أم شجرة
الزقوم شجرة ثمرها نزل أهل النار، وانتصاب نزلاً على التمييز أو الحال، وفي ذكره دلالة على أن
ما ذكر من النعيم لأهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل، ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه الأفهام، وكذلك
الزقوم لأهل النار، وهو اسم شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة تكون بتهامة، سميت به الشجرة الموصوفة
إنا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذاباً لهم في الآخرة، أو ابتلاء لهم في الدنيا، فإنهم لما سمعوا
أنها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر، ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان يعيش في النار
ويلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الإحراق إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم
منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها طلعها حملها، مستعار من طلع التمر لمشاركته
إياه في الشكل أو الطلوع من الشجر كأنه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والهول، وهو تشبيه بالمتخيل
كتشبيه الفائق في الحسن بالملك، وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها أعراف، ولعلها سميت
بها لذلك فإنهم لآكلون منها من الشجرة أو من طلعها فمالئون منها البطون لغلبة الجوع أو الجبر
على أكلها ثم إن لهم عليها أي بعدما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم، ويجوز
أن يكون ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوباً من حميم لشراباً من غساق أو صديد مشوباً
بماء حميم يقطع أمعاءهم، وقرئ بالضم، وهو اسم ما يشاب به، والأول مصدر سمي به ثم إن
مرجعهم مصيرهم لإلى الجحيم إلى دركاتها أو إلى نفسها، فإن الزقوم والحميم نزل يقدم إليهم
قبل دخولها، وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها
وبين حميم آن، يوردون إليه كما يورد الإبل إلى الماء ثم يردون إلى الجحيم، ويؤيده أنه قرئ
ثم إن منقلبهم إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك
الشدائد بتقليد الآباء في الضلال، والإهراع الإسراع الشديد، كأنهم يزعجون على الإسراع
على آثارهم، وفيه إشعار بأنهم بادروا إلى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم قبل

قومك

قومك أكثر الأولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين أنبياء أنذروهم من العواقب فانظر كيف
كان عاقبة المنذرين من الشدة والفظاعة إلا عباد الله المخلصين إلا الذين تنبهوا
بإنذارهم فأخلصوا دينهم لله، وقرئ بالفتح أي الذين أخلصهم الله لدينه، والخطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم
والمقصود خطاب قومه، فإنهم أيضاً سمعوا أخبارهم ورأوا آثارهم ولقد نادانا نوح
شرع في تفصيل القصص بعد إجمالها، أي ولقد دعانا حين أيس من قومه فلنعم المجيبون أي
فأجبناه أحسن الإجابة، فوالله لنعم المجيبون نحن، فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه
ونجيناه وأهله من الكرب العظيم من الغرق أو أذى قومه وجعلنا ذريته هم الباقين إذ
هلك من عداهم وبقوا متناسلين إلى يوم القيامة، إذ روي أنه مات كل من كان معه في السفينة
غير بنيه وأزواجهم وتركنا عليه في الآخرين من الأمم سلام على نوح في العالمين هذا الكلام
جيء به على الحكاية، والمعنى يسلمون عليه تسليماً، وقيل هو سلام من الله عليه، ومفعول تركنا محذوف
مثل الثناء في العالمين متعلق بالجار والمجرور، ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة
والثقلين جميعاً إنا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بأنه مجازاة له على
إحسانه إنه من عبادنا المؤمنين تعليل لإحسانه بالإيمان إظهاراً لجلالة قدره وأصالة أمره
ثم أغرقنا الآخرين يعني كفار قومه وإن من شيعته لإبراهيم ممن شايعه في الإيمان وأصول
الشريعة، ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع أو غالباً، وكان بينهما ألفان وستمائة وأربعون سنة،
وكان بينهما نبيان هود وصالح عليهما السلام إذ جاء ربه متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة
أو بمحذوف هو اذكر بقلب سليم من آفات القلوب، أو من العلائق خالص لله أو مخلص له، وقيل
حزين، من السليم بمعنى اللديغ، ومعنى المجيء به ربه إخلاصه له، كأنه جاء به متحفاً إياه إذ قال لأبيه
وقومه ماذا تعبدون بدل من الأولى، أو ظرف لجاء أو سليم أئفكاً آلهة دون الله تريدون
أي أتريدون آلهة دون الله إفكاً، فقدم المفعول للعناية، ثم المفعول له لأن الأهم أن يقرر
أنهم على الباطل ومبنى أمرهم على الإفك، ويجوز أن يكون إفكاً مفعولاً به وآلهة بدل منه، على
أنها إفك في نفسها للمبالغة، أو المراد بها عبادتها بحذف المضاف، أو حالاً بمعنى آفكين
فما ظنكم برب العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه رباً للعالمين حتى تركتم عبادته أو
أشركتم به غيره أو أمنتم من عذابه، والمعنى إنكار ما يوجب ظناً فضلاً عن قطع يصد عن
عبادته أو يجوز الإشراك به أو يقتضي الأمن من عقابه على طريقة الإلزام، وهو كالحجة على
ما قبله فنظر نظرة في النجوم فرأى مواقعها واتصالاتها، أو في علمها، أو كتابها، ولا منع
منه مع أن قصده إيهامهم، وذلك حين سألوه أن يعيد معهم فقال إني سقيم أراهم أنه
استدل بها لأنهم كانوا منجمين على أنه مشارف للسقم لئلا يخرجوه إلى معبدهم، فإنه كان
أغلب أسقامهم الطاعون، وكانوا يخافون العدوى، أو أراد إني سقيم القلب لكفركم، أو
خارج المزاج عن الاعتدال خروجاً قل من يخلو منه، أو بصدد الموت، ومنه المثل: كفى بالسلامة
داء، وقول لبيد: فدعوت ربي بالسلامة جاهداً ... ليصحني فإذا السلامة داء فتولوا عنه مدبرين

هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب واصله
الميل بحيلة فقال اي للاصنام استهزاء الا تأكلون يعني الطعام الذي كان عندهم ما لكم لا
تنطقون بجوابي فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل
لمكروه ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم لانه في معنى ضربهم او بمضمر تقديره فراغ
عليهم يضربهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعي قوة الفعل
وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه الى
ابرهيم بعدما رجعوا فرأوا اصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو
كما شرح في قوله من فعل هذا بالهتنا الآية يزفون يسرعون من زفيف النعام وقرأ
حمزة على بناء المفعول من ازفه اي يحملون على الزفيف وقرئ يزفون بالتخفيف اي يزف بعضهم بعضا
ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفوا
بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام والله خلقكم
وما تعملون اي وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل
من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد او عملكم
بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم
المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك به اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوا
على الاول لما فيها من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم في النار الشديدة
من الجحمة وهي شدة التأجج واللام بدل الاضافة اي جحيم ذلك البنيان فارادوا به كيدا
فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين
الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما
وقال اني ذاهب الى ربي الى حيث امرني ربي وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين
الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء
على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل
فلذلك ذكر بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني
في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد و
بانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم ويكون حليما واي حلم مثل حلمه حين عرض عليه
ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا
بالحلم لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه عليهما السلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه فلما
بلغ معه السعي اي فلما وجد وبلغ ان يسعى معه في اعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعي لانه
صلة المصدر لا يتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما لم يكن معا كانه قال فلما بلغ معه السعي فقيل
مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق وبالاستصلاح له فلا يستسعيه قبل
اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة قال يا بني اني ارى في المنام

اني

اني اذبحك يحتمل انه رأى ذلك وانه رأى ما هو تعبيره وقيل انه رأى ليلة التروية
ان قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما اصبح روى انه من الله او من الشيطان
فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره
وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب
اسمعيل عليه السلام لانه الذي وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة
على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل
والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم
او بلغ بنوه عشرا فلما سهل خرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت
الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا
معها في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب
منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روي انه عليه السلام سئل اي النسب اشرف
فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله
فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم والزوائد من الراوي وما روي
ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت فانظر ماذا ترى من الرأي وانما شاوره
فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم
وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرأ حمزة والكسائي ماذا تري
بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحها وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون
باخلاص فتحها قال يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف دفعة او على الترتيب كما عرفت او امرك
على ارادة المأمور به والاضافة الى المأمور ولعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه مأمورا
او علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به في المنام
دون اليقظة ليكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر
بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله
فلما اسلما استسلما لامر الله واسلم الذبيح نفسه وابرهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلها
سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع
جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته لئلا يرى فيه تغيرا
يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في الموضع المشرف على مسجده او المنحر الذي
ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات
وقد روي انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع وجواب لما محذوف تقديره
كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله على
ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما
به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لافراج

تدل الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوّز النسخ قبل وقوعه فانه عليه السلام كان مأمورا
بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز
فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله
فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبي واي نبي
من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب
منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة والفادي على الحقيقة ابرهيم وانما
قال وفديناه لانه المعطي له والآمر على التجوز في الفداء او السبب واستدل به الحنفية
على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيها ما يدل عليه وتركنا عليه في الآخرين سلام
على ابرهيم سبق بيانه في قصة نوح كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لعله طرح عنه
انا اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين مقضيا نبوته
مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت
البشارة فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى
بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق
نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرون
خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حيثما يوجد ومن فسر الغلام
باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه وايماء
بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه على ابرهيم
في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا
عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او على نفسه بالايمان
والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له
في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب ولقد مننا على موسى
وهرون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما
من الكرب العظيم من تغلب فرعون او الغرق ونصرناهم الضمير لهما مع القوم فكانوا هم
الغالبين على فرعون وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية
وهديناهما الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا عليهما في الآخرين
سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين سبق مثل
ذلك وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين سبط هرون اخي موسى بعث بعده
وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي وان ايليس وعنه
ايضا ايليسين وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس اذ قال لقومه الا
تتقون عذاب الله أتدعون بعلا أتعبدونه او تطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك
من الشام وهو البلد الذي يقال الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى أتدعون

بعض البعول

بعض البعول وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضي للانكار
المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين وقرأ حمزة والكسائي
ويعقوب وحفص بالنصب على البدل فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء
بالقرينة او لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين مستثنى
من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين لغة
في الياس كسيناء وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه ان
العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجمين وهو قليل
ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان
فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد صلى الله عليه وسلم او القرآن او غيره من كتب الله والكل
لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين
اذ الظاهر ان الضمير لالياس وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا
في الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم
في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اي
ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء
افلا تعقلون افليس فيكم عقل تعتبرون به وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق
هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه تعالى حسن اطلاقه عليه الى
الفلك المشحون المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة
واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره
الله به فركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال
انا الآبق ورمى بنفسه في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة
او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان
من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا
انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل
ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء
فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روي
ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه
واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل
اربعون وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه
مظلة عليه شجرة من يقطين من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن
بالمكان اذا قام به والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع
عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس

وقيل التين وقيل الموز تغطي بورقه وتستظل باغصانه ويفطر على ثماره وارسلناه الى
مائة الف او يزيدون هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد به ما سبق من ارساله
او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم او يزيدون في مرأى الناظر اي اذا نظر اليهم قال هم مائة
الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوه او فجددوا الايمان
بمحضره فمتعناهم الى حين الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به
سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع الكبر واولي العزم من الرسل او اكتفاء
بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة فاستفتهم ألربك البنات ولهم
البنون معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم
البعث وساق الكلام في تقريره جارا لما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امر
باستفتائهم حيث جعلوا لله البنات سبحانه ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله
وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز الفناء على الله فان الولادة مخصوصة
بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين
له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك
وابطاله في كتابه مرارا وجعله مما يكاد يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان فسادهما
مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم أم خلقنا
الملائكة اناثا وهم شاهدون وانما خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا تعلم الا به فان
الانوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء و
الاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم الا انهم من افكهم
ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وانهم لكاذبون فيما يتدينون به
وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
اصطفى البنات على البنين استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة
الشيء وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على
الاثبات باضمار القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله مالكم كيف
تحكمون بما لا يرتضيه عقل افلا تذكرون انه منزه عن ذلك ام لكم سلطان مبين حجة
واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته فأتوا بكتابكم الذي انزل عليكم ان كنتم
صادقين في دعواكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا
منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا
الله والشيطان اخوان ولقد علمت الجنة انهم ان الكفرة او الانس او الجنة ان فسرت بغير
الملائكة لمحضرون في العذاب سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب الا عباد
الله المخلصين استثناء من المحضرين منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض

او من

او من يصفون فانكم وما تعبدون عود الى خطابهم ما انتم عليه على الله بفاتنين مفسدين
الناس بالاغواء الا من هو صال الجحيم الا من سبق في علمه انه من اهل النار يصلاها
لا محالة وانتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون
لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اي انكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما انتم
على ما تعبدونه بفاتنين بباعثين على طريق الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ
صال بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل على
القلب كشاك في شائك او المحذوف منه كالمنسي كما في قولهم ما باليت به بالة فان اصلها بالية
كعافية وما منا الا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى
وما منا احد الا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله في تدبير العالم
ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة
كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه
ثم استثنوا عنه تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة
ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها لا يتجاوزونها فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وانا
لنحن الصافون في اداء الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون الله عما لا يليق
به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعة وهذا في المعارف وما في ان واللام
وتوسيط الفصل من التأكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة
دون غيرهم وقيل هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام
معلوم في الجنة او بين يدي الله في القيمة وانا لنحن الصافون له في الصلوة والمنزهون له
من السوء وان كانوا ليقولون اي مشركوا قريش لو ان عندنا ذكرا من الاولين كتابا
من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين اخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم
فكفروا به اي لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة
كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اي وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو
قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب والمقضي
بالذات وانما سماه كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين
هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل هو الفتح وابصرهم على ما ينالهم حينئذ و
المراد بالامر الدلالة على ان ذلك كائن قريب كانه قدامه فسوف يبصرون ما قضيناه لك
من التأييد والنصرة والثواب في الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد أفبعذابنا يستعجلون
روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم فاذا نزل
العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل
على اسناده الى الجار والمجرور ونزل اي العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين
صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما

بخلاف الهمزة

كثرت فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت في وقت اخر
فتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تأكيد الى تأكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار
بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او
الاول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الاخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون
عما قاله المشركون فيه على ما حكي في السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا
عزة الا له او لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار با
التوحيد وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب
العالمين على ما افاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره من التسليم
والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن علي رضي الله عنه من احب ان
يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه من مجلسه سبحان ربك الى اخر
السورة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جن
وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة
انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص مكية وآيها ست وثمانون

والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم ص قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل انه امر من المصاداة
بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول اي عارض القران بعملك وبالفتح
لذلك او لحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره والفتح في موضع الجر فانه غير
مصروف لانها علم السورة وبالجر على تأويل الكتاب والقران ذي الذكر الواو للقسم
ان جعل ص اسما للحرف ومذكورا للتحدي او الرمز بكلام مثل صدق محمد او للسورة خبر
لمحذوف او لفظ الامر وللعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما في ص من الدلالة
على التحدي والامر بالمعادلة اي انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمدا لصادق او قوله بل الذين
كفروا في عزة وشقاق اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به في عزة
اي استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب
ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف او الشهرة
او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق
للدلالة على شدتهما وقرئ في غرة اي غفلة عما يجب عليهم النظر فيه كم اهلكنا من
قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا فنادوا استغاثة او توبة
واستغفارا ولات حين مناص اي ليس الحين حين مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت
عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد
المعمولين وقيل هي النافية للجنس اي ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره
اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم لا او مبتدأ محذوف الخبر اي ليس حين
مناص حاصلا لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان

صاد

فاجبنا

فاجبنا ان لات حين بقاء اذ ما لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله
لولاك هذا العام لم احجج ولانه اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله
اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف الى الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ
اصله حين مناصهم ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها
بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في
الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره
الا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين لا من عاطف والمطعمون زمان ما من
مطعم والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته وعجبوا ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم
او امي من عدادهم وقال الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم
واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره معجزة كذاب فيما
يقول على الله اجعل الالهة الها واحدا بان جعل الالهية التي كانت لهم لواحد ان
هذا لشيء عجاب بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه اباؤنا وما نشاهده من ان
الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ من كرام وكرام
روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا
وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله
وقال هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه السلام ماذا يسألونني
قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال ارأيتم ان اعطيتكم ما سألتم
امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا
لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم وانطلق اشراف قريش من مجلس ابي طالب
بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امشوا قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا و
اثبتوا على الهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس
التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا
كثرت ولادتها ومنه الماشية اي اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا ان
هذا لشيء يراد ان هذا الامر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا الامر
الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى او يريده كل
احد او ان دينكم لشيء يطلب ليؤخذ منكم ما سمعنا بهذا بالذي يقوله في الملة الاخرة في
الملة التي ادركنا عليها اباءنا او في ملة عيسى عليه السلام التي هي اخر الملل فان النصارى يثلثون و
يجوز ان يكون حالا من هذا اي ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا
في الملة المترقبة ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه ءانزل عليه الذكر من بيننا انكار لاختصاصه
بالوحي وهو مثلهم او ادون منهم في الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل
من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر

صلى الله عليه وسلم

على الحطام الدنيوي بل هم في شك من ذكري من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد و
اعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب وان
هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال شكهم
والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك
العزيز الوهاب بل اعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها
عمن شاؤا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على
من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز اي الغالب الذي لا يغلب الوهاب الذي له ان
يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما كأنه
لما انكر عليهم التصرف في نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها اردف ذلك
بانه ليس لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم
ان يتصرفوا فيها فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ذلك فليصعدوا
في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحي الى
من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب
السموات لانها اسباب الحوادث السفلية جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اي هم جند ما
من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف
في الامور الربانية او فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيئا ما و
قيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلائم ما بعده (اي فلا تبالي) وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم
من الانتداب لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ذو الملك الثابت
بالاوتاد كقوله ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد مأخوذ من ثبات
البيت المطنب باوتاده او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد
يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا
ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب اولئك
الاحزاب يعني المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ان كل الا كذب الرسل بيان
لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التأكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم
للعذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم
تكذيب جميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم
بالذكر او حضورهم في علم الله الا صيحة واحدة وهي النفخة ما لها من فواق من توقف
مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين او رجوع وترداد فانه فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ
حمزة والكسائي بالضم وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذي
توعدنا به او الجنة التي تعد للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة
قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل يوم الحساب

استعجلوا

استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود واذكر لهم قصته تعظيما
للمعصية في اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل
عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما
الظن بالكفرة واهل الطغيان او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من
المعاتبة على اهماله عنان نفسه ادنى اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد
واد واياد بمعنى انه اواب رجاع الى مرضات الله وتعليل للايد دليل على ان المراد به
القوة في الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه
يسبحن قد مر تفسيره ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال والدلالة على
تجدد التسبيح حالا بعد حال بالعشي والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء
ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ
انه صلى الله عليه وسلم صلى صلوة الضحى قال هذه صلوة الاشراق وعن ابن عباس رضي ما عرفت
صلوة الضحى الا بهذه الآية والطير محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين
الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة منه متدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء و
الخبر كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين
ما قبله انه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا يدل على المداومة عليها او كل منهما ومن داود
مرجع لله التسبيح وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد
للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة على اخر وعجز عن البيان فاوحي اليه ان اقتل المدعى عليه
فاعلم فقال صدقت اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته وآتيناه الحكمة
وآتيناه النبوة او كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب وفصل الخصام بتمييز الحق و العطف
والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه يفصل
المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة وقيل هو الخطاب القصد الذي ليس فيه
اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في وصف كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا
هذر وهل اتيك نبؤ الخصم استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماعه والخصم في الاصل
مصدر ولذلك اطلق للجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم
من السنام واذ متعلق بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به
الواقع في عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اي قصة نبأ الخصم او بالخصم
لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن حين اذ دخلوا
على داود بدل من الاولى او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب
والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه كان عليه السلام جزأ زمانه يوما قالوا
لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على بعض
وهو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق

اي لفظ اما بعد

ولا تشطط لا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق ولا تشطط و
لا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط
الى وسطه وهو العدل ان هذا اخي بالدين او الصحبة له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة
واحدة هي الانثى من الضان وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض
ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون فقال اكفلنيها ملكنيها
وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي وعزني في
الخطاب وغلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر رده او في مغالبته اياي
في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا حيث زوجها دوني وقرئ وعازني
اي غالبني وعزني على تخفيف غريب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم
محذوف قصد به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد
اعترافه او على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول اخر
بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغي
ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها
وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم
اي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب
او امتحناه بتلك الحكومة هل تنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا على تسمية
السجود ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا اي مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار
واناب ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما في هذه الاشعار بانه ود ان يكون له ما لغيره
وكان له امثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر واناب عنه وما روي ان بصره وقع على
امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله
عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى و
قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامره ان يتقدم حتى قتل فتزوجها هزؤ وافتراء
ولذلك قال علي عليه السلام من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة
وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا
عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك
ابتلاء من الله فاستغفر ربه مما هم به واناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وان
له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن مآب مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض استخلفناك على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء
القائمين بالحق فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوى ما تهوى النفس وهو
يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي وتظليم الاخر قبل مسألته فيضلك عن سبيل الله
دلائله التي نصبها على الحق ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم

الحساب

الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة
الهوى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوي
باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين
او للباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع
بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا
ذلك ظن الذين كفروا الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون فويل للذين كفروا
من النار بسبب هذا الظن ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في
الارض ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها
باطلا ليدل على نفيه وكذا التي في قوله ام نجعل المتقين كالفجار كانه انكر التسوية اولا
بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا
للانكار الاول باعتبار وصفين اخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والاية تدل
على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون في الدنيا والغالب فيها عكس ما تقتضي
الحكمة فيه او في غيرها وذلك يستدعي ان يكون لهم حال اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه
اليك مبارك نفاع وقرئ بالنصب على الحال ليدبروا اياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر
ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرئ لتدبروا على الاصل ولتدبروا
انت وعلماء امتك وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا
ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية
بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما لا يستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم
الاول والتذكر للثاني ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اي نعم العبد سليمان اذ ما بعده
تعليل للمدح وهو من حاله انه اواب رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع له اذ عرض
عليه ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشي بعد الظهر الصافنات الصافن
من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يكون
الا في العراب الخلص الجياد جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود
بالركض وقيل جمع جيد روي انه عليه السلام غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس
وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم يزل يعرض عليه حتى غربت الشمس
وغفل عن العصر او عن ورد كان له فاغتم لما فاته واستردها فعقرها تقربا لله
فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن
لما انيب مناب انبت عدي تعديته وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا
اي برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل انه
سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة
حتى توارت بالحجاب اي غربت الشمس شبه غروبها بتواري المخبأة بحجابها واضمارها

من غير ذكر لدلالة العشي عليه ردوها علي الضمير للصافنات فطفق مسحا فاخذ يمسح
اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ما قبلها كمؤقن
وعن ابي عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالتباس ولقد
فتنا سليمن والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب واظهر ما قيل فيه ما روي مرفوعا
انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس مجاهد في سبيل الله
ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم يحمل الا امرأة جاءت بشق رجل فوالذي
نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت
الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه
ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها
واصاب ابنته جرادة فاحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا
لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه
فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد
اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها
بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ
حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف
ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما
عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت
في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر
سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله
لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره قال رب اغفر لي وهب
لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي او
لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان
ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله
فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب
تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة انك انت الوهاب المعطي ما تشاء لمن تشاء
فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح تجري بامره
رخاء لينة من الرخاوة لا تزعزع او لا تخالف ارادته كالمأمور المنقاد حيث اصاب
اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطأ الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء
وغواص بدل منه وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل كانه فصل الشياطين
الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض
في السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها

السيف مسحا بالسوق والاعناق اي بسوقها واعناقها
يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل
يمسح م

هذا

هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد
وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده و
اصفده اعطاه عكس وعد واوعد وفي ذلك نكتة هذا عطاؤنا اي هذا الذي
اعطيناك من الملك والبسط والتسليط على ما لم يسلط به غيرك عطاؤنا فامنن
او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر اي
غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من العطاء او صلة له وما
بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين
والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم في القيد وان له عندنا لزلفى في
الاخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب هو الجنة واذكر عبدنا
ايوب هو ابن عيص بن اسحق وامرأته ليا بنت يعقوب اذ نادى ربه بدل من عبدنا و
ايوب عطف بيان له اني مسني بأني مسني قرأ حمزة باسكان الياء الشيطان بنصب
بتعب وعذاب اليم وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به ولولا هي لقال انه مسه والاسناد
الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله
واستغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او
لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب ومراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه
حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس اليه في
مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر
وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل اركض برجلك حكاية لما اجيب به
اي اضرب برجلك الارض هذا مغتسل بارد وشراب اي فضربها فنبعت عين فقيل هذا
مغتسل اي تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة وباردة
فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى ووهبنا له اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او
احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان رحمة منا
لرحمتنا عليه وذكرى لاولي الالباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجأ الى الله فيما
يحيق بهم وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه
فاضرب به ولا تحنث روي ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت
لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية
في الحدود انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى
الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة ان
يفتنه او قومه في الدين نعم العبد ايوب انه اواب مقبل بشراشره على الله واذكر عبادنا
ابرهيم واسحق ويعقوب وقرأ ابن كثير عبدنا على ان ابرهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له
واسحق ويعقوب عطف عليه او على وضع الجنس موضع الجمع او عطف عليه اولي الايدي والابصار

اولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين او اولى الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدى
عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض
بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم بخالصة جعلناهم خالصين لنا
بخصلة خالصة لا شوب فيها هى ذكرى الدار تذكرهم للاخرة دائما فان خلوصهم فى الطاعة
بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك
فى الاخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف نافع و
هشام بخالصة الى ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله وانهم عندنا
لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم فى الخير الاخيار جمع
خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات فى جمع ميت وميت واذكر اسمعيل
واليسع هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه كما فى قوله
رايت الوليد بن اليزيد مباركا وقرا حمزة والكسائى والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع
وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب والخلف فى نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبى
من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة صلوة وكل
وكلهم من الاخيار هذا اشارة الى ما تقدم من امورهم ذكر شرف لهم او نوع من الذكر و
هو القران ثم شرع فى بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال وان للمتقين لحسن مآب مرجع
جنات عدن عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التى وعد
الرحمن عباده وانتصب عنها مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى
الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتدا والخبر او لانهما خبران لمحذوف متكئين فيها يدعون
فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعاقبان او متداخلان من الضمير فى لهم لا من المتقين للفصل
والظهر ان يدعون استيناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة
للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذى للتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف
لا ينظرن الى غير ازواجهن اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض
لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهم فى وقت واحد هذا ما توعدون
ليوم الحساب لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله
ان هذا لرزقنا ما له من نفاد انقطاع هذا اى الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا وان
للطاغين لشر مآب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها حال من جهنم فبئس المهاد المهد والمفترش
مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد هذا
فليذوقوه اى ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ
خبره حميم وغساق وهو على الاولين خبر محذوف اى هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل
النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرا حفص وحمزة والكسائى غساق بتشديد السين
واخر اى مذوق او عذاب اخر وقرا البصريان اخرى ومذوقات او انواع عذاب اخر من شكله

من ابنا جنسهم المفضلين منهم

من شكل هذا

من شكل هذا المذوق او العذاب فى الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر او للشراب الشامل
للحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر وهى لغة ازواج اجناس خبر لاخر او صفة
له او للثلاثة لحميم والغساق واخر او مرتفع بالجار والخبر محذوف هذا فوج مقتحم
معكم حكاية ما يقال للرؤسا الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم فى
الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على
اتباعهم او صفة لفوج او حال اى مقولا فيهم اى لا مرحبا اى ما اتوا رحبا وسعة انهم
صالوا النار داخلون النار باعمالهم مثلنا قالوا اى الاتباع للرؤسا بل انتم لا
مرحبا بكم بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه
لنا قدمتم العذاب او الصلى لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمه من العقائد الزائغة و
الاعمال القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا اى الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا
هذا فزده عذابا ضعفا فى النار مضاعفا اى ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه
مثله فيصير ضعفين من العذاب وقالوا اى الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم
من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم اتخذناهم سخريا
صفة اخرى لرجالا وقرا الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار
على انفسهم وتأنيب لهم فى الاستسخار منهم وقرا نافع وحمزة والكسائى سخريا بالضم و
قد سبق مثله فى المؤمنين ام زاغت مالت عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة لما لنا
لا نرى على ان المراد نفى رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا اليسوا هنا ام زاغت عنهم ابصارنا
او اتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اى الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم
فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على انفسهم او منقطعة والمراد الدلالة
على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة حالهم
ان ذلك الذى حكيناه عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار
وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك قل يا محمد للمشركين انما
انا منذر انذركم عذاب الله وما من اله الا الله الواحد الذى لا يقبل الشركة والكثرة فى
ذاته القهار لكل شئ رب السموات والارض وما بينهما منه خلقها واليه امرها العزيز الذى لا
يغلب اذا عاقب الغفار الذى يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفى هذه الاوصاف
تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان
المدعى هو الانذار قل هو اى ما انبأتكم به من انى نذير من عقوبة من هذه صفته وانه
واحد فى الالوهية وقيل ما بعده من نبأ آدم نبأ عظيم انتم عنه معرضون لتمادى غفلتكم
فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما
مر واما على النبوة فقوله ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون فان اخبار عن
تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما ورد فى الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة

كتاب لا يتصور إلا بالوحي وإذ متعلق بعلم أو بمحذوف إذ التقدير من علم بكلام الملأ
الأعلى إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين أي لأنما كأنه لما جوز أن الوحي يأتيه بين
بذلك ما هو المقصود به تحقيقا لقوله إنما أنا منذر ويجوز أن يرتفع بإسناد يوحى إليه
وقرئ إنما بالكسر على الحكاية إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين بدل من إذ
يختصمون مبين له فإن القصة التي دخلت إذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وإبليس
في خلق آدم واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر في البقرة غير أنها اختصرت اكتفاء بذلك
واقتصارا على ما هو المقصود منها وهو إنذار المشركين على استكبارهم على النبي بمثل ما
حاق إبليس على استكباره على آدم هذا ومن الجائز أن يكون مقاولة الله إياهم بواسطة
ملك وأن يفسر الملأ الأعلى بما يعم الله والملائكة فإذا سويته عدلت خلقته ونفخت فيه
من روحي وأحييته بنفخ الروح فيه وإضافته إلى نفسه لشرفه وطهارته فقعوا له فخروا
ساجدين تكرمة وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه في البقرة فسجد الملائكة كلهم أجمعون
إلا إبليس استكبر تعظم وكان وصار من الكافرين باستنكاره أمر الله واستكباره
عن المطاوعة أو كان منهم في علم الله قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي
خلقته بنفسي من غير توسط كأب وأم والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة أو اختلاف الفعل
وقرئ على التوحيد وترتيب الإنكار عليه للإشعار بأنه المستدعي للتعظيم أو بأنه الذي تشبث
به في تركه وهو لا يصلح لمانع إذ للسيد أن يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص
استكبرت أم كنت من العالين تكبرت من غير استحقاق أو كنت ممن علا واستحق التفوق و
قيل استكبرت الآن أم لم تزل كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة
أم عليها أو بمعنى الإخبار قال أنا خير منه أبدى المانع وقوله خلقتني من نار وخلقته من طين
دليل عليه وقد سبق الكلام فيه قال فاخرج منها من الجنة أو السماء أو من الصورة الملكية فإنك
رجيم مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين قال رب فأنظرني
إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم مر بيانه في الحجر قال فبعزتك
فبسلطانك وقهرك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين الذين أخلصهم الله
لطاعته وعصمهم من الضلالة أو أخلصوا قلوبهم لله على اختلاف القراءتين قال فالحق والحق
أقول أي فأحق الحق وأقوله وقيل الحق الأول اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف القسم كقوله
إن عليك الله أن تبايعا وجوابه لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وما بينهما
اعتراض وهو على الأول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع
الأول على الابتداء أي الحق يميني أو قسمي أو الخبر أي أنا الحق وقرئا مرفوعين على حذف الضمير
من أقول كقوله كله لم أصنع ومجرورين على إضمار حرف القسم في الأول وحكاية لفظ المقسم
في الثاني للتوكيد وهو سائغ فيه إذا شارك الأول وبرفع الأول وجره ونصب الثاني
وتخريجه على ما ذكرنا والضمير في منهم للناس إذ الكلام فيهم والمراد منك من جنسك ليتناول

الشياطين

الشياطين وقيل للثقلين وأجمعين تأكيد له أو للضميرين قل ما أسألكم عليه من أجر أي على
القرآن أو تبليغ الوحي وما أنا من المتكلفين المتصنعين بما لست من أهله على ما عرفتم من حالي
فأنتحل النبوة وأتقول القرآن إن هو إلا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نبأه
وهو ما فيه من الوعد والوعيد أو صدقه بإتيان ذلك بعد حين بعد الموت أو يوم القيامة أو عند
ظهور الإسلام وفيه تهديد وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل
جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه أن يصر على ذنب صغير أو كبير **سورة الزمر مكية**
إلا قوله قل يا عبادي الآية وآيها خمس وسبعون أو اثنتان وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم
تنزيل الكتاب خبر مبتدأ محذوف مثل هذا أو مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وهو على
الأول صلة التنزيل أو خبر ثان أو حال عمل فيها معنى الإشارة أو التنزيل والظاهر أن الكتاب
على الأول السورة وعلى الثاني القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على إضمار فعل نحو اقرأ أو الزم
إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق أو بسبب إثبات الحق وإظهاره وتفصيله
فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على
الاستئناف لتعليل الأمر وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا
وإجراء مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال ألا لله الدين الخالص
أي إلا هو الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة فإنه المتفرد بصفات الألوهية و
الاطلاع على الأسرار والضمائر والذين اتخذوا من دونه أولياء يحتمل المتخذين من الكفرة
والمتخذين من الملائكة وعيسى عليه السلام والأصنام على حذف الراجع وإضمار المشركين من غير
ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ خبره على الأول ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى
بإضمار القول أو إن الله يحكم بينهم وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما
في حيزه حالا أو بدلا من الصلة وزلفى مصدر أو حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم إلا
لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا فيما هم فيه يختلفون من الدين
بإدخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فإنهم
يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم إن الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء إلى الحق من هو كاذب
كفار فإنهما فاقدا البصيرة لو أراد الله أن يتخذ ولدا لما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشاء
إذ لا موجود سواه إلا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد
ما عدا الواجب إليه ومن البين أن المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك
بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار فإن الألوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة
الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلا عن التوالد لأن كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة
والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج إلى الولد ثم استدل
على ذلك بقوله خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يغشى
كل واحد منهما الآخر كأنه يلف عليه لف اللباس باللابس أو يغيبه به كما يغيب الملفوف

بالثقافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل
يجري لاجل مسمى هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز القادر على كل ممكن
الغالب على كل شئ الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنايع من الرحمة
وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها نوع استدلال اخر بما اوجده في
العالم السفلي مبدوءا به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكره
ثلث دلالات خلق ادم اولا من غير اب وام ثم خلق حوا من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت
للحصر منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اي من
نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الايتين
فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منه
حوا وانزل لكم وقضى او قسم لكم فان قضاياه توصف بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح
او احدث لكم باسباب نازلة منها كاشعة الكواكب والامطار من الانعام ثمانية ازواج
ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق
ما ذكر من الاناسي والانعام اظهارا لما فيه من عجائب القدرة غير انه غلب اولي العقل او خصهم
بالخطاب لانهم المقصودون خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد
عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة
او الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله الله ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له
الملك لا اله الا هو اذ لا يشاركه في الخلق غيره فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى
الاشراك ان تكفروا فان الله غني عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم
به رحمة عليهم وان تشكروا يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقرأ ابن كثير ونافع في رواية وابو عمرو
والكسائي باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابي عمرو ويعقوب
اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون
بالمحاسبة والمجازاة انه عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس الانسان
ضر دعا ربه منيبا اليه لزوال ما ينازع العقل في الدلالة على ان مبدأ الكل منه ثم اذا خوله
اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله نسي ما كان يدعوا اليه
اي الضر الذي كان يدعوا الله الى كشفه او ربه الذي كان يتضرع اليه وما مثله الذي في
قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل النعمة وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله وقرأ ابن كثير
وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كان نتيجة جعل صح تعليله بهما وان لم
يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشهي لا سند له
واقناط للكافر من التمتع في الاخرة ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار على سبيل الاستيناف
للمبالغة امن هو قانت قائم بوظائف الطاعات اناء الليل ساعاته وام متصلة بمحذوف
تقديره الكافر خير امن هو قانت او منقطعة والمعنى بل امن هو قانت كمن بضده وقرأ

الحجازيان

الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت لله كمن جعل له اندادا ساجدا وقائما
حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الاخرة
ويرجو رحمة ربه في موقع الحال او الاستيناف للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون و
الذين لا يعلمون نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة
العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي
العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون انما يتذكر اولوا الالباب بامثال
هذه البيانات وقرئ تذكر قل يا عباد الذين امنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته للذين
احسنوا في هذه الدنيا حسنة اي للذين احسنوا بالطاعات في الدنيا مثوبة حسنة في الاخرة
وقيل معناه للذين احسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة والعافية وفي هذه الدنيا بيان لمكان حسنة
وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه
انما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها
اجرهم بغير حساب اجرا لا يهتدى اليه حساب الحساب وفي الحديث انه ينصب الموازين يوم القيمة
لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض
بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين
موحدا له وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا
والاخرة لان قصب السبق في الدين بالاخلاص او لانه اول من اسلم وجهه لله من قريش
ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة
المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا تقتضيه لما يلزمها من السبقة
في الدين ويجوز ان يجعل اللام مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم في الاخلاص
والبدء بنفسه في الدعاء اليه بعد الامر به قل اني اخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص
والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرياء عذاب يوم عظيم لعظمة ما فيه قل الله اعبد مخلصا
له ديني امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مامورا
بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه
قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين الكاملين
في الخسران الذين خسروا انفسهم بالضلال واهليهم بالاضلال يوم القيمة حين يدخلون
النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار
فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع
بعده الا ذلك هو الخسران المبين مبالغة في خسرانهم لما فيه من الاستيناف والتصدير بالا
وتوسيط الفصل وتعريف الخسران لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل هي ظلل لاخرين
ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد
فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي والذين اجتنبوا الطاغوت البالغ غاية الطغيان

فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة في
النعت ولذلك اختص بالشيطان ان يعبدوها بدل اشتمال منه وانابوا الى الله واقبلوا
اليه بشراشرهم عما سواهم لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل والملائكة عند حضور الموت
فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين للدلالة
على مبدأ اجتنابهم وانهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل فالافضل
اولئك الذين هداهم الله لدينه واولئك هم اولوا الالباب العقول السليمة عن منازعة
الوهم والعادة وفي ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها افمن حق
عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام
تقديره أانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه فكررت الهمزة في الجزاء لتأكيد
الانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من حكم
عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف وان اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائهم
الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على ذلك
والاشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها
فوق بعض مبنية تجري من تحتها الانهار اي من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر مؤكد
لان قوله لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لان الخلف نقص وهو على الله محال
الم تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر فسلكه فادخله ينابيع في الارض عيونا ومجاري
كائنة فيها او مياها نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على المصدر او الحال
ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من خضرة و
حمرة وغيرهما ثم يهيج يتم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته فتراه مصفرا
من يبسه ثم يجعله حطاما فتاتا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا بانه لا بد من صانع حكيم دبره
وسواه وبانه مثل الحيوة الدنيا فلا يغتر بها لاولي الالباب اذ لا يتذكر به غيرهم افمن
شرح الله صدره للاسلام حتى تمكن فيه بيسر عبر عنه عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد
لقبوله غير متأبية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق بالنفس القابل للاسلام
فهو على نور من ربه يعني المعرفة والاهتداء الى الحق وعنه عليه السلام اذا دخل النور القلب انشرح
وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب
للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله من اجل ذكره
وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسي من اجل الشيء اشد تأبيا من قبوله من القاسي
عنه بسبب آخر وللمبالغة في وصف اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر
واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده اليه اولئك في ضلال مبين يظهر
للناظر بادنى نظر والآية نزلت في علي وحمزة وابي لهب وولده الله نزل احسن الحديث
يعني القرآن روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت

بُنيت بناء المنازل على الارض م

وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تأكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على
حسنه كتابا متشابها بدل من احسن او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب
النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة مثاني جمع مثنى او مثنى على ما مر في الحجر
وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور وآيات والانسان عظام
وعروق واعصاب او جعل تمييزا من متشابها كقولك رأيت رجلا حسنا شمائل تقشعر
منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف
واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير
رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة
وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه و
التعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من
عوارضها ذلك اي الكتاب او الكائن من الخشية والرجاء هدى الله يهدي به من يشاء
هدايته ومن يضلل الله ومن يخذله فما له من هاد يخرجه من الضلال افمن يتقي بوجهه يجعله
درقة يقي به نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه سوء العذاب
يوم القيمة كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف في نظائره وقيل للظالمين اي لهم فوضع
الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا ما كنتم
تكسبون اي وباله والواو للحال وقد مقدرة كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها فاذاقهم الله الخزي الذل في الحيوة
الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ولعذاب الآخرة المعد لهم اكبر لشدته و
دوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم والنظر يعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امر دينه لعلهم يتذكرون يتعظون به
قرآنا عربيا حال من هذا والاعتماد فيه على الصفة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح
له غير ذي عوج بوجه ما فهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل بالشك استشهادا بقوله
وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب وهو تخصيص له ببعض مدلوله
لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا للمشرك والموحد رجلا فيه شركاء متشاكسون
ورجلا سلما لرجل مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من ان يدعي كل واحد من معبوديه
عبوديته ويتنازعون فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة
في تحيره وتوزع قلبه والموحد من خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا
وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخص الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما
بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وثلاثتها مصادر سلم نعت بها او
حذف منها ذا او رجل سالما اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع
هل يستويان مثلا في الصفة على ان الضمير للمثلين فان التقدير مثل رجل ومثل رجل

هل يستويان مثلا صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع او لان المراد م

الحمد لله كل الحمد لله لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على
الاطلاق بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره من فرط جهلهم انك ميت وانهم ميتون
فان الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لانه مما سيحدث
ثم انكم على تغليب المخاطب على الغيب يوم القيمة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك
كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل في التشريك واجتهدت في الارشاد والتبليغ
ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا ووجدنا اباءنا
وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا
فمن اظلم ممن كذب على الله باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق وهو محمد صلى الله عليه
وسلم اوما جاء به محمد عليه السلام اذ جاءه من غير توقف وتفكر في امره اليس في جهنم مثوى
للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام يحتمل العهد والجنس واستدل به على
تكفير المبتدعة فانهم يكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجأ ما علم مجيء
الرسول به بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين
اولئك هم المتقون وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد
اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول والمصدق ابو بكر وذلك يقتضي
اضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس فاداه اليهم كما
نزل وصار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصدق به على البناء للمفعول لهم ما
يشاءون عند ربهم في الجنة ذلك جزاء المحسنين على احسانهم ليكفر الله عنهم اسوء
الذي عملوا خص الاسوء للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للاشعار
بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان ما يفرط منهم من الصغائر
اسوء ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيء كقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان وقرئ
اسوء جمع سوء ويجزيهم اجرهم ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم
محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها اليس الله بكاف عبده
استفهام انكار للنفي مبالغة في الاثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيده
قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر بالانبياء ~~خالدا ليكسر العزى فقال له سادنها~~ ويخوفونك
بالذين من دونه يعني قريشا فانهم قالوا له انا نخاف ان تخبلك آلهتنا لعيبك اياها
وقيل انه بعث خالدا ليكسر العزى فقال له سادنها احذركها ان لها شدة فعمد اليها خالد
فهشم انفها فقال تخويف خالد بمنزلة تخويفه عليه السلام لانه الامر بما خوف عليه ومن يضلل
حتى غفل عن كفاية الله له وتخويفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديهم الى الرشاد ومن
يهد الله فما له من مضل اذ لا راد لفعله كما قال اليس الله بعزيز غالب منيع ذي انتقام
ينتقم من اعدائه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده
بالخالقية قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره

اي ارايتم بعد ما تحققتم ان خالق العالم هو الله ان الهتكم ان اراد الله ان يصيبني
ضرا هل يكشفنه او ارادني برحمة بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكنها عني قل
حسبي الله كافيا في اصابة الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذي لا
مانع لما يريده من خير او شر روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل ذلك
وانما قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه
يتوكل المتوكلون لعلمهم بان الكل منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم اسم للمكان
استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرأ ابو بكر مكاناتكم اني عامل اي على
مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا يقف فانه تعالى يزيد
على مر الايام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر
ويحل عليه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم
فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق ملتبسا بالحق فمن اهتدى فلنفسه اذ نفع به نفسه
ومن ضل فانما يضل عليها فان وباله لا يتخطاها وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم
على الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
اي يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا وذلك
عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو في النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى
البدن وقرأ حمزة والكسائي قضي بضم القاف وكسر الضاد ورفع الموت ويرسل الاخرى اي النائمة
الى بدنها عند اليقظة الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وما
روي عن ابن عباس ان في ابن ادم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل
والتمييز والروح التي بها النفس والحيوة فيتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند النوم
قريب مما ذكرناه ان في ذلك من التوفي والامساك والارسال لآيات دالة على كمال قدرته
وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين
الموت وامساكها باقية لا يفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة في توفيها
عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفي اجالها ام اتخذوا بل اتخذ قريش من دون الله
شفعاء تشفع لهم عند الله قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون او يشفعون
ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة
جميعا لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى
انه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع احد شفاعة الا باذنه ولا يستقل بها ثم قرر
ذلك فقال له ملك السموات والارض فانه مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم في امره
دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة فيكون الملك له ايضا حينئذ واذا ذكر الله
وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة انقبضت ونفرت

وإذا ذكر الذين من دونه يعني الأوثان إذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم
حق الله ولقد بالغ في الأمرين حتى بلغ الغاية فيهما فإن الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا
حتى ينبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز أن يمتلئ غما حتى ينقبض أديم وجهه والعامل في
إذا المفاجأة قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة التجئ إلى الله بالدعاء
لما تحيرت في أمرهم وعجزت في عنادهم وشدة شكيمتهم فإنه القادر على الأشياء والعالم
بالأحوال كلها أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون فأنت وحدك تقدر أن تحكم
بيني وبينهم ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء
العذاب يوم القيمة وعيد شديد وإقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون زيادة مبالغة وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم في الوعد وبدا لهم
سيئات ما كسبوا سيئات أعمالهم أو كسبهم حين تعرض صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به
يستهزءون أحاط بهم جزاؤه فإذا مس الإنسان ضر دعانا إخبار عن الجنس بما يغلب فيه
والعطف على قوله وإذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى أنهم
يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فإذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا
من ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لإنكار ذلك عليهم ثم إذا
خولناه نعمة منا أعطيناه إياها تفضلا فإن التخويل مختص به قال إنما أوتيته على علم
على علم مني بوجوه كسبه أو بأني سأعطاه لما لي من استحقاقه أو من الله بي واستحقاقي
والهاء لما إن جعلت موصولة وإلا فللنعمة والتذكير لأن المراد شيء منها بل هي فتنة امتحان
له أيشكر أم يكفر وهو رد لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار الخبر أو لفظ النعمة وقرئ
بالتذكير ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك وهو دليل على أن الإنسان للجنس قد قالها الذين
من قبلهم الهاء لقوله إنما أوتيته على علم لأنها كلمة أو جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم
قارون وقومه فإنه قاله ورضي به قومه فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا
فأصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات أعمالهم أو جزاء أعمالهم وسماه سيئة لأنه في مقابلة
أعمالهم السيئة رمزا إلى أن جميع أعمالهم كذلك والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء المشركين
ومن للبيان أو للتبعيض سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما أصاب أولئك وقد أصابهم فإنهم قحطوا سبع
سنين وقتل ببدر صناديدهم وما هم بمعجزين فائتين أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا إن في ذلك لآيات لقوم
يؤمنون بأن الحوادث كلها من الله بوسط أو غيره قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم أفرطوا
في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي وإضافة العباد تخصيصهم بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن لا تقنطوا
من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته أولا وتفضله ثانيا إن الله يغفر الذنوب جميعا
عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على الإطلاق فيما عدا الشرك قوله
إن الله لا يغفر أن يشرك به الآية والتعليل بقوله إنه هو الغفور الرحيم على المبالغة وإفادة

الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من
الدلالة على الذل والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الإسراف بأنفسهم والنهي
عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة وإطلاقها وتعليله بأن الله يغفر الذنوب
ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على أنه المستغني والمنعم على الإطلاق والتأكيد بالجميع وما
روي أنه عليه السلام قال ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن
أشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلث مرات وما روي أن أهل مكة قالوا يزعم محمد أن
من عبد الأوثان وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الأوثان وقتلنا
النفس فنزلت وقيل في عياش والوليد بن الوليد في جماعة فتنوا فافتتنوا أو في الوحشي
لا ينفي عمومها وكذا قوله وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم
لا تنصرون فإنها لا تدل على حصول المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن
التوبة والإخلاص في العمل وينافي الوعيد بالتعذيب واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم
من ربكم القرآن أو المأمور به دون المنهي عنه أو العزائم دون الرخص أو الناسخ دون المنسوخ
ولعله ما هو أنجى وأسلم كالإنابة والمواظبة على الطاعة من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم
لا تشعرون بمجيئه فتتداركون أن تقول نفس كراهة أن تقول وتنكير نفس لأن القائل بعض
الأنفس أو للتكثير كقول الأعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا
يا حسرتا وقرئ بالياء على الأصل على ما فرطت بما قصرت في جنب الله في جانبه أي في حقه وهو طاعته
قال سابق البربري أما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهو كناية
فيها مبالغة كقوله إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج وقرئ في ذكر الله
وإن كنت لمن الساخرين المستهزئين بأهله وإن كنت نصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا
ساخر أو تقول لو أن الله هداني بالإرشاد إلى الحق لكنت من المتقين بالشرك والمعاصي
أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين في العقيدة والعمل وأو للدلالة
على أنه لا يخلو من هذه الأقوال تحيرا أو تعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك آياتي
فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو أن الله
هداني من معنى النفي وفصله عنه لأن تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالنظم
المطابق للوجود لأنه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع
تأثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من إسناد الفعل إليه كما عرفت وتذكير الخطاب على
المعنى وقرئ بالتأنيث للنفس ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله بأن وصفوه بما
لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة أو بما يتخيل عليها من ظلمة
الجهل والجملة حال إذ الظاهر أن ترى من رؤية البصر واكتفي فيها بالضمير عن الواو أليس
في جهنم مثوى مقام للمتكبرين عن الإيمان والطاعة وهو تقرير لأنهم يرون كذلك
وينجي الله الذين اتقوا وقرئ وينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها

بالنجاة تخصيصها باهم اقسامها وبالسعادة والعمل الصالح اطلاقها على السبب وقرأ
الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله لا يمسهم
السوء ولا هم يحزنون وهو حال او استيناف لبيان المفازة الله خالق كل شيء من خير وشر
وايمان وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد السموات والارض لا يملك
امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد
دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع
مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كمذاكير
وعن عثمان رضي الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله
والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول
والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله
هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا
بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة
على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة في فلاح
المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين بان خسروا انفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد
قضية للكرم او بما يليه والمراد بايات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات و
الارض او كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم له حظ من الرحمة والثواب قل
افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون اي افغير الله اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد
وتامروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض الهتنا
ونؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تامروني اعبد لانه
بمعنى تعبدونني على ان اصله تامرونني باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها
تحذف كثيرا ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل لئن اشركت ليحبطن
عملك ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة
والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم
والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح وان
يكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد
رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك وكن من الشاكرين
انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص وما قدروا الله حق قدره ما قدروا
عظمته في انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وكمال قدرته
وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على

ان تخريب

ان تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين
حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة
وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على
الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع
او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة
على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد واعلى من هذه قدرته
وعظمته عن اشراكهم او ما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور يعني المرة الاولى فصعق من
في السموات ومن في الارض خروا ميتا او مغشيا عليه الا من شاء الله قيل جبريل و
ميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهي
تدل على ان المراد بالاول ونفخ في الصور نفخة واحدة كما صرح به في مواضع واخرى يحتمل
النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان
الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او
ينظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل وسماه نورا
لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة
ولذلك اضاف اسمه الى الارض او بنور خلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك
اضافه الى نفسه ووضع الكتاب للحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين
يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ
يقابل به الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل
المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة
عذاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا
يفوته شيء من افعالهم ثم فصل التوفية وقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا
افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة جمع زمرة
وهي الجمع القليل واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم
شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها
وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء وقال لهم خزنتها
تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل
الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن
حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة
وانهم من اهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة
وقيل هو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ابهم

القائل لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم
سبق ذكره ولا ينافي اشعاره بان مثواهم في النار لتكبرهم عن الحق ان يكون
دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة
عنها كما قال عليه السلام ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى
يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل
اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار وسيق الذين اتقوا
ربهم الى الجنة زمرا اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا
راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها
حذف جوابها للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف و
ان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم
بعد مكروه طبتم طهرتم من دنس المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء
للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه
لانه يطهره وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض
يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم
من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء
اي يتبوأ كل منا في اي مكان اراده من جنته الواسعة مع ان في الجنة مقامات معنوية
لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من
حول العرش اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم ملتبسين
بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه
تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق
في صفات الحق وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين
الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي على
ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم
وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة
واعطاه الله ثواب الخائفين وعنه انه عليه السلام كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية وآيها خمس وثمان وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم

حم امال ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو بين بين
وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف
والتأنيث او لانها على زنة اعجمي كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة
البالغة غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول صفات اخر تحقيقا لما فيه

وجعل فتحت حالا باضمار قد للدلالة نسخه

من الترغيب

من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد
بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج
وامن الالتباس او ابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين
لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد
او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب
فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل
بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها
لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على عبادته اليه المصير فيجازي المطيع والعاصي
ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا لما حقق امر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين
فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل
عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم
الطاعات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس
جدالا فيه على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم في دنياهم
وتقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم مأخوذون بكفرهم عما قريب اخذ
من قبلهم كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم
بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت كل امة من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه
ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل
بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فاخذتهم بالاهلاك جزاء لهم فكيف كان عقاب
فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب وكذلك حقت كلمة ربك
وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا لكفرهم انهم اصحاب النار بدل من كلمة ربك
بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى الذين يحملون العرش ومن حوله
الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز
عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم
في نفاذ امره يسبحون بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل
التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان
اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون
للذين آمنوا واشعارا بان حملة العرش وسكان الفرش في معرفته سواء ردا على المجسمة
واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم بما يوجب المغفرة وفيه تنبيه
على ان المشاركة في الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها اقوى
المناسبات كما قال انما المؤمنون اخوة ربنا اي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او
حال وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق

في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لأنها المقصودة بالذات هاهنا
فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم
عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد إشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب
ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم وعدتهم إياها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم
وذرياتهم عطف على هم الأول أي أدخلهم ومعهم هؤلاء ليتم سرورهم أو الثاني لبيان
عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد إنك أنت العزيز الذي لا يمتنع
عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم
السيئات العقوبات أو جزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص أو مخصوص بمن صلح أو المعاصي
في الدنيا لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته أي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في
الآخرة كأنهم طلبوا السبب بعدما سألوا المسبب وذلك هو الفوز العظيم يعني الرحمة
أو الوقاية أو مجموعهما إن الذين كفروا ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله أكبر من مقتكم
أنفسكم أي لمقت الله إياكم أكبر من مقتكم أنفسكم الأمارة بالسوء إذ تدعون إلى الإيمان
فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت الأول لا له لأنه أخبر عنه ولا للثاني لأن مقتهم أنفسهم
يوم القيمة حين عاينوا جزاء أعمالها الخبيثة إلا أن يؤول بنحو الصيف ضيعت اللبن أو تعليل
للحكم وزمان المقتين واحد قالوا ربنا أمتنا اثنتين أي إماتتين بأن خلقتنا أمواتا
أولا ثم صيرتنا أمواتا عند انقضاء آجالنا فإن الإماتة جعل الشيء عادم الحياة ابتداء
أو بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وإن خص بالتصيير
فاختيار الفاعل أحد مفعوليه تصير وصرف له عن الآخر وأحييتنا اثنتين الحياة الأولى
وحياة البعث وقيل الإماتة الأولى عند انخرام والثانية في القبر بعد الإحياء للسؤال و
الحيوتان ما في القبر وللبعث إذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به
ولذلك تسبب لقوله فاعترفنا بذنوبنا فإن اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وإنكارهم
للبعث فهل إلى خروج نوع خروج من النار من سبيل طريق فنسلكه وذلك إنما يقولونه
من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك أجيبوا بقوله ذلكم الذي أنتم فيه بأنه بسبب أنه
إذا دعي الله وحده متحدا أو توحد وحده فحذف الفعل وأقيم مقامه في الحالية كفرتم بالتوحيد
وإن يشرك به تؤمنوا بالإشراك فالحكم لله المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد
العلي الكبير من أن يشرك به ويسوى بغيره حيث حكم على من أشرك وسوى به بعض مخلوقاته
في استحقاق العذاب هو الذي يريكم آياته الدالة على التوحيد وسائر ما يجب أن يعلم تكميلا
لنفوسكم وينزل لكم من السماء رزقا أسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر
بالآيات التي هي كالمركوزة في العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك في التقليد واتباع الهوى
إلا من ينيب يرجع عن الإنكار بالإقبال عليها والتفكر فيها فإن الجازم بشيء لا ينظر فيما
ينافيه فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك ولو كره الكافرون إخلاصكم وشق عليهم

رفيع الدرجات

رفيع الدرجات ذو العرش خبران آخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول
والمحسوس الدال على تفرده في الألوهية فإن من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر
دونها كمال وكان العرش الذي هو أصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يصح أن
يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات أو مصاعد الملائكة إلى العرش أو السموات أو درجات
الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده خبر رابع
للدلالة على أن الروحانيات أيضا مسخرات لأمره بإظهار آثارها وهو الوحي وتمهيد
للنبوة بعد تقرير التوحيد الروح الوحي من أمره بيانه لأنه أمر بالخير أو مبدؤه والأمر
هو الملك المبلغ يختار للنبوة وفيه دليل على أنها عطائية لينذر غاية الإلقاء و
المستكن فيه لله أو لمن أو للروح واللام مع القرب يؤيد الثاني يوم التلاق يوم القيمة
فإن فيه تتلاقى الأرواح والأجسام وأهل السماء والأرض والمعبودون والعباد والأعمال
والعمال يوم هم بارزون خارجون من قبورهم أو ظاهرون لا يسترهم شيء أو ظاهرة
نفوسهم لا يحجبهم غواشي الأبدان أو أعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء من أعيانهم
وأعمالهم وأحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وإزاحة لنحو ما يتوهم في الدنيا لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به أو لما دل عليه
ظاهر الحال فيه من زوال الأسباب وارتفاع الوسائط وأما حقيقة الحال فناطقة بذلك
دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كأنه نتيجة لما سبق وتحقيقه أن النفوس تكتسب بالعقائد
والأعمال هيئات توجب لذتها وألمها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق تشغلها فإذا
قامت قيامتها زالت العوائق وأدركت لذتها وألمها لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة
العقاب إن الله سريع الحساب إذ لا يشغله شأن عن شأن فيصل إليهم ما يستحقونه
سريعا وأنذرهم يوم الآزفة أي القيمة سميت بها لأزوفها أي قربها والخطة الآزفة
وهي مشارفتهم النار وقيل الموت إذ القلوب لدى الحناجر فإنها ترتفع عن أماكنها
فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا كاظمين على الغم حال
من أصحاب القلوب على المعنى لأنه على الإضافة أو منها أو من ضميرها في لدى وجمعه كذلك لأن
الكظم من أفعال العقلاء كقوله تعالى فظلت أعناقهم لها خاضعين أو من مفعول أنذرهم
على أنه حال مقدرة ما للظالمين من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع ولا شفيع مشفع و
الضمائر إن كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على
اختصاص ذلك بهم وأنه لظلمهم يعلم خائنة الأعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية
إلى غير المحرم واستراق النظر إليه أو خيانة الأعين وما تخفي الصدور من الضمائر و
الجملة خبر خامس للدلالة على أنه ما من خفي إلا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق
لأنه المالك الحاكم على الإطلاق فلا يقضي بشيء إلا وهو حقه والذين يدعون من
دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لأن الجماد لا يقال فيه إنه يقضي أو لا يقضي وقرأ

يلقي الروح من أمره خبر رابع للدلالة على أن الروحانيات أيضا مسخرات
لأمره بإظهار آثارها وهو الوحي وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد
والروح الوحي ومن أمره بيانه لأنه أمر بالخير أو مبدؤه والأمر هو الملك
المبلغ على من يشاء من عباده يختار للنبوة وفيه دليل على أنها
عطائية هكذا وقع في بعض النسخ

نافع وهشام بالكاف على الالتفات او اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه
بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال
ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا
من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا هم اشد منهم قوة
قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة
في امتناع دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر اشد منكم قوة بالكاف وآثارا في الارض
مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا
فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يمنع العذاب عنهم ذلك الاخذ
بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الاحكام الواضحة فكفروا
فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريده غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه بعقاب
دون عقابه ولقد ارسلنا موسى بآياتنا يعني المعجزات وسلطان مبين وحجة قاهرة
ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين او لافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشأنه الى
فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى عليه السلام وفيه
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من
قبلهم بطشا واقربهم زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا
معه واستحيوا نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كي يصدوا عن مظاهرة
موسى وما كيد الكافرين الا في ضلال اي في ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير
لتعميم الحكم والدلالة على العلة وقال فرعون ذروني اقتل موسى كانوا يكفونه عن قتله
ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته
بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا في اهون شيء دليل على انه تيقن انه نبي فخاف من
قتله او ظن انه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه فانه تجلد وعدم مبالاة
بدعائه اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه من عبادتي و
عبادة الاصنام لقوله ويذرك وآلهتك او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد
دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء
والهاء ورفع الفساد وقال موسى اي لقومه لما سمع كلامه اني عذت بربي وربكم من كل
متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر الكلام بان تأكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد
في دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافه
اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما في تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم
فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل
له على القول وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي عذت فيه وفي الدخان بالادغام وعن

نافع مثله وقال رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه
والرجل اسرائيلي او غريب موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان
يقول لان يقول او وقت ان يقول من غير روية وتأمل في امره ربي الله وحده وهو
في الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد وقد جاءكم بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات
والاستدلالات من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم
الى الاعتراف به ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه
لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي
يعدكم فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب
ولذلك قدم كونه كاذبا او يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه
خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد. تراك امكنة اذا
لم ارضها. او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدي
من هو مسرف كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما
هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله واهلكه
فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثاني لتلين شكيمتهم
وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب وطريق النجاة يا قوم
لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين في الارض ارض مصر فمن ينصرنا من بأس الله
ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا
عنه احد وانما ادرج نفسه في الضميرين لانه كان منهم في القرابة وليريهم انه معهم و
مساهمهم فيما ينصح لهم قال فرعون ما اريكم ما اشير اليكم الا ما ارى واستصوبه من
قتله وما اهديكم وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني متواطئان عليه
الا سبيل الرشاد طريق الصواب وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد
كعلام او من رشّد كعباد لا من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع او للنسبة الى
الرشد كعواج وبتات وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له
مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى
عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر
وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم
بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد
من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث تعلق ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد
يوم القيامة ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى
اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم
من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين منصرفين عنه

الى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله
فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى
او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد او سبطه يوسف بن افرائيم بن يوسف من قبل من قبل موسى
بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك مات
قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده
اوجزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان
بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال يضل الله في العصيان
من هو مسرف مرتاب فيما يشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين
يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع بغير سلطان بغير حجة بل
اما بتقليد او شبهة داحضة اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضمير من و
افراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف اي وجدال الذين
يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال
فيكون قوله يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استينافا للدلالة على الموجب لذلك لانهم وقرأ
ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عيني
وسمعت اذني او على حذف مضاف اي على كل ذي قلب متكبر وقال فرعون يا هامان ابن
لي صرحا بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب الطرق اسباب
السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها
فاطلع الى اله موسى عطف على ابلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله اراد ان
يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على
الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على رسالة الله اياه وان يرى فساد قول موسى
بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود
الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وبكيفية استنبائه واني
لاظنه كاذبا في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء
عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله ويدل عليه انه قرئ زين
بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامي وابو عمرو وصد على ان فرعون
صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون
الا في تباب الا في خسار وقال الذي آمن يعني مؤمن آل فرعون وقيل موسى يا قوم اتبعون
اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما
ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة
زوالها وان الآخرة لخلودها هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها
عدلا من الله وفيه دليل على ان الجناية تغرم بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى

وهو

وهو مؤمن فاولئك يدخلون يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة
بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمل وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة
باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة
على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجوة
وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له
ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو
بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا
او تعريضا او على الاول تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في
التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم والاشعار
بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح الا عن ايقان وانا ادعوكم الى العزيز
الغفار المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة
والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم
فعل بمعنى حق وفاعله ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اي
حق عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي الوهيتها
او عدم استجابة او دعوة مستجابة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي
كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته
وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى
لا قطع لبطلان دعوة الالوهية عن الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده
قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد وان مردنا الى الله بالموت وان
المسرفين في الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار ملازموها
فستذكرون فيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصيحة وافوض
امري الى الله ليعصمني من كل سوء ان الله بصير بالعباد فيحرسهم وكانه جواب لتوعدهم
المفهوم من قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى وحاق
بآل فرعون بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك
وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى الجبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلي والوحوش
صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق او القتل والنار النار
يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستأنفة او النار خبر محذوف ويعرضون استئناف
للبيان او بدل ويعرضون حال منها او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار
فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض
الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود ان ارواحهم
في اجواف طير سود يعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل

التخصيص والتأبيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اى هذا
ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا آل فرعون يا آل فرعون اشد
العذاب عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرأ نافع وحمزة و
الكسائى ويعقوب وحفص ادخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار واذ يتحاجون فى النار
واذكر وقت تخاصمهم فيها يحتمل عطفه على غدوا فيقول الضعفاء للذين استكبروا تفصيل
له انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم فى خدام او ذوى تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز
فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه
مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا فى قوله لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من
الله شيئا فيكون من صلة مغنون قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم فكيف
نغنى عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التأكيد لانه
بمعنى كلنا وتنوينه عوض المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن فى الظرف فانه لا يعمل
فى الحال المتقدمة كما يعمل فى الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب ان الله قد حكم بين
العباد بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ولا معقب لحكمه وقال الذين فى النار
لخزنة جهنم اى لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها اذ لعل جهنم ابعد
دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم من العذاب
شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه قالوا اولم تك
تأتيكم رسلكم بالبينات ارادوا به الزامهم للحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء
وتعطيلهم اسباب الاجابة قالوا بلى قالوا فادعوا فانا لا نجترئ فيه اولم نؤذن فى الدعاء
لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة وما دعاء الكافرين الا فى ضلال ضياع لا يجاب انا
لننصر رسلنا والذين امنوا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة فى الحيوة الدنيا
ويوم يقوم الاشهاد اى فى الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم من الغلبة امتحانا اذ الحكم
بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة
على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول
وعدم نفع المعذرة لانها باطلة او لانه لا يؤذن لهم فيعتذرون وقرأ غير الكوفيين ونافع
بالتاء ولهم اللعنة البعد من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم ولقد اتينا موسى الهدى ما يهتدى به
فى الدين من المعجزات والصحف والشرائع واورثنا بنى اسرائيل الكتاب ونزلنا عليهم بعده من
ذلك التورية هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولى الالباب لذوى
العقول السليمة فاصبر على اذى المشركين ان وعد الله حق بالنصر لا يخلفه واستشهد
بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك واقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك بترك الاولى
والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى كافيك فى النصر واظهار الامر وسبح بحمد
ربك بالعشى والابكار ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ

كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان عشيا ان الذين يجادلون فى ايات الله
بغير سلطان اتاهم عام فى كل مجادل مبطل وان نزلت فى مشركى مكة او اليهود حين
قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر ويسير معه الانهار
ان فى صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة او
ان النبوة والملك لا يكون الا لهم ما هم ببالغيه ببالغى دفع الايات او المراد فاستعذ
بالله فالتجئ اليه انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم لخلق السموات والارض اكبر
من خلق الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان ثانيا من
اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه من امر التوحيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا
ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباع اهوائهم وما يستوى الاعمى والبصير الغافل
والمستبصر والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء والمحسن والمسيء فينبغى ان يكون
لهم حال يظهر فيها التفاوت وهى فيما بعد البعث وزيادة لا فى المسيء لان المقصود نفى مساواته
للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثانى عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى
والبصير لتغاير الوصفين فى المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون اى
تذكرا ما قليلا تتذكرون والضمير للناس او الكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب
او الالتفات او امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمخاطبة ان الساعة لاتية لا ريب فيها فى مجيئها
لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعونى اعبدونى استجب
لكم اثبكم لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين صاغرين
وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة
الدعاء فانه من ابوابها وقرأ ابن كثير وابو بكر سيدخلون جهنم بضم الياء وفتح الخاء الله الذى
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدى الى ضعف المحركات
وهدوء الحواس والنهار مبصرا يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز ومبالغة ولذلك
عدل به عن التعليل الى الحال ان الله لذو فضل على الناس لا يوازيه فضل وللاشعار به
لم يقل المفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير
الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله
ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها و
قرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استينافا بما هو كالنتيجة للاوصاف
المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اى وجه تصرفون من عبادته الى عبادة غيره كذلك
يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون اى كما افكوا افك عن الحق كل من جحد بايات
الله ولم يتأملها الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء استدلال ثان بافعال اخر
مخصصة وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات اللذائذ ذلكم الله ربكم فتبارك

رب العالمين فان كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال هو الحي المنفرد
بالحيوة الذاتية لا اله الا هو اذ لا موجود يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه
فاعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والرياء الحمد لله رب العالمين قائلين
له قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والايات
فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها وامرت ان اسلم لرب العالمين ان انقاد له او
اخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا و
التوحيد لان المراد الجنس او على تأويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه متعلقة بمحذوف
تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرأ
نافع وهشام شيوخا بالضم وشيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة
او بلوغ الاشد ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة
ولعلكم تعقلون ما في ذلك من الحجج والعبر هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فاذا
اراده فانما يقول له كن فيكون فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى
للدلالة على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد
والمواد الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون عن التصديق به وتكرير ذم
المجادلة لتعدد المجادل او المجادل فيه او للتوكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن
او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب او الوحي او الشرايع فسوف
يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال و
التعبير بلفظ المضي لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال او مبتدا خبره يسحبون في
الحميم والعائد محذوف اي يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب
وفتح الياء على تقديم المفعول والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى
اعناقهم في الاغلال او اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به وعطف كفعلية على الاسمية ثم في
النار يسجرون يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه سجر بالحب اي
ملئ والمراد تعذيبهم بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض ثم قيل لهم اينما كنتم
تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم الهتهم او
ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع بهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا
لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك
مثل هذا الضلال يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا الى شيء ينفعهم في الاخرة او يضلهم
عن الهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون
وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول
الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها
مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين

ولكن

ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله
بهلاك الكفار حق كائن لا محالة فاما نرينك فان نريك وما مزيدة لتاكيد الشرطية و
لذلك لحقت النون الفعل ولا يلحق مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر
او نتوفينك قبل ان يراه فالينا يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب
نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نرجع
في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم
نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصتهم
اشخاص معدودة وما كان لرسول ان يأتي باية الا باذن الله فان المعجزات عطايا
قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد
باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والاخرة قضي بالحق بانجاء المحق وتعذيب
المبطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الايات بعد ظهور ما يغنيهم عنها
الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها
ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر ولكم فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا
عليها حاجة في صدوركم بالمسافرة عليها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما
قال على الفلك ولم يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة وقيل لانه
يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد يكون لاغراض دينية واجبة او
مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة ويريكم اياته دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته
فاي ايات الله اي اية من تلك الايات تنكرون فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب
اي اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء
غير الصفات لابهامه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا
اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوها وقيل
اثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او
استفهامية منصوبة بالمعنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة فلما جاءتهم رسلهم
بالبينات بالمعجزات والايات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل
والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادرك علمهم في الاخرة
وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على
زعمهم تهكما بهم او علم الطبايع والتنجيم والصنايع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم
به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل الفرح ايضا
للرسل فانهم لما راوا تمادي جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله
عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما راوا بأسنا شدة عذابنا
قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم

ان نعذبهم فبحقيقتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الاخرة اشد العذاب
ويدل على شدته الاقتصار بذكره

لما رأوا بأسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء
الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم
كالتفسير لقوله فما اغنى والباقيتان لان رؤية البأس مسببة عن مجيء الرسل وامتناع
نفع الايمان مسبب عن الرؤية سنت الله التي قد خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة
ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم البأس
اسم مكان استعير للزمان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا
صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة فصلت مكية وآيها

ثنتان او ثلث وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلته مبتدأ فخبره تنزيل
من الرحمن الرحيم وان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدأ لتخصصه بالصفة و
خبره كتاب وهو على الاولين بدل منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور
السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل
الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية فصلت آياته ميزت باعتبار
اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعاني
او فصلت بين الحق والباطل قرآنا عربيا نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان
بسهولة قراءته وفهمه لقوم يعلمون يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى
لقرآنا او صلة لتنزيل او لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا
للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع على الصفة لكتاب او الخبر لمحذوف فاعرض
اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع تأمل وطاعة وقالوا قلوبنا في اكنة مما
تدعونا اليه اغطية جمع كنان وفي آذاننا وقر صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر ومن بيننا
وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ منهم ومنه بحيث استوعب
المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما تدعوهم اليه
واعتقادهم ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول فاعمل على دينك
او في ابطال امرنا اننا عاملون على ديننا او في ابطال امرك قل انما انا بشر مثلكم يوحى
الي انما الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى
ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل
وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل فاستقيموا اليه فاستقيموا في افعالكم
متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل واستغفروه مما
انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال وويل للمشركين من فرط
جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكوة لبخلهم وعدم اشفاقهم
على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع
وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالآخرة هم كافرون

حال مشعرة

حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكوة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم للآخرة
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل
او لا يقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة
كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
اي في مقدار يومين او بنوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد
بالارض ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا
مشتركا ثم خلق لها صورا صارت بها انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون
له اندادا ولا يصح ان يكون له ند ذلك الذي خلق الارض في يومين رب العالمين
خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها وجعل فيها رواسي استئناف غير معطوف على خلق
للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار
وتكون منافعها معرضة للطلاب وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النبات
والحيوانات وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا
تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها في
اربعة ايام في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشرة والى الكوفة في خمس
عشرة ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما لليومين الاولين و
التصريح على الفذلكة سواء اي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل عليه
قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع على هي سواء للسائلين
متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر
اي قدر فيها الاقوات للطالبين ثم استوى الى السماء قصد نحوها من قولهم استوى
الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين
لا للتراخي في المدة لقوله والارض بعد ذلك دحيها ودحوها متقدم على خلق الجبال
من فوقها وهي دخان امر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت
منها فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وابرزا ما اودعتما
من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى
التقدير او ابرزا الترتيب للرتبة او الانجاب او ائتيا السماء حدوثها واتيان الارض
ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليأت كل منكما الاخرى في حدوث ما اريد توليده
منكما ويؤيده قراءة آتيا من المؤاتاة اي ليوافق كل واحد اختها فيما اردت منكما
طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده
لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال قالتا اتينا طائعين
منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها
وتمثيلها بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبها

واقدرها على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين على
المعنى باعتبار كونهما مخاطبتين كقوله ساجدين فقضيهن سبع سموات فخلقهن خلقا
ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسما على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز
على الثاني في يومين قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة واوحى
في كل سما امرها شانها وما يتاتى منها بان حملها عليها اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى
اهلها باوامره وزينا السما الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها ترى كانها تتلالا
عليها وحفظا اي وحفظناها من الافات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى
كانه قال وخصصنا السما الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم البالغ
في القدرة والعلم فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة فحذرهم
ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة
مثل صعقة عاد وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق
صعقا اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا لانذرتكم
لفساد المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او
من جهة الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم
في الاخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم
هود وصالح عن المتاخرين داعيين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة
لقوله تعالى ياتيها رزقها رغدا من كل مكان ان لا تعبدوا الا الله بان لا تعبدوا او
اي لا تعبدوا قالوا لو شا ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة برسالته فانا بما ارسلتم
به على زعمكم كافرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا
في الارض بغير الحق فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق وقالوا من اشد منا قوة اغترار
بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقلعها بيده اولم
يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر
على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره وكانوا باياتنا يجحدون يعرفون انها
حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك
بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع او شديدة الصوت في هبوبها من الصرير
في ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرا الحجازيان والبصريان
بالسكون على التخفيف والنعت على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن اخر شوال من الاربعا
الى الاربعا وما عذب قوم الا في يوم الاربعا لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا
اضاف العذاب الى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب الاخرة اخزى
وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي للمبالغة وهم
لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال

الرسل

الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء
فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب
الهون صاعقة من السما فاهلكتهم واضافها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة
بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة على الهدى ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون
من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرئ يحشر على البنا للفاعل وهو الله
عز وجل وقرا نافع نحشر بفتح النون وضم الشين ونصب اعداء فهم يوزعون يحبس
اولهم على اخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة اهل النار حتى اذا ما جاؤها اذا حضروها
وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم
بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر عليها اثار تدل على ما اقترف بها فينطق
بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال توبيخ وتعجب ولعل المراد به نفس
التعجب قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي اي ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله
الذي انطق كل شي او ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي ولو اول الجواب
والنطق بدلالة الحال على تعمم الشي عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول مرة واليه
ترجعون يحتمل ان يكون من تمام كلام الجلود وان يكون استينافا وما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي كنتم تستترون الناس عند ارتكاب
الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاكم يشهد عليكم فما استترتم عنها وفيه
تنبيه على ان المؤمن ينبغي ان يتحقق انه لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب ولكن ظننتم ان الله
لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة الى ظنهم هذا
وهو مبتدأ وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا
وارديكم خبرا فاصبحتم من الخاسرين اذ صار ما منحوا للاستسعاد به في الدارين سببا
لشقا المنزلين فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها وان يستعتبوا يسألوا
العتبى وهي الرجوع الى ما يحبون فما هم من المعتبين اي ان سالوا ان يرضوا ربهم فما هم
فاعلون لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء اخدانا من الشياطين
يستولون عليهم استيلا القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه
المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما
خلفهم من امر الاخرة وانكاره وحق عليهم القول اي كلمة العذاب في امم في جملة
امم كقوله ان تك عن احسن الصنيعة ما فوكا ففي اخرين قد افكوا وهو حال من الضمير
المجرور قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين
تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا
لهذا القران والغوا فيه وعارضوه بالخرافات وارفعوا اصواتكم بها لتشوشوا
على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى ولغا يلغو اذا هذى

المجابين اليها ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص
وقرئ ان يستعتبوا فما هم من المعتبين م

لعلكم تغلبون اى تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا المراد بهم
هؤلاء القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم اسوء سيئات اعمالهم وقد سبق مثله
الذى كانوا يعملون ذلك اشارة الى الاسوء جزاء اعداء الله خبره النار عطف بيان
لهم فيها فى النار دار الخلد فانها دار اقامتهم وهو كقولك فى هذه الدار دار سرور
وتعنى بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ينكرون
الحق او يلغون وذكر الجحود الذى هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا
اللذين اضلانا من الجن والانس يعنى شيطانى النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان
وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنّا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
وابو بكر والسوسى ارنا بالتخفيف كفخذ فى فخذ وقرأ الدورى بالاختلاس كسرة الراء نجعلهما
تحت اقدامنا ندوسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين
مكانا او ذلا ان الذين قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ثم
استقاموا فى العمل وثم لتراخيه عن الاقرار فى الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة او لانها
عسر قلما تتبع الاقرار وما روى عن الخلفاء الراشدين فى معنى الاستقامة من الثبات على
الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فبيان لها تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما
يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن او عند الموت او الخروج عن القبر الا تخافوا ما
تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء او مفسرة
وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون فى الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا
نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة وفى الآخرة بالشفاعة
والكرامة حيث يتعادى الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها فى الآخرة ما تشتهى انفسكم من اللذائذ
ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول نزلا من غفور رحيم
حال مما تدعون للاشعار بان ما تتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم
كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه
وبين ربه وقال اننى من المسلمين تفاخرا به واتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم
هذا قول فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت فى النبى صلى الله
عليه وسلم وقيل فى المؤذنين ولا تستوى الحسنة ولا السيئة فى الجزاء وحسن العاقبة
ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفى ادفع بالتى هى احسن ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتى
هى احسن منها وهى الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او بأحسن ما يمكن دفعها
به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستئناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك
وضع احسن موضع الحسنة فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم اى اذا فعلت
ذلك صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق وما يلقيها وما يلقى هذه السجية وهى مقابلة
الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا فانها تحبس النفس عن الانتقام وما يلقيها الا

ذو حظ

ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك من الشيطان
نزغ نخس شبه به وسوسته لانها بعث على ما لا ينبغى كالدفع بما هو اسوء وجعل
النزغ نازغا على طريقة جد جده او اريد به نازغ وصف للشيطان بالمصدر فاستعذ
بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك ومن
آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان مأموران
مثلكم واسجدوا لله الذى خلقهن الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما
اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اخص العبادات
وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابى حنيفة آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى
فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار
اى دائما وهم لا يسأمون لا يملون ومن آياته انك ترى الارض خاشعة يابسة
متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت تزخرفت
وانتفخت بالنبات وقرئ وربأت اى زادت ان الذى احياها بعد موتها لمحيى الموتى
انه على كل شىء من الاحياء والاماتة قدير ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة فى
آياتنا بالطعن والتحريف والتأويل الباطل والالغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم
على الحادهم افمن يلقى فى النار خير ام من يأتى آمنا يوم القيمة قابل الالقاء فى النار بالاتيان
آمنا مبالغة فى احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد انه بما تعملون بصير
وعيد بالمجازاة ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا
او مستأنف وخبر ان محذوف مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون والذكر القرآن
وانه لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات او مما فيه من الاخبار
الماضية والامور الآتية تنزيل من حكيم اى حكيم حميد يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال
لك اى ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك الا مثل ما قال لهم كفار
قومهم او ما يقول الله لك الا مثل ما قال لهم ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب
اليم لاعدائهم وهو على الثانى يحتمل ان يكون المقول بمعنى ان حاصل ما اوحى اليك
واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب
لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته بينت بلسان
نفقهه أأعجمى وعربى أكلام اعجمى ومخاطب عربى انكار مقرر للتخصيص والاعجمى يقال للذى
لا يفهم كلامه ولكلامه وهذه قراءة ابى بكر وحمزة والكسائى وقرئ اعجمى منسوب الى العجم
واعجمى على الاخبار وعلى هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا
لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه
المحذور والدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت فى الآيات كيف جاءت قل هو للذين

سجدة

امنوا هدى الى الحق وشفاء لما فى الصدور من الشك والشبهة والذين لا يؤمنون مبتدأ
خبره فى اذانهم وقر على تقدير هو فى اذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامم
عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الايات ومن جوز العطف على عاملين عطف ذلك على
الذين امنوا هدى اولئك ينادون من مكان بعيد هو تمثيل لهم فى عدم قبولهم و
استماعهم له بمن يصيح به من مسافة بعيدة ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
بالتصديق والتكذيب كما اختلف فى القران ولولا كلمة سبقت من ربك وهى العدة بالقيمة
وفصل الخصومة حينئذ او تقدير الاجال لقضى بينهم باستيصال المكذبين وانهم وان
اليهود او الذين لا يؤمنون لفى شك منه من التورية او القران مريب موجب للاضطراب
من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن اساء فعليها ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل
بهم ما ليس له ان يفعله اليه يرد علم الساعة اى اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو وما
تخرج من ثمرة من اكمامها من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات
بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل
ان يكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل من انثى ولا تضع
الا بعلمه ويعلم حال الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ويوم يناديهم اين شركائى
بزعمكم قالوا اذناك اعلمناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا عنهم
لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو
قول الشركاء اى ما منا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون
من قبل لا ينفعهم او لا يرونه وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى
لا يسأم الانسان لا يمل من دعاء الخير من طلب السعة فى النعمة وقرئ من دعاء بالخير وان
مسه الشر الضيقة فيؤس قنوط من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ فى يأسه من جهة البنية والتكرير وما فى القنوط من
ظهور اثر اليأس ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لى حقى
استحقه لما لى من الفضل والعمل او لى دائما لا يزول وما اظن الساعة قائمة تقوم ولئن
رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى اى ولئن قامت على التوهم كان لى عند الله الحالة
الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه
فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم بما عملوا بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا
فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يمكنهم التفصى عنه واذا انعمنا على الانسان اعرض
عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته او الجانب مجاز
عن النفس كالجنب فى قوله فى جنب الله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير مستعار مما له
عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين
فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله قل ارأيتم اخبرونى ان كان اى القران من عند الله

ثم كفر

ثم كفرتم به من غير نظر واتباع دليل من اضل ممن هو فى شقاق بعيد اى من اضل منكم
فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم اياتنا فى
الافاق يعنى ما اخبرهم النبى به من الحوادث الاتية واثار النوازل الماضية وما يسر الله له
وللخلفاء من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وفى انفسهم
ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما فى بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة على كمال
القدرة حتى يتبين لهم انه الحق الضمير للقران او الرسول او التوحيد او الله اولم يكف
بربك اى اولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد كانه قيل اولم تحصل الكفاية به ولا تكاد
تزاد فى الفاعل الا مع كفى انه على كل شئ شهيد بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى
على كل شئ شهيد محقق له فيتحقق امرك باظهار الايات الموعودة كما حقق سائر الاشياء
الموعودة او مطلع فيعلم حالك وحالهم او اولم يكف الانسان رادعا عن المعاصى انه تعالى
مطلع على كل شئ لا يخفى عليه خافية الا انهم فى مرية شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية
من لقاء ربهم بالبعث والجزاء الا انه بكل شئ محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر
عليها لا يفوته شئ منها عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف
عشر حسنات والله اعلم سورة حم الشورى مكية وهى ثلث وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم
حم عسق لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا ايتين وان كان اسما واحدا
فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك
الله العزيز الحكيم اى مثل ما فى هذه السورة من المعانى او ايحاء مثل ايحائها اوحى الله اليك
والى الرسل قبلك وانما ذكره بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار
الوحى وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند
الى ضميره او نعت مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم
صفتان له مقررتان لعلو شان الموحى به كما مر فى السورة السابقة او بما لا ينبأ كما فى قراءة
نوحى بالنون والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله له ما فى السموات
وما فى الارض وهو العلى العظيم خبران له وعلى الوجوه الاخر استيناف مقرر لعزته و
حكمته تكاد السموات وقرأ نافع والكسائى بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله وقيل من
دعاء الولد له وقرأ البصريان وابو بكر ينفطرن لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فعل
وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر من فوقهن اى يبتدئ الانفطار
من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان اعظم الايات وادلها على علو شانه
من تلك الجهة وعلى الثانى ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض
فان المراد بها الجنس والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض
بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة
وذلك فى الجملة تعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم

الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم
اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والاية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني
دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء
باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء وانداد
الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم ومجازيهم بها وما انت يا محمد عليهم بوكيل
بموكل بهم او بموكول اليك امرهم وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا ذلك اشارة الى
مصدر يوحي او الى معنى الاية المتقدمة فانه مكرر في القران في مواضع جمة فيكون الكاف
مفعولا به وقرانا عربيا حال منه لتنذر ام القرى اهل ام القرى وهي مكة ومن حولها
من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيمة يجمع فيه الخلائق او الارواح والاشباح او العمال
والاعمال وحذف ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ
لينذر بالياء والفعل للقران لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير
اي بعد جمعهم في الموقف يجمعون اولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين
لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم اي وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين
للتفرق اي متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة مهتدين او
ضالين ولكن يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من
ولي ولا نصير اي ويدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد
اذ الكلام في الانذار ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله هو الولي جواب
شرط محذوف مثل ان ارادوا وليا بحق فالله هو الولي بالحق وهو يحيي الموتى وهو
على كل شيء قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم فيه انتم والكفار من شيء اي
من امر من امور الدين او الدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه يميز المحق من المبطل بالنصر او
بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب
الله ذلكم الله ربي عليه توكلت في مجامع الامور واليه انيب ارجع في المعضلات فاطر
السموات والارض خبر اخر لذلكم او مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على البدل من الضمير
او الوصف لالى الله من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء ومن الانعام ازواجا اي وخلق
للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم
يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذر والذرو فيه في هذا التدبير وهو جعل
الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء
اي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا
على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى
ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لذاته ومن
قال الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطي معنى ليس مثله غير انه اكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته

اي ليس

اي ليس كصفته صفة وهو السميع البصير لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض
خزائنهما يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيئته انه بكل شيء عليم
فيفعله على ما ينبغي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا
به ابرهيم وموسى وعيسى اي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من ارباب الشرائع
عليهم السلام وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا الدين وهو الايمان بما
يجب تصديقه والطاعة في احكام الله تعالى ومحله النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع
على الاستيناف كانه جواب وما ذلك او الجر على البدل من هاء به ولا تتفرقوا فيه ولا
تختلفوا في هذا الاصل اما فروع الشرائع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كبر
على المشركين عظم عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبي اليه من يشاء يجتلب اليه والضمير
لما تدعوهم او للدين ويهدي اليه بالارشاد والتوفيق من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا يعني
الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما
جاءهم العلم العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول عليه السلام او اسباب
العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها بغيا بينهم عداوة او طلبا للدنيا ولولا
كلمة سبقت من ربك بالامهال الى اجل مسمى هو يوم القيمة او اخر اعمارهم المقدرة لقضي
بينهم باستيصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب
من بعدهم يعني اهل الكتاب كانوا في عهد الرسول عليه السلام او المشركين الذين اورثوا القران
من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا لفي شك منه من كتابهم لا يعلمونه كما هو او
لا يؤمنون به حق الايمان او من القران مريب مقلق او مدخل في الريبة فلذلك فلاجل ذلك
التفرق او الكتاب او العلم الذي اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية او الاتباع لما اوتيت
وعلى هذا يجوز ان يكون اللام في موضع الى لافادة الصلة والتعليل واستقم كما امرت
واستقم على الدعوة كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب
يعني جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين امنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم
في تبليغ الشرائع والحكومات والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال
القوة العملية الله ربنا وربكم خالق الكل ومتولي امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكل مجازى
بعمله لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج بمعنى الخصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال
ولا للخلاف مبدأ سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير مرجع الكل لفصل القضاء
وليس في الاية ما يدل على متاركة الكفار رأسا حتى تكون منسوخة باية القتال والذين
يحاجون في الله من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من
بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل
الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة وعليهم
غضب بمعاندتهم ولهم عذاب شديد على كفرهم الله الذي انزل الكتاب جنس الكتاب

في دينه

بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله من العقايد والاحكام [illegible]
وما يدريك لعل الساعة قريب اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل
قبل ان يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه
بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء
والذين امنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتناء بها لتوقع الثواب ويعلمون انها
الحق الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت
الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه
شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها
فهو ابعد من الاهتداء الى ما وراءها الله لطيف بعباده بر بهم بصنوف من البر التي لا يبلغها
الافهام يرزق من يشاء اي يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته
وهو القوي الباهر القدرة العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة ثوابها
شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الاخرة والحرث
في الاصل القاء البذر في الارض ويقال للزرع الحاصل منه نزد له في حرثه فنعطه بالواحد عشرا
الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا منها على ما قسمنا له وما له في
الاخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ام لهم شركاء بل الهم شركاء والهمزة
للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم شرعوا لهم بالتزيين من الدين ما لم ياذن به الله كالشرك
وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء
واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنه لهم ولولا
كلمة الفصل اي القضاء السابق بتاجيل الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي
بينهم بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ
ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الاخرة لقضي
بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب الاخرة ترى الظالمين في القيمة مشفقين
خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اي وباله لاحق بهم اشفقوا ام لم يشفقوا
والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما
يشاؤن عند ربهم اي ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم ذلك اشارة الى ما للمؤمنين هو
الفضل الكبير الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا ذلك الذي يبشر الله عباده الذين
امنوا وعملوا الصالحات ذلك الثواب الذي يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد او ذلك
التبشير الذي يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي يبشر من بشره
قل لا اسألكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا منكم الا المودة في
القربى ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم
اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفي القربى حال منها اي الا المودة ثابتة في ذوي القربى

متمكنة

متمكنة في اهلها او في حق القرابة ومن اجلها كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض في الله روي
انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما رضوان الله عليهم
اجمعين وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة
والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة سيما
حب آل الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه ومودته لهم نزد له فيها اي في
الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد الله تعالى حسنا ان الله غفور لمن اذنب
شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل يقولون افترى على الله
كذبا افترى محمد عليه السلام بدعوى النبوة او القران فان يشأ الله يختم على قلبك استبعاد
للافتراء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما
من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكانه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ
بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القران والوحي عنك او يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك
اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور استيناف لنفي الافتراء
عما يقوله بانه لو كان مفترى لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه
او بوعد لمحق باطلهم واثبات حقه بالقران او بقضائه الذي لا مرد له وسقوط الواو من يمح
في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز
عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة
التوبة وعن علي هو اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة
ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها
حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن شاء
ويعلم ما تفعلون فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرأ الكوفيون غير ابي بكر بالتاء ويستجيب الذين
امنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد
اجابة الدعاء او الاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله عليه السلام
افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم من فضله على
ما سألوا واستحقوا او استوجبوا له بالاستجابة والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين
من الثواب والتفضل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا
فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغي طلب تجاوز
الاقتصاد فيما يتحرى كمية او كيفية ولكن ينزل بقدر بتقدير ما يشاء ما اقتضته مشيئته انه
بعباده خبير بصير يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم فيقدر ما يناسب شانهم روي ان اهل
الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا
وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وابن عامر
وعاصم ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا ايسوا منه وقرئ بكسر النون وينشر رحمته في كل شيء

من السهل والجبل والنبات والحيوان وهو الولي الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته الحميد
المستحق للحمد على ذلك ومن آياته خلق السموات والارض فانها بذاتها وصفاتها تدل على
وجود صانع قادر حكيم وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على اطلاق
اسم المسبب للسبب او مما يدب على الارض وما يكون في احد الشيئين يصدق انه فيهما في الجملة
وهو على جمعهم اذا يشاء في اي وقت يشاء قدير متمكن منه واذا كما يدخل الماضي يدخل المضارع
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فبسبب معاصيكم والفاء لان ما شرطية او متضمنة
معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية ويعفو عن كثير من
الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها
تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب
وما لكم من دون الله من ولي يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن
الجارية في البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه
نار ان يشأ يسكن الريح وقرأ نافع الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر
البحر ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر في آيات الله
والتفكر في آلائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن
او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا واصله او
يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله ويعف عن كثير اذ المعنى او
يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينجي ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستئناف
ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء ونصب
نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف
وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين ما لهم
من محيص من محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا تمتعون به مدة حيوتكم
وما عند الله من ثواب الآخرة خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لخلوص نفعه ودوامه
وما الاولى تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء
في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رضي الله عنه تصدق ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع فنزلت
والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون بما بعده عطف على الذين
آمنوا او مدح منصوب او مرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاخصاء
بالمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم والذين استجابوا لربهم نزلت في الانصار
دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له واقاموا الصلوة وامرهم شورى
بينهم ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم
وتيقظهم في الامور وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير
والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم

بالشجاعة

بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز
المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء
واغراء على البغي عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدي بقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها
وسمى الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من ينزل به فمن عفا واصلح بينه وبين عدوه فاجره
على الله عدة مبهمة تدل على عظم الموعود انه لا يحب الظالمين المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين
في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه بعدما ظلم وقد قرئ به فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة
والمعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار او يطلبون ما لا
يستحقونه تجبرا عليهم ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم
ولمن صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف
منه كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر
يتولاه من بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين لما رأوا العذاب حين يرونه فذكر بلفظ
الماضي تحقيقا يقولون هل الى مرد من سبيل اي الى رجعة الى الدنيا وتراهم يعرضون عليها
على النار ويدل عليها العذاب خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل
ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر
الى السيف وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب
المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا والقول في الدنيا او يقولون اذا رأوهم على تلك الحال
الا ان الظالمين في عذاب مقيم تمام كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء
ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى او النجاة استجيبوا لربكم
من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة
يأتي اي من قبل ان يأتي يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجأ يومئذ مفر وما لكم من نكير انكار
لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم تشهد عليه السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا
فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا او محاسبا ان عليك الا البلاغ وقد بلغت وانا اذا
اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها اراد بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت
ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتأمل
سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير
الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها مقتضى الذات بخلاف
اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة على ان
هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات والارض فله ان يقسم النعمة والبلية كيف شاء
يخلق ما يشاء من غير لزوم ومجال اعتراض يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او
يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل
احوال العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى

واندراجهم صح

او الصنفين جميعا ويعقم اخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الآية
للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشية الله لا مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام
في البلاء والعرب تعدهن بلاء او لتطييب قلوب ابائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف
الذكور او لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه
الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة انه عليم قدير فيفعل ما يفعل
بحكمة واختيار وما كان لبشر وما صح له ان يكلمه الله الا وحيا كلاما خفيا يدرك
بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم
المشافه به كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى
في طوى والطور لكن عطف قوله او من وراء حجاب عليه يخصه بالاول والاية دليل على جواز
الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع او الوحي المنزل به الملك الى الرسل
فيكون المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء او يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه كما امره
وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحى الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان
* ومن وراء حجاب ظرف وقعت احوالا وقرأ نافع او يرسل برفع اللام انه علي عن صفات المخلوقين
حكيم يفعل ما يقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا او اما من
وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعني ما اوحي اليه وسماه روحا لان القلوب
تحيى به وقيل جبريل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي قبل
الوحي وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه
الا السمع ولكن جعلناه نورا اي الروح او الكتاب او الايمان نهدي به من نشاء من عبادنا بالتوفيق
للقبول والنظر فيه وانك لتهدي الى صراط مستقيم هو الاسلام وقرئ لتهدى اي ليهديك الله
صراط الله بدل من الاول الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا الا الى الله تصير
الامور بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويترحمون له

سورة الزخرف مكية وقيل الا قوله واسأل من ارسلنا وآيها تسع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا اقسم بالقران على انه جعله قرانا وهو من
البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابي تمام وثناياك انها اغريض ولعل اقسام الله
بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقران من حيث انه معجز مبين طرق الهدى
وما يحتاج اليه في الديانة او بين للعرب يدل على انه تعالى صيره كذلك لعلكم تعقلون لكي تفهموا
معانيه وانه عطف على انا في ام الكتاب في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرأ حمزة
والكسائي ام الكتاب بالكسر لدينا محفوظا عندنا عن التغيير لعلي رفيع الشان في الكتب السماوية
لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان وفي ام الكتاب
متعلق بعلي واللام لا يمنعه او حال منه ولدينا بدل منه او حال من الكتاب افنضرب عنكم

الذكر

* من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرا م

الذكر صفحا افنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة
اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف
اي انهملكم فنضرب عنكم الذكر صفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض او
مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولي الشيء صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب
فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا وح يحتمل ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين
والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه ان كنتم قوما
مسرفين اي لان كنتم وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض وقرأ نافع وحمزة و
الكسائي ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل
الجزاء وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من القوم المسرفين
لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم مخبرا عنهم ومضى مثل الاولين وسلف
في القران قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم لعله لازم مقولهم
او ما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكانهم قالوا الله كما حكي عنهم في
مواضع اخر وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده استئناف
الذي جعل لكم الارض مهدا فتستقرون فيها وقرأ غير الكوفيين مهادا بالالف وجعل
لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم تهتدون لكي تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع
بالنظر في ذلك والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فانشرنا به بلدة
ميتا مال عن النماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الانشار تخرجون
تنشرون من قبوركم والذي خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات وجعل لكم من الفلك و
الانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه على المتعدي بغيره اذ يقال ركبت
الدابة وركبت في السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك
قال لتستووا على ظهوره اي ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم
عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا و
ما كنا له مقرنين مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده قرينته اذ الصعب
لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه السلام انه كان اذا وضع
رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله سبحان الذي سخر لنا
هذا الى قوله وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل
والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله او مخطر فينبغي للراكب ان لا يغفل عنه ويستعد للقاء
الله وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم اي وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف
من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزءا كما سمي بعضا لانه بضعة من الوالد

دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور
مبين ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله لانه من فرط الجهل به والتحقير لشأنه
ام اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين معنى الهمزة الانكار والتعجب من شأنهم حيث
لم يقنعوا بان جعلوا له جزءا حتى جعلوا له من مخلوقاته اجزاء اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء
اليهم بحيث اذا بشر بها اشتد غمهم به كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس
الذي جعله له مثلا اذ الولد لابد وان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود في
الغاية لما يعتريه من الكآبة وهو كظيم مملو قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات على فساد ما
قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه
مسود جملة وقعت خبرا اومن ينشؤا في الحلية اي اوجعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة يعني
البنات وهو في الخصام في المجادلة غير مبين غير مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأي
ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اي اومن هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين
واضافة غير اليه لا تمنعه كما عرفت وقرا حمزة والكسائي وحفص ينشأ اي يربى وقرئ ينشا
ويناشا بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى وجعلوا الملائكة الذين
هم عباد الرحمن اناثا كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم
على الله انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر والبصريان عند
على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم احضروا خلق الله اياهم
فشاهدوهم اناثا فان ذلك يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع أأشهدوا
بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآ أشهدوا بمدة بينهما ستكتب شهادتهم التي
شهدوا بها على الملائكة ويسألون اي عنها يوم القيمة وهو وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب
بالياء والنون وشهاداتهم وهو ان لله جزءا وان له بنات وهن الملائكة ويساءلون من المسائلة
وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا
بنفي مشية عدم العبادة على امتناع النهي عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشية ترجح بعض
الممكنات على بعض مأمورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم
بذلك من علم ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان يكون الاشارة الى اصل الدعوى
كانه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى ان يكون لهم سند من جهة النقل
ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او ادعائهم ينطق على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون
بذلك الكتاب متمسكون بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون
اي لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد ابائهم الجهلة والامة
الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم أي
القاصد ومنها الدين وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها
انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ودلالة

ودلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم
سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم
عن النظر الى التقليد قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اي اتتبعون اباءكم ولو
جئتكم بدين اهدى من دين ابائكم وهو حكاية امر ماض اوحي الى النذير او خطاب للرسول
الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا انا بما
ارسلتم به كافرون اي وان كان اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا او يتفكروا فيه فانتقمنا
منهم بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم واذ قال ابراهيم
واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن
لهم بد من التقليد فانه اشرف ابائهم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون بريء من عبادتكم او معبودكم
مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم
وكرام الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل على ان ما يعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون
الله والاوثان او صفة على ان ما موصوفة اي انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه
سيهدين سيثبتني على الهداية او سيهديني الى ما وراء ما هداني اليه وجعلها كلمة وجعل ابراهيم ٢٤
او الله تعالى كلمة التوحيد باقية في عقبه في ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ
كلمة وفي عقبه على التخفيف وفي عاقبه اي فيمن عقبه لعلهم يرجعون يرجع من اشرك منهم بدعاء
من وحد بل متعت هؤلاء واباءهم هؤلاء المعاصرين للرسول عليه السلام من قريش و
اباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا في الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى
اعترض به على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد
او القرآن ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد بالحجج والآيات ولما جاءهم
الحق لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به كافرون زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة
الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول وقالوا لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين من احدى القريتين مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد
ابن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا
انها رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية لا التزخرف
بالزخارف الدنيوية اهم يقسمون رحمت ربك انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد
بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها وهي
خويصة امرهم في دنياهم فمن اين لهم ان يدبروا امر النبوة التي هي اعلى المراتب الانسية واطلاق
المعيشة تقتضي ان يكون حلالها وحرامها من الله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات و
اوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم بعضا
في حوائجهم فيحصل بينهم تألف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص
في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو اعلى منه ورحمت ربك

٧ كلمة التوحيد

هذه يعني البيوت وما يتبعها اجر مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم منها من رزق لا متاعه
ولولا ان يكون الناس امة واحدة ولولا ان يرغبوا في الكفر اذا راوا الكفار في سعة
وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج
ومصاعد جمع معرج وقرئ ومعاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة الدنيا
ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرا ابن كثير
وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة
في سقف ابوابا وسررا عليها يتكئون اي ابوابا وسررا من فضة وزخرفا وزينة عطف على
سقفا او ذهبا عطف على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان هي
المخففة واللام هي الفارقة وقرا عاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ
به مع ان وما والاخرة عند ربك للمتقين من الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم
في الاخرة لا في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان
وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم في الاخرة مخل به في الاغلب لما فيه من الافات قل من
يتخلص عنها كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله
بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح يقال عشي اذا كان في بصره افة وعشي
اذا تعشى بلا افة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة نقيض له شيطانا فهو له
قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي من حقه ان يسبل وجمع الضميرين للمعنى
اذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض ويحسبون انهم مهتدون الضمائر الثلثة
الاول له والباقيان للشيطان حتى اذا جاءنا اي العاشي وقرا الحجازيان وابن عامر وابو بكر
جاءانا اي العاشي والشيطان قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين بعد المشرق من المغرب فغلب
المشرق وثني واضيف البعد اليهما فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم اي ما انتم عليه من
التمني اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا بدل من اليوم انكم في العذاب مشتركون
لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز ان يسند
الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب معاونتهم
في تحمل اعبائه وتقسمهم لمكابدة عنائه اذ لكل منكم ما لا يسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر
وهو يقوي الاول افانت تسمع الصم او تهدي العمي انكار تعجب من ان يكون هو الذي يقدر
على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا
بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا
فنزلت ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار
بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى فاما نذهبن بك اي فان قبضناك قبل ان
نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة فانا منهم
منتقمون بعذاب في الدنيا والاخرة او نرينك الذي وعدناهم او ان اردنا ان نريك

ما وعدناهم

يوسوسه ويغويه دائما وقرا يعقوب بالياء على اسناده
الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي ان يرفعه ٢

٢ قال اي العاشي والشيطان ٢

ما وعدناهم من العذاب فانا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا فاستمسك بالذي اوحي
اليك من الايات والشرائع وقرئ اوحي على البناء للفاعل وهو الله تعالى انك على صراط مستقيم
لا عوج له وانه لذكر لك لشرف لك ولقومك فسوف تسئلون اي عنه يوم القيمة وعن قيامكم
بحقه واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي رسل اممهم وعلماء دينهم اجعلنا من
دون الرحمن الهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم
والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه
فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد ارسلنا
موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين يريد باقتصاصه تسلية
الرسول صلى الله عليه وسلم ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون فاجؤوا
وقت ضحكهم منها اي استهزؤوا بها اول ما راوها ولم يتاملوا فيها وما نريهم من اية الا هي
اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما
يقاس اليها من الايات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رايت رجالا بعضهم افضل من بعض
وكقوله ومن تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري او الا وهي
مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار واخذناهم بالعذاب كالسنين و
الطوفان والجراد لعلهم يرجعون على وجه يرجى رجوعهم وقالوا يا ايه الساحر نادوه
بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم كانوا يسمون العالم الباهر
ساحرا ادع لنا ربك اي تدعو لنا فيكشف عنا العذاب بما عهد عندك بعهده عندك
من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت
به وهو الايمان والطاعة اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجؤوا
نكث عهدهم بالاهتداء ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد
كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار
انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من
تحتي تحت قصري او امري او بين يدي في جناني والواو اما عاطفة لهذه الانهار على
الملك فتجري حال منها او واو حال وهذه مبتداء والانهار صفتها وتجري خبرها افلا
تبصرون ذلك ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين ضعيف
حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين الكلام لما به من اللثغة فكيف
يصلح للرسالة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدم من اسباب فضله او متصلة
على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون اني خير منه
فلولا القي عليه اسورة من ذهب اي فهلا القي اليه مقاليد الملك ان كان صادقا
اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب واسورة جمع اسوار

بمعنى السوار على تعويض الياء من ياء اساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص اسورة و
هي جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة والقي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل
وهو الله تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته
به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فطلب منهم الخفة في
مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك
اطاعوا ذلك الفاسق فلما آسفونا اغضبونا بالافراط في العناد والعصيان منقول
من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين في اليم فجعلناهم سلفا
قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع
سالف كخدم وقرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع سليف كرغف او سالف كصبر
او سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اي ثلة سلفت
ومثلا للآخرين وعظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم
فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى اهل كتاب
وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله والملائكة اولى بذلك او على قوله واسأل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح اذا قومك قريش منه من هذا
المثل يصدون يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم صار ملزما به وقرأ نافع
وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود اي يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان
نحو يعكف ويعكف وقالوا آلهتنا خير ام هو اي آلهتنا خير عندك ام عيسى فان كان في النار
فليكن آلهتنا معه او آلهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت
آلهتنا اولى بذلك او آلهتنا خير ام محمد فنعبده وندع آلهتنا وقرأ الكوفيون أآلهتنا بتحقيق
الهمزتين والف بعدهما ما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل و
الخصومة لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون شداد الخصومة حراص على اللجاج ان هو الا
عبد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء
لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ملائكة في الارض
يخلفون ملائكة يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى وان كانت عجيبة فالله تعالى قادر
على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا
كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله تعالى وانه وان عيسى
لعلم للساعة لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة يعلم بها دنوها او لان احياءه الموتى يدل
على قدرة الله عليه وقرئ لعلم اي علامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفي الحديث ينزل عيسى
على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس
والناس في صلوة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ع م ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم

ثم يقتل

ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من
آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها
فلا تشكن فيها واتبعون واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول
امر ان يقوله هذا اي هذا الذي ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه ولا يصدنكم
الشيطان عن المتابعة انه لكم عدو مبين ثابت عداوته بان اخرجكم عن الجنة وعرضكم للبلية
ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة
بالانجيل او الشريعة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين لا ما
يتعلق بامر الدنيا فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم
فاتقوا الله واطيعون فيما ابلغه عنه ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم
بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا صراط مستقيم الاشارة الى مجموع
الامرين وهو تتمة كلام عيسى ع م او استئناف من الله يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك
فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى او اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث
اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم اليم القيمة هل ينظرون الا الساعة الا ان تأتيهم الساعة
بغتة فجاة وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها
الاخلاء الاحباء يومئذ بعضهم لبعض عدو اي يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور
ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب الا المتقين فان خلتهم لما كان في الله تبقى نافعة ابد الآباد
يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله
يومئذ الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين حال من الواو اي الذين آمنوا
مخلصين غير ان هذه العبارة آكد ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون
تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون
اكراما بليغا فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب
الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها وفي الجنة ما تشتهي
الانفس وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الاصل وتلذ الاعين بمشاهدته وذلك
تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد في التنعم والتلذذ وانتم فيها خالدون فان كل نعيم زائل
موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك الجنة التي اورثتموها
بما كنتم تعملون وقرئ ورثتموها بتشبيه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك
اشارة الى الجنة المذكورة وهي مبتدأ والجنة خبرها والتي اورثتموها صفتها او الجنة صفة
تلك والتي خبرها او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه تتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها
لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون بعضها تأكلون لكثرتها او دوام نوعها ولعل تفصيل التنعم
بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو حقير بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما كان
بهم من الشدة والفاقة ان المجرمين الكاملين في الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين

بالآيات وحكي عنهم ما يخص بالكفار في عذاب جهنم خالدون خبر ان او خالدون خبر والظرف
متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم
فيه في العذاب مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله
غير مرة وهم فصل ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا او مضموما ولعله اشعار
بانهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فاقتصروا ليقض علينا
ربك والمعنى سل ربنا ان يقضي علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافي ابلاسهم فانه
جوار وتمني بالموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون لا خلاص لكم بموت ولا بغيره لقد جئناكم
بالحق بالارسال والانزال وهو من تتمة الجواب ان كان في قال ضمير الله والا فجواب منه وكانه
تعالى تولى جوابهم بعد جواب المالك ولكن اكثركم للحق كارهون لما في اتباعه من اتعاب النفس
وآداب الجوارح ام ابرموا امرا في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته فانا مبرمون
امرا في مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوء من كراهتهم او ام احكم
المشركون امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله ام يحسبون انا
لا نسمع سرهم حديث نفسهم بذلك ونجواهم وتناجيهم بلى نسمعها ورسلنا والحفظة مع ذلك
لديهم ملازمة لهم يكتبون ذلك قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين منكم فان
النبي يكون اعلم بالله وما يصح له وما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد
تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال
بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثم مشعرة
بانتفاء الطرفين وان هاهنا لا يشعر به ولا بنقيضه فانها مجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم
من اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل
لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد في زعمكم فانا اول
العابدين لله الموحدين له او الآنفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا
اشتد انفه او ما كان له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرأ حمزة والكسائي ولد بالضم
سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام
لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك
بمبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون
اي القيمة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في
الآخرة وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه
بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ
محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى عائد لكن
لو جعل صلة وقدر لاله مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه في السماء
بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي الالهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية

وعن الضحاك يجدد الجحيم في تابوت ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى

وهو

وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما
كالهواء وعنده علم الساعة العلم بالساعة التي تقوم القيمة فيها واليه ترجعون
للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد ولا
يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله الا من
شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون
الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم
سألت العابدين او المعبودين ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى
يؤفكون تصرفون من عبادته الى عبادة غيره وقيله وقول الرسول ونصبه للعطف
على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اي وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة
وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او معطوف على علم الساعة
بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيله
يا رب قسمي وان هؤلاء جوابه فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم وقل سلام
تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم
وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على انه من المأمور بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الزخرف كان فيمن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الآية وهي سبع او تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين القرآن والواو للعطف
ان كان حم مقسما بها والا فللقسم والجواب قوله انا انزلناه في ليلة مباركة في ليلة
القدر او البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح ثم انزل على
الرسول صلى الله عليه وسلم نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية
والدنيوية او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية
انا كنا منذرين استئناف يبين المقتضي للانزال وكذلك قوله فيها يفرق كل امر حكيم
فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة تستدعي ان ينزل فيها القرآن الذي
هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة لليلة مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان
الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر
وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل اي يفرقه الله ونفرق بالنون امرا من عندنا اي اعني
بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون
حالا من كل او امر او ضميره المستكن في حكيم لانه موصوف وان يكون المراد به مقابل النهي
وقع مصدرا ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه
بمعنى آمرين او مأمورا به انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين اي انا
انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع

الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة ليفرق
او امرا ورحمة مفعول به اي يفصل فيها كل امر او يصدر الاوامر من عندنا لان من شاننا ان نرسل
رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ
رحمة على تلك هي رحمة انه هو السميع العليم يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو وما بعده تحقيق
لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه صفاته رب السموات والارض وما بينهما خبر اخر او استيناف
وقرا الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم
او ان كنتم موقنين في اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا وان
كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ لا خالق سواه يحيي ويميت كما تشاهدون
ربكم ورب ابائكم الاولين قرئا بالجر بدلا بل هم في شك يلعبون رد لكونهم موقنين فان
فانتظر لهم يوم تاتي السماء بدخان مبين يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء
كهيئة الدخان من ضعف بصره او لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار
او لان العرب تسمي الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان
الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار او يوم ظهور الدخان المعدود في اشراط الساعة لما روي
انه صلى الله عليه وسلم لما قال اول الايات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق
الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب
يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من
منخره واذنيه ودبره او يوم القيمة والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس يحيط بهم صفة للدخان
وقوله هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون مقدر بقول وقع حالا
وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم انى لهم الذكرى من اين لهم وكيف يتذكرون
بهذه الحال وقد جاءهم رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منها في ايجاب الادكار من الايات
والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال بعضهم يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف وقال اخرون انه
مجنون انا كاشفوا العذاب بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا
قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقي من اعمارهم انكم عائدون الى الكفر غب الكشف ومن فسر
الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد
الاربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما في القيمة اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش
البطشة الكبرى يوم القيمة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه انا منتقمون لا لمنتقمون فان ان
يحجز عنه او بدل من يوم تاتي وقرئ نبطش اي نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة
على بطشهم وهو التناول بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم بارسال موسى اليهم
او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتاكيد او لكثرة القوم
وجاءهم رسول كريم على الله او على المؤمنين او في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه ان ادوا الي
عباد الله بان ادوهم الي وارسلوهم معي او بان ادوا الي حق الله من الايمان وقبول الدعوة

يا عباد الله

يا عباد الله ويجوز ان يكون مخففة ومفسرة لان مجيء الرسول يكون برسالة ودعوة اني لكم
رسول امين غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر
وان لا تعلوا على الله ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وان كالاولى
في وجهيها اني اتيكم بسلطان مبين علة للنهي ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء
شان لا يخفى واني عذت بربي وربكم التجات اليه وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذوني
ضربا او شتما او ان تقتلوني وقرا حمزة والكسائي وابو عمرو عدت بالادغام وان لم تؤمنوا
لي فاعتزلون فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا لي بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم
الى ما فيه فلاحكم فدعا ربه بعدما كذبوه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون هو تعريض
بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول فاسر
بعبادي ليلا اي فقال اسر او قال ان كان الامر كذلك فاسر وقرا نافع وابن كثير بوصل الهمزة
من سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا
ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعدما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه
شيئا ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا كثيرا تركوا من جنات
وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة او منازل حسنة ونعمة وتنعم كانوا فيها
فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك
واورثناها عطف على الفعل المقدر او على تركوا قوما اخرين ليسوا منهم في شيء وهم بنو
اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث
باهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك
ومنه ما روي في الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط
رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء والارض وما كانوا منظرين ممهلين الى وقت اخر
ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من استعباد فرعون وقتله ابناءهم من فرعون بدل
من العذاب على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه في التعذيب او حال من المهين بمعنى واقعا
من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة انه كان عاليا
متكبرا من المسرفين في العتو والشرارة وهو خبر ثان اي كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير
في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بينهم ولقد اخترناهم اخترنا بني اسرائيل على علم عالمين بانهم
احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون في بعض الاحوال على العالمين لكثرة الانبياء فيهم
او على عالمي زمانهم واتيناهم من الايات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى
ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام فيهم
وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة والانذار عن
مثل ما حل بهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى
المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما في قولك حج زيد الحجة الاولى

وبات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا
ان هي الا موتتنا الاولى اى ما الموتة التى من شانها ذلك الا الموتة الاولى وما نحن
بمنشرين بمبعوثين فأتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين ان كنتم صادقين في وعدكم ليدل عليه اهم خير في القوة والمنعة ام قوم تبع
تبع الحميري الذى سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه
كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه السلام ما ادرى أكان تبع نبيا او غير نبي وقيل
لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم
كعاد وثمود اهلكناهم استيناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش
او حال باضمار قد او خبر من الموصول ان استونف به انهم كانوا مجرمين بيان للجامع المقتضى
للاهلاك وما خلقنا السموات والارض وما بينهما وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن
لاعبين لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها ما خلقناهما الا بالحق
الا بسبب الحق الذى اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة او البعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون
لقلة نظرهم ان يوم الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل
عن اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان
اى ان ميعاد جزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او
ظرف لما دل عليه الفصل لا للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى عن مولى كان شيئا
من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله
بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو والنصب على الاستثناء انه
هو العزيز لا ينصر منه من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرت الزقوم وقرئ
بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق في الصافات طعام الاثيم الكثير الآثام والمراد به الكافر
لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردى
الزيت يغلي في البطون وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او
الزقوم لا للمهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما كغلي الحميم غليانا مثل غليه خذوه
على ارادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء
وجره بقهر وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم الى سواء الجحيم وسطه
ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم
للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض
هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا
على ما كان يزعمه وقرأ الكسائي انك بالفتح اى لانك او عذاب انك ان هذا ان هذا
العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه ان المتقين في مقام في موضع
اقامة وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم امين يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال في جنات

وعيون

قال مقاتل ان خازن النار يضربه على رأسه فيثقب رأسه عن دماغه ثم يصب فيه ماء
حميما فيه انتهى ثم يقول له ذق انك انت العزيز الكريم وذلك انه كان يقول
انا اعز اهل هذا الوادي واكرمهم فيقول له الملك ذق العذاب ايها المتكبر
المتعزز في زعمك وسيط
وروى ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله
ما انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا مدارك
المهل هو النحاس المذاب وقيل دردى الزيت وقيل القيح والصديد ايضا

وعيون بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب
يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الظرف او استيناف والسندس
ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب او مشتق من البراقة متقابلين في مجالسهم
ليستأنس بعضهم ببعض كذلك الامر كذلك او آتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين
قرناهم بهن ولذلك عدى بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف في انهن نساء
الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه
لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان آمنين من الضرر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها او الجنة
والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكانه فيها والاستثناء للمبالغة في تعميم النفي
وامتناع الموت فكانه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل
ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ ووقيهم على المبالغة في الوقاية فضلا من ربك اى اعطوا كل ذلك عطاء
وتفضلا منه وقرئ بالرفع اى ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص عن المكاره و
فوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة
لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون به لما لم يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم
مرتقبون منتظرون ما يحل بك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح
مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع او ست وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم
وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين
وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم وما يبث من
دابة ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف اليه باحد الاختصاصين فان بثه وتنوعه
واستجماعه لما به يتم معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار آيات لقوم يوقنون
محمول على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف
الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به الارض
بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي وتصريف
الريح آيات لقوم يعقلون فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين في والابتداء او ان
الا ان يضمر في او ينصب آيات على الاختصاص او ترفع باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلث
لاختلاف الآيات في الدقة والظهور تلك آيات الله اى تلك الآيات دلائله نتلوها عليك
حال عاملها معنى الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فبأي حديث بعد الله وآياته
يؤمنون اى بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة كما في قولك اعجبني زيد وكرمه
او بعد حديث الله وهو القرآن لقوله الله نزل احسن الحديث وآياته دلائله المتلوة
او القرآن والعطف لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان وحفص وروح وابو عمرو

اى لكن الموتة الاولى قد ذاقوها وهذا الجواب اختاره ... قيل ان الا ههنا بمعنى بعد وهذا
يدفعه قوله فيها وقيل بمعنى سوى وهذا يدفعه المعنى لان الا لو كانت ناقصة ابدا ...
بمعنى سوى يكون زائدة نحو قولك عندي الف الا الذي ... سواء ... نفيه ووسيط
وهذا يؤدي الى انهم يذوقون من جنس الموتة الاولى
وقيل انما قال هذا الاستثناء لانه اخبرهم بذلك وهم احياء في الدنيا فلما كان الخبر
منعقدا بما يموتونهم في الدنيا جاز ان يقال لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى

تنزيل الكتاب احتيج الى الاضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا
للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره م

يؤمنون بايات ليوافق ما قبله ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الاثام يسمع ايات الله تتلى عليه
ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا عن الايمان بالايات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الايات
كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها كان لم يسمعها اي كانه فخفف وحذف ضمير الشان والجملة
في موقع الحال اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم
واذا علم من اياتنا شيئا واذا بلغه شيء وعلم انه منها اتخذها هزوا لذلك من غير ان يرى
فيها ما يناسب الهزء والضمير لايات وفائدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من
الايات بادر الى الاستهزاء بالايات كلها ولم يقتصر على ما سمعه او لشيء لانه بمعنى الاية اولئك
لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانها بعد
اجالهم ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله ولا ما
اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى
الى القران ويدل عليه قوله والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقرا ابن كثير
ويعقوب وحفص برفع الميم والرجز اشد العذاب الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس
السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك فيه بامره بتسخيره
وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون
هذه النعم وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا بان خلقها نافعة لكم منه حال من ما
اي سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه او لما في السموات وسخر لكم تكرير
للتاكيد او لما في الارض وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي
او خبر محذوف ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون في صنائعه قل للذين امنوا يغفروا
حذف المفعول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا للذين
لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقايعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقايعهم او لا
يأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والاية نزلت في عمر رضي الله عنه
شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة باية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون
علة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او
الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمهما وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون
وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اي ليجزي الخير او الشر او الجزاء اي ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد
اليه مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها اذ لها ثواب العمل
وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب التورية
والحكم والحكمة النظرية والعملية او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في
غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله من اللذائذ وفضلناهم على العالمين حيث
اتيناهم ما لم نؤت غيرهم واتيناهم بينات من الامر ادلة في امر الدين ويندرج فيها المعجزات
وقيل ايات من امر النبي صلى الله عليه وسلم مبينة لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد

ما جاءهم

ما جاءهم العلم بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما
كانوا فيه يختلفون بالمؤاخذة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر امر الدين فاتبعها
فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اراء الجهال التابعة للشهوات
وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين ابائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك
وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم
والله ولي المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة هذا اي القران او اتباع الشريعة بصائر للناس
بينات تبصرهم وجه الفلاح وهدى من الضلالة ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون يطلبون اليقين
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح
الاكتساب ومنه الجارحة ان نجعلهم ان نصيرهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات مثلهم وهو
ثاني مفعولي نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان
المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيين في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين
ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل او الحال من الضمير في الكاف او المفعول
والكاف حال وان كان للثاني فحال منه او استيناف يبين المقتضي للانكار وان كان لهما فبدل او حال
من الثاني وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة او ترك المؤاخذة كما استووا
في الرزق والصحة في الحيوة او استيناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال
وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا
او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق كانه دليل على الحكم السابق من
حيث ان خلقه ذلك بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء
والمحسن واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لانه في معنى
العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون بنقص
ثواب وتضعيف عقاب وتسميته ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان
ظلما كالابتلاء والاختبار افرايت من اتخذ الهه هويه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى
فكانه يعبده وقرئ الهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا راى احسن منه
رفضه اليه واضله الله وخذله على علم عالما بضلاله وفساد جوهر روحه وختم على سمعه
وقلبه فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الايات وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار
والاعتبار وقرا حمزة والكسائي غشوة فمن يهديه من بعد الله بعد اضلاله افلا تذكرون و
قرئ تتذكرون وقالوا ما هي ما الحيوة او الحال الا حيوتنا الدنيا التي نحن فيها نموت
ونحيا اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيا بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيا ببقاء
اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعض او تصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك
حيوة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وما يهلكنا الا
الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك

من الشمس والقمر والنجوم والسحاب. ابن عباس: من الشجر والدواب

من علم يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار البعث و
كليهما ان هم الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم
يحسوا به واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبينات
له ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به الا ان قالوا ائتوا باباءنا ان كنتم صادقين
وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم او على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه
لا يلزم من عدم حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دلت عليه
الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة
اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرر مرارا والوعد المصدق بالايات دل على وقوعها واذا كان كذلك
امكن الاتيان باباءهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء ولكن اكثر الناس لا يعلمون
لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه ولله ملك السموات والارض تعميم للقدرة
بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اي يخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه
وترى كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية
اي جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها صحيفة اعمالها
وقرأ يعقوب كل على انه بدل الاول وتدعى صفة او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون
محمول على القول هذا كتابنا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا
فيها اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ
نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون اعمالكم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم
في رحمته التي جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه عن الشوائب واما الذين
كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم الم يأتكم رسلي فلم تكن اياتي تتلى عليكم فحذف
القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم
قوما مجرمين قوما عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق
كائن هو او متعلقه لا محالة والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب
عطفا على اسم ان قلتم ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة استغرابا لها ان نظن الا ظنا
اصله نظن ظنا فادخل حرف النفي والاستثناء لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه قال ما نحن
الا نظن ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله وما نحن بمستيقنين اي
لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من ابائهم وما تليت عليهم من الايات في امر
الساعة وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة
عاقبتها او جزاؤها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وهو الجزاء وقيل اليوم ننسيكم نترككم
في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء
الى اليوم اضافة المصدر الى الظرف ومأويكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بانكم
اتخذتم ايات الله هزوا استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان

لا حيوة

لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون منها وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون
لا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض
رب العالمين اذ الكل نعمة منه الدال على كمال قدرته وله الكبرياء في السموات والارض
اذ ظهر فيها اثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه
واطيعوا له عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته
يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية واياتها اربع او خمس وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا متلبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة
وفيه دلالة على وجود الصانع والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا واجل مسمى وبتقدير
اجل مسمى ينتهي اليه الكل وهو يوم القيمة او كل واحد وهو اخر مدة بقائه المقدر له والذين
كفروا عما انذروا من هول ذلك الوقت ويجوز ان يكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون
فيه ولا يستعدون لحلوله قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من
الارض ام لهم شرك في السموات اي اخبروني عن حال الهتكم بعد تامل فيها هل يعقل ان يكون
لها في نفسها مدخل في خلق شيء من اجزاء العالم فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات
احتراز عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ائتوني بكتاب من قبل هذا من
قبل هذا الكتاب يعني القران فانه ناطق بالتوحيد او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم
من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة او الامر به ان كنتم صادقين في
دعويكم وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما تقتضيه
عقلا وقرئ اثرة بالكسر اي مناظرة فان المناظرة تثير المعاني واثرة اي شيء اوثرتم به
واثرة بالحركات الثلث في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث اذا
رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يؤثر ومن اضل ممن يدعو من دون الله
من لا يستجيب له انكار ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير
الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم الى يوم
القيمة ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات او عباد مسخرون مشتغلون
باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين
مكذبين بلسان الحال او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شانه والمراد
به الايات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق
وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة لما جاءهم حين ما جاءهم من غير نظر وتامل هذا سحر مبين
ظاهر بطلانه ام يقولون افتريه اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه
وانكار له وتعجيب قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اي ان عاجلني الله

بالعقوبة فلا يقدرون على دفع شيء منها فكيف اجترئ عليه واعرض نفسي للعقاب من غير توقع
نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح في اياته كفى به
شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء
افاضتهم وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وامن واشعار بحلم الله
عنهم مع عظم جرمهم قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه
او اقدر على ما لا يقدرون عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ
بفتح الدال على انه كقيم او مقدر بمضاف اي ذا بدع وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدارين
على التفصيل اذ لا علم لي بالغيب ولا لتاكيد النفي المشتمل على ما يفعل بي وما اما موصولة
منصوبة او استفهامية مرفوعة وقرئ ما يفعل ان اتبع الا ما يوحى الي اي لا اتجاوزه
وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا
من اذى المشركين وما انا الا نذير عن عذاب الله مبين بين الانذار بالشواهد المبينة و
المعجزات المصدقة قل ارايتم ان كان من عند الله اي القران وكفرتم به وقد كفرتم به ويجوز
ان يكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل لكنها
تعطفه بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه السلام
وشاهدته ما في التورية من نعت الرسول على مثله مثل القران وهو ما في التورية من المعاني
المصدقة للقران المطابقة لها او مثل ذلك وهو كونه من عند الله فامن اي بالقران لما راه
من جنس الوحي مطابقا للحق واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدي القوم الظالمين
استينافا مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل الستم
ظالمين وقال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم لو كان الايمان او ما اتى به محمد صلى الله عليه
وسلم خيرا ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموال ورعاة وانما قاله
قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار
او اليهود حين اسلم ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم
وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وهو كقولهم اساطير الاولين ومن قبله
ومن قبل القران وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب
مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق
او منه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على ان كونه
مصدقا للتورية كما دل على انه حق دل على انه وحي وتوقيف من الله سبحانه وقيل مفعول
مصدق اي يصدق ذا لسان عربي باعجازه لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه
ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف
عنه ويعقوب بالتاء وبشرى للمحسنين عطف على محله ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي

هي منتهى

هي منتهى العلم وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم
من لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب
الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين
حال من المستكن في اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اي جوزوا جزاء ووصينا
الانسان بوالديه حسنا وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اي ايصاء حسنا حملته امه
كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرأ الحجازيان وابو عمرو
وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله
ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به
الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال كل حي مستكمل عدة
العمر ومود اذا انتهى امده ثلثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام في تربية الولد
مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط عنه للفصال حولان
لقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل
واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا
اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي الا بعد اربعين قال
رب اوزعني الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى
والدي يعني نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ما روي انها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه
لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه وان اعمل صالحا ترضاه
نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضا الله عز وجل واصلح لي في ذريتي
واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي اني تبت اليك
عما لا ترضاه او يشغل عنك واني من المسلمين المخلصين لك اولئك الذين نتقبل عنهم
احسن ما عملوا يعني طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم
وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما في اصحاب الجنة كائنين في عدادهم او مثابين
او معدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل ويتجاوز وعد الذي
كانوا يوعدون اي في الدنيا والذي قال لوالديه اف لكما مبتدأ خبره اولئك والمراد به
الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص
وفي اف قراءات ذكرت في سورة بني اسرائيل اتعدانني ان اخرج ابعث وقرأ هشام بنون
واحدة مشددة وقد خلت القرون من قبلي فلم يرجع واحد منهم وهما يستغيثان الله
يقولان الغياث بالله منك او يسألانه ان يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك امن اي يقولان
له ويلك وهو دعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه ان وعد الله حق فيقول ما هذا
الا اساطير الاولين اباطيلهم التي كتبوها اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل
النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان

لاسلام في امم قد خلت من قبلهم كقوله في اصحاب الجنة من الجن والانس بيان للامم
انهم كانوا خاسرين تعليل للحكم على الاستيناف ولكل من الفريقين درجات مما عملوا مراتب
من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة في المثوبات وههنا
جاءت على التغليب وليوفيهم اعمالهم جزاءها وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن
ذكوان بالنون وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب ويوم يعرض الذين كفروا
على النار يعذبون بها وقيل يعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على
الحوض اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين
طيباتكم لذائذكم في حياتكم الدنيا باستيفائها واستمتعتم بها فما بقي لكم منها شيء
فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون في الارض بغير
الحق وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله تعالى وقرئ
تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد يعني هودا اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو
رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال
مشرفة على البحر بالشحر من اليمن وقد خلت النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه قبل هود وبعده
والجملة حال او اعتراض ان لا تعبدوا الا الله اي لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهي
عن الشيء انذار عن مضرته اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم قالوا اجئتنا
لتأفكنا لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك ان كنت
من الصادقين في وعدك قال انما العلم عند الله لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه
فاستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به و
ما على الرسول الا البلاغ ولكني اريكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين
لا معذبين مقترحين فلما رأوه عارضا سحابا عرض في افق السماء مستقبل اوديتهم متوجه
اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا في قوله قالوا هذا عارض ممطرنا اي يأتينا بالمطر
بل هو اي قال هود بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قل بل ريح هي ريح ويجوز
ان يكون بدل ما فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك كل شيء من نفوسهم
واموالهم بامر ربها اذ لا يوجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيئته وفي
ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شيء
من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء في ربها ويحتمل ان يكون
استئنافا للدلالة على ان لكل ممكن وقتا مقضيا لا يتقدم ولا يتأخر ويكون الهاء
لكل شيء فانه بمعنى الاشياء فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا
بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرأ حمزة والكسائي وعاصم لا يرى الا مساكنهم
بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزي القوم المجرمين روي ان هودا لما احس بالريح اعتزل

بالمؤمنين في حظيرة وجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة فكانوا تحتها سبع ليال
وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر ولقد مكناهم فيما ان مكناكم
فيه ان نافية وهي احسن من ما ههنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت الفها
في مهما او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي او في شيء ان مكناكم فيه كان
بغيكم اكثر او صلة كما في قوله يرجي المرء ما ان لا يراه ويعرض دون ادناه الخطوب
والاول اظهر واوفق لقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا وجعلنا
لهم سمعا وابصارا وافئدة ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على
شكرها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء من الاغناء وهو القليل
اذ كانوا يجحدون بآيات الله علة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان
الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون من العذاب
ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات
بتكريرها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا
آلهة فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله واول مفعولي اتخذوا الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا والهة بدل
او عطف بيان او الهة مفعول ثان وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا
بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال
وذلك افكهم وذلك الاتخاذ الذي الافك وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا
من الجن املناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه انفار يستمعون القرآن حال محمولة على المعنى
فلما حضروه اي القرآن او الرسول قالوا انصتوا قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه فلما
قضي تم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول ولوا الى قومهم منذرين
اي منذرين اياهم بما سمعوا روي انهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي النخلة عند
منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى
قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا بامر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه
يهدي الى الحق من العقائد والى طريق مستقيم من الشرائع يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به
يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله فان المظالم لا تغفر
بالايمان ويجركم من عذاب اليم هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة باقتصارهم على المغفرة و
الاجارة على ان لا ثواب لهم والاظهر انهم في توابع التكليف كبني آدم ومن لا يجب داعي الله
فليس بمعجز في الارض اذ لا ينجي منه مهرب وليس له من دونه اولياء يمنعونه منه اولئك
في ضلال مبين حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شأنه اولم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض ولم يعي بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص ولا
تنقطع بالايجاد ابد الآباد بقادر على ان يحيي الموتى اي قادر ويدل عليه قراءة يعقوب

يقدر والبا مزيدة لتاكيد النفي فانه مشتمل على ان وما في حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله
بلى انه على كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه
لما صدر السورة بتحقيق المبدأ اراد ختمها باثبات المعاد ويوم يعرض الذين كفروا على النار
منصوب بقول مضمر مقوله أليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا
قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم في الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم و
التوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات والجد منهم فانك من جملتهم
ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرائع اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها
وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها كقوله تعالى في ادم ولم نجد له عزما وفي يونس
ولا تكن كصاحب الحوت ومشاهيرهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقيل الصابرون
على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم على النار وذبح ولده
والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر
وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة
وعيسى لم يضع لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم في وقته
لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا من هوله
مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة بلاغ هذا الذي وعظتم به او هذه السورة بلاغ
اي كفاية او تبليغ من الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده انه قرئ بلغ وقيل مبتدأ خبره لهم
وما بينهما اعتراض اي لهم وقت يبلغون اليه كانهم اذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدة
عمرهم وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن الا
او الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى سورة القتال مدنية وقيل مكية وآيها سبع او ثمان وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن
الدخول في الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر او شياطين
قريش والمصرين من اهل الكتاب اضل اعمالهم جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى
وحفظ الجوار ضالة اي ضايعة محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن او
ضلالها حيث لم يقصدوا به وجه الله او ابطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله
بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله والذين امنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين و
الانصار والذين امنوا من اهل الكتاب وغيرهم وامنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه مما
يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله
وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقة وحقيقته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء
للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح

واصلح

واصلح بالهم حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال
والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا
اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهو تصريح بما اشعر
به ما قبلها ولذلك يسمى تفسيرا كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس يبين لهم
امثالهم احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل والاضلال
مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا
لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف
الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التاكيد والاختصار والتعبير به
عن القتل اشعارا بانه ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصويرا له باشنع صورة حتى اذا
اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق فاسروهم و
احفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء فاما تمنون منا او
تفدون فداء والمراد التخيير بين الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا
فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق منسوخ
عند الحنفية او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدا
كعصا حتى تضع الحرب اوزارها آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اي
تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى تضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم
وهو غاية للضرب او الشد او للمن والفداء او للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم
حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى ذلك اي الامر ذلك او افعلوا
بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم باستيصال ولكن ليبلو بعضكم ببعض
ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم
والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر
والذين قاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا اي استشهدوا
فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ لن يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول سيهديهم
الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم في
الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها او بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي
اليه كانه كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم بحيث
يكون لكل جنة مفرزة يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دينه ورسوله
ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار
والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس اولى
لها من ان اقول لعا وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او
مفسرة لناصبه واضل اعمالهم عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله القرآن لما فيه

والاسترقاق

من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم تخصيص وتصريح بسببية الكفر
بالقران للتعس والاضلال فاحبط اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقران ولا ينفك
عنه بحال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم
استاصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر
موضع المضمر امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة
لقوله سنة الله التي قد خلت ذلك بان الله مولى الذين امنوا ناصرهم على اعدائهم وان
الكافرين لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا الى الله مولاهم الحق
فان المولى فيه بمعنى المالك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا ويأكلون كما تأكل الانعام حريصين
غافلين عن العاقبة والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي
اخرجتك على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب اهلكناهم
بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم وهو كالحال المحكية افمن كان على بينة من ربه حجة
من عنده وهو القران او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي والمؤمنين كمن زين له سوء عمله كالشرك
والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة مثل الجنة التي وعد المتقون
اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدا خبره كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام
امثل اهل الجنة كمثل من هو خالد او امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعري عن حرف الانكار
وحذف ما حذف استغناء بجري مثله تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع
للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه
الجنة كمن هو خالد في النار او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من على
بينة في الاخرة تقريرا لانكار المساواة فيها انهار من ماء غير اسن استيناف بشرح المثل او
حال من العائد المحذوف او خبر لمثل واسن من اسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى
الحدوث وقرا ابن كثير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وانهار
من خمر لذة للشاربين لذيذة لا يكون فيها كراهة غائلة ريح ولا غائلة سكر
وخمار تانيث لذ او مصدر نعت به باضمار او تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب
على العلة وانهار من عسل مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم
مقام الاشربة في الجنة بانواع ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف
بما يوجب غزارتها واستمرارها ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم
عطف على الصنف المحذوف او مبتدا خبر محذوف اي لهم مغفرة كمن هو خالد في النار وسقوا
ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا
من عندك يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعون كلامه
فاذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم اي لعلماء الصحابة ماذا قال انفا ما الذي قال الساعة

استهزا

استهزاء او استعلاما اذ لم يلقوا له اذانهم تهاونا به وانفا من قولهم انف الشيء لما تقدم
منه مستعار من الجارحة ومنه استانف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال
من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم فلذلك
استهزؤا وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا زادهم هدى اي زادهم الله بالتوفيق والالهام
او قول الرسول صلى الله عليه وسلم واتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقواهم
او اعطاهم جزاءها فهل ينظرون الا الساعة فهل ينتظرون غيرها ان تاتيهم بغتة
بدل اشتمال من الساعة وقوله فقد جاء اشراطها كالعلة له وقرئ ان تاتهم على انه شرط
مستانف جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم والمعنى ان تاتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها
كمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم اذا جاءتهم الساعة
وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك اي اذا علمت
سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل
النفس باصلاح احوالها وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف المضاف
اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس اخر فان الذنب ما له تبعة ما بترك الاولى
والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها ومثواكم في العقبى فانها
دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا لمعادكم ويقول الذين امنوا لولا
نزلت سورة اي هلا نزلت سورة في امر الجهاد فاذا انزلت سورة محكمة مبينة لا تشابه
فيها وذكر فيها القتال اي الامر به رايت الذين في قلوبهم مرض ضعف في الدين وقيل
نفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت جبنا ومخافة فاولى لهم فويل لهم افعل
من الولي وهو القرب او فعلى من ال ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول
اليه امرهم طاعة وقول معروف استيناف اي امرهم طاعة او طاعة وقول معروف خير لهم او
حكاية قولهم لقراءة ابي يقولون طاعة فاذا عزم الامر اي جد وهو لاصحاب الامر
واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا الله اي فيما زعموا
من الحرص على الجهاد او الايمان لكان الصدق خيرا لهم فهل عسيتم فهل يتوقع منكم ان
توليتم امور الناس وتامرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام ان تفسدوا في
الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الولاية وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه
في الجاهلية من التغاور والمقاتلة مع الاقارب والمعنى انهم لضعفهم في الدين و
حرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا
على لغة الحجاز فان بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض
وعن يعقوب توليتم اي ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم و
تقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله

لافسادهم وقطعهم الارحام فاصمهم عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله
افلا يتدبرون القرآن يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي
ام على قلوب اقفالها لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها في
القساوة او لفرط جهالتها ونكرها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة
على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر
ان الذين ارتدوا على ادبارهم الى ما كانوا عليه من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل
الواضحة والمعجزات الظاهرة الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر من السول
وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمني وفيه ان السول مهموز قلبت
همزته لضم ما قبلها واوا ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ
سول على تقدير مضاف اي كيد الشيطان سول لهم وأملى لهم ومد لهم في الآمال والاماني
وامهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة كقراءة يعقوب وأملي لهم وانا املي لهم فتكون الواو
للحال او الاستيناف وقرأ ابو عمرو وأملي لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم
ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله اي قال اليهود للذين كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم
بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم
في بعض الامر في بعض اموركم او في بعض ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج
معهم ان اخرجوا والتظافر على الرسول والله يعلم اسرارهم ومنها قولهم هذا الذي افشاه
الله عليهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص اسرارهم على المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة فكيف
يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف احد تائيه
يضربون وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له ذلك
اشارة الى التوفي الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر وكتمان نعت الرسول وعصيان
الامر وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيره من الطاعات فاحبط اعمالهم لذلك
ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله لن يبرز الله لرسوله وللمؤمنين اضغانهم
احقادهم ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم
بعلاماتهم التي نسمهم بها واللام لام الجواب كررت للمعطوف ولتعرفنهم في لحن القول
جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ
لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم اذ
الاعمال بالنيات ولنبلونكم بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين على مشاقها ونبلو اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها او
اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين في صدقها وكذبها وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة
بالياء ليوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ان الذين كفروا

وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى هم قريظة والنضير
او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسول الله بمشاقته
وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم بذلك
او مكائدهم التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولا تثمر لهم الا القتل
والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم
بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه
دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا
وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام في كل من مات على كفره وان صح نزوله في اصحاب القليب
ويدل بمفهومه على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا
وتدعوا الى السلم ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان
وقرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وقرأ ابو بكر وحمزة بكسر السين وانتم الاعلون الاغلبون
والله معكم ناصركم ولن يتركم اعمالكم ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا
له من قريب او حميم فافردته عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه انما
الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم
وتقواكم ولا يسألكم اموالكم جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره ان
يسألكموها فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال
احفى شاربه اذا استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم ويضغنكم على رسول الله
والضمير في يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان وقرئ ويخرج بالياء
والتاء ورفع اضغانكم ها انتم هؤلاء اي انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون
لتنفقوا في سبيل الله استيناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم
نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدمة
ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضر البخل عائدان اليه والبخل يعدى بعن
وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي فانه امساك عن مستحق والله الغني وانتم الفقراء فما
يأمركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وان تتولوا عطف على وان
تؤمنوا يستبدل قوما غيركم يقم مكانكم قوما آخرين ثم لا يكونوا امثالكم بالتولي والزهد
في الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه السلام عنه وكان سلمان رضي الله عنه الى جنبه فضرب فخذه
وقال هذا وقومه او الانصار او اليمن او الملائكة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد
كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد بفتح مكة والتعبير بالماضي لتحققه
او بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا
لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله

صلى الله عليه وسلم

لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل في الاسلام خلقا عظيما وظهر له في الحديبية
اية عظيمة وهي انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرّت بالماء حتى شرب جميع من
كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس في تلك السنة وقد عرف كونه فتحا
للرسول صلى الله عليه وسلم في سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء اي قضينا لك ان تدخل
مكة من قابل ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في ازالة
الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا و
الضعفة عن ايدي الظلمة ما تقدم من ذنبك وما تاخر جميع ما فرط منك مما يصح ان
يعاتب عليه ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة ويهديك صراطا
مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وينصرك الله نصرا عزيزا نصرا فيه
عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة هو الذي انزل السكينة الثبات
والطمانينة في قلوب المؤمنين حتى تثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمينان النفس عليها او انزل فيها
السكون الى ما جاء به الرسول ليزدادوا ايمانا بالشرايع مع ايمانهم بالله واليوم الاخر
ولله جنود السموات والارض يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع
فيما بينهم السلم اخرى كما تقتضيه حكمته وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر
ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها علة لما بعده
لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين
ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخل الجنة ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم
من ذلك او فتحنا او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال
ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك اي الادخال والتكفير عند الله
فوزا عظيما لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على
المبدل الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم
دائرة السوء دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرا ابن كثير وابو عمرو
دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم
جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف
لما استحقوه في الاخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين والموضع موضع الفاء
اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية
وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك
شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب
للنبي والامة او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه بتقوية دينه

ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة واصيلا غدوة
وعشيا او دائما وقرا ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه بسكون
العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه وتوقروه من اوقره بمعنى
وقره ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته يد الله فوق ايديهم حال
او استيناف مؤكد له على سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا
عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله وفى بمبايعته فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ عهد
وقرا حفص عليه بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والاية نزلت
في بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهاليهم
وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف عن مقاتلة قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا
واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشتغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله
على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار
قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيته وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم
من القتل او الهزيمة وخلل في المال والاهل وعقوبة على التخلف وقرا حمزة والكسائي بالضم
او اراد بكم نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم
تخلفكم وقصدكم فيه بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنهم
ان المشركين يستأصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على ان اصله اهلة
واما اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك في قلوبكم فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو
الله تعالى او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء و
هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزائفة وكنتم قوما بورا هالكين عند الله
لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمانين بالله ورسوله فهو كافر
وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات
والارض يدبره كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب عليه وكان الله غفورا
رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك
جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي غضبي سيقول المخلفون يعني المذكورين اذا انطلقتم
الى مغانم لتاخذوها يعني مغانم خيبر فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست
واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة
فخصها بهم ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه وهو وعده لاهل
الحديبية ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في
تبوك والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرا حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة

قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل تهيئوهم للخروج الى خيبر فسيقولون
بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ بالكسر بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون الا
قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول رد منهم ان يكون
حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات للحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور
الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة
التخلف ستدعون الى قوم اولي باس شديد بني حنيفة وغيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم او المشركين فانه قال تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما
المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطي
الجزية وهو يدل على امامة ابي بكر اذ لم يتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن
فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول
بقتلهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة
وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى
حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين
استثناء لهم عن الوعيد ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل
الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال
ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب وقرا نافع وابن عامر ندخله
ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه صلى الله عليه
وسلم لما نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع
فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا
ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص فانزل
السكينة عليهم الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب
انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة ياخذونها يعني مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما
غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها وهي ما يفي على المؤمنين
الى يوم القيمة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم اي ايدي اهل خيبر وحلفائهم
من بني اسد وغطفان او ايدي قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة او الغنيمة اية للمؤمنين
امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان او صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه
عن الحديبية او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف وهو علة لكف او عجز
مثل لتسلموا او لتاخذوا او العلة لمحذوف مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما
هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة على هذه او منصوبة
بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضي ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها

باضمار

باضمار رب لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها استولى
فاظفركم بها وهي مغانم هوازن او فارس وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته
ذاتية لا يختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا
لولوا الادبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله
التي قد خلت من قبل اي سن الله غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال لاغلبن
انا ورسلي ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي كف ايديهم عنكم اي ايدي كفار
مكة وايديكم عنهم ببطن مكة في داخل مكة من بعد ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك
ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد
ابن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به
على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما تعملون من
مقاتلتهم او لا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرا ابو عمرو بالياء بصيرا فيجازيهم
عليه هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله يدل
على ان ذلك كان عام الحديبية والهدي ما يهدى الى مكة وقرئ والهدي وهو فعيل بمعنى
مفعول ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز
ان ينحر في غيره والا لما نحره الرسول صلى الله عليه وسلم حيث احصر فلا ينهض حجة للحنفية
على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم
لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم قالت
ووطئتنا وطئا على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقال صلى الله عليه وسلم ان اخر
وطاة وطئها الله بوج وهو واد بطائف وكان اخر وقعة للنبي صلى الله عليه وسلم
بها واصله الدوس وهو بدل الاشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم في تعلموهم فتصيبكم
منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير
الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه ما يكرهه بغير علم
متعلق بان تطؤهم اي تطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه
والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم
باهلاكهم لما كف ايديكم عنهم ليدخل الله في رحمته علة لما دل عليه كف الايدي من اهل مكة
صونا لمن فيها من المؤمنين اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير
او للاسلام من يشاء من مؤمنيهم او مشركيهم لو تزيلوا اي لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض
وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بالقتل والسبي اذ جعل الذين
كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم في قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية
التي تمنع اذعان الحق فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فانزل عليهم الوقار
والثبات وذلك ما روي انه صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم

هم الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة وابو جندل بن سهيل من ابن عبد

لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسألوه
ان يرجع من عامه على ان يخلي له قريش مكة من القابل ثلاثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم
كتابا فقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا
ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله اهل مكة
قالوا لو نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا
ما صالح محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فهم المؤمنون
ان يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله سكينته عليهم فتوقروا وتحلموا والزمهم
كلمة التقوى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم او
الثبات والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا
احق بها من غيرها واهلها والمستأهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم اهل كل شيء
وييسره له لقد صدق الله رسوله الرؤيا رأى محمد صلى الله عليه وسلم انه واصحابه
دخلوا امنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا وحسبوا ان ذلك
يكون في عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت فنزلت
والمعنى صدقه في رؤياه بالحق ملتبسا به فان ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدر له
وهو العام القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق
وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم الله تعالى
او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف
ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت
او غيبة او حكاية لما قال له ملك الرؤيا او النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه امنين حال من
الواو والشرط معترض محلقين رؤسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا اخرون
لا تخافون حال مؤكدة او استيناف اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في
تأخير ذلك فجعل من دون ذلك من دون دخولكم المسجد او فتح مكة فتحا قريبا هو
فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليعليه
على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهله
اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعده من الفتح وكفى بالله شهيدا
على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود له
ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدأ والذين معه معطوف عليه و
خبرهما اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون
على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تراهم ركعا
سجدا لانهم مشتغلون بالصلوة في اكثر اوقاتهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا

والرضا

والرضا سيماهم في وجوههم من اثر السجود يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود
فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئ ممدودة ومن اثر السجود بيانها او حال من المستكن في الجار
ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها كزرع مثلهم في التورية صفتهم
العجيبة الشأن المذكورة فيها ومثلهم في الانجيل عطف عليه اي ذلك مثلهم في الكتابين و
قوله كزرع تمثيل مستأنف او تفسير او مبتدأ وكزرع خبره اخرج شطأه فراخه يقال اشطأ
الزرع اذا افرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه
وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه
بقلبها واوا فآزره فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرأ
ابن عامر برواية ابن ذكوان فأزره كأجره في آجر فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ
وحسن المنظر فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمز
يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله للصحابة قلوا في
بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس ليغيظ بهم الكفار
علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لقوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة سورة الحجرات مدنية
وآيها ثماني عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تقدموا اي لا تقدموا
امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفي التقديم رأسا او لا
تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا بين يدي الله
ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا
تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعظيم له واشعار
بانه من الله بمكان يوجب اجلاله واتقوا الله في التقديم او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم عليم
بافعالكم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي اذا كلمتموه فلا تجاوزوا
اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم
بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة للادب وقيل معناه و
لا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء
لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة في الاتعاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة
الاهتمام به ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فيكون علة للنهي او لان تحبط على ان النهي
عن الفعل المعلل باعتبار التأدية لان في الرفع والجهر استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط
وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن قيس كان
في اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله
قد انزلت اليك هذه الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال

و وقرئ لا تقدموا

صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون
انها محبطة ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب او
مخافة عن مخالفة النهي قيل كان ابو بكر وعمر بعد ذلك كانا يسرانه حتى يستفهمهما اولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة
لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب الله
قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها
او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم
واجر عظيم لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استيناف لبيان
ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدا اسم الاشارة
المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في
الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلافه
ذلك ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان
المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة اذ لا بد ان
يختلف المبدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة
من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى المفعول كالغرفة والقبضة
والمراد حجرات نساء النبي صلى الله عليه وسلم وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها
اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له
فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس
وفدا على رسول الله في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج
الينا وانما اسند الى جميعهم لانهم رضوا بذلك وامروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم
لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب
ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج فان ان وان دلت
بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان
الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة
حتى راسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم
ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ
الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم
وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم
حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول يا ايها
الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روي انه صلى الله عليه وسلم
بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه

فحسبهم

فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم
بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا
اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وتعليق الامر بالتبيين على فسق المخبر يقتضي
جواز قبول قول العدل من حيث ان المعلق على شيء بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد
لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل
بالغير وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا اي فتوقفوا الى ان يتبين لكم ان تصيبوا كراهة اصابتكم
قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين مغتمين غما لازما متمنين
انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلثة دائر مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان
بما في حيزه ساد مسد مفعولي علموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم في كثير
من الامر لعنتم فانه حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استينافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان
فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهي انكم تريدون ان يتبع رأيكم في الحوادث ولو فعل
ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد من العنت وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه بالايقاع ببني المصطلق
وقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من فرط حبهم للايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما
سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل و
يؤيده قوله اولئك هم الراشدون اي اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي
وكره يعدى بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له اخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض
نزل اليكم منزلة مفعول اخر والكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد و
العصيان الامتناع عن الانقياد فضلا من الله ونعمة تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض
لا للراشدون فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا من فعله مسند الى ضميرهم او
مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعام والله عليم باحوال المؤمنين و
ما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم
الله تعالى فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ترجع
الى حكمه او ما امر به وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من
الكفار الى المسلمين فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على ما حكم الله
وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا و
اعدلوا في كل الامور ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والاية نزلت في قتال
حدث بين الاوس والخزرج في عهده صلى الله عليه وسلم بالسعف والنعال وهي تدل على ان
الباغي مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لانه فيء الى امر الله وانه يجب
معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة من حيث انهم

منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحيوة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح
ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا
الى المأمورين للمبالغة في التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهما
الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في
مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم
عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اى لا يسخر بعض المؤمنين
والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما
مصدر نعت به فشاع في الجمع او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال
كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلتين كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب
او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب في المجامع وعسى
باسمها استيناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا و
عسين ان يكن فهي على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين
كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز
الطعن باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم ولا تنابزوا بالالقاب ولا يدعو بعضكم بعضا باللقب
السوء فان النبز مختص باللقب السوء عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اى بئس الذكر المرتفع
للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة الكفر
والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روى ان الاية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابي هرون
وعمي موسى وزوجي محمد او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح ومن
لم يتب عما نهى عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب
يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن
ويتأمل حتى يعلم انه من اى القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من
العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع
وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل
مستأنف للامر والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه بدل من الواو كانه يثم الاعمال
اى يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى
الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس
وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه
ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل عنه
صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن
فيه فقد بهته ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب

على افحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق
المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا وميتا
وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم
هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده
نافع واتقوا الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة
في التواب لانه بليغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم او
لكثرة ذنوبهم روى ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي
لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي شئ فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه
الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي ارى خضرة
اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا
خلقناكم من ذكر وانثى من ادم وحواء او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في
ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب
وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل
والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة
شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب
بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالاباء والقبائل
وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم فان التقوى
بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه السلام من سره
ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله
وفاجر شقي هين على الله ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب امنا نزلت في نفر من بني
اسد قدموا المدينة في سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون
الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم
والا لما مننتم على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه اخر السورة ولكن قولوا اسلمنا
فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به وكان
نظم الكلام ان يقول لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل
منه الى هذا النظم احترازا من النهي عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره
شرعا ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اى ولكن قولوا اسلمنا
ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق
لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم من اجوركم شيئا من لات يليت ليتا اذا نقص وقرأ البصريان
لا يألتكم من الالت وهو لغة غطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل

عليهم انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع
رابه اذا اوقعه فى الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفى الايمان عنهم وثم للاشعار
بان اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل وفيما يستقبل فهى كما
فى قوله ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله فى طاعته والمجاهدة بالاموال
والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا
فى ادعاء الايمان قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم امنا والله يعلم ما فى السموات
وما فى الارض والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روى انه لما نزلت
الاية المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه يمنون عليك ان
اسلموا يعدون اسلامهم عليك منة وهى النعمة التى لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن
بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا على
اى باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ
هداكم ان كنتم صادقين فى ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اى فلله المنة عليكم
وفى سياق الاية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه
اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح
ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض
ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وقرأ
ابن كثير بالياء لما فى الاية من الغيبة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطى من الاجر
بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهى خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقران المجيد الكلام فيه كما مر فى ص والقران ذى الذكر و
المجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وامتثل احكامه
مجد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم
او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب حكاية لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار
الله محمدا صلى الله عليه وسلم للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعنتهم لهذا
المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة
فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده
او مجملا ان كانت الاشارة الى المحذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل
فى الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثانى استقصار لقدرة الله
عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه ائذا متنا وكنا ترابا اى انرجع اذا متنا وصرنا ترابا
ويدل على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد اى بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع
بمعنى المرجوع قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما تاكل من اجسادهم موتاهم وهو رد لاستبعادهم

بازاحة

بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب
حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ عن التغيير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل
الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه او تأكيد لعلمه بها بثبوتها فى اللوح المحفوظ
عنده بل كذبوا بالحق يعنى النبوة الثابتة بالمعجزات او النبى او القران لما جاءهم وقرئ
لما بالكسر فهم فى امر مريج مضطرب من مرج الخاتم فى اصبعه اذا خرج وذلك قولهم تارة
انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء
فوقهم الى اثار قدرة الله فى خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها
بالكواكب وما لها من فروج فتوق بان خلقها ملساء متلاصقة الطباق والارض مددناها
بسطناها والقينا فيها رواسى جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة
وذكرى لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر فى بدائع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة
معنى وان انتصبتا عن الفعل الاخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير النفع فانبتنا به جنات
اشجارا واثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذى من شانه ان يحصد كالبر والشعير والنخل
باسقات طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من افعل فهو فاعل وافرادها
بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد منضود
بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد علة لانبتنا او
مصدر فان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها
كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح
واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون اراد بفرعون اياه وقومه ليلائم ما قبله وما
بعده واخوان لوط اخوانه لانهم كانوا اصهاره واصحاب الايكة وقوم تبع سبق فى
الحجر والدخان كل كذب الرسل اى كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد
اللفظ فحق وعيد فوجب وحل عليه وعيدى وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد
لهم افعيينا بالخلق الاول افعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عيى بالامر اذا لم
يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بل هم فى لبس من خلق جديد اى هم لا ينكرون
قدرتنا على الخلق الاول بل هم فى خلط وشبهة من خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير
الخلق الجديد لتعظيم شأنه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا
الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة
الصوت الخفى ومنها وسواس الحلى والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها فى صوت بكذا
او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اى ونحن اعلم
بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل
الوريد مثل فى القرب قال والموت ادنى لى من الوريد والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان
عرقان مكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمى

المنافع بياه

ووريد لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر او متعلق باقرب اى هو اعلم
بحاله من كل قريب حين يتلقى اى يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه غنى عن استحفاظ
الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهى ما فيه من تثبيط
العبد عن المعصية وتاكيد فى اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام للحجة يوم يقوم الاشهاد عن
اليمين وعن الشمال قعيد اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اى مقاعد كالجليس فحذف الاول
لدلالة الثانى عليه كقوله فانى وقيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد
كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمى به من فيه الا لديه رقيب ملك
يرقب عمله عتيد معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب وعقاب وفى الحديث كاتب
الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال
صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت
بالحق لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وازال ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم ملاقوه
ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضى وسكرة
الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما فى قولك جاء زيد بعمرو والمعنى احضرت سكرة
الموت حقيقة الامر او الموعود الحق او الحق الذى ينبغى ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان
خلق له او مثل الباء فى تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على انها لشدتها اقتضت الزهوق
او لاستعقابها له كانها جاءت به او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله و
اضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اى الموت ما كنت منه تحيد تميل وتنفر
عنه والخطاب للانسان ونفخ فى الصور يعنى نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اى وقت ذلك يوم
تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى المصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد
ملكان احدهما يسوقه والاخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات
والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب
على الحال من كل لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفة لقد كنت فى غفلة من هذا على اضمار
القول والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن الاخرة او للكافر فكشفنا
عنك غطاءك الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك فى المحسوسات وقصور
النظر عليها والالف بها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع من الابصار وقيل الخطاب
للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى كنت فى غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة
بالوحى وتعليم القران فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد
الاول قراءة كسر التاء والكافات على خطاب النفس وقال قرينه الملك الموكل عليه هذا ما لدى
عتيد هذا ما هو مكتوب عندى حاضر لدى او الشيطان الذى قيض له هذا ما عندى وفى
ملكتى عتيد لجهنم هيأته لها باغوائى واضلالى وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان
موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف القيا فى جهنم كل كفار خطاب من الله للسائق

والشهيد

والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره
كقوله فان تزجرانى يا ابن عفان انزجر وان تدعانى احم عرضا ممنعا او الالف بدل
من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد
معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان
الاية نزلت فى الوليد بن المغيرة لما منع بنى اخيه منه معتد متعد مريب شاك فى الله و
فى دينه الذى جعل مع الله الها اخر مبتدا متضمن معنى الشرط وخبره فالقياه فى العذاب
الشديد او بدل من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه
قال قرينه اى الشيطان المقيض له وانما استونفت كما استونف الجمل الواقعة فى حكاية
التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه ربنا ما اطغيته كان الكافر قال هو اطغانى فقال
قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين
مفهوميها فى الحصول اعنى مجئ كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان فى ضلال بعيد
فاعنته عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الراى مائلا الى الفجور كما قال
وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى قال اى الله لا تختصموا لدى
اى فى موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استيناف مثل الاول وقد قدمت اليكم بالوعيد
على الطغيان فى كتبى وعلى السنة رسلى فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهى اى لا تختصموا
عالمين بانى اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد
حالا والفعل واقعا على قوله ما يبدل القول لدى اى بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل
وعيدى وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على
تخصيص الوعيد وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس لى تعذيبه يوم نقول لجهنم هل
امتلات وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جئ بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع
اتساعها تطرح فيها من الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله لاملان او انها من السعة
بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ او انها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة
كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقرا نافع وابو بكر بالياء والمزيد اما مصدر كالمجيد او
مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى
تقدير مضاف وازلفت الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون
حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اى شيئا غير بعيد او على زنة المصدر او لان الجنة بمعنى البستان
هذا ما توعدون على اضمار القول والاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت وقرا ابن كثير
بالياء لكل اواب رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده
من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز
ان يكون فى حكمه لان من لا يوصف به او مبتدا خبره ادخلوها على تاويل يقال لهم ادخلوها
فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر اى خشية ملتبسة بالغيب

حيث خشي عقابه وهو غائب والعقاب بعد غيب وغائب عن الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن بللاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عذابه او بانهم يخشون خشية مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله بسلام سالمين من العذاب وزوال النعم او سلاما عليكم من الله وملائكته ذلك يوم الخلود يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا قوة كعاد وفرعون فنقبوا في البلاد فخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها او جالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبب وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشيء والبحث عنه هل من محيص اي لهم من الله او من الموت وقيل الضمير في نقبوا لاهل مكة اي ساروا في اسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم ان في ذلك فيما ذكرنا في هذه السورة لذكرى لتذكرة لمن كان له قلب اي قلب واع يتفكر في حقايقه او القى السمع اواصغى لاستماعه وهو شهيد حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفي تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام مر تفسيره مرارا وما مسنا من لغوب من تعب واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين ومن الليل فسبحه وسبح بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوة جمع دبر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وقرأ الحجازيان وحمزة وخلف بالكسر وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالصلوة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء واستمع لما اخبرك به من احوال القيمة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم ينادي المناد اسرافيل او جبرائيل فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء ولعله في الاعادة نظير كن في الابداء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور وهو من اسماء يوم القيمة وقد يقال للعيد انا نحن نحيي ونميت في الدنيا والينا المصير للجزاء

في الاخرة يوم تشقق تتشقق وقرأ الكوفيون وابو عمرو بالتخفيف الارض عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع علينا يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع فذكر بالقران من يخاف وعيد فانه لا ينتفع به غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة والذاريات مكية وآيها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا يعني الرياح تذروا التراب وغيره او النساء الولود فانهن يذرين الاولاد او الاسباب التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر سهلا او الرياح الجارية في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اي جريا ذا يسر فالمقسمات امرا الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرها من اسباب القسمة او الرياح تقسم الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تذروا الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب القسم كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون كالقفل والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق انكم لفي قول مختلف في الرسول وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون او في القران او القيمة او امر الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف غاياتها يوفك عنه من افك يصرف عنه الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم او القران او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد منه فكأنه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف وبسببه كقوله وينهون عن اكل وعن شرب

اى يصدون تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح اى من افك الناس وهم قريش كانوا
يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون الكذابون من اصحاب القول المختلف واصله الدعا
بالقتل اجرى مجرى اللعن الذين هم فى غمرة اى فى جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به
يسئلون ايان يوم الدين اى فيقولون متى يوم الجزاء اى وقوعه وقرئ ايان بالكسر يوم هم
على النار يفتنون يحرقون جواب للسؤال اى يقع يوم هم على النار يفتنون او هو يوم هم على النار
يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اى مقولا لهم
هذا القول هذا الذى كنتم به تستعجلون هذا العذاب هو الذى كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون
هذا بدلا من فتنتكم والذى صفته ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم قابلين
لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما آتاهم حسن مرضى متلقى بالقبول انهم كانوا قبل ذلك
محسنين قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
تفسير لاحسانهم وما مزيدة اى يهجعون فى طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية
او موصولة اى فى قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان يكون نافية لان ما بعدها
لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذى هو وقت
السبات والهجوع الذى هو الغرار من النوم وزيادة ما وبالاسحار هم يستغفرون اى انهم مع
قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا فى الاستغفار كانهم اسلفوا فى ليلهم الجرائم وفى
بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه وفى اموالهم حق نصيب
يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدى
والمتعفف الذى يظن غنيا فيحرم الصدقة وفى الارض آيات للموقنين اى فيها دلائل من انواع
المعادن والحيوان او وجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف
اجزائها فى الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط
رحمته وفى انفسكم اى وفى انفسكم آيات اذ ما فى العالم شئ الا وفى الانسان له نظير يدل
دلالته مع ما انفرد به من الهيآت النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال
الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون تنظرون نظر
من يعتبر وفى السماء رزقكم اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر
فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها
مكتوبة مقدرة فى السماء وقيل انه مستأنف خبره فورب السماء والارض انه لحق وعلى هذا فالضمير
لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من الآيات والرزق والوعيد مثل ما انكم تنطقون
اى مثل نطقكم كما انه لا شك لكم فى انكم تنطقون ينبغى ان لا تشكوا فى تحقق ذلك ونصبه على
الحال من المستكن فى لحق او الوصف لمصدر محذوف اى انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبنى
على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شئ وان بما فى حيزه ان جعلت زائدة
ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة والكسائى وابى بكر هل اتاك حديث ضيف ابرهيم

فيه تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه اوحى اليه والضيف فى الاصل مصدر ولذلك يطلق
للواحد والمتعدد قيل كانوا اثنى عشر ملكا وقيل ثلاثة جبرائيل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا
لانهم كانوا فى صورة الضيف المكرمين اى مكرمين عند الله او عند ابرهيم اذ خدمهم بنفسه و
زوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف او المكرمين فقالوا سلاما اى نسلم عليك
سلاما قال سلام اى عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون تحيته
احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة والكسائى قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد
قوم منكرون اى انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم او لان السلام
لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم فى خفية من ضيفه
فان من ادب المضيف ان يبادره بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا فجاء
بعجل سمين لانه كان عامة ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين يديهم قال الا تأكلون
اى منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله
اول ما وضعه وللانكار ان قاله حينما رأى اعراضهم فاوجس منهم خيفة فاضمر منهم خوفا
لما رأى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤه لشر وقيل وقع فى نفسه انهم ملائكة ارسلوا
لعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله قيل مسح جبرئيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق
بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه بغلام هو اسحق عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امرأته
سارة الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم فى صرة فى صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال
او المفعول ان اول فاقبلت باخذت فصكت وجهها فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل
المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء وقالت عجوز عقيم اى انا
عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك الذى بشرنا به قال ربك وانما نخبرك
به عنه انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله محكما قال فما خطبكم ايها المرسلون
لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سأل عنه قالوا انا ارسلنا
الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل فانه طين متحجر
مسومة مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من السومة وهى العلامة عند ربك للمسرفين المجاوزين
الحد فى الفجور فاخرجنا من كان فيها فى قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة
من المؤمنين ممن آمن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت من المسلمين و
استدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضى الا صدق المؤمن
والمسلم على من تبعه وذلك لا يقتضى اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على
ذات واحدة وتركنا فيها آية علامة للذين يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون بها وهى
تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن وفى موسى عطف على وفى الارض
او وتركنا فيها على معنى وجعلنا فى موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى
فرعون بسلطان مبين هو معجزاته كاليد والعصا فتولى بركنه فاعرض عن الايمان به كقوله

وناء بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشئ ويتقوى به
وقرئ بضم الكاف وقال ساحر او مجنون كأنه جعل ما ظهر عليه من الخوارق
منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه و
جنوده فنبذناهم في اليم فاغرقناهم في البحر وهو مليم اي آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة
حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم
وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن منفعة وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شئ
اتت عليه من انفسهم واموالهم الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت وفي ثمود
اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام فعتوا عن امر ربهم
فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اي العذاب بعد الثلث وقرأ الكسائي الصعقة
وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام
كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا
منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز
ان يكون عطفا على محل في عاد ويؤيده قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر من قبل من قبل
هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان والسماء بنيناها
بايد بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق
او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها ليستقروا
عليها فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شئ من الاجناس خلقنا زوجين نوعين لعلكم تذكرون
فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام ففروا
الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة اني لكم منه اي من عذابه المعد لمن اشرك
او عصى نذير مبين بين كونه منذرا من الله تعالى بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه ولا
تجعلوا مع الله الها آخر افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه اني لكم منه نذير مبين تكرير للتأكيد
او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثاني على الاشراك كذلك اي الامر مثل ذلك
والاشارة الى تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله
ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون كالتفسير له ولا يجوز نصبه باتى
او ما يفسره لان ما بعد النافية لا يعمل فيما قبلها اتواصوا به اي كأن الاولين والآخرين
منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصي
جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه
فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد فما
انت بملوم على الاعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ وذكر ولا تدع التذكير والموعظة
فان الذكرى تنفع المؤمنين من قدر الله ايمانه او من آمن فانه يزداد بها بصيرة وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم

مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله ولقد
ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لنأمرهم بالعبادة او ليكونوا عبادا
لي ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي
فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمأمورين به والمراد ان يبين ان شأنه مع عباده
ليس شأن السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم و
يحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه اجرا ان الله هو الرزاق الذي
يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ اني انا الرزاق ذو القوة
المتين شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فان للذين ظلموا ذنوبا
اي للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم
مثل نصيب نظرائهم من الامم السابقة وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء
فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون جواب لقولهم متى هذا الوعد ان
كنتم صادقين فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون من يوم القيمة او يوم بدر عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت
وجرت في الدنيا سورة الطور مكية وآيها تسع او ثمان واربعون
بسم الله الرحمن الرحيم والطور يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى كلام الله تعالى
والطور الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم
الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه
الله تعالى في اللوح المحفوظ او الواح موسى عليه السلام او في قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما تكتبه
الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما
للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت المعمور يعني الكعبة
وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من
الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف المرفوع يعني السماء والبحر
المسجور اي المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روي ان الله تعالى يجعل
يوم القيمة البحار نارا يسجر بها جهنم او المختلط من السجير وهو الخليط ان عذاب ربك لواقع
لنازل ما له من دافع يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور
تدل على كمال قدرة الله وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة يوم
تمور السماء مورا تضطرب والمور تردد في المجئ والذهاب وقيل تحرك في تموج ويوم ظرف
لواقع وتسير الجبال سيرا اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين اي اذا
وقع ذلك فويل لهم الذين هم في خوض يلعبون اي في الخوض في الباطل يوم يدعون الى
نار جهنم دعا يدفعون اليها بعنف وذلك بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم
الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين

ويوم بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر محكيه هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي
يقال لهم ذلك افسحر هذا اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر فهذا المصداق ايضا سحر
وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون هذا ايضا كما كنتم
لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه فهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت في
الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا
اي ادخلوها على اي وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم اي
الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء
واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيان في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم في اية جنات
واي نعيم او في جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم وقرئ
فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم ان
جعل ما مصدرية او في جنات او حال باضمار قد من المستكن في الظرف او الحال او من فاعل آتى
او مفعوله او منهما كلوا واشربوا هنيئا اي اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا و
هو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا و
المعنى هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم
بحور عين الباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق والقران ولذلك عطف والذين آمنوا
على حور اي قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن
وقيل انه مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم بايمان اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر
ويعقوب ذرياتهم بالجمع وضم التاء للمبالغة في كثرتهم والتصريح فان الذرية تقع على الواحد
والكثير وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقيل بايمان
حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم او الاشعار بانه يكفي للالحاق المتابعة في اصل
الايمان الحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة او الدرجة لما روي مرفوعا انه عليه السلام قال
ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية
وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم بهذا الالحاق من عملهم
من شيء فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الآباء او باعطاء الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان
يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعنه
لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل واحد
كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله فان عمل صالحا فكها والا اهلكها و
امددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اي وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع
التنعم يتنازعون فيها يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب كأسا خمرا سماها باسم محلها و
لذلك انث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تأثيم اي لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها ولا
يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول

وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح ويطوف عليهم اي بالكأس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون
بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كأنهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم
وصفائهم وعنه صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر
ليلة البدر على سائر الكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسأل بعضهم بعضا عن
احواله واعماله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته
او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق ووقانا عذاب السموم عذاب
النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل من قبل ذلك
في الدنيا ندعوه نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن وقرأ نافع والكسائي بفتح همزة
انه الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمة ربك بحمد الله
وانعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق
النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه قل
تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تأمرهم احلامهم عقولهم
بهذا بهذا التناقض في القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى
عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون وامر الاحلام
به مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد وقرئ بل هم ام يقولون
تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم
فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن ان كانوا صادقين في زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد
للاقوال المذكورة بالتحدي ويجوز ان يكون ردا للتقول فان سائر الاقسام ظاهر الفساد
ام خلقوا من غير شيء ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه او من اجل
لا شيء من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يؤيد الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم
ولذلك عقبه بقوله ام خلقوا السموات والارض وام في هذه الآيات منقطعة ومعنى
الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله
اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا
النبوة من شاؤوا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته ام هم المسيطرون
الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤوا وقرأ قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين
وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاي والباقون بالصاد الخالصة ام لهم سلم مرتقى الى السماء
يستمعون فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن
فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون
فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا ان يترقى بروحه الى
عالم الملكوت فيتطلع على الغيوب ام تسألهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام
غرم مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ

المثبتة فيه المغيبات فهم يكتبون منه أم يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله
عليه وسلم فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم
والدلالة على أنه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد أو يعود عليهم
وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر أو المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته أم لهم إله غير الله
يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون عن إشراكهم أو شركة ما يشركونه به وإن
يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم هذا
سحاب تراكم بعضه على بعض وهو جواب قولهم فأسقط علينا كسفا من السماء فذرهم حتى
يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الأولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر و
عاصم يصعقون على المبني للمفعول من صعقه أو أصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا أي شيئا
من الإغناء في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله وإن للذين ظلموا يحتمل
العموم والخصوص عذابا دون ذلك أي دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر أو المؤاخذة
في الدنيا كقتل بدر والقحط سبع سنين ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك واصبر لحكم ربك
بإمهالهم وإبقائك في عنائهم فإنك بأعيننا في حفظنا بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين
لجمع الضمير والمبالغة بكثرة أسباب الحفظ وسبح بحمد ربك حين تقوم من أي مكان قمت أو من
منامك أو إلى الصلاة ومن الليل فسبحه فإن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء
ولذلك أفرده بالذكر وقدمه على الفعل وإدبار النجوم وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل وقرئ
بالفتح أي في أعقابها إذا غربت أو خفيت وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا
على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته

سورة النجم مكية وآيها احدى أو اثنتان وستون

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم أقسم بجنس النجوم أو الثريا فإنه غلب فيه
إذا هوى غرب أو انتثر يوم القيامة أو انقض أو طلع فإنه يقال هوى هويا بالفتح إذا سقط
وغرب وهويا بالضم إذا علا وصعد أو بالنجم من نجوم القرآن إذا نزل أو النبات إذا سقط
على الأرض أو إذا نما وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد صلى الله عليه وسلم عن الطريق
المستقيم والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون إليه وما
ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى إن هو ما القرآن أو الذي ينطق به
إلا وحي يوحى أي إلا وحي يوحيه الله إليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له وأجيب عنه بأنه إذا أوحي
إليه بأن يجتهد كان اجتهاده وما يستند إليه وحيا وفيه نظر لأن ذلك حينئذ يكون بالوحي
لا الوحي علمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فإنه الواسطة في
إبداء الخوارق روي أنه قلع قرى قوم لوط ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا
جاثمين ذو مرة حصافة في عقله ورأيه فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية التي
خلقه الله عليها قيل ما رآه أحد من الأنبياء في صورته غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في
السماء ومرة في الأرض وقيل استولى بقوته على ما جعل له من الأمر وهو بالأفق الأعلى

أفق السماء

أفق السماء والضمير لجبريل عليه السلام ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فتدلى فتعلق به وهو تمثيل
لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الأفق الأعلى فدنا من الرسول فيكون إشعارا بأنه
عرج به غير منفصل عن محله تقريرا لشدة قوته فإن التدلي استرسال مع تعلق كتدلي
الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وأدلى دلوه والدوالي الثمر المعلق فكان جبريل
كقولك هو مني معقد الإزار المسافة بينهما قاب قوسين مقدارهما أو أدنى على تقديركم
كقوله أو يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحي إليه بنفي
البعد الملبس فأوحى جبريل إلى عبده عبد الله وإضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله
على ظهرها ما أوحى جبريل وفيه تفخيم للموحى به أو الله إليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو
المعني بشديد القوى كما في قوله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته
وتدليه جذبه بشراشره إلى جناب القدس ما كذب الفؤاد ما رأى ما رأى ببصره من صورة
جبريل أو الله تعالى أي ما كذب بصره بما حكاه له فإن الأمور القدسية تدرك أولا بالقلب
ثم تنتقل منه إلى البصر أو ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لأنه
عرفه بقلبه كما رآه ببصره أو ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه أنه صلى الله
عليه وسلم سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي وقرأ هشام ما كذب أي صدقه
ولم يشك فيه أفتمارونه على ما يرى أفتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه
من مري الناقة فإن كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرأ الكوفيون غير عاصم ويعقوب
أفتمرونه أي أفتغلبونه في المراء من ماريته فمريته أو أفتجحدونه من مراه حقه إذا جحده وعلى التضمين
الفعل معنى الغلبة فإن المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ولقد رآه نزلة أخرى
مرة أخرى فعلة من النزول أقيمت مقام المرة ونصبت نصبها إشعارا بأن الرؤية في هذه المرة
كانت أيضا بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا
نزلة أخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الأخيرة عند سدرة المنتهى التي
ينتهي إليها علم الخلائق وأعمالهم أو ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها إليها ولعلها شبهت
بالسدرة وهي شجرة النبق لأنهم يجتمعون في ظلها روي مرفوعا أنها في السماء السابعة عندها
جنة المأوى الجنة التي يأوي إليها المتقون أو أرواح الشهداء إذ يغشى السدرة ما يغشى
تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير
من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه
وسلم عما رآه وما طغى وما تجاوزه بل أثبته إثباتا صحيحا مستيقنا أو ما عدل عن رؤية
العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها لقد رأى والله لقد رأى من آيات ربه الكبرى
أي والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل
إنها المعنية بما رأى ويجوز أن تكون الكبرى صفة للآيات على أن المفعول محذوف أي شيئا
من آيات ربه أو من زينته أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى هي أصنام كانت

لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها
اي يطوفون وقرأ هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب بالتشديد على انه سمي به لانه صورة
رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها
فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها واصلها تأنيث الاعز
ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم
كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرأ ابن كثير مناءة مفعلة من النوء كانهم
يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتأكيد كقوله
يطير بجناحيه او الاخرى من التأخر في الرتبة الكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة
بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول
الثاني لقوله افرأيتم تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون وهي
فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يأت
وصفا وقرأ ابن كثير بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا اسماء
الضمير للاصنام اي ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانكم تقولون انها
آلهة وليس فيها شيء من معنى الالوهية او للصفة التي تصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء
او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على
عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين سميتموها
انتم وآباؤكم بهواكم ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون
وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا وما تهوى الانفس
وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول والكتاب فتركوه ام للانسان ما تمنى
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة
الآلهة وقولهم لئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم ونحوها فلله الآخرة والاولى يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد
ان يتحكم عليه في شيء منهما وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا وكثير من الملائكة
لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع الا من بعد ان يأذن الله في الشفاعة لمن يشاء من الملائكة
ان يشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم
ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى بان سموه بنتا
وما لهم به من علم اي بما يقولون وقرئ بها اي بالملائكة او التسمية ان يتبعون الا الظن وان
الظن لا يغني من الحق شيئا فان الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار
له في الحقيقة وانما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عن من تولى عن ذكرنا
ولم يرد الا الحياة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام بشأنه فان من غفل عن الله
واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا

عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي امر الدنيا او كونها شهية مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم
والجملة اعتراض مقرر لقصور هممهم بالدنيا وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم
بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك
في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت ولله ما في السموات وما في الارض خلقا
وملكا ليجزي الذين اساؤا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا
من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اي خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال عن المهتدي
وحفظ احوالهم لذلك ويجزي الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او باحسن
من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب و
هو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم على
ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر
فانه مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة او المدح او
الرفع على انه خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر وله
ان يغفر ما شاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين
لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله هو اعلم بكم اعلم باحوالكم
منكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف
اموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم وحينما صوركم في الارحام فلا تزكوا انفسكم
فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذائل هو اعلم بمن
اتقى فانه يعلم التقي وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب آدم افرأيت الذي تولى عن اتباع
الحق والثبات عليه واعطى قليلا واكدى وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية
وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يتبع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب
الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي
اعنده علم الغيب فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي
وفى وفر واتم ما التزمه او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله
ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبريل حين يلقى في النار فقال الك حاجة فقال
اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه
والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهو التوراة كانت اشهر واكثر عندهم الا تزر
وازرة وزر اخرى ان هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلا مما في صحف موسى
او الرفع على هو ان لا تزر كانه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب
غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض
فكانما قتل الناس جميعا وقوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من

عملها الى يوم القيمة فان ذلك للدلالة والتسبب لنهي وزره وان ليس للانسان الا ما سعى
الا سعيه اى كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار من ان الصدقة والحج
ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه وان سعيه سوف يرى ثم يجزيه الجزاء الاوفى
اى يجزى العبد سعيه بالجزاء الاوفى فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون
الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم و
قرئ بالكسر على انه منقطع عما في الصحف وكذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى وانه
هو امات واحيى لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده
بفعل الله على سبيل العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق في
الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر وان عليه النشأة الاخرى الاحياء
بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وابو عمرو والنشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأ
وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهو ما يتأثل من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال
او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية وانه هو رب الشعرى يعني العبور وهي اشد ضياء
من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول صلى الله عليه وسلم وخالف قريشا في
عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول ابن ابي كبشة ولعل تخصيصها للاشعار
بانه عليه السلام وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفه ايضا في عبادتها وانه اهلك عادا
الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى
ارم وقرئ وعادا الولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وقرأ نافع وابو عمرو عادا
اللولى بادغام التنوين في اللام وقالون كذلك مع جعل الواو همزة وثمودا عطف على عادا
لان ما بعده لا يعمل فيه وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف فما ابقى الفريقين
وقوم نوح ايضا عطف عليه من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين
لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك والمؤتفكة و
القرى التي ائتفكت باهلها اى انقلبت وهي قرى قوم لوط اهوى بعد ان رفعها
فقلبها فغشيها ما غشى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم فباى آلاء ربك تتمارى تتشكك
والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما
لكن سماها آلاء من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين
هذا نذير من النذر الاولى اى هذا القرآن نذير من جنس الانذارات المتقدمة او هذا
الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين ازفت الآزفة دنت الساعة الموصوفة
بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اذا لا يطلع عليها سواه
او ليس لها غير الله كشف على انها مصدر كالعافية افمن هذا الحديث يعني القرآن
تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم وانتم سامدون
لاهون او مستكبرون من سمد البعير في سيره اذا رفع رأسه او مغنون لتشغلوا الناس

عن استماعه من السمود وهو الغناء فاسجدوا لله واعبدوا اى واعبدوه دون الآلهة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به
بمكة

سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة
وانشق القمر روى ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر
وقيل معناه سينشق القمر يوم القيمة ويؤيده الاول انه قرئ وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة
وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله وان يروا آية يعرضوا عن تأملها والايمان
بها ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات اخرى مترادفة
ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم
او مستبشع من استمر اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى وكذبوا واتبعوا اهواءهم
وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهما
من عادتهم القديمة وكل امر مستقر منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او
سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اى ذو مستقر
بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة ولقد جاءهم في القرآن من
الانباء انباء القرون الخالية او انباء الآخرة ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب او وعيد
وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها
حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها
موصولة او مخصصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي او استفهام انكار اى
فاى غناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار فتول
عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه
كالامر في قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون
او باضمار اذكر الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول القيمة وقرأ
ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث اى يخرجون
من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير
حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعا
وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة تشبه الفعل
وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فيكون الجملة حالا كأنهم جراد منتشر في الكثرة
والتموج والانتشار في الامكنة مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين
اليه يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم قوم نوح قبل قومك فكذبوا
عبدنا نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما
خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبوه بعدما كذبوا الرسل وقالوا مجنون
هو مجنون وازدجر وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اى هو مجنون

وقد زجرته الجن وتخبطته فدعا ربه انى بانى وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب غلبنى قومى فانتصر فانتقم لى منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روى ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كأنها عيون منفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر على حال قدرها الله فى الازل من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات الواح ذات اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهو صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها يؤدى مؤداها تجرى باعيننا بمرأى منا اى محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اى فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اى للكافرين ولقد تركناها اى السفينة او الفعلة آية يعتبر بها اذ شاع خبرها واستمر فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابى ونذر استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القرآن سهلناه او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر وانذارى لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم فى تعذيبهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا او شديد الصوت فى يوم نحس شؤم مستمر استمر شؤمه او استمر عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احدا او اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روى انهم دخلوا فى الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى كأنهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتأنيث فى قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان عذابى ونذر كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة كما قال ايضا فى قصتهم لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالانذارات والمواعظ او الرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاول اوجه للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من آحادهم دون اشرافهم نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر

جمع سعير كأنه عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة أألقى الذكر الكتاب والوحى عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع علينا بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة من الكذاب الاشر الذى حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل أصالح ام من كذبه وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر فى حذر والاشر اى الابلغ فى الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير انا مرسلوا الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه فى نوبته او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطى قتلها فقتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشئ بتكلف فكيف كان عذابى ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبرئيل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذى يتخذه من يعمل الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اى ترميهم الا آل لوط نجيناهم بسحر فى سحر وهو آخر الليل او مسحرين نعمة من عندنا انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك نجزى من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها بسائر الوجه روى انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبرئيل صفقة فاعماهم فذوقوا عذابى ونذر فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة او ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كرر ذلك فى كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستينافا للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ولقد جاء آل فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك كذبوا بآياتنا كلها يعنى الآيات التسع فأخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شئ أكفاركم يا معشر العرب خير من اولئكم الكفار المعدودين قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله ام لكم براءة فى الزبر ام نزلت لكم فى الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو فى امان من العذاب ام يقولون نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر اى الادبار وافراده لارادة الجنس او لان كل واحد يولى دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضى الله عنه انه لما نزلت قال لم اعلم ما هى

ويقول

فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته
بل الساعة موعدهم والساعة أدهى موعد عذابهم الأصلي وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه
والساعة أدهى أشد والداهية أمر فظيع لا يهتدى لدوائه وأمرّ مذاقا من عذاب الدنيا
إن المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الآخرة يوم يسحبون في النار على
وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر أي يقال لهم ذوقوا حر النار وألمها فإن مسها
سبب للتألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته إذا لوحته
إنا كل شيء خلقناه بقدر أي إنا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة أو مقدرا
مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء
وعلى هذا فالأولى أن يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة في الدلالة على أن كل
شيء مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الإضمار لما فيه من النصوصية على المقصود
وما أمرنا إلا واحدة إلا فعلة واحدة وهو الإيجاد بلا معالجة ومعاناة أو إلا كلمة واحدة
وهو قوله كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما أمر الساعة إلا كلمح
البصر ولقد أهلكنا أشياعكم أشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شيء
فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير وكبير من الأعمال مستطر مسطور في اللوح
إن المتقين في جنات ونهر أنهار واكتفى باسم الجنس أو سعة أو ضياء من النهار وقرئ بسكون
الهاء وبضم النون والهاء وبضم النون وسكون الهاء جمع نهر كأسد وأسد في مقعد صدق
في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى أمره في الملك
والاقتدار بحيث أبهمه ذوو الأفهام عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب
بعثه الله يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر والله أعلم

سورة الرحمن مكية أو مدنية أو متبعضة وآيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن لما كانت السورة
مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والأخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو أصل النعم
الدينية وأجلها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فإنه أساس الدين ومنشأ الشرع
وأعظم الوحي وأعز الكتب إذ هو بإعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق
لها ثم أتبعه قوله خلق الإنسان علمه البيان إيماء بأن خلق البشر وما يميز به عن سائر
الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وإفهام الغير لما أدركه لتلقي الوحي وتعرف الحق
وتعلم الشرع وإخلاء الجمل الثلاث التي هي أخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج
التعديد الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما وتتسق
بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات وتعلم السنون والحساب
والنجم والنبات الذي ينجم أي يطلع من الأرض ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان
ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم في
الجملتين أن يقال وأجرى الشمس والقمر وأسجد النجم والشجر أو الشمس والقمر بحسبانه والنجم

والشجر

والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل
على الاتصال إشعارا بأن وضوحه يغنيه عن البيان وإدخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة
على أن ما يحس به من تغيرات أحوال الأجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره والسماء رفعها
خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فإنها منشأ أقضيته ومتنزل أحكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع
على الابتداء ووضع الميزان العدل بأن وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه
حتى انتظم أمر العالم واستقام كما قال صلى الله عليه وسلم بالعدل قامت السموات والأرض أو ما
يعرف به مقادير الأشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كأنه لما وصف السماء بالرفعة من حيث إنها مصدر
القضايا والأقدار أراد وصف الأرض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار ويسوى
به الحقوق والمواجب ألا تطغوا في الميزان لئلا تطغوا فيه أي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الإنصاف
وقرئ لا تطغوا على إرادة القول وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه
فإن من حقه أن يسوى لأنه المقصود من وضعه وتكريره للمبالغة في التوصية به وزيادة
حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها على أن الأصل
ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل والأرض وضعها خفضها مدحوة للأنام
للخلق وقيل الأنام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الأكمام أوعية
الثمر جمع كم أو كل ما يكم أي يغطى من ليف وسعف وكفرى فإنه ينتفع به كالمكموم وكالجذع
والحب ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات
اليابس كالتبن وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان يعني المشموم أو الرزق من قولهم
خرجت أطلب ريحان الله أي والحب والريحان أو أخص ويجوز أن يراد وذو الريحان
فحذف المضاف وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالخفض والباقون بالرفع وهو فيعلان
من الروح فقلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف وقيل روحان قلبت واوه ياء للتخفيف فبأي آلاء
ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للأنام وقوله أيها الثقلان خلق الإنسان
من صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق
الله آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله من تراب
ونحوه وخلق الجان الجن أو أبا الجن من مارج من صاف من الدخان من نار بيان لمارج فإنه
في الأصل للمضطرب من مرج إذا اضطرب فبأي آلاء ربكما تكذبان مما أفاض عليكما في
أطوار خلقكما حتى صيركما أفضل المركبات وخلاصة الكائنات رب المشرقين ورب المغربين مشرقي
الشتاء والصيف ومغربيهما فبأي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى
كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه إلى غير ذلك مرج البحرين
أرسلهما من مرجت الدابة إذا أرسلتها والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان يتجاوران
ويتماس سطوحهما أو بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لأنهما خليجان يتشعبان
منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله أو من الأرض لا يبغيان لا يبغي أحدهما على الآخر

بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فباى
الاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر وصغاره وقيل المرجان
الخرز الاحمر وان صح ان الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح
والعذب او لانهما لما اجتمعا صارا كالشىء الواحد وكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما
وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان فباى الاء
ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقوله لها ثنايا
اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرأ حمزة
وابو بكر بكسر الشين اى الرافعات الشرع او اللاتى ينشئن الامواج او السير فى البحر كالاعلام
كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل فباى الاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد
الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها فى البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره كل من عليها
من على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان ويبقى وجه ربك
ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية فى حد ذاتها
الا وجه الله اى الوجه الذى يلى جهته ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل
العام فباى الاء ربكما تكذبان اى مما ذكرنا قبل وبقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء
رحمة وفضلا او مما يترتب على افناء الكل من الاعادة والحيوة الدائمة والنعيم المقيم يسأله
من فى السموات والارض فانهم مفتقرون اليه فى ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم
ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشىء نطقا كان او غيره كل يوم
هو فى شان كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفى الحديث من
شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع اخرين وهو رد لقول اليهود ان الله
لا يقضى يوم السبت شيئا فباى الاء ربكما تكذبان اى مما يسعف به سؤلكما وما يخرج لكما
من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم ايه الثقلان اى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة
فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سأفرغ لك فان المتجرد للشىء
كان اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائى بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اى سنقصد اليكم و
الثقلان الجن والانس سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهم وقدرهم او لانهما
مثقلان بالتكليف فباى الاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من
اقطار السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله
فارين من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان
الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما فى السموات والارض
فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها
بافكاركم فباى الاء ربكما تكذبان اى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة
او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلى

يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس ودخان قال يضىء كضوء سراج السليط لم يجعل
فيه نحاسا او صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس
بالجر عطفا على نار ووافقه ابو عمرو ويعقوب فى رواية وقرئ ونحس وهو جمع كلحف
فلا تنتصران فلا تمتنعان فباى الاء ربكما تكذبان فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع
والعاصى بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الالاء فاذا انشقت السماء فكانت وردة
اى حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله فلئن بقيت
لارحلن بغزوة تحوى الغنائم او يموت كريم كالدهان مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن
به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر فباى الاء ربكما تكذبان اى مما يكون بعد ذلك
فيومئذ اى فيوم تنشق السماء لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم
وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف
مراتبهم واما قوله فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون فى المجمع والهاء للانس
باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة فباى الاء ربكما تكذبان اى مما انعم
الله على عباده المؤمنين فى هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة
والحزن فيؤخذ بالنواصى والاقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصى تارة وبالاقدام
اخرى فباى الاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها بين النار
يحرقون بها وبين حميم ماء حار ان بلغ النهاية فى الحرارة يصب عليهم او يسقون منه وقيل
اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فباى الاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه
موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا
راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا او
ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين
جنتان جنة للخائف الانسى والاخرى للخائف الجنى فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين
منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصى
او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد
فباى الاء ربكما تكذبان ذواتا افنان انواع من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان
جمع فنن وهى الغصنة التى تتشعب من فرع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التى تورق و
تثمر ومنها الظل فباى الاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان حيث شاؤا فى الاعالى
والاسافل قيل احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل فباى الاء ربكما تكذبان فيهما
من كل فاكهة زوجان صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس فباى الاء ربكما تكذبان
متكئين على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك
فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين او حال منهم لان من خاف فى معنى الجمع وجنى
الجنتين دان قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجنى وقرئ بكسر الجيم

فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن في الجنان فان جنتان تدل على جنان هي للخائفين او فيهما من الاماكن والقصور او في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لم يمس الانسيات انس والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم الميم فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان اي في حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين وكذا ما بعده فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة على ان من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رطبا او رمانا لم يحنث فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات اي خيرات فخففت لان خيرا الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان حسان الخلق والخلق فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اي مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كحور الاوليين وهم لاصحاب الجنتين فانهما تدلان عليهم فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقري حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والاكرام وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وآيها سبع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله او تكذب في نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق او ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته عليه

وسولت له انه تطيقه خافضة رافعة تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء الله ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا اي فتتت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا ثلاثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر زوج فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل او اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين والسابقون السابقون والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول ابي النجم وشعري شعري او الذين سبقوا الى الجنة اولئك المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة واعليت مراتبهم ثلة من الاولين اي هم كثير من الاولين يعني الامم السابقة من لدن آدم الى محمد عليهما الصلوة والسلام وقليل من الآخرين يعني امة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يخالف ذلك قوله عليه السلام ان امتي يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقي هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافي اكثرية احدهما وروي مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر موضونة خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم باكواب واباريق حال الشرب وغيره والكوب اناء لا عروة له ولا خرطوم والابريق اناء له ذلك وكأس من معين من خمر لا يصدعون عنها بخمار ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرأ الكوفيون بكسر الزاي وقرئ ولا يصدعون بمعنى لا يتصدعون اي لا يتفرقون وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون ولحم طير مما يشتهون يتمنون وحور عين عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور عين وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اي هم في جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئتا بالنصب على ويؤتون حورا كأمثال

اللؤلؤ المكنون المصون عما يضر به في الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون اي يفعل ذلك
كله بهم جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تأثيما ولا نسبة الى الاثم اي لا يقال
لهم أثمتم الا قيلا الا قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما
او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام
وقرئ سلام سلام على الحكاية واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود لا شوك له
من خضد الشوك اذا قطعه او مثنى اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب
وطلح وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله
من اسفله الى اعلاه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وماء مسكوب يسكب لهم
اين شاؤوا وكيف شاؤوا بلا تعب او مصبوب سائل كأنه لما شبه حال السابقين في التنعم باكمل
ما يتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادي اشعارا بالتفاوت
بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الاجناس لا مقطوعة لا تنقطع في وقت ولا ممنوعة ولا تمنع
عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء
وارتفاعها انها على الارائك ويدل عليه قوله انا انشأناهن انشاء اي ابتدأناهن ابتداء
جديدا من غير ولادة ابداء او اعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز
رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا
فجعلناهن ابكارا عربا متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وابو بكر وروي
عن نافع وعاصم مثله اترابا فان كلهن بنات ثلث وثلثين وكذا ازواجهن لاصحاب اليمين
متعلق بانشأناهن او جعلنا او صفة لابكارا او خبر لمحذوف مثل هن او لقوله ثلة من الاولين
وثلة من الآخرين وهي على الوجه الاول خبر محذوف واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم
في حر نار تنفذ في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود يفعول
من الحممة لا بارد كسائر الظل ولا كريم ولا نافع نفي بذلك ما اوهم الظل من الاسترواح
انهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين في الشهوات وكانوا يصرون على الحنث العظيم الذنب
العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث في يمينه خلاف
بر فيها وتحنث اذا تأثم وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون كرر
الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا في هذا الوقت كما دخلت العاطفة في قوله
أوآباؤنا الاولون للدلالة على ان ذلك اشد انكارا في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل
بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر او بالسكون وقد سبق مثله
والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون لا هو للفصل بان والهمزة قل ان الاولين و
الآخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا وحد من يوم
معين عند الله معلوم له ثم انكم ايها الضالون المكذبون اي بالبعث والخطاب الى
اهل مكة واضرابهم لآكلون من شجر من زقوم من الاولى للابتداء والثانية للبيان فمالئون منها

البطون

البطون من شدة الجوع فشاربون عليه من الحميم لغلبة العطش وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في
عليه على المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها فشاربون شرب الهيم
الابل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء
لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها وقيل الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل
الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف
والمعطوف عليه اخص من الآخر من وجه فلا اتحاد وقرأ نافع وعاصم وحمزة شرب بضم الشين
هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم وفيه تهكم
كما في قوله فبشرهم بعذاب اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف
نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه او
بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة أفرأيتم ما تمنون اي ما تقذفونه في الارحام
من النطف وقرئ بفتح التاء من مني النطفة بمعنى امناها أأنتم تخلقونه تجعلونه بشرا سويا
ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه عليكم واقتنا موت كل بوقت معين وقرأ
ابن كثير بتخفيف الدال وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته او لا
يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه على ان نبدل امثالكم على الاول حال او علة لقدرنا
وعلى بمعنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني صلة والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم
فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل وننشئكم فيما لا تعلمون في خلق او صفات
لا تعلمونها ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى
فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس
أفرأيتم ما تحرثون تبذرون حبه أأنتم تزرعونه تنبتونه ام نحن الزارعون المنبتون لو نشاء
لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على ما
اصبتم لاجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل
بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وظللتم على الاصل انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او
مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر ائنا على الاستفهام بل نحن قوم محرومون حرمنا
رزقنا او محدودون لا مجدودون أفرأيتم الماء الذي تشربون اي العذب الصالح للشرب
أأنتم انزلتموه من المزن من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن
المنزلون بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه اجاجا
ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن
معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها او تخصيص ما يقصد لذاته ويكون
اهم وفقده اصعب بمزيد التأكيد فلولا تشكرون امثال هذه النعم الضرورية أفرأيتم
النار التي تورون تقدحون أأنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون يعني الشجرة التي منها
الزناد نحن جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة في امر البعث كما مر في سورة يس

اوفى اظلام او تذكيرا او انموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القوا وهى القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فان اطلاق اسم الشئ ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب لامر بالتسبيح لما عدد من بدايع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته او للتعجب من امرهم فى غمط نعمه او للشكر على ما عددها من النعم فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما فى لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه انه قرئ فلا قسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب لما فى غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تاثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القران ومواقعها اوقات نزولها وقرأ حمزة والكسائى بموقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما فى المقسم به من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض فى اعتراض فانه اعتراض بين المقسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة انه لقران كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة فى اصلاح المعاش والمعاد او حسن مرضى فى جنسه فى كتاب مكنون مصون وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس القران الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهى او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اى انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة او رابعة للقران وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اى نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعنى القران انتم مدهنون متهاونون به كمن يدهن فى الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم اى شكر رزقكم انكم تكذبون اى بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ شكركم اى وتجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبون به وتكذبون اى بقولكم فى القران انه سحر وشعر او فى المطر انه من الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم اى النفس وانتم حينئذ تنظرون حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ونحن اقرب اليه الى المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب الذى هو اقوى سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجرى عليه فلولا ان كنتم غير مدينين اى مجزيين يوم القيمة او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل التركيب للذل والانقياد ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهى بما فى حيزه دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم باياته ان كنتم صادقين فى تعطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم فاما ان كان من المقربين اى ان كان المتوفى من السابقين فروح فله استراحة وقرئ

فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحيوة المرحوم وبالحيوة الدائمة وريحان ورزق طيب وجنة نعيم ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من اصحاب اليمين اى من اخوانك يسلمون عليك واما ان كان من المكذبين الضالين يعنى اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجد فى القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اى الذى ذكر فى السورة او فى شان الفرق لهو حق اليقين اى حق الخبر اليقين فسبح باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شانه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مكية وقيل مدنية وايها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما فى السموات والارض ذكر هنا وفى الحشر والصف بلفظ الماضى وفى الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شانها اسناده اليه ان يسبحه فى جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجئ المصدر مطلقا فى بنى اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شئ وفى كل حال وانما عدى باللام وهو متعد بنفسه مثل نصحت له فى نصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه وهو العزيز الحكيم حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح له ملك السموات والارض فانه الموجد لها والمتصرف فيها يحيى ويميت استيناف او خبر لمحذوف او حال من المجرور فى له وهو على كل شئ من الاحياء والاماتة وغيرهما قدير تام القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها والاخر الباقى بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها او هو الاول الذى تبتدئ منه الاسباب وتنتهى اليه المسببات او الاول خارجا والاخر ذهنا والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول او الغالب على كل شئ والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين وهو بكل شئ عليم يستوى عنده الظاهر والخفى هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض كالبذور وما يخرج منها كالزروع وما ينزل من السماء كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة وهو معكم اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك السموات والارض ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التى جعلكم الله خلفاء فى التصرف فيها فهى فى الحقيقة له لا لكم او التى استخلفكم عمن قبلكم فى تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبير وما لكم لا تؤمنون بالله اى وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى اى عذر لكم

في ترك الايمان والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم بالحجج والآيات وقد اخذ ميثاقكم اي وقد اخذ الله ميثاقكم
بالايمان قبل ذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرأ ابو عمرو
على البناء للمفعول ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه هو الذي ينزل على عبده
آيات بينات ليخرجكم اي الله او العبد من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان
الله بكم لرؤوف رحيم حيث نبهكم بالرسل والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية
وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة اليه ولله ميراث السموات والارض يرث
كل شيء فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو
الثواب كان اولى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة بيان
لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات حثا على تحري الافضل
منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة
ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق
من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا اي من بعد الفتح وكلا وعد الله الحسنى اي وعد الله كلا من المنفقين
المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده ليطابق ما عطف
عليه والله بما تعملون خبير عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت في ابي بكر
رضي الله عنه فانه اول من آمن وانفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا من ذا الذي ينفق ماله في سبيله رجاء ان يعوضه فانه
كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات له فيضاعفه له اي
يعطي اجره اضعافا وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه ينبغي ان
يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام
باعتبار المعنى وكانه قال أيقرض الله احد فيضاعفه له وابن كثير يضعفه مرفوعا ويعقوب
يضعفه منصوبا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله او فيضاعفه او مقدر باذكر
يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون
صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين بشراكم اليوم جنات اي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة
بشراكم اي المبشر به جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك
هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة يوم يقول
المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا انتظرونا فانهم يسرع
بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم
فيستضيئون بنور بين ايديهم وقرأ حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم
نقتبس من نوركم نصب منه قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف
الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او الى الموقف فانه من ثم يقتبس فضرب بينهم
بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط له باب يدخل فيه المؤمنون باطنه باطن السور

او الباب فيه الرحمة لانه يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته لانه يلي النار ينادونهم
الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم
بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وشككتم في الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله
وهو الموت وغركم بالله الغرور الشيطان او الدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرأ
ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا مأواكم النار هي مولاكم هي اولى بكم
كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم اي مكانكم
الذي يقال فيه اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اي مكان قول القائل انه لكريم او مكانكم عما
قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم تتولاكم
كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير النار الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر
الله الم يأت وقته يقال انى الامر يأني انيا وانا واناء اذا جاء اناه وقرئ بكسر الهمزة و
سكون النون من آن يئين بمعنى انى يأني والم يأن روي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة
فلما هاجروا واصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وما نزل من الحق اي القرآن
وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرأ
نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ انزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل
فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اي فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم او آمالهم او ما بينهم
وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الأمد وهو الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون
عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها
تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا
عن القساوة قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون كي تكمل عقولكم ان المصدقين والمصدقات
اي المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بهما وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي الذين صدقوا
الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه
الذين اصدقوا او صدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص
يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه والقراءة في يضاعف ما مر غير انه لم يجزم لانه خبر ان
وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
والشهداء عند ربهم اي اولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء او هم المبالغون في
الصدق فانهم آمنوا وصدقوا جميع اخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم
او على الامم يوم القيامة وقيل والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد به الانبياء من قوله فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم مثل اجر
والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان
لهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود في النار
مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا اعلموا

اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد لما ذكر
حال الفريقين في الآخرة حقر امور الدنيا اعني ما لا يتوصل به الى الفوز الآجل بان بين انها
امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا اتعاب الصبيان
في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية
والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل
غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها
وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث او الكافرون بالله لانهم
اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب
بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اي يبس بعاهة فاصفر
ثم صار حطاما ثم عظم امور الآخرة بقوله وفي الآخرة عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك في
الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله ومغفرة من الله ورضوان
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها سابقوا سارعوا
مسارعة المسابقين في المضمار الى مغفرة من ربكم الى موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء
والارض اي عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد به البسطة
كقوله تعالى فذو دعاء عريض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة
وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل به
على من يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم
قدره ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في
كتاب الا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله تعالى من قبل ان نبرأها نخلقها والضمير للمصيبة او للارض
او للانفس ان ذلك ان ثبته في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا
تأسوا اي اثبت وكتب لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم بما اعطاكم
الله منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرأ ابو عمرو بما اتاكم من الاتيان ليعادل
ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها
فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح الموجب
للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور اذ قل من يثبت نفسه حالتي
السراء والضراء الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن
به غالبا او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض
عن شكره ولا ينتفع بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة
المنفق وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغني الحميد لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء
او الانبياء الى الامم بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب ليبين الحق ويميز صواب
العمل والميزان لتسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط وانزاله

انزال اسبابه والامر باعداده وقيل نزل الى نوح ويجوز ان يراد به العدل لتقام به
السياسة ويدفع به الاعداء كما قال وانزلنا الحديد فيه بأس شديد فان آلات الحروب متخذة
منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها وليعلم الله من ينصره ورسله
باستعمال الاسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن
تعليلا او اللام صلة لمحذوف اي انزله ليعلم الله بالغيب حال من المستكن في ينصره ان الله
قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر الى نصرة وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به
ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة
والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن
الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ارسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون
عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على ان الغلبة
للضلال ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم اي ارسلنا رسولا بعد
رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير لنوح وابرهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل
لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة و
امره اهون من امر البرطيل لانه اعجمي وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة
على فعالة ورحمة ورهبانية ابتدعوها اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها او رهبانية مبتدعة على انها
من المجعولات وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان و
هو جمع راهب كراكب وركبان ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله
استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم
بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه
مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها
او ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا لانهم اخترعوها من تلقاء انفسهم فما رعوها
فما رعوا جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد صلى الله
عليه وسلم ونحوها فآتينا الذين آمنوا اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقوقها ومن ذلك الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم منهم من المتسمين باتباعه اجرهم وكثير منهم فاسقون خارجون عن حال
الاتباع يا ايها الذين آمنوا بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه
يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن قبله ولا يبعد ان
يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا
في عصره ويجعل لكم نورا تمشون به يريد المذكور في قوله يسعى نورهم او الهدى الذي يسلك
به الى جناب القدس ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اي ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده
انه قرئ ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء اهل الكتاب ان لا يقدرون
على شيء من فضل الله ان هي المخففة والمعنى انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من

نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون على شيء من فضله فضلا
ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة فيخصوها بمن ارادوا ويؤيده قوله وان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب
انه لا يقدر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه فيكون وان الفضل
عطفا على ان لا يعلم وقرئ ليلا ووجهه ان الهمزة حذفت وادغم النون في اللام ثم
ابدلت ياء وقرئ ليلا على ان الاصل في الحروف المفردة الفتح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الحديد كتب من الذين امنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكي والباقي مدني وآيها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله روي ان خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها
زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني
فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع
وقد تشعر بان الرسول صلى الله عليه وسلم او المجادلة يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها
ويفرج كربها وادغم حمزة والكسائي وابو عمرو وهشام دال قد في السين والله
يسمع تحاوركما تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ان الله سميع بصير للاقوال والاحوال
الذين يظهرون منكم من نسائهم الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق
من الظهر والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل
الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون من اظاهر وعاصم
يظاهرون من ظاهر ما هن امهاتهم اي على الحقيقة ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن
في الحرمة الا من الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول صلى الله عليه وسلم وعن عاصم امهاتهم
بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا على لغة من ينصب وانهم ليقولون منكرا من القول
اذ الشرع انكره وزورا محرفا فان الزوجة لا تشبه الام وان الله لعفو غفور لما سلف منه
مطلقا او اذا تيب عنه والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اي الى قولهم
بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعي بامساك
المظاهر عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها
منه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابي حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند
مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار في الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى
يعتادون الظهار اذ كانوا يظاهرون في الجاهلية وهو قول الثوري او بتكراره لفظا
وهو قول الظاهرية او معنى بان يحلف على ما قال وهو قول ابي مسلم او الى المقول فيها بامساكها
او استباحة استمتاعها او وطئها فتحرير رقبة اي فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء
للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة
بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر و

عنها بالاخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير
ذلكم اي ذلكم الحكم بالكفارة توعظون به لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة و
يردع عنه والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه خافية فمن لم يجد اي الرقبة والذي غاب ماله
واجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فان افطر بغير عذر لزمه الاستيناف
وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابي حنيفة
ومالك فمن لم يستطع اي الصوم لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط فانه صلى الله عليه وسلم رخص
للاعرابي المفطر ان يعدل لاجله فاطعام ستين مسكينا ستين مدا بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل في المخرج في الفطرة وقال ابو حنيفة يعطي كل مسكين نصف
صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الاطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين او
لجوازه في خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة رحمه الله ذلك اي ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله
النصب بفعل معلل بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله اي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله
في قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها وللكافرين
اي الذين لا يقبلونها عذاب اليم وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين
يحادون الله ورسوله يعادونهما فان كلا من المتعاديين في حد غير حد الآخر او يضعون
او يختارون حدودا غير حدودهما كبتوا اخزوا او اهلكوا واصل الكبت الكب كما كبت
الذين من قبلهم يعني كفار الامم الماضية وقد انزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم
وما جاء به وللكافرين عذاب مهين يذهب عزهم وتكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بمهين او باضمار
اذكر جميعا كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين فينبئهم بما عملوا اي على رؤوس الاشهاد
تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم احصاه الله احاط به عددا لم يغب منه شيء ونسوه لكثرته
او تهاونهم به والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه شيء الم تر ان الله يعلم ما في السموات و
ما في الارض كليا وجزئيا ما يكون من نجوى ثلاثة ما يقع من تناجي ثلاثة ويجوز ان يقدر مضاف
او يأول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان
السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم اربعة
من حيث انه يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة
الا هو سادسهم وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين
او لان الله وتر يحب الوتر والثلاثة اول الاوتار او لان التشاور لا بد له من اثنين يكونان
كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون او
تأويل نجوى بمتناجين ولا ادنى من ذلك ولا اقل مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر الا
هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل
ولا ادنى ان جعلت لا لنفي الجنس اينما كانوا فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت
باختلاف الامكنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء

الله بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على سواء الم تر الى الذين نهوا
عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم
ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل
فعلهم ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول اي بما هو اثم وعدوان للمؤمنين
وتواص بمعصية الرسول وقرأ حمزة وينتجون وروي عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى واذا
جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول
وسلام على عباده الذين اصطفى ويقولون في انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما
نقول هلا يعذبنا بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس
المصير جهنم يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول
كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين
والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا الله الذي اليه تحشرون فيما تأتون وتذرون فانه
مجازيكم عليه انما النجوى اي النجوى بالاثم والعدوان من الشيطان فانه المزين لها والحامل عليها
ليحزن الذين امنوا بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس الشيطان او التناجي بضارهم
بضار المؤمنين شيئا الا باذن الله بمشيئته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم
يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم
افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله
فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما
تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما
امرتم به كصلوة وجهاد او ارتفعوا في المجلس فانشزوا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين
فيهما يرفع الله الذين امنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وايوائهم غرف الجنان في الاخرة
والذين اوتوا العلم درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم
مع علو درجته يقتضي للعمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى
بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون
خبير تهديد لمن لم يمتثل الامر او استكرهه يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين
يدي نجواكم صدقة فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول وانفاع
الفقراء والنهي عن الافراط في السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب الدنيا
واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم
يتصل به نزولا وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله اية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته
فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق
للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي ذلك
التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله فان لم

تجدوا فان الله غفور رحيم اي لمن لم يجد حيث رخص له في المناجاة بلا تصدق ادل على الوجوب
أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات أخفتم الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم التقديم
لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة التناجي فاذ لم تفعلوا
وتاب الله عليكم بان رخص لكم في ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه
لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا وان فاقيموا الصلوة واتوا
الزكوة فلا تفرطوا في ادائهما واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بها
كالجابر للتفريط في ذلك والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر الى الذين تولوا والوا
قوما غضب الله عليهم يعني اليهود ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك
ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف
بالغموس وفي هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم
وروي انه صلى الله عليه وسلم كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الان رجل قلبه
قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال له عليه السلام
علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت اعد الله
لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء العمل
واصروا عليه اتخذوا ايمانهم اي التي حلفوا بها وقرئ بالكسر اي ايمانهم الذي اظهروه جنة
وقاية دون دمائهم واموالهم فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس في خلال امنهم عن دين الله
بالتحريش والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف اخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر و
هذا عذاب الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اي لله على انهم مسلمون ويحلفون
كما يحلفون لكم في الدنيا انهم لمنكم ويحسبون انهم على شيء لان تمكن النفاق في نفوسهم تخيل
اليهم في الاخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه عليكم في الدنيا الا انهم
هم الكاذبون البالغون الغاية في الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون
عليه استحوذ عليهم الشيطان استولى عليهم من حذت الابل وحزتها اذا استوليت عليها وهو
مما جاء على الاصل فانساهم ذكر الله لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب
الشيطان جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم
النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين
في جملة من هو اذل خلق الله كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي اي بالحجة وقرأ نافع
وابن عامر ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد
قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله اي لا ينبغي ان تجدهم
وادين اعداء الله والمراد انه لا ينبغي ان يوادوهم ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم
او عشيرتهم ولو كان المحادون اقرب الناس اليهم اولئك اي الذين لم يوادوهم كتب في قلوبهم

الايمان اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه وايدهم بروح منه اي من عند الله وهو نور القلب او القران او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحيوة القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من الثواب اولئك حزب الله جنده وانصار دينه الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر مدنية وايها اربع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة صالح بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبي المنعوت في التورية بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله تعالى سبح لله الى قوله والله على كل شيء قدير هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اي في اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك او في اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام واخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر اليه او في اول حشر الناس الى الشام واخر حشرهم انهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى اخر ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ان حصونهم تمنعهم من باس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فاتاهم الله اي عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله وقرئ فاتاهم اي العذاب او النصر من حيث لم يحتسبوا لقوة وثوقهم وقذف في قلوبهم الرعب واثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملاها يخربون بيوتهم بايديهم ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من الاتها وايدي المؤمنين فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن بغضهم فكانهم استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرا ابو عمرو يخربون بالتشديد وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل وترك الشيء خرابا والتخريب الهدم فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه في الكتب الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من اوطانهم لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم

في الاخرة عذاب النار استيناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الاخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم او الى الاخير ما قطعتم من لينة اي شيء قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها اليان او تركتموها الضمير لما وتانيثه لانه مفسر باللينة قائمة على اصولها وقرئ اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو او على انه كرهن فباذن الله فبامره وليخزي الفاسقين علة لمحذوف اي وفعلتم او واذن لكم في القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روي انه عليه السلام لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء الله على رسوله وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم من بني النضير او من الكفرة فما اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد في بني النضير لان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلثة كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بقذف الرعب في قلوبهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس لظاهر الاية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الان سهم الرسول الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والان على الخلاف المذكور كيلا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء وقرا هشام في رواية بالتاء دولة بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم او اخذه غلبة تكون بينهم وقرا هشام دولة بالرفع على كان التامة اي كيلا يقع دولة جاهلية وما اتاكم الرسول وما اعطاكم من الفيء او من الامر فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهاكم عنه عن اخذه منه او عن اتيانه فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفة رسوله ان الله شديد العقاب لمن خالفه للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى خصص الابدال بما بعده او الفيء بفيء بني النضير الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم

واخذوا اموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم
شانهم وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك هم الصادقون الذين ظهر
صدقهم في ايمانهم والذين تبوؤا الدار والايمان عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار
فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان
فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او تبوؤا الدار واخلصوا
الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره من قبلهم
من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوؤا الدار من قبلهم والايمان يحبون من هاجر
اليهم ولا يثقل عليهم ولا يجدون في صدورهم في انفسهم حاجة ما تحمل عليه الحاجة كالطلب
والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا مما اعطى المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون على
انفسهم ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة
وزوجها من احدهم ولو كان بهم خصاصة حاجة من خصاص البناء وهي فرجه ومن يوق شح نفسه
حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء
العاجل والثواب الآجل والذين جاؤا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد ما قوي الاسلام او
التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت
جميع المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اي لاخواننا في الدين
ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا حقدا لهم ربنا انك رؤف رحيم فحقيق بان تجيب دعاءنا
الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يريد الذين بينهم و
بينهم اخوة الكفر او الصداقة والموالاة لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم في قتالكم
ولا نطيع فيكم احدا ابدا اي من امر رسول الله والمسلمين وان قوتلتم لننصرنكم لنعاونكم
والله يشهد انهم لكاذبون لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم
ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان كذلك فان ابن ابي واصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم
اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار
انهزاما ثم لا ينصرون بعد بل يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين
يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية مصدر للفعل
المبني للمفعول في صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين من الله على ما يظهرونه
نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون عظمة الله
حتى يخشونه حق خشيته ويعلمون انه الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون جميعا
مجتمعين الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء
جدر لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو جدار وامال ابو عمرو فتحة الدال باسهم بينهم شديد
اي وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد باسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب
في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين

متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون
ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم كمثل الذين من قبلهم اي مثل اليهود كمثل اهل
بدر او بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية قريبا في زمان قريب
وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم
عذاب اليم في الآخرة كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال كمثل
الشيطان اذ قال للانسان اكفر اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور فلما كفر قال
اني بريء منك تبرأ عنه مخافة ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال اني اخاف الله
رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد
من الانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم
وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما على انهما الخبر وخالدان على
انه وفي النار لغو يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم القيمة سماه
به لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلا
استقلال الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله
تكرير للتاكيد او الاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم لاقترانه
بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله نسوا
حقه فانساهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها
او اراهم يوم القيمة من الهول ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسوق
لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا الجنة والذين
استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة
هم الفائزون بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته تمثيل وتخييل كما مر في قوله
انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله خاشعا متصدعا من خشية الله فان الاشارة
اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره
والتصدع التشقق وقرئ مصدعا بالادغام وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون
هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ما غاب عن الحس من الجواهر
القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم
القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس
البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص
وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف
الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذي
جبر خلقه على ما اراد او جبر حالهم بمعنى اصلحه المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا
سبحان الله عما يشركون اذ لا يشاركه في شيء من ذلك هو الله الخالق المقدر

للاشياء على مقتضى حكمته كالبارئ الموجد لها بريئا من التفاوت المصور الموجد لصورها
وكيفياتها كما اراد وقد زدنا الاطناب في شرح هذه الاسماء واخواتها فعليه بكتابي المسمى بمنتهى المنى
له الاسماء الحسنى لانها دالة على محاسن المعاني يسبح له ما في السموات والارض لتنزهه
عن النقايص كلها وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات باسرها فانها راجعة الى الكمال في القدرة
والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلاث عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة فانه لما علم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم وارسل
مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل عليه السلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا و
عمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها
ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها
فادركوها ثم جحدت فسل علي رضي الله عنه السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله
صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ
نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم يكن لي فيهم من يحمي اهلي
فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعذره تلقون اليهم بالمودة تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله
بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت على غير من هو له فلا حاجة فيها الى
ابراز الضمير لانه مشروط في الاسم دون الفعل وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد
الفعلين يخرجون الرسول واياكم اي من مكة وهو حال من كفروا او استئناف لبيانه ان تؤمنوا
بالله ربكم بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب
الايمان ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط
محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون او استئناف معناه اي طائل
لكم في اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم اي منكم وقيل
اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية ومن يفعله منكم اي يفعل الاتخاذ فقد ضل
سواء السبيل اخطأه ان يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة
اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بما يسوءكم كالقتل والشتم وودوا لو تكفرون
وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضي للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شيء وان
ودادهم حاصلة وان لم يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين
توالون المشركين لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم
من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر عنكم غدا وقرأ حمزة والكسائي بكسر الصاد وتشديده
وفتح الفاء وقرأ ابن عامر يفصل على البناء للمفعول مع التشديد وهو بينكم وعاصم يفصل

والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم اسوة حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به
في ابرهيم والذين معه صفة ثانية او خبر كان ولكم لغو او حال من المستكن في حسنة او
صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان انا برآء منكم جمع بريء
كظريف وظرفاء ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم
وبه فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا
بالله وحده فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن
لك استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي ان
تأتسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه وما املك لك من الله من شيء من
تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه ربنا عليك توكلنا
واليك انبنا واليك المصير متصل بما قبل الاستثناء او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه
تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا
بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمله واغفر لنا ما فرطنا ربنا انك انت العزيز
الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد كان لكم فيهم اسوة
حسنة تكرير لمزيد الحث على التأسي بابرهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله لمن كان
يرجو الله واليوم الآخر من لكم فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التأسي بهم وان
تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فانه
جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل
لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرؤا عنهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذ
اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير على ذلك والله غفور رحيم لما فرط منكم
في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في
الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لان قوله ان تبروهم بدل من الذين
وتقسطوا اليهم تفضوا اليهم بالقسط اي العدل ان الله يحب المقسطين العادلين
روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن
لها بالدخول فنزلت انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم
وظاهروا على اخراجكم كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا
المخرجين ان تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون
لوضعهم الولاية في غير موضعها يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن
فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن في الايمان الله اعلم بايمانهن فانه
المطلع على ما في قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن
الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به فلا
ترجعوهن الى الكفار اي الى ازواجهن الكفرة لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن

والتكرير للمطابقة والمبالغة أو الأولى لحصول الفرقة والثانية للمنع عن الاستئناف
وآتوهم ما أنفقوا ما دفعوا إليهن من المهور وذلك لأن الصلح في الحديبية جرى على أن من جاءنا
منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن إذ روي
أنه صلى الله عليه وسلم كان بعد بالحديبية إذ جاءته سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة
فأقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر رضي الله عنه ولا جناح عليكم أن تنكحوهن
فإن الإسلام حال بينهن وبين أزواجهن الكفار إذا آتيتموهن أجورهن شرط إيتاء
المهر في نكاحهن إيذانا بأن ما أعطي أزواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا
بعصم الكوافر بما تعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين
عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسّكوا بالتشديد واسألوا ما أنفقتم
من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما أنفقوا من مهور أزواجهم المهاجرات
ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الآية يحكم بينكم استئناف أو حال من الحكم على حذف الضمير
أو جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه حكمته وإن فاتكم
شيء من أزواجكم أحد من أزواجكم وقد قرئ به وإيقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة
في التعميم أو شيء من مهورهن إلى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم أي نوبتكم من أداء المهر
شبّه الحكم بأداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر
يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا
من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روي أنه لما نزلت الآية المتقدمة أبى المشركون
أن يؤدوا مهور الكوافر فنزلت وقيل معناه إن فاتكم فأصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة
فآتوا بدل الفائت من الغنيمة واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون فإن الإيمان به يقتضي
التقوى منه يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا
نزلت يوم الفتح فإنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء
ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن يريد وأد البنات ولا يأتين ببهتان
يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف في حسنة تأمرهن بها
فبايعهن الله إذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الأشياء واستغفر لهن الله
إن الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني عامة الكفار
أو اليهود إذ روي أنها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا
من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها أو لعلمهم بأنه لا حظ لهم فيها لعنادهم
الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من أصحاب القبور
أن يبعثوا أو يثابوا أو ينالهم خير منهم وعلى الأول وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة
على أن الكفر آيسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون و

المؤمنات

والمؤمنات شفعاء يوم القيامة **سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها أربع عشرة**

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم
سبق تفسيره يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي أن المسلمين قالوا
لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فأنزل الله إن الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله فولوا يوم أحد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية
والأكثر على حذف ألفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه
كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون المقت أشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة
على أن قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه
إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين مصدر وصف به كأنهم
بنيان مرصوص في تراصهم من غير فرجة حال من المستكن في الحال الأولى والرص اتصال
بعض البناء بالبعض واستحكامه وإذ قال موسى لقومه مقدر باذكر أو كان كذا يا قوم
لم تؤذونني بالعصيان والرمي بالأدرة وقد تعلمون أني رسول الله إليكم بما جئتكم من
المعجزات والجملة حال مقررة للإنكار فإن العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع إيذاءه
وقد لتحقيق العلم فلما زاغوا عن الحق أزاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل إلى الصواب
والله لا يهدي القوم الفاسقين هداية موصلة إلى معرفة الحق أو إلى الجنة وإذ قال عيسى ابن
مريم يا بني إسرائيل ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لأنه لا نسب له فيهم إني رسول الله إليكم
مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا في حال تصديقي لما تقدمني من التوراة وتبشيري
برسول يأتي من بعدي والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى الإرسال لا الجار لأنه لغو
إذ هو صلة للرسول فلا يعمل برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
والمعنى ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه فذكر أول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون
والنبي الذي هو خاتم المرسلين فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين الإشارة
إلى ما جاء به أو إليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على أن الإشارة
إلى عيسى عليه السلام ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام أي لا أحد أظلم
ممن يدعى إلى الإسلام الظاهر حقيقته المقتضي له خير الدارين فيضع موضع إجابته الافتراء على الله
بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا فإنه يعم إثبات المنفي ونفي الثابت وقرئ يدّعي يقال
دعاه وادّعاه كلمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم إلى ما فيه
فلاحهم يريدون ليطفئوا أي يريدون أن يطفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى الإرادة
تأكيدا كما زيدت لما فيها من معنى الإضافة تأكيدا لها في لا أبا لك أو يريدون الافتراء ليطفئوا
نور الله يعني دينه أو كتابه أو حجته بأفواههم بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ غايته
بنشره وإعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالإضافة ولو كره الكافرون إرغاما
لهم هو الذي أرسل رسوله بالهدى بالقرآن أو المعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره

على الدين كله ليغلبه على جميع الاديان ولو كره المشركون لما فيه من محض التوحيد وابطال
الشرك يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرأ ابن عامر تنجّيكم بالتشديد
تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف مبين
للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جيء بلفظ
الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد ان كنتم تعلمون
ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه
بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل
تقبلون ان ادلكم وبعد جعله جواب هل ادلكم لان مجرد دلالته لا يوجب المغفرة
ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم
الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة
اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة
باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول
النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر
وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين امنوا وبشر او على
تؤمنون فانه في معنى الامر كانه قال امنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله
بما وعدتهم عليهما آجلا وعاجلا يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله وقرأ الحجازيان وابو عمرو
بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري
الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة
الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول
والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصارا كما كان الحواريون
انصارا حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به
وكانوا اثني عشر رجلا فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة اي بعيسى عليه السلام فايدنا
الذين امنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى ع فاصبحوا ظاهرين فصاروا
غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له
ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة مدنية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز
الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب
لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن رسولا منهم من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم
آياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم من خبائث العقائد والاعمال
ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن
له سواه معجزة لكفاه وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان

لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان
هي المخففة واللام تدل عليها وآخرين منهم عطف على الاميين او المنصوب في يعلمهم وهم
الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم لم
يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز في تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة الحكيم
في اختياره وتعليمه ذلك فضل الله ذلك الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضله يؤتيه
من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا
ونعيم الآخرة مثل الذين حملوا التورية علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا
ولم ينتفعوا بما فيها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحمل
حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا
بآيات الله اي مثل الذين كذبوا وهم اليهود المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه
ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوفا والله لا يهدي القوم الظالمين
قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس اذ كانوا يقولون نحن
اولياء الله واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار
الكرامة ان كنتم صادقين في زعمكم ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا من الكفر
والمعاصي والله عليم بالظالمين فيجازيهم على اعمالهم قل ان الموت الذي تفرون منه وتخافون
ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم لا تفوتونه لاحق
بكم والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكأن فرارهم يسرع لحوقه بهم وقد قرئ
بغير فاء ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة اي اذن لها
من يوم الجمعة بيان لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وكانت العرب تسميه
العروبة وقيل سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه لما قدم المدينة نزل قبا واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة
في دار لبني سالم بن عوف فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعي
دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلوة والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها و
ذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم خير لكم اي السعي الى ذكر الله خير لكم من المعاملة
فان نفع الآخرة خير وابقى ان كنتم تعلمون الخير والشر الحقيقيين او كنتم من اهل العلم
فاذا قضيت الصلوة اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله
اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفي الحديث وابتغوا من
فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله واذكروا
الله كثيرا واذكروه في مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلوة لعلكم تفلحون بخير
الدارين واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي انه عليه الصلوة والسلام كان

يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثنى عشر فنزلت وافراد التجارة
برد الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذى كانوا يستقبلون به العير
والترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته او للدلالة على ان
الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض
الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها واذا رأوا لهوا
انفضوا اليه وتركوك قائما اى على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن
التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما تتوهمون من نفعهما والله خير الرازقين فتوكلوا
عليه واطلبوا الرزق منه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة اعطى من الاجر عشر حسنات
بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها فى امصار المسلمين سورة المنافقين مدنية وآيها
احدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
لرسول الله الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق
المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب وشهادتهم
هذه فانها تجرى مجرى الحلف فى التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن القتل والسبى
فصدوا عن سبيل الله صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم
ذلك اشارة الى الكلام المتقدم اى ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال
المذكور من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بانهم امنوا بسبب انهم امنوا
ظاهرا ثم كفروا سرا او امنوا اذا رأوا اية ثم كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم شبهة
فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا فى الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا
يعرفون صحته واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها وصباحتها وان يقولوا تسمع
لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابى جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى جمع مثله فيعجب بهياكلهم ويصغى الى كلامهم كانهم خشب مسندة حال من الضمير
المجرور فى لقولهم اى تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى
كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهى الخشبة التى نخر جوفها شبهوا
بها فى حسن المنظر وقبح المخبر وقرأ ابو عمرو والكسائى وروى عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف
او على انه كبدن فى جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اى واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم
فعليهم ثانى مفعولى يحسبون ويجوز ان يكون صلته والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون
الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين
قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك
انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا
رؤسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك وقرأ نافع بتخفيف الواو ورأيتهم يصدون

يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم
ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم فى الكفر ان الله لا يهدى القوم الفاسقين
الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم فى الكفر والنفاق هم الذين يقولون اى للانصار
لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين ولله خزائن السموات
والارض بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روى ان اعرابيا نازع انصاريا فى
بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابى رأسه بخشبة فشكى الى ابن ابى فقال لا تنفقوا على
من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز منها الاذل عنى بالاعز
نفسه وبالاذل رسول الله وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن ونصب
الاعز والاذل على هذه القراآت مصدر او حال على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين
ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم
ولا اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلوة
وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة ولذلك
قال ومن يفعل ذلك اى اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم
الباقى بالحقير الفانى وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا للاخرة من قبل ان يأتى
احدكم الموت ان يرى دلائله فيقول رب لولا اخرتنى امهلتنى الى اجل قريب امد غير بعيد
فاصدق فاتصدق واكن من الصالحين بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء
وما بعده وقرأ ابو عمرو واكون منصوبا عطفا على اصدق وقرئ بالرفع على وانا اكون
فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها اذا جاء اجلها اخر عمرها والله خبير
بما تعملون فمجاز عليه وقرأ ابو بكر بالياء ليوافق ما قبله فى الغيبة عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق سورة التغابن مختلف فيها وقيل مكية وآيها
ثمانى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض بدلالته
على كماله واستغنائه له الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من
حيث الحقيقة وهو على كل شىء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم
شرع فيما ادعاه فقال هو الذى خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم
مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب
اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم فاحسن صوركم فصوركم
من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة
خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات واليه المصير فاحسنوا سرائركم حتى
لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله

عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا لان نسبة المقتضى
لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته
اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم يأتكم ايها الكفار
نبؤا الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا
واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ولهم عذاب
اليم في الآخرة ذلك اي المذكور من الوبال والعذاب بانه بسبب انه كانت تأتيهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا
والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى الله
عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده كل مخلوق
زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام
مقامهما ان بما في حيزه قل بلى اي بلى تبعثون وربي لتبعثن قسم اكده به ثم لتنبؤن بما
عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة
فآمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا يعني القرآن فانه باعجازه
ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير فمجاز عليه يوم يجمعكم
ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب والجزاء
والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء
منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على
ان التغابن الحقيقي هو التغابن في امور الآخرة لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي
عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرأ
نافع وابن عامر بالنون فيهما ذلك الفوز العظيم الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله
الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير كأنها والآية المتقدمة بيان للتغابن
وتفصيل له ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته ومن يؤمن بالله
يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل
وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمز اي يسكن والله بكل شيء عليم حتى القلوب
واحوالها واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين
اي فان توليتم فلا بأس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل
المؤمنون لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي ذلك يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم في امر الدين او الدنيا فاحذروهم
ولا تأمنوا غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك
التثريب عليها وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل

ما عملتم ويتفضل عليكم انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم لمن
آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي لهم فاتقوا الله ما استطعتم
اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا في وجوه
الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي افعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه
الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اي انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا
للاوامر ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا الله قرضا
حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب قلب يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة
واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور
يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء
العزيز الحكيم تام القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه
موت الفجاءة

سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او
لان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع
فيه فطلقوهن لعدتهن اي وقتها وهو الطهر فان اللام في الازمان وما يشبهها للتأقيت
ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار
وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون في الطهر وانه يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشيء
يستلزم النهي عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهي لا يستلزم الفساد كيف وقد صح
ان ابن عمر لما طلق امرأته حائضا امره عليه السلام بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا العدة
واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والاضرار بهن لا
تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن
اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها
السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله الا ان يأتين بفاحشة مبينة مستثنى من
الاول والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها او الا ان تزني فتخرج
لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة وتلك
حدود الله الاشارة الى الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان
عرضها للعقاب لا تدري اي لا تدري النفس او انت ايها النبي او المطلق لعل الله يحدث
بعد ذلك امرا وهو الرغبة في المطلقة برجعة او استئناف فاذا بلغن اجلهن شارفن
آخر عدتهن فامسكوهن بمعروف بحسن عشرة وانفاق مناسب او فارقوهن بمعروف
بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي
عدل منكم على الرجعة او الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا
اذا تبايعتم وعن الشافعي وجوبه في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة

خالصاً لوجهه ذلكم يريد الحث على الإشهاد والإقامة أو على جميع ما في الآية يوعظ به من
كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإنه المنتفع به والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجاً
ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحاً
أو ضمناً من الطلاق في الحيض والإضرار بالمعتدة وإخراجها من المسكن وتعدي حدود الله
وكتمان الشهادة وتوقع جعل على إقامتها بأن يجعل الله له مخرجاً مما في شأن الأزواج من المضايق
والغموم ويرزقه فرجاً وخلفاً من وجه لم يخطر بباله أو بالوعد لعامة المتقين بالخلاص
عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون أو كلام جيء به للاستطراد عند ذكر
المؤمنين وعنه صلى الله عليه وسلم إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال
يقرؤها ويعيدها وروي أن سالم بن عوف بن مالك الأشجعي أسره العدو فشكا أبوه إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله وأكثر لا حول ولا قوة إلا بالله ففعل فبينا هو
في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها ومن يتوكل
على الله فهو حسبه كافيه إن الله بالغ أمره يبلغ ما يريد ولا يفوته مراد وقرأ حفص
بالإضافة وقرئ بالغ أمره أي نافذ وبالغاً على أنه حال والخبر قد جعل الله لكل شيء قدراً
تقديراً أو مقداراً وأجلاً لا يتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من
تأقيت الطلاق بزمان العدة والأمر بإحصائها وتمهيد لما سيأتي من مقاديرها واللائي
يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن إن ارتبتم شككتم في عدتهن أي جهلتم فعدتهن ثلاثة أشهر
وقيل إنه لما نزل والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت
واللائي لم يحضن أي واللائي لم يحضن بعد كذلك وأولات الأحمال أجلهن منتهى عدتهن أن
يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن والمحافظة على عمومه أولى من
محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً لأن عموم أولات الأحمال بالذات
وعموم أزواجاً بالعرض والحكم معلل ههنا بخلافه ثم ولأنه صح أن سبيعة بنت الحارث وضعت
بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجي
ولأنه متأخر النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والأول راجح للوفاق
عليه ومن يتق الله في أحكامه فيراعي حقوقها يجعل له من أمره يسراً يسهل عليه أمره ويوفقه للخير
ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله في أحكامه فيراعي حقوقها يكفر عنه سيئاته فإن الحسنات
يذهبن السيئات ويعظم له أجراً بالمضاعفة أسكنوهن من حيث سكنتم أي مكاناً من سكناكم من وجدكم
من وسعكم أي مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ولا تضاروهن في السكنى
لتضيقوا عليهن فتلجئوهن إلى الخروج وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن
فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والأحاديث
تؤيده فإن أرضعن لكم بعد انقطاع علقة النكاح فآتوهن أجورهن على الإرضاع وأتمروا
بينكم بمعروف وليأمر بعضكم بعضاً بجميل في الإرضاع والأجر وإن تعاسرتم تضايقتم

فسترضع له أخرى امرأة أخرى وفيه معاتبة للأم على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته
ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله أي لينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه
وسعه لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها فإنه تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها وفيه تطييب
لقلب المعسر ولذلك وعده باليسر فقال سيجعل الله بعد عسر يسراً أي عاجلاً أو آجلاً وكأين
من قرية أي أهل قرية عتت عن أمر ربها ورسله أعرضت عنه إعراض العاتي المعاند فحاسبناها
حساباً شديداً بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذاباً نكراً منكراً والمراد حساب الآخرة
وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق فذاقت وبال أمرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان
عاقبة أمرها خسراً لا ربح فيه أصلاً أعد الله لهم عذاباً شديداً تكرير للوعيد وبيان لما يوجب
التقوى المأمور به في قوله فاتقوا الله يا أولي الألباب ويجوز أن يكون المراد بالحساب استقصاء
ذنوبهم وإثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما أصيبوا به عاجلاً الذين آمنوا قد أنزل الله
إليكم ذكراً رسولاً يعني بالذكر جبريل لكثرة ذكره أو لنزوله بالذكر وهو القرآن أو لأنه مذكور
في السموات أو ذا ذكر أي شرف أو محمداً صلى الله عليه وسلم لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه وعبر
عن إرساله بالإنزال ترشيحاً أو لأنه مسبب عن إنزال الوحي إليه وأبدل عنه رسولاً للبيان أو أراد
القرآن ورسولاً منصوب بمقدر مثل أرسل أو ذكراً والرسول مفعوله أو بدله على أنه بمعنى الرسالة
يتلو عليكم آيات الله مبينات حال من اسم الله أو صفة رسولاً والمراد بالذين ليخرج الذين آمنوا
وعملوا الصالحات أي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الإيمان والعمل الصالح أو ليخرج من علم أو قدر
أنه يؤمن من الظلمات إلى النور من الضلالة إلى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري
من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون قد أحسن الله له رزقاً
فيه تعجيب وتعظيم لما رزقوا من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدأ وخبر ومن الأرض
مثلهن أي وخلق مثلهن في العدد من الأرض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الأمر بينهن
أي يجري أمر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله
قد أحاط بكل شيء علماً علة لخلق أو يتنزل أو مضمر يعمهما فإن كلاً منهما يدل على كمال قدرته
وعلمه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي لم تحرم
ما أحل الله لك روي أنه صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة أو حفصة فاطلعت على
ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلاً عند حفصة فواطأت عائشة
وسودة وصفية فقلن له إنا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغي مرضات أزواجك
تفسير لتحرم أو حال من فاعله أو استئناف ببيان الداعي إليه والله غفور لك هذه الزلة
فإنه لا يجوز تحريم ما أحل الله رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك
قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة أو
الاستثناء فيها بالمشية حتى لا يحنث من قولهم حلل في يمينه إذا استثنى فيها واحتج به من رأى

التحريم مطلقا او تحريم المرأة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه
يمينا مع احتمال انه عليه السلام اتى بلفظ اليمين كما قيل والله موليكم متولي امركم وهو العليم بما
يصلحكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه واذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا
تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده لابي بكر وعمر رضي الله عنهما فلما نبأت به اي فلما
اخبرت حفصة عائشة بالحديث واظهره الله عليه واطلع النبي صلى الله عليه وسلم على الحديث اي
على افشائه عرف بعضه عرف الرسول صلى الله عليه وسلم حفصة بعض ما فعلت واعرض عن
بعض عن اعلام بعض تكرما او جازاها على بعضه بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده
قراءة الكسائي بالتخفيف فانه لا يحتمل هاهنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب للسبب
والمخفف بالعكس ويؤيد الاول قوله فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير
فانه اوفق للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة
فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالفة الرسول
صلى الله عليه وسلم بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وان تظاهرا عليه وان تتظاهرا عليه بما يسوؤه
وقرأ الكوفيون بالتخفيف فان الله هو موليه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم من يظاهره
من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن
صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه
والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة وقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة
من جملة ما ينصره الله به عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن على التغليب او
تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن لان تعليق
طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرأ نافع وابو عمرو
يبدله بالتخفيف مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات مصليات
او مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول صلى
الله عليه وسلم سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح في النهار بلا زاد او مهاجرات
ثيبات وابكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات
على الثيبات والابكار يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات
واهليكم بالنصح والتأديب وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين
على تغليب المخاطبين فيما مضى نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بها اتقاد
غيرها بالحطب عليها ملائكة تلي امرها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال
شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون
الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل او لا يمتنعون عن قبول
الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما
تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن الاعتذار لانه لا عذر

لهم او العذر لا ينفعهم يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا بالغة في النصح
وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازي مبالغة او في
النصاحة وهي الخياطة كانها تنصح ما خرق الذنب وقرأ ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى
النصح كالشكر والشكور او النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا
او توبوا نصوحا لانفسكم وسئل علي رضي الله عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضي
من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان
لا تعود وان تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية عسى ربكم ان يكفر عنكم
سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك
واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجب وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزي الله
النبي ظرف ليدخلكم والذين امنوا معه عطف على النبي احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل
مبتدأ خبره نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اي على الصراط يقولون اذا طفئ انوار
المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير وقيل تتفاوت
انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه
ومأواهم جهنم وبئس المصير جهنم او مأواهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت
لوط مثل الله حالهم في انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين يريد به تعظيم نوح ولوط
فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئا فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج
اغناء ما وقيل ادخلا اي لهما عند موتهما او يوم القيمة النار مع الداخلين مع سائر الداخلين
من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأت فرعون شبه
حالهم في ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال اسية ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعدى اعداء
الله اذ قالت ظرف للمثل المحذوف رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في
اعلى درجات المقربين ونجني من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة وعمله السيئ ونجني من القوم
الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنت عمران عطف على امرأة فرعون تسلية
للارامل التي احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقرئ فيها اي في مريم او الحمل
من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما
اوحى الى انبيائه وكتبه ما كتب في اللوح او جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين
وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى والانجيل وكانت من القانتين من عداد
المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال
الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فتكون من ابتدائية عن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من
الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع اسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنت عمران و

ابنة خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام
وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا سورة الملك مكية
وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر وآيها ثلثون بسم الله الرحمن الرحيم
تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته التصرف في الأمور كلها وهو على كل شيء قدير
على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت والحيوة قدرهما أو أوجد الحيوة وأزالها حسبما قدره
وقدم الموت لقوله وكنتم أمواتا فأحياكم ولأنه أدعى إلى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة
المختبر بالتكليف أيها المكلفون أيكم أحسن عملا أصوبه وأخلصه وجاء مرفوعا أحسن عقلا
وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا للفعل البلوى المتضمن
معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لأنه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف
ما إذا وقعت موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل الغفور لمن
تاب منهم الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل
إذا خصفتها طبقا على طبق وصف به أو طوبقت طباقا أو ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال
أو طبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقرأ حمزة والكسائي من تفوت و
معناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فإن كلا من
المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير
للتعظيم والإشعار بأنه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وأن في إبداعها
نعما جليلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل مخاطب وقوله فارجع
البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب أي قد نظرت إليها مرارا فانظر إليها مرة
أخرى متأملا فيها لتعاين ما أخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي
لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره إذا شقه ثم ارجع البصر كرتين أي رجعتين
أخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك و
لذلك أجاب الأمر بقوله ينقلب إليك البصر خاسئا بعيدا عن إصابة المطلوب كأنه طرد
طردا بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا السماء
الدنيا أقرب السموات إلى الأرض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل إضاءة السرج فيها ولا
يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في سموات فوقها إذ التزيين بإظهارها عليها والتنكير
للتعظيم وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة أخرى وهي رجم أعدائكم
بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الإنس
وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به وأعتدنا لهم عذاب
السعير في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم من الشياطين
وغيرهم عذاب جهنم وبئس المصير وقرئ بالنصب على أن للذين عطف على لهم وعذاب
على عذاب السعير إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهي تفور تغلي

بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها
بهم ويجوز أن يراد غيظ الزبانية كلما ألقي فيها فوج جماعة من الكفرة سألهم خزنتها ألم يأتكم
نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا
ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير أي فكذبنا الرسل وأفرطنا في التكذيب حتى
نفينا الإنزال والإرسال رأسا وبالغنا في نسبتهم إلى الضلال فالنذير إما بمعنى الجمع
لأنه فعيل أو مصدر مقدر بمضاف أي أهل إنذار أو منعوت به للمبالغة أو الواحد والخطاب
له ولأمثاله على التغليب أو إقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل أو على أن المعنى قالت الأفواج
قد جاء إلى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز أن يكون الخطاب من كلام الزبانية
للكفار على إرادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا أو عقابه الذي يكونون فيه
وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم
بالمعجزات أو نعقل فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في أصحاب السعير في عدادهم
ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف إقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لأنه
في الأصل مصدر أو المراد به الكفر فسحقا لأصحاب السعير فأسحقهم الله سحقا أي أبعدهم من
رحمة الله والتغليب للإيجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل إن الذين يخشون ربهم
بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد أو غائبين عنه أو عن أعين الناس أو بالمخفي
منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير تصغر دونه لذائذ الدنيا وأسروا قولكم أو
اجهروا به إنه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل أن يعبر عنها سرا أو جهرا ألا يعلم من خلق ألا يعلم
السر والجهر من أوجد الأشياء حسبما قدرته حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه إلى ما ظهر من
خلقه وما بطن أو ألا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي أن يكون
ليعلم مفعول ليفيد روي أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء فيخبر الله به رسوله
فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد صلى الله عليه وسلم فنبه الله على جهلهم هو الذي جعل لكم الأرض
ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها في جوانبها أو جبالها وهو مثل لفرط
التذليل فإن منكب البعير ينبو عن أن يطأه الراكب ولا يتذلل له فإذا جعل الأرض في الذل
بحيث يمشى في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله وإليه النشور
المرجع فيسألكم عن شكر ما أنعم عليكم أأمنتم من في السماء يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا
العالم أو الله تعالى على تأويل من في السماء أمره وقضاؤه أو على زعم العرب فإنهم زعموا أنه
في السماء وقرأ ابن كثير وأمنتم بقلب الهمزة الأولى واوا لانضمام ما قبلها وأأمنتم بقلب الثانية
ألفا وهو قراءة نافع برواية ورش ورويس أن يخسف بكم الأرض فيغيبكم فيها كما فعل
بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال فإذا هي تمور تضطرب والمور
التردد في المجيء والذهاب أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا أن يمطر عليكم حصباء
فستعلمون كيف نذير كيف إنذاري إذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد

كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير إنكاري عليهم بإنزال العذاب وهو تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم
وتهديد لقومه أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها فإنهن
إذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار
به على التحرك ولذلك عدل به إلى صيغة الفعل للتفرقة بين الأصيل في الطيران والطارئ عليه ما يمسكهن
في الجو على خلاف الطبع إلا الرحمن الشامل رحمته كل شيء بأن خلقهن على أشكال وخصائص
هيأتهن للجري في الهواء إنه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب أمن هذا الذي
هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله أولم يروا على معنى أولم ينظروا في أمثال هذه
الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وإرسال حاصب أم لكم جند ينصركم من
دون الله إن أرسل عليكم عذابه فهو كقوله أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا إلا أنه أخرج مخرج
الاستفهام عن تعيين من ينصرهم إشعارا بأنهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره
والذي بصلته صفته وينصركم وصف جند محمول على لفظه إن الكافرون إلا في غرور لا معتمد
لهم أمن هذا الذي يرزقكم أم من يشار إليه ويقال هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه
بإمساك المطر وسائر الأسباب المحصلة والموصلة له إليكم بل لجوا تمادوا في عتو في عناد و
نفور وشراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى يقال كببته فأكب
وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فأقشع والتحقيق أنهما من باب انفعل بمعنى صار ذا كب وذا
قشع وليسا مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا أنه يعثر كل
ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف أجزائه ولذلك قابله بقوله أمن يمشي سويا
قائما سالما من العثار على صراط مستقيم مستوي الأجزاء أو الجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد
بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك للإشعار
بأن ما عليه المشرك لا يستأهل أن يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان متعاد غير مستو وقيل
المراد بالمكب الأعمى فإنه يتعسف فينكب وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر
على وجهه إلى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه إلى الجنة قل هو الذي أنشأكم و
جعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والأبصار لتنظروا صنائعه والأفئدة لتتفكروا و
تعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما خلقت لأجلها قل هو الذي ذرأكم في الأرض
للجزاء وإليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد أي الحشر أو ما وعدوا من الخسف والحاصب
إن كنتم صادقين يعنون النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قل إنما العلم أي علم وقته عند الله
لا يطلع عليه غيره وإنما أنا نذير مبين والإنذار يكفي له العلم بل الظن بوقوع المحذر منه
فلما رأوه أي الوعد فإنه بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة أي قرب منهم سيئت وجوه الذين
كفروا بأن علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب وقيل هذا الذي كنتم به تدعون تطلبون
وتستعجلونه تفتعلون من الدعاء أو تدعون أن لا بعث فهو من الدعوى قل أرأيتم إن
أهلكني الله أماتني ومن معي من المؤمنين أو رحمنا بتأخير آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم

أي لا ينجيهم أحد من العذاب متنا أو بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو
الرحمن الذي أدعوكم إليه مولى النعم كلها آمنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق عليه
والعلم بأن غيره بالذات لا يضر ولا ينفع فستعلمون وتقديم الصلة للتخصيص [illegible]
فستعلمون من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرأ الكسائي بالياء قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا
غائرا في الأرض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به فمن يأتيكم بماء معين جار أو ظاهر
سهل المأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيى ليلة القدر

سورة ن مكية وآيها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم ن من أسماء الحروف
وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس أو اليهموت وهو الذي عليه الأرض أو الدواة فإن بعض
الحيتان يستخرج منه شيء أشد سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الأول سكونه وكتبته بصورة
الحرف والقلم هو الذي خط اللوح أو الذي يخط به أقسم به لكثرة فوائده وأخفى ابن عامر
والكسائي ويعقوب النون إجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فإن النون الساكنة تخفى مع
حروف الفم إذا اتصلت بها وقد روي ذلك عن نافع وعاصم وقرئ بالفتح والكسر كصاد وما
يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الأول على التعظيم أو بالمعنى الثاني على إرادة الجنس
وإسناد الفعل إلى الآلة وإجراؤه مجرى أولي العلم لإقامته مقامه أو لأصحابه أو الحفظة و
ما مصدرية أو موصولة ما أنت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما أنت بمجنون منعما
عليك بالنبوة وحصافة الرأي والعامل في الحال معنى النفي وقيل بمجنون والباء لا تمنع
عمله فيما قبله لأنها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى وإن لك لأجرا على الاحتمال أو الإبلاغ غير ممنون
مقطوع أو ممنون به عليك من الناس فإنه تعالى يعطيك بلا توسط وإنك لعلى خلق عظيم
إذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله أمثالك وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت كان خلقه
القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون أيكم
الذي فتن بالجنون والباء مزيدة أو بأيكم الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أو
بأي الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا
الاسم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة وهو أعلم بالمهتدين
الفائزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم ودوا لو تدهن
تلاينهم بأن تدع نهيهم عن الشرك أو توافقهم فيه أحيانا فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن
والموافقة والفاء للعطف أي ودوا التداهن وتمنوه لكنهم أخروا إدهانهم حتى تدهن أو
للسببية أي ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ أو ودوا إدهانك فهم الآن يدهنون طمعا
فيه وفي بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمني ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل
مهين حقير الرأي من المهانة وهي الحقارة هماز عياب مشاء بنميم نقال للحديث على وجه
السعاية مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الإيمان والإنفاق والعمل الصالح معتد
متجاوز في الظلم أثيم كثير الإثم عتل جاف غليظ من عتله إذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك

بعد ما عتل من مثالبه زنيم دعى ملحق من زنمتى الشاة وهما المتدليتان من اذنها وحلقها
قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق
اصله من ثقيف وعداده فى زهرة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير
الاولين اى قال ذلك حينئذ لان كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل
مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع اى لا تطع
من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر أأن كان على
الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اى الان كان ذا مال كذب او اتطيعه
لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى فى النهى عن الطاعة كالتعليل بالفقر
فى النهى عن قتل الاولاد او ان شرط للمخاطب اى لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع للغنى
فكانه شرطه فى الطاعة سنسمه بالكى على الخرطوم على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة
يوم بدر فبقى اثره وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم
انفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيمة انا بلوناهم بلونا
اهل مكة بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين وكان
لرجل صالح وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل او القته الريح او بعد
من البساط الذى يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل
ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال اذ اقسموا
ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين فى الصباح ولا يستثنون ولا يقولون
ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه
او لان معنى لا نخرج ان شاء الله ولا نخرج الا ان يشاء الله واحد او ولا يستثنون حصة المساكين
كما كان يخرج ابوهم فطاف عليها على الجنة طائف بلاء طائف من ربك مبتدأ منه وهم نائمون
فاصبحت كالصريم كالبستان الذى صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شئ فعيل بمعنى مفعول او
كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم لان كلا
منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم اى اخرجوا او ان
اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال او لتشبيه الغدو للصرام
بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء ان كنتم صارمين قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون
يتشاورون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها
اليوم عليكم مسكين ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن
الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين
وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا
منعت درها والمعنى انهم عزموا على ان يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون
فيها الا على النكد او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع

وقيل

وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ بالتحريك اى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون
وقيل القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اى غدوا الى
جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فلما رأوها اول ما رأوها قالوا
انا لضالون طريق جنتنا وما هى بها فلما تأملوا قالوا بل نحن اى بعد ما تأملوا وعرفوا انها هى محرومون
حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم رأيا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا
تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا
سبحان ربنا انا كنا ظالمين او لولا تستثنون فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما فى
التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجرى فى ملكه ما لا يريد فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم
بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم
انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها
ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روى انهم ابدلوا خيرا منها وقرأ نافع وابو عمرو
يبدلنا بالتشديد انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او
لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب
فى الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب
ان للمتقين عند ربهم اى فى الاخرة او فى جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا
التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح
انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا
ما لكم كيف تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر
واعوجاج رأى ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم
ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جئ باللام كسرت ويجوز
ان يكون حكاية للمدروس او استينافا وتخير الشئ واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا
عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية فى التوكيد وقرئ بالنصب على الحال والعامل فيها احد
الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها
حتى نحكمكم فى ذلك اليوم او ببالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم ان لكم لما تحكمون جواب القسم
لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه
ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم فى هذا القول فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين
فى دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه فى هذه الايات على نفى جميع ما يمكن ان يتشبثوا به
من عقل او نقل يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر
وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين فى الاخرة كانه لما نفى
ان تكون التسوية من الله نفى بهذا ان تكون مما يشركون يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر
ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال حاتم

اخوا الحرب ان عضت بها الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا او يوم يكشف
عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الانسان
وتنكيره للتهويل او التعظيم وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل وللمفعول والفعل للساعة
او الحال ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيمة او يدعون الى
الصلوات لاوقاتها ان كان وقت النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته او زوال القدرة
عليه خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة يلحقهم ذل وقد كانوا يدعون الى السجود في الدنيا
او زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه مزاحو العلل فيه فذرني ومن يكذب بهذا الحديث
كله الى فانى اكفيكه سنستدرجهم سنستدنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة
الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا
لهم على المؤمنين واملى لهم وامهلهم ان كيدى متين لا يدفع بشيء وانما سمى انعامه استدراجا
بالكيد لانه في صورته ام تسألهم اجرا على الارشاد فهم من مغرم من غرامة مثقلون بحملها
فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به
عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت
يونس اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملو غيظا في الضجرة فتبتلى ببلائه لولا ان
تداركه نعمة من ربه يعنى التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته
وتداركه اى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء
بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها
الجواب لانها المنفية دون النبذ فاجتباه ربه بان رد الوحى اليه او استنباه ان صح انه
لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل
ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال والاية نزلت حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد الذين
كفروا ليزلقونك بابصارهم ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم
ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك ويرمونك او يهلكونك من قولهم
نظر الي نظرا يكاد يصرعني اى لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك
بالعين اذ روى انه كان في بنى اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون
من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك
اى ليهلكونك لما سمعوا الذكر اى القرآن اى ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون
انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه لاجل القرآن بين
انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رأيا عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة اى الساعة او الحالة التى يحق وقوعها او التى تحق فيها الامور اى تعرف حقيقتها
او يقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازى وهى مبتدأ خبرها ما
الحاقة واصله ما هى اى اى شيء هى على التعظيم لشأنها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع
المضمر لانه اهول لها وما ادراك ما الحاقة واى شيء اعلمك ما هى اى انك لا تعلم كنهها
فانها اعظم من ان تبلغها دراية احد وما مبتدأ وادراك خبره كذبت ثمود وعاد بالقارعة
بالحالة التى تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتشار وانما وضعت
موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة
المجاوزة للحد في الشدة وهى الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم
بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا
بريح صرصر شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر عاتية شديدة العصف كانها
عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا ردها سخرها عليهم
سلطها عليهم بقدرته وهو استيناف او صفة جيء به لنفى ما يتوهم من انها كانت من اتصالات
فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب سبع ليال وثمانية ايام حسوما متتابعات
جمع حاسم من حسمت الداء اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستأصلته
او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او
المصدر لفعله المقدر حالا اى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهى كانت ايام العجوز
من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا
من عاد توارت في سرب فانتزعها الريح في الثامن فاهلكتها فترى القوم ان كنت حاضرهم
فيها في مهابها او في الليالى والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اصول نخل
خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية من بقية او نفس باقية او بقاء كالطاغية
وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائى ومن قبله اى ومن عنده من اتباعه ويدل
عليه انه قرئ ومن معه والمؤتفكات قرى قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة بالخطاء
او بالفعلة او الافعال ذات الخطاء فعصوا رسول ربهم اى فعصى كل امة رسولها
فاخذهم اخذة رابية زائدة في الشدة زيادة اعمالهم في القبح انا لما طغى الماء جاوز
حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد ومن قبله حملناكم اى آباءكم
وانتم في اصلابهم في الجارية في سفينة نوح لنجعلها لكم لنجعل الفعلة وهى انجاء المؤمنين
واغراق الكافرين تذكرة عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته
وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعى ان تحفظ الشيء
في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك اذن واعية من شأنها ان تحفظ ما يجب حفظه
بتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شأنه

مع قلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة لما بالغ في تهويل القيمة وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشانها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقييده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا لان الدك سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها وارض دكاء للمتسعة المستوية فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيمة وانشقت السماء لنزول الملائكة فهي يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس المتعارف بالملك على ارجائها جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية لانها في نية التقديم يومئذ ثمانية ثمانية املاك لما روي مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليعرف احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية سريرة على الله تعالى حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة في العدل او على الناس كما قال تعالى يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائي بالياء للفصل فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها ها يا رجل وها يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب الوقف لثباتها في الامام ولذلك قرئ باثباتها في الوصل اني ظننت اني ملاق حسابيه اي علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر دانية يتناولها القاعد

كلوا واشربوا باضمار القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا اي اكلا وشربا هنيئا او هنيتم هنيئا بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله فيقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية القاطعة لامري فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي لانه صادفها امر من الموت فتمناه عندها او يا ليت حيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه مالي من المال والتبع وما نفي والمفعول محذوف او استفهام انكار مفعول لاغنى وقرأ حمزة عني مالي وعني سلطاني محذوف الهائين في الوصل ولياء باثباتهما في الحالين هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا خذوه يقول الله تعالى لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا اي طويلة فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينها في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على طريقة الاستيناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا يأكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا من الخطاء المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستأنف بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها انه اي القرآن لقول رسول يبلغه عن الله فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله وهو محمد او جبريل عليهما السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا بقول كاهن كما تزعمون اخرى قليلا ما تذكرون تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين نزله على

لسان جبريل عليه السلام ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف
والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه
باليمين بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه
بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف و
يضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين
وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس وانه وان القرآن لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون
وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا
ثواب المؤمنين به وانه لحق اليقين لليقين الذى لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله
بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل بعذاب واقع اى دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك
عدى الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء
او الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل بعذابهم وقرأ نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال
على لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب
او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى
سال واد بعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو قتل بدر او فى الآخرة وهو
النار للكافرين صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب
كان جوابا والباء على هذا لتضمن سال معنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق
ارادته به ذى المعارج ذى المصاعد وهى الدرجات التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح
او يترقى فيها المؤمنون فى سلوكهم او فى دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة
يعرجون فيها تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة استيناف لبيان
ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها فى
زمان لكان فى زمان يقدر بخمسين الف سنة من سنى الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة و
الروح الى عرشه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان
فيها لو فرض لان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان
ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد
من السموات السبع والكرسى والعرش كذلك وحيث قال فى يوم كان مقداره الف سنة يريد
زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل فى يوم متعلق بواقع او سال اذا
جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من
الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبريل وافراده لفضله او خلق اعظم

من الملائكة وقرأ الكسائى يعرج بالياء فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب قلب
وهو متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء او تعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء
للنصر او بسال لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه
الضمير للعذاب او ليوم القيمة بعيدا من الامكان ونريه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء
كالمهل ظرف لقريبا اى يمكن يوم تكون او لمضمر دل عليه واقع او بدل عن فى يوم ان علق به كالمهل
كالذائب فى مهل كالفلزات او دردى الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف
المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش
اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يسأل
على بناء المفعول اى لا يطلب من حميم حميم او لا يسأل منه حاله يبصرونهم استيناف او حال تدل
على ان المانع عن السؤال التشاغل دون الخفاء او ما يغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض
الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته
واخيه حال من احد الضميرين او استيناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان
يفتدى باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرأ نافع والكسائى
يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب بالتنوين ونصب يومئذ به لانه بمعنى تعذيب وفصيلته وعشيرته التى
فصل عنهم التى تؤويه تضمه فى النسب او عند الشدائد ومن فى الارض جميعا من الثقلين والخلائق
ثم ينجيه عطف على يفتدى اى ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة
على ان الافتداء لا ينجيه انها الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل او للشان ولظى
مبتدأ خبره نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب وقرأ
حفص نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى
الاطراف او جمع شواة وهى جلدة الرأس تدعو تجذب وتحضر كقول ذى الرمة تدعو انفه الريب
مجاز عن جذبها واحضارها لمن فرعنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تهلك من قولهم دعاه الله
اذا اهلكه من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع فاوعى وجمع المال فجعله فى وعاء
وكنزه حرصا وتأميلا ان الانسان خلق هلوعا شديد الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر الضر
جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير السعة منوعا يبالغ فى الامساك والاوصاف الثلاثة احوال
مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا
الا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعدها من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل
لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق
والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة من الانهماك
فى حب العاجل وقصور النظر عليها الذين هم على صلاتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل
والذين فى اموالهم حق معلوم كالزكوات والصدقات الموظفة للسائل الذى يسأل والمحروم
والذى لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم وهو

ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين والذين هم من
عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم ان عذاب ربهم غير مأمون اعتراض يدل
على انه لا ينبغي لاحد ان يأمن من عذاب الله وان بالغ في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين سبق في سورة المؤمنين فمن ابتغى وراء
ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم
قائمون حافظون وقرأ ابن كثير لامانتهم يعني لا يخفون ولا ينكرون ولا يخفون ما علموه
من حقوق الله وحقوق العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع والذين هم على
صلوتهم يحافظون فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلوة و
وصفهم بها اولا واخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلات
مبالغات لا تخفى اولئك في جنات مكرمون بثواب الله فما للذين كفروا قبلك حولك مهطعين
مسرعين عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو كان كل
فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم
حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو
لقولهم لو صح ما يقوله لنكون فيها افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع لهم عن هذا الطمع
انا خلقناهم مما يعلمون وما بعده الى اخر السورة تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة
لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها
او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ في
منازل الكاملين او الاستدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على
فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون
على ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم ونأتي بخلق جديد امثل منهم او نعطي محمدا صلى الله عليه وسلم
بدلكم من هو خير منكم وهم الانصار وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا فذرهم يخوضوا
ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون مر في اخر الطور يوم يخرجون من الاجداث سراعا
مسرعين جمع سريع كانهم الى نصب منصوب للعبادة او علم يوفضون يسرعون وقرأ ابن عامر
وحفص نصب بضم النون والصاد والباقون بفتح النون واسكان الصاد وقرئ بضم النون واسكان
الصاد على انه تخفيف نصب وجمع خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تغشيهم ذلك اليوم
الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه
الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون **سورة نوح مكية وآيها تسع او ثمان**
وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر
اي بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول و
قرئ بغير ان على ارادة القول قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم عذاب الاخرة او الطوفان
قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون مر في الشعراء نظيره وفي

ان يحتمل الوجهين يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا
يؤاخذكم به في الاخرة ويؤخركم الى اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة
ان اجل الله ان الاجل الذي قدره الله تعالى اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء
الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا في اوقات الامهال والتأخير لو كنتم تعلمون لو كنتم
من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب الحيوة كانهم شاكون في
الموت قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي دائما فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان
والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم ايمانا واني كلما
دعوتهم الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في اذانهم سدوا مسامعهم عن استماع
الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر الي من فرط كراهة
دعوتي او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا اكبوا على الكفر و
المعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا عن اتباعي
استكبارا عظيما ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم
مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اي وجه امكنني وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ
من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر
لانه احد نوعي الدعاء او صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى
مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا للتائبين وكانهم لما امرهم
بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من
عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو اوقع
في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة
واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء
عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك
شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء يحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور
يستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا
لا تأملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونوا على حال تأملون فيها تعظيمه اياكم
ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانما
عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال مقررة للانكار
من حيث انها موجبة للرجاء فانه خلقهم اطوارا اي تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات
تغذي الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأهم خلقا
اخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة
تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من ايات الافاق فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات
طباقا وجعل القمر فيهن نورا اي في السموات وهو في السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من

الملابسة وجعل الشمس سراجا مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل على وجه الارض كما يزيلها السراج
عما حوله والله انبتكم من الارض نباتا انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه ادل على
الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة
الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول
دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا
تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ
قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا
واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة
خسارهم في الآخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموال واولاد ادت بهم الى
الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن
والحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا
كبيرا في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس
على اذى نوح وقالوا لا تذرن آلهتكم اي عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث
ويعوق ونسرا ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما
ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان ود لكلب و
سواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا
ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء او للاصنام
كقوله انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على رب انهم عصوني ولعل المطلوب
هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين في
ضلال وسعر مما خطيئاتهم من اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ ابو عمرو مما خطاياهم
اغرقوا بالطوفان فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد
بما بين الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط
او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله
انصارا تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون الله لا تقدر على نصرهم وقال نوح رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا اي احدا وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار او الدور
واصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا
عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرأ احوالهم الف سنة الا
خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم رب اغفر لي ولوالدي لمك بن متوشلخ وشمخاء
بنت انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتي منزلي او مسجدي او سفينتي مؤمنا وللمؤمنين
والمؤمنات الى يوم القيامة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي وقرئ احي واصله وحي من وحى اليه فقلبت الواو
لضمتها ووحي على الاصل وفاعله انه استمع نفر من الجن والنفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن
اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل
نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم ما رآهم ولم يقرأ عليهم
وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم
فقالوا انا سمعنا قرآنا كتابا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه
وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به بالقرآن
ولن نشرك بربنا احدا على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد وانه تعالى جد ربنا
قرأه ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده الا قوله
ان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر
الا في قوله وانه لما قام على انه استئناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء
على ان ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه
جد ربنا اي عظمته من جد فلان في عيني اذا عظم او سلطانه او غناه مستعار من الجد الذي
هو البخت والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقوله
ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد بالكسر اي صدق ربوبيته كانهم
سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد لله تعالى
وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو
شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى وانا ظننا ان لن تقول
الانس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم السفيه في ذلك بظنهم ان احدا لا يكذب
على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اي قولا مكذوبا فيه ومن
قرأ لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من
الانس يعوذون برجال من الجن فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي
من شر سفهاء قومه فزادوهم فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا او فزاد الجن
الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق في الاصل غشيان الشيء وانهم وان الانس
ظنوا كما ظننتم ايها الجن او بالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استئناف كلام
من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به ان لن يبعث الله احدا سادة مسد مفعولي ظنوا
وانا لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال
لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم جمع
كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضيء المتولد
من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة
للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع الآن يجد له شهابا

رصدا اي شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين
على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة
السماء ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار ومنا دون ذلك
قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون كنا طرائق ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق
في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا
ظننا علمنا ان لن نعجز الله في الارض كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هربا ان طلبنا
وانا لما سمعنا الهدى اي القران امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف
والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به بخسا ولا رهقا نقصا في الجزاء ولا ان يرهقه
ذلة او جزاء نقص لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان من حق الايمان بالقران ان يجتنب
ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة
فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون
فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا اي ان الشان
لو استقام الجن والانس او كلاهما على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا على الطريقة المثلى
لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة
وعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام
الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القران لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم
لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانه ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او
وحيه يسلكه يدخله وقراه غير الكوفيين بالنون عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب ويغلبه
مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره
ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها
لانها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان
المراد النهي عن السجود لغير الله وآرابه السبعة او السجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله
اي النبي وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضي
لقيامه يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا
مما راوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال
امره وهو جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام
جمع لبدة وهي لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود قال انما ادعو ربي
ولا اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتي وقرا
عاصم وحمزة قل على الامر للنبي ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا
او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الاخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين قل
اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا او ملتجأ الا بلاغا

من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة
او من ملتحدا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا
ومن الله صفته فان صلته عن كقوله بلغوا عني ولو آية ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد
اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاؤه ان خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى
حتى اذا راوا ما يوعدون في الدنيا كوقعة بدر او في الاخرة والغاية لقوله يكونون عليه
لبدا بالمعنى الثاني او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار فسيعلمون من اضعف
ناصرا واقل عددا هو او هم قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية تطول
مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا راوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن
لا محالة ولكن لا ادري وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا اي
على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى لعلمه ببعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن واستدل
به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط وكرامات
الاولياء على المغيبات انما تكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على احوال الاخرة بتوسط الانبياء
فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه من بين يدي المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف
الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اي ليعلم النبي الموحى اليه ان قد ابلغ جبريل والملائكة
النازلون بالوحي او ليعلم الله ان قد ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم
كما هي محروسة عن التغيير واحاط بما لديهم بما عند الرسل واحصى كل شيء عددا حتى القطر والرمل
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة او عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل
اصل المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاء وقد قرئ به وبالمزمل بتخفيف
الزاء مفتوحة الميم ومكسورتها اي الذي زمله غيره او زمل نفسه سمي به النبي صلى الله عليه وسلم
تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدء الوحي متزملا في قطيفة او تحسينا
له اذ روي انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي متلففا ببقية مرط مفروش على عائشة رض فنزل
او تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل
الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة قم الليل اي قم الى الصلوة او داوم عليها وقرئ بضم الميم
وبفتحها للاتباع والتخفيف الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه الاستثناء من الليل
ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين
والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل من
النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف
والتخيير بين ان يقوم اقل منه على البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر او
الاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه
ورتل القران ترتيلا اقراه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم

تغر ورتل وزن تل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القران فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراض يسهل عليه التكليف بالتهجد ويدل على انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتامل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة رضي الله عنها رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستانف فان التهجد يعد للنفس ما به تعالج ثقله ان ناشئة الليل ان النفس التي تنشا من مضجعها الى العبادة من نشا من مكانه اذا نهض قال نشانا الى خوص برى نيها السرى والصق منها مشرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التي تنشا بالليل اي تحدث او ساعات الليل من نشات اذا ابتدات لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول هي اشد وطا اي كلفة او ثبات قدم وقرا ابو عمرو وابن عامر وطاء اي مواطاة القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا تقلبا في مهامك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قران ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهن ارمزه ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا رب المشرق والمغرب خبر محذوف او مبتدا خبره لا اله الا هو وقرا ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليل فان توحده بالالوهية يقتضي ان توكل اليه الامور واصبر على ما يقولون من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امرهم الى الله كما قال وذرني والمكذبين دعني واياهم وكل الي امرهم فان بي غنية عنك في مجازاتهم اولي النعمة ارباب التنعم يريد صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا او امهالا ان لدينا انكالا تعليل للامر والانكال القيود الثقيلة وجحيما لطعاما ذا غصة طعاما ينشب في الحلق كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا اخر من العذاب مولما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيه الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلي انوار القدس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف لما في لدينا انكالا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا كانه

فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل هيله اذا نثره انا ارسلنا اليكم رسولا يا اهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بالاجابة والامتناع كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرى لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون انفسكم ان كفرتم بقيتم على كفركم يوما يجعل الولدان شيبا من شدة هوله وهذا على الفرض والتمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصفا لليوم بالطول السماء منفطر منشق والتذكير على تاويل السقف او اضمار شيء به بشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للالة كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه الايات الموعدة تذكرة عظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي يتقرب اليه بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشيء اقل بعدا منه وقرا هشام ثلثي الليل بسكون اللام وقرا ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله فان تقديم اسمه مبتدا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله علم ان لن تحصوه لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقرؤا ما تيسر من القران فصلوا ما تيسر عليكم من صلوة الليل عبر عن صلوة الليل بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرؤا القران بعينه كيف ما تيسر عليكم علم ان سيكون منكم مرضى استيناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله والضرب في الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم واخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه واقيموا الصلوة المفروضة واتوا الزكوة الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا يريد به الامر بسائر الانفاقات في سبيل الخير او باداء الزكوة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به في قوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تاكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتدا والخبر واستغفروا الله في مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة

سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار روي انه صلى الله عليه وسلم قال كنت بحراء فنوديت

فنظرت عن يميني وشمالي فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعني
الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها
المدثر ولذلك قيل هي اول سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا او كان
نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفي
فانه كان بحراء كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اي الذي دثر هذا الامر
وعصب به قم من مضجعك او قم قيام عزم وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول
دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا
وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير فهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روي انه لما نزل كبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وايقن انه الوحي وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك والفاء
فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكأنه قال وما يكن فكبر ربك او للدلالة على ان المقصود
الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع
واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر من النجاسات
فان التطهر واجب في الصلوة محبوب في غيرها وذلك بغسلها او بحفظها عن النجاسة بتقصيرها
مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض العادات المذمومة او طهر نفسك من الاخلاق
الذميمة والافعال الدنية فيكون امرا باستكمال القوة النظرية والدعاء الى الله او فطهر دثار
النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على
هجر ما يؤدي اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة
كالذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا
في عوض اكثر نهي تنزيه او نهيا خاصا به لقوله صلى الله عليه وسلم المستغزر يثاب من هبته والموجب
ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن على الله بعبادتك مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ
مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال من تمنن على
انه من من بكذا او تستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا
يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روي احضر الوغى بالرفع ولربك ولوجهه
او امره فاصبر فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف واذى المشركين فاذا نقر
في الناقور في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت
والفاء للسببية كأنه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم
واذا ظرف لما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين
وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدله او ظرف لخبره اذ
التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير غير يسير تأكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون
وجه ويشعر بيسره على المؤمنين ذرني ومن خلقت وحيدا نزل في الوليد بن المغيرة ووحيدا
حال من الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من التاء اي ومن خلقته وحدي لم يشركني

في خلقه احد او من العائد المحذوف اي ومن خلقته فريدا لا مال له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا
به فسماه الله تهكما او اراده انه وحيد ولكن في الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما وجعلت
له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وبنين
شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته
ولا يحتاج ان يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم
قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلثة خالد وعمارة وهشام ومهدت
له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاقه
الرياسة والتقدم ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيه وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على
ما اوتي او لانه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال كلا انه
كان لآياتنا عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات
المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول الآية في نقصان ماله
حتى هلك سأرهقه صعودا سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه
صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا
انه فكر وقدر تعليل للوعيد او بيان لعناده والمعنى فكر فيما يخيل طعنا في القرآن وقدر في نفسه
ما يقول فيه فقتل كيف قدر تعجب من تقديره استهزاء به او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه
من قولهم قتله الله ما اشجعه اي بلغ في الشجاعة مبلغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده
بذلك روي انه مر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فاتى قومه وقال لقد سمعت من محمد
آنفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر
وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبأ الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه
فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فناداهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق
وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا
فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا
بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ
من الاولى وفيما بعد على اصلها ثم نظر اي في امر القرآن مرة بعد اخرى ثم عبس قطب وجهه
لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب في وجهه وبسر اتباع
لعبس ثم ادبر عن الحق او الرسول واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر
يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث
وتفكر ان هذا الا قول البشر كالتأكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها سأصليه
سقر بدل من سأرهقه صعودا وما ادراك ما سقر تفخيم لشأنها وقوله لا تبقي ولا تذر
بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي على شيء يلقى فيها ولا تدعه
حتى تهلكه لواحة للبشر مسودة لاعالي الجلد او لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص

عليها تسعة عشر ملكاً أو صنفاً من الملائكة يلون أمرها والمخصص لهذا العدد أن اختلال
النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثني عشر والطبيعية السبع أو
أن جهنم سبع دركات ست منها لأصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والإقرار
والعمل أنواعاً من العذاب تناسبها وعلى كل نوع ملك أو صنف يتولاه وواحدة لعصاة الأمة
يعذبون فيها بترك العمل نوعاً يناسبه ويتولاه ملك أو صنف أو أن الساعات أربعة وعشرون
خمسة منها مصروفة في الصلاة فيبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بأنواع من العذاب يتولاها
الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهية توالي الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة أعشر جمع
عشير كيمين وأيمن أي تسعة كل عشير جمع يعني نقيبهم أو جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا
أصحاب النار إلا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا إليهم ولأنهم
أقوى الخلق بأساً وأشدهم غضباً لله روي أن أبا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش أيعجز
كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فنزلت وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عددهم
إلا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالأثر عن المؤثر تنبيهاً على أنه لا ينفك منه
افتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم أن يتولى هذا العدد القليل تعذيب
أكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله ليستيقن الذين أوتوا الكتاب أي
ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقاً لما في
كتابهم ويزداد الذين آمنوا إيماناً بالإيمان به أو بتصديق أهل الكتاب له ولا يرتاب الذين
أوتوا الكتاب والمؤمنون أي في ذلك وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الإيمان ونفي لما
يعرض المتيقن حيثما عراه شبهة وليقول الذين في قلوبهم مرض شك أو نفاق فيكون إخباراً بمكة
عما سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون الجازمون في التكذيب ماذا أراد الله بهذا
مثلاً أي شيء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا أنه مثل
مضروب كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى
يضل الكافرين ويهدي المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع خلقه على ما هم عليه إلا هو إذ
لا سبيل لأحد إلى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها
بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة وما هي وما سقر أو عدة الخزنة أو السورة إلا
ذكرى للبشر إلا تذكرة لهم كلا ردع لمن أنكرها أو إنكار لأن يتذكروا بها والقمر والليل إذ
دبر أي أدبر كقبل بمعنى أقبل وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص إذ أدبر على المضي والصبح
إذا أسفر أضاء إنها لإحدى الكبر لإحدى البلايا الكبر أي البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة
منها وإنما جمع كبرى على كبر إلحاقاً لها بفعلة تنزيلاً للألف منزلة التاء كما ألحقت قاصعاء
بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتأكيد لإحدى
الكبر نذيراً للبشر تمييز أي لإحدى الكبر إنذاراً أو حال عما دلت عليه الجملة أي كبرت منذرة
وقرئ بالرفع خبراً ثانياً أو خبراً لمحذوف لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر بدل من للبشر أي

نذيراً للمتمكنين من السبق إلى الخير والتخلف عنه أو لمن شاء خبر لأن يتقدم فيكون في معنى قوله
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله مصدر
كالشتيمة أطلق للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين إلا أصحاب اليمين فإنهم فكوا
رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم وقيل هم الملائكة أو الأطفال في جنات لا يكتنه وصفها وهي
حال من أصحاب اليمين أو ضميرهم في قوله يتساءلون عن المجرمين أي يسأل بعضهم بعضاً أو يسألون
غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه أي دعوناه وقوله ما سلككم في سقر بجوابه حكاية لما
جرى بين المسؤولين والمجرمين أجابوا بها قالوا لم نك من المصلين الصلاة الواجبة ولم نك
نطعم المسكين ما يجب إعطاؤه وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع وكنا
نخوض مع الخائضين نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين أخره
لتعظيمه أي وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة حتى أتانا اليقين الموت ومقدماته فما
تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعاً فما لهم عن التذكرة معرضين أي معرضين
عن التذكير يعني القرآن أو ما يعمه ومعرضين حال كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة شبههم
في إعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة أي أسد فعولة من القسر وهو
القهر وقرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة قراطيس تنشر
وتقرأ وذلك أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كلاً منا بكتاب من السماء
فيه من الله إلى فلان اتبع محمداً كلا ردع عن اقتراحهم الآيات بل لا يخافون الآخرة فلذلك أعرضوا
عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف كلا ردع عن إعراضهم إنه تذكرة وأي تذكرة فمن شاء
ذكره فمن شاء أن يذكره ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله ذكرهم أو مشيئتهم كقوله وما
تشاؤون إلا أن يشاء الله وهو تصريح بأن فعل العبد بمشيئة الله وقرأ نافع تذكرون بالتاء
وروي بهما مشدداً هو أهل التقوى حقيق بأن يتقى عقابه وأهل المغفرة حقيق بأن يغفر
عباده سيما المتقين منهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات
بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيامة مكية وآيها تسع وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم لا أقسم بيوم القيامة إدخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد
شائع في كلامهم قال امرؤ القيس لا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أني أفر وقد
مر الكلام فيه في قوله فلا أقسم بمواقع النجوم وقرأ قنبل لأقسم بغير ألف بعد اللام وكذا
روي عن البزي ولا أقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفوس المقصرة في
التقوى يوم القيامة على تقصيرها أو التي تلوم نفسها أبداً وإن اجتهدت في الطاعة أو النفس
المطمئنة اللائمة للنفس الأمارة أو بالجنس لما روي أنه عليه السلام قال ليس من نفس برة ولا
فاجرة إلا وتلوم نفسها يوم القيامة إن عملت خيراً قالت كيف لم أزدد وإن عملت شراً قالت ليتني
كنت قصرت أو نفس آدم فإنها لم تزل تتلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها إلى يوم القيامة لأن المقصود
من إقامتها مجازاتها أيحسب الإنسان يعني الجنس وإسناد الفعل إليه لأن فيهم من يحسب أو الذي

فيه وهو عدي بن ابي ربيعة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر القيمة فاخبره به فقال
لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها
وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها قادرين على ان نسوي بنانه بجمع سلامياته
وضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي
بنانه الذي هو اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع
على تقدير نحن قادرون بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون
ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبل
من الزمان يسئل ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا واستهزاء فاذا برق البصر تحير فزعا من
برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع
من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اذا انفتح وخسف القمر وذهب ضوؤه وقرئ على بناء
المفعول وجمع الشمس والقمر في ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق
ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة
في الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقديمه و
تغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اين المفر اي الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني
وقرئ بالكسر وهو المكان كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه
من الوزر وهو الثقل الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار
امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبؤا الانسان يومئذ
بما قدم واخر بما قدم من عمل عمله او بما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سنة
عمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به وبما اخر فخلفه او باول عمله واخره بل الانسان
على نفسه بصيرة حجة بينة على اعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او عين
بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء ولو القى معاذيره ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار
وهو العذر او جمع معذرة على غير قياس كالمناكير في المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى
وفيه نظر لا تحرك يا محمد به بالقران لسانك قبل ان يتم وحيه لتعجل به لتأخذه على عجلة مخافة
ان يتفلت منك ان علينا جمعه في صدرك وقرانه واثبات قراءته في لسانك وهو تعليل
للنهي فاذا قرأناه بلسان جبريل عليه السلام عليك فاتبع قرانه قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ
في ذهنك ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تأخير
البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة
فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف بها في غيره او بذكر ما اتفق في اثناء نزول هذه
الآيات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة
قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه
من اعمالك وقراءته فاذا قرأناه فاتبع قرانه بالاقرار والتأمل فيه ثم ان علينا بيانه

امره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار
بالعاجل وقوله بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة تعميم للخطاب اشعارا بان بني ادم مطبوعون
على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابي عمرو
والبصريين بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة الى ربها ناظرة تراه مستغرقة في
مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا في كل الاحوال حتى ينافيه
نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره
بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى وقول الشاعر واذا نظرت اليك
من ملك والبحر دونك زدتني نعما بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء ووجوه
يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن
تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة
اذا بلغت التراقي اذا بلغت النفس اعالي الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل
من راق وقال حاضروا صاحبها من يرقيه مما به من الرقية او قال الملائكة ايكم يرقى بروحه ملائكة
الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق وظن المحتضر ان الذي نزل به فراق الدنيا
ومحابها والتفت الساق بالساق والتوت ساقه بساقه فلا يقدر على تحريكها او شدة
فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة الى ربك يومئذ المساق سوقه الى الله وحكمه فلا صدق
ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله اي فلا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور
في ايحسب الانسان ولكن كذب وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك
من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى
لك فاولى ويل لك من الولي واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او
اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى
عقباك النار ثم اولى لك فاولى اي يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى ايحسب الانسان
ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه
من حيث ان الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة
وهي قد لا يكون في الدنيا فيكون في الآخرة الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق
فسوى فقدره فعدله وقرأ حفص يمنى بالياء فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر والانثى
وهو استدلال اخر بالابداء على الاعادة على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله
اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيمة شهدت
انا له وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا به

سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد
واصله اهل كقوله اهل راونا بسفح القاع ذي الاكم حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان
الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر

والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله
انا خلقنا الانسان من نطفة او آدم بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه من نطفة امشاج
اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته ووصف النطفة به لان المراد بها مجموع مني
الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما
مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المرأة
اصفر فاذا اختلطا اخضرا او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه
في موقع الحال اي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء
فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب عن الابتلاء
ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه السبيل اي بنصب الدلائل
وانزال الآيات اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اي هديناه في حاليه
جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكرا بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفورا بالاعراض عنه او من
السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق
قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن كفران غالبا وانما المأخوذ به
المتوغل فيه انا اعتدنا للكافرين سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها
يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر
المؤمنين احسن وقرأ نافع والكسائي وابو بكر سلاسلا بالتنوين للمناسبة ان الابرار جمع بر
كارباب او بار كاشهاد يشربون من كأس من خمر وهي في الاصل القدح تكون فيه كان مزاجها ما
يمزج بها كافورا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته و
بياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به عينا بدل من كافورا ان جعل
اسم ماء ومن محل من كأس على تقدير مضاف اي ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل
يفسره ما بعدها يشرب بها عباد الله اي ملتذا او ممزوجا بها وقيل الباء زائدة او بمعنى من لان
الشرب مبتدأ منها كما هو يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤوا اجراء سهلا يوفون بالنذر
استئناف ببيان ما رزقوه لاجله كانه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ في وصفهم بالتوفر
على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله كان اوفى بما اوجبه الله عليه ويخافون
يوما كان شره شدائده مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر
وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي ويطعمون الطعام على حبه
حب الله او الطعام او الاطعام مسكينا ويتيما واسيرا يعني اسارى الكفار فانه صلى الله عليه وسلم
كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك
والمسجون وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة
القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافأة المنقصة للاجر وعن عائشة رضي الله عنها
انها تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله

ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا انا نخاف
من ربنا فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب المكافأة منكم يوما عذاب يوم عبوسا تعبس فيه الوجوه
او يشبه الاسد العبوس في ضراوته قمطريرا شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه من اقمطرت
الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة فوقاهم الله شر
ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم
وجزاهم بما صبروا بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا
يأكلون منه وحريرا يلبسونه وعن ابن عباس ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول
في ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية
لهما صوم ثلاث ان برئا فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري ثلث اصوع من شعير
فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا فوقف
عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا
الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل
جبرئيل عليه السلام بهذه السورة وقال خذها يا محمد هنأك الله في اهل بيتك متكئين
فيها على الارائك حال من هم في جزاهم او صفة لجنة لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يحتملهما
وان يكون حالا من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محمي ولا بارد
مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي قال وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما
زهر والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها حال
او صفة اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اي وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا
كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انها خبر ظلالها والجملة حال او صفة وذللت
قطوفها تذليلا معطوف على ما قبله او حال من دانية وتذليل القطوف ان تجعل سهل التناول
لا يمتنع على قطافها كيف شاؤوا ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب واباريق بلا عروة
كانت قواريرا قوارير من فضة اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة
ولينها وقد نون قوارير من نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانها رأس الآية وقرئ قوارير
من فضة على هي قوارير قدروها تقديرا اي قدروها في انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها
كما تمنوه او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدر الطائفون بها المدلول عليهم
بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها اي جعلوا قادرين لها كما شاؤوا
من قدر منقولا من قدرت الشيء ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا ما يشبه الزنجبيل
في الطعم وكانت العرب تستلذون الشراب الممزوج به عينا فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة
انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم
بزيادة الباء والمراد به ان ينفي عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا
فسميت كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح ويطوف عليهم

ولدان مخلدون دائمون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا من صفاء الوانهم وانبثاثهم
في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض واذا رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ
ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع رأيت نعيما وملكا كبيرا واسعا وفي الحديث
ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا
وللعارف اكبر من ذلك وهو ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء
بانوار قدس الجبروت عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق يعلوهم ثياب الحرير الخضر
ما رق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم في عليهم او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اي واهل
ملك عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجر
حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأ ابو عمرو و
ابن عامر بالعكس وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائي بالجر وقرئ واستبرق بوصل
الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا اساور من
فضة عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض
فان حلي اهل الجنة يختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء ما عملوا بايديهم حليا و
انوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز
ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا آخر يفوق
على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله عز وجل ووصفه بالطهورية فانه يطهر
شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه
باقيا ببقائه وهي منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار ان هذا كان لكم
جزاء على اضمار القول والاشارة الى ما عد من ثوابهم وكان سعيكم مشكورا مجازى عليه غير
مضيع انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان
مزيد لاختصاص التنزيل به فاصبر لحكم ربك بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم ولا تطع منهم
آثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه
واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه
اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعي ان لا يكون المطاوعة
في الاثم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور واذكر اسم ربك بكرة و
اصيلا وداوم على ذكره او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما ومن
الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما
في صلوة الليل من مزيد الكلفة والخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طائفة طويلة منه ان هؤلاء
يحبون العاجلة ويذرون وراءهم امامهم او خلف ظهورهم يوما ثقيلا شديدا مستعار
من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم وشددنا اسرهم و
احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذا شئنا اهلكناهم

وبدلنا امثالهم في الخلقة وشدة الاسر يعني النشأة الثانية ولذلك جيء باذا وتبديلنا
غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة الاشارة الى السورة
او الآيات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا تقرب اليه بالطاعة وما تشاؤن الا
ان يشاء الله وما تشاؤن ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم وقرأ ابن كثير وابو عمرو
يشاؤن بالياء ان الله كان عليما بما يستأهل كل احد حكيما لا يشاء الا ما تقتضيه حكمته
يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق للطاعة والظالمين اعد لهم عذابا اليما نصب
الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ
بالرفع على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة
وحريرا

سورة المرسلات مكية وآيها خمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات
ذكرا اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال
امره ونشرن الشرائع في الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن
بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او بآيات القرآن
المرسلة بكل عرف الى محمد صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن
آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين
او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك
في جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل بنفسه فيرون كل شيء هالكا الا وجهه فالقين
ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والالسنة الا ذكر الله او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح
رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن فالقين ذكرا اي تسببن له فان العاقل اذا شاهد
هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي
ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال عذرا او
نذرا مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير
بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلة اي عذرا للمحقين و
نذرا للمبطلين او البدلية من ذكرا على ان المراد به الوحي او ما يعم التوحيد والشرك والايمان
والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأهما ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بالتخفيف انما
توعدون لواقع جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة فاذا
النجوم طمست محقت او اذهب نورها واذا السماء فرجت صدعت واذا الجبال نسفت كالحب
ينسف بالمنسف واذا الرسل اقتت عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الامم
بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرأ ابو عمرو وقتت
على الاصل لاي يوم اجلت اي يقال لاي يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب
من هوله ويجوز ان يكون ثاني مفعولي اقتت على انه بمعنى اعلمت ليوم الفصل بيان ليوم التأجيل

وما أدريك ما يوم الفصل ومن أين تعلم كنهه ولم تر مثله ويل يومئذ للمكذبين أي بذلك وويل في الأصل مصدر منصوب بإضمار فعله عدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات الهلك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه أو صفته ألم نهلك الأولين كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى أهلكه ثم نتبعهم الآخرين أي ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بكل من أجرم ويل يومئذ للمكذبين بآيات الله وأنبيائه فليس تكريرا وكذا إن أطلق التكذيب وعلق في الموضعين بواحد لأن الويل الأول لعذاب الآخرة وهذا للإهلاك في الدنيا مع أن التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب ألم نخلقكم من ماء مهين نطفة مذرة ذليلة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم إلى قدر معلوم إلى مقدار معلوم من الوقت قدره الله للولادة فقدرنا على ذلك أو فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد فنعم القادرون نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك أو على الإعادة ألم نجعل الأرض كفاتا كافتة اسم لما يكفت أي يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع أو مصدر نعت به أو جمع كافت كصائم وصيام أو كفت وهو الوعاء أجري على الأرض باعتبار أقطارها أحياء وأمواتا منتصبا على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم أو لأن أحياء الإنس وأمواتهم بعض الأحياء والأموات أو الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الإنس أو بنجعل على المفعولية وكفاتا حال أو الحالية فيكون المعنى بالأحياء ما ينبت وبالأموات ما لا ينبت وجعلنا فيها رواسي شامخات جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم وإشعار بأن فيها ما لم يعرف ولم ير وأسقيناكم ماء فراتا بخلق الأنهار والمنابع فيها ويل يومئذ للمكذبين بأمثال هذه النعم انطلقوا أي يقال لهم انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الإخبار من امتثالهم للأمر اضطرارا إلى ظل يعني ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلاث إما لأن حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم أو لأن المؤدي إلى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما أوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا إنها ترمي بشرر كالقصر أي كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيده أنه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهي الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج والهاء للشعب كأنه جمالات جمع جمال أو جمالة جمع جمل صفر فإن الشرار لما فيه من النارية يكون أصفر وقيل سود فإن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة والأول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم

جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون أي بما يستحق فإن النطق بما لا ينفع كلا نطق أو بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم أي هذا الذي ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفي الإذن والاعتذار مطلقا ولو جعله جوابا لدل على أن عدم اعتذارهم لعدم الإذن وأوهم ذلك أن لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم والأولين تقرير وبيان للفصل فإن كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا وإظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين إذ لا حيلة لكم في التخلص من العذاب إن المتقين من الشرك لأنهم في مقابلة المكذبين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون مستقرون في أنواع الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون أي مقولا لهم ذلك إنا كذلك نجزي المحسنين في العقيدة والعمل ويل يومئذ للمكذبين يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون حال من المكذبين أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم المقيم ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل وإذا قيل لهم اركعوا أطيعوا واخضعوا أو صلوا أو اركعوا في الصلاة إذ روي أنه نزل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبي فإنها مسبة وقيل هو يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون لا يركعون لا يمتثلون واستدل به على أن الأمر للوجوب وأن الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون إذا لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

سورة النبأ مكية وآيها أربعون

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون أصله عن ما فحذف الألف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كأنه لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم أو يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراءونهم أي يدعونهم ويرونهم أو للناس عن النبأ العظيم بيان للشأن المفخم أو صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قراءة يعقوب عمه الذي هم فيه مختلفون بجزم النفي والشك فيه أو بالإقرار والإنكار كلا سيعلمون ردع عن التساؤل ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون تكرير للمبالغة وثم للإشعار بأن الوعيد الثاني أشد وقيل الأول عند النزع والثاني في القيامة أو الأول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا أي أنها لهم كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد للنوم

عليه وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الاحساس و
الحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت
للميت واصله القطع ايضا وجعلنا الليل لباسا غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء
وجعلنا النهار معاشا وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به او حياة تنبعثون
فيه عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا سبع سموات اقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور
وجعلنا سراجا وهاجا متلالئا وقادا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا في الحرارة
من الوهج وهو الحر والمراد الشمس وانزلنا من المعصرات السحائب اذا اعصرت اي شارفت
ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية
اذا دنت ان تحيض او من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات الاعاصير
وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات
ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت
وصب دماء الهدي وقرئ ثجاجا ومثاجج الماء مصابه لنخرج به حبا ونباتا ما يقتات به وما
يعتلف من التبن والحشيش وجنات الفافا ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف
وعيش مغدق او لفيف كشريف او لف جمع لفاء كخضراء وخضر واخضار او ملتفة بحذف الزوائد
ان يوم الفصل كان في علم الله او في حكمه ميقاتا حدا تؤقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا
للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتاتون افواجا جماعات من
القبور الى المحشر روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال يحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على
صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم وبعضهم
عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم
يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار
وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم
فسرهم بالقتات واهل السحت واكلة الربوا والجائرين في الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء
الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين
للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء وفتحت السماء وشققت وقرا الكوفيون بالتخفيف
فكانت ابوابا فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل ابواب او فصارت ذات ابواب وسيرت
الجبال اي في الهواء كالهباء فكانت سرابا مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها
لتفتت اجزائها وانبثاثها ان جهنم كانت مرصادا موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار
او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذي يضمر فيه الخيل
او مجدة في ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام
الساعة للطاغين مآبا مرجعا ومأوى لابثين فيها وقرا حمزة وروح لبثين وهو ابلغ
احقابا دهورا متتابعة وليس فيه ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة

او سبعون

او سبعون الف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد احقابا
مترادفة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر وان كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال
على خلود الكفار ولو جعل قوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا حالا
من المستكن في لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين
الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل
اذا اخطأه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين
وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار او النوم وبالغساق
ما يغسق اي يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليتوافق
رؤوس الآي وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد جزاء وفاقا اي جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق
لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا انهم كانوا
لا يرجون حسابا بيان لما وافقه هذا الجزاء وكذبوا باياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل
مطرد شائع في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب لقوله فصدقتها وكذبتها والمرء
ينفعه كذابه وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم
كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة او كانوا مبالغين
في الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين
ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر اي تكذيبا
مفرطا كذبه وكل شيء احصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر لاحصيناه فان
الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او
صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب
وتكذيبهم بالايات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث هذه الاية اشد ما في
القران على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا او موضع فوز حدائق واعنابا بساتين فيها
انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض وكواعب نساء فلكت ثديهن
اترابا لدات وكأسا دهاقا ملآنا وادهق الحوض ملأه لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا
وقرأ الكسائي بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا جزاء من ربك بمقتضى
وعده عطاء تفضلا منه اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول
حسابا كافيا من احسبه اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا اي محسبا
كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان
وابو عمرو على الابتداء وما بينهما الرحمن صفة له او خبر في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وحده
على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يملكون منه خطابا والواو لاهل السموات والارض اي لا
يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون
عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون

الا من اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل
الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى
الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او لا يتكلمون والروح ملك موكل على
الارواح او جنسها او جبريل او خلق اعظم من الملائكة ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء
اتخذ الى ربه مآبا الى ثوابه مآبا بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا قريبا يعني عذاب الآخرة
وقربه لتحققه فان كل ما هو آت قريب ولان مبدأه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يرى
ما قدمه من خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا
وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة
بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم
اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود
الكافر حالها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

سورة النازعات مكية وآيها خمس واربعون او ست واربعون بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات
امرا هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اي اغراقا في
النزع فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان او نفوسا غرقة في الاجساد وينشطون اي يخرجون ارواح
المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج
الشيء من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون
امر او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط
في اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح
في الفلك فيسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير
الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج
الى برج ملائمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة
فانها تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا من اغراق النازع في القوس فتنشط الى عالم الملكوت
وتسبح فيها فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع
عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات
او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون
في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع في اعنتها
نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح في جريها
فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما
بعده عليه يوم ترجف الراجفة وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها
حينئذ كالارض والجبال لقوله يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهي

النفخة

النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة
في موقع الحال قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف وهي صفة القلوب و
الخبر ابصارها خاشعة اي ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى
القلوب يقولون ائنا لمردودون في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت
من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه على النسبة
كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت
اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة ائذا كنا وقرأ نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا على الخبر
عظاما نخرة بالية وقرأ الحجازيان وابو عمرو والشامي وحفص وروح نخرة وهي ابلغ
قالوا تلك اذا كرة خاسرة ذات خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا
خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف اي لا
تستصعبوها فما هي الا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء
على وجه الارض بعدما كانوا امواتا في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت
بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة
او لان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم هل اتيك حديث موسى اليس قد اتاك حديثه فيسليك
على تكذيب قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم اذ ناداه ربه
بالواد المقدس طوى قد مر بيانه في سورة طه اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول
وقرئ ان اذهب لما في النداء من معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل الى ان
تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد واهديك الى ربك
وارشدك الى معرفته فتخشى باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة
وهذا كالتفصيل لقوله فقولا له قولا لينا فاراه الآية الكبرى اي فذهب وبلغ فاراه
المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار
دلالتها كالآية الواحدة فكذب وعصى فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر
ثم ادبر عن الطاعة يسعى ساعيا في ابطال امره او ادبر بعدما رأى الثعبان مرعوبا
مسرعا في مشيه فحشر فجمع السحرة او جنوده فنادى في المجمع بنفسه او بمناد فقال انا ربكم
الاعلى اعلى كل من يلي امركم فاخذه الله نكال الآخرة والاولى اخذا منكلا لمن رآه او
سمعه في الآخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق او على كلمته الآخرة وهي هذه وكلمته الاولى
وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري او للتنكيل فيهما او لهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا
مقدرا بفعله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى لمن كان من شانه الخشية ءانتم اشد خلقا
اصعب خلقا ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي جعل مقدار
ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب في العلو رفيعا فسويها فعدلها او فجعلها مستوية
او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه

واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم وانما اضافه اليها لانه يحدث بحركتها
واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها كقوله تعالى والشمس وضحيها يريد النهار والارض بعد ذلك
دحيها بسطها ومهدها للسكنى اخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعيها ورعيها وهو في
الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد او بيانا للدحو والجبال
ارسيها اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على
فعلية متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم فاذا جاءت الطامة الداهية التي تطم
اي تعلو على سائر الدواهي الكبرى التي هي اكبر الطامات وهي القيمة او النفخة الثانية او الساعة
التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى بان
يراه مدونا في صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول المدة وهو بدل من فاذا جاءت
وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم فاظهرت لمن يرى لكل راء بحيث لا يخفى على احد
وقرئ وبرزت ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد او
انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم اي لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل
عليه يوم يتذكر او ما بعده من التفصيل فاما من طغى حتى كفر واثر الحيوة الدنيا فانهمك فيها
ولم يستعد للاخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم هي الماوى هي ماواه واللام فيه
سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب الماوى هو الطاغي وهي فصل او مبتدا واما من
خاف مقام ربه مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدا والمعاد ونهى النفس عن الهوى لعلمه بانه
مرد فان الجنة هي الماوى ليس له سواها ماوى يسألونك عن الساعة ايان مرسيها متى
ارساؤها اي اقامتها واثباتها او منتهيها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهي اليه
وتستقر فيه فيم انت من ذكريها في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم اي ما انت من ذكرها
لهم وتبيين وقتها في شيء فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا ووقتها مما استأثره الله بعلمه
وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكريها مستأنف معناه انت ذكر من ذكراها اي علامة
من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب
الى ربك منتهيها اي منتهى علمها انما انت منذر من يخشيها انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو
لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابي عمرو منذر بالتنوين والاعمال
على الاصل لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا اي في الدنيا او في القبور الا عشية او ضحيها
اي عشية يوم او ضحاه كقوله الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما
من يوم واحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله في القبر
والقيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة سورة عبس مكية واياها احدى واربعون
بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله علمني مما
علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه

لكلامه

لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول مرحبا بمن عاتبني
فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى
او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ ءان بهمزتين وبالف بينهما بمعنى ألان جاءه الاعمى فعل ذلك
وذكر الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام على قطع كلام الرسول صلى الله عليه وسلم بالقوم والدلالة
على انه احق بالرافة والرفق او لزيادة الانكار كانه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله وما
يدريك لعله يزكى اي واي شيء يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الاثام بما يتلقف منك وفيه
ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره او يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل
الضمير في لعله للكافر اي انك طمعت في تزكيته وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك
ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب جوابا للعل اما من استغنى فانت له تصدى تتعرض
بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصّدى بالادغام وقرئ تُصدّى اي تعرض
وتدعى الى التصدي وما عليك الا يزكى وليس عليك باس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك
الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى يسرع طالبا
للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار في اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى لا قائد له فانت عنه
تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدي والتلهي للاشعار بان
العتاب على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه
وعن معاودة مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره حفظه او اتعظ به والضميران للقران او العتاب
المذكور وتانيث الاول لتانيث خبره في صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان او خبر محذوف
مكرمة عند الله مرفوعة مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين بايدي سفرة
كتبة من الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح او الوحي او سفراء يسفرون بالوحي بين الله
ورسله او الامة جمع سافر من السفر او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المراة
اذا كشفت وجهها كرام اعزاء على الله او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم
بررة اتقياء قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه في الكفران
وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ من اي شيء خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا من
مبدا حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه
لما يصلح له من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقته ثم السبيل يسره ثم سهل
مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان يتنكس او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب
السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار
بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه
بقوله ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وعد الاماتة والاقبار في النعم لان الاماتة
وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع
وفي اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين في نفسه وانما هو موكول الى مشيته كلا

ردع للانسان عما هو عليه لما يقض ما امره اى لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما
امره الله باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما فلينظر الانسان الى طعامه اتباع النعم
الذاتية بالنعم الخارجية انا صببنا الماء صبا استئناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ
الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ثم شققنا الارض شقا اى بالنبات او
بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير
وعنبا وقضبا يعنى الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى
وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او
لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا ومرعى من اب اذا ام
لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعى او فاكهة يابسة تؤوب للشتاء
متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف فاذا جاءت
الصاخة اى النفخة وصف بها مجازا لان الناس يصخون لها يوم يفر المرء من اخيه وامه
وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بشانه وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم
بما قصر فى حقهم وتاخير الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من
صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه يكفيه فى الاهتمام به وقرئ
يعنيه اى يهمه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفر الصبح ضاحكة مستبشرة بما ترى
من النعيم ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة ترهقها قترة يغشاها سواد وظلمة
اولئك هم الكفرة الفجرة الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة
قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت لفت من
كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف او لف ضوءها
فذهب انبساطه فى الافاق وزال اثره او القيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا القاه
مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا
الشرطية تطلب الفعل واذا النجوم انكدرت انقضت ابصر خربان فضاء فانكدر او اظلمت
من كدرت الماء فانكدرت واذا الجبال سيرت عن الارض او فى الجو واذا العشار النوق
اللاتى اتى على حملهن عشرة اشهر جمع عشراء عطلت تركت مهملة او السحائب عطلت عن
المطر وقرئ بالتخفيف واذا الوحوش حشرت جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت
ترابا او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد واذا البحار
سجرت احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى يعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه
بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وروح بالتخفيف واذا النفوس زوجت قرنت
بالابدان او كل منها بشكلها او بكتابها وعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين
بالشياطين واذا الموءودة المدفونة حية كانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق

العار

قال تنقضى البازى او البازى كس

العار بهم من اجلهن سئلت باى ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى لعيسى عليه السلام
بقوله تعالى أانت قلت للناس وقرئ سألت اى خاصمت عن نفسها وقتلت على الاخبار
وقرئ قتلت على الحكاية واذا الصحف نشرت يعنى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت
وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين اصحابها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى
بالتشديد للمبالغة فى النشر او لكثرة الصحف او شدة التطاير واذا السماء كشطت قلعت
وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير
واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد
واذا الجنة ازلفت قربت من المؤمنين علمت نفس ما احضرت جواب اذا وانما صح والمذكور فى سياقها
اثنتا عشرة خصلة ست منها فى مبادى قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان
متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على اعمالها ونفس فى معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فلا
اقسم بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهى ما سوى النيرين من السيارات ولذلك وصفها
بقوله الجوار الكنس اى السيارات التى تختفى تحت ضوء الشمس من كنس الوحشى اذا دخل كناسه
وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر والليل اذا عسعس اقبل ظلامه او ادبر وهو من الاضداد يقال
عسعس الليل وسعسع اذا ادبر والصبح اذا تنفس اضاء غرته بعد اقبال روح ونسيم
انه اى القرآن لقول رسول كريم يعنى جبريل عليه السلام فانه قاله عن الله تعالى ذى قوة كقوله شديد
القوى عند ذى العرش مكين عند الله ذى مكانة مطاع فى ملائكته ثم امين على الوحى
وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات
وما صاحبكم بمجنون كما بهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد عليهما الصلوة والسلام
حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفى الجنون عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف اذ المقصود منه
نفى قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما ولقد رآه
ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما
هو وما محمد على الغيب على ما يخبره من الوحى اليه وغيره من الغيوب بظنين بمتهم من الظنة و
هى التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين من الضن وهو البخل اى لا يبخل بالتبليغ
والتعليم والضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره والظاء
من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وما هو بقول شيطان رجيم بقول بعض المسترقة للسمع
وهو نفى قولهم انه لكهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه فى امر الرسول
والقرآن كقولك لتارك الجادة اين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء
منكم ان يستقيم بتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير
وما تشاؤن الاستقامة يا من يشاؤها الا ان يشاء الله الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم
فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله قال صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار مكية وآيها تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت متفرقة واذا البحار
فجرت فتح بعضها الى بعض فصار بحرا واحدا واذا القبور بعثرت قلب ترابها واخرج موتاها
وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت من
عمل او صدقة واخرت من سيئة او تركة ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا يا ايها
الانسان ما غرك بربك الكريم اي شيء خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة
في المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع
والعاصي فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه
يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب احدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة
كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه الذي خلقك فسويك
فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر
عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية
معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما يستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف
اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت
خلقة سائر الحيوانات في اي صورة ما شاء ركبك في اي صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية
وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا
ردع عن الاغترار بكرم الله وقوله بل تكذبون بالدين اضراب الى بيان ما هو السبب الاصل
في اغترارهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون
ما تفعلون تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة
بكونهم كراما عند الله لتعظيم الجزاء ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم بيان لما يكتبون
لاجله يصلونها يقاسون حرها يوم الدين وما هم عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه
ما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في القبور وما ادريك ما يوم الدين
ثم ما ادريك ما يوم الدين تعجيب وتفخيم لشأن اليوم اي كنه امره بحيث لا يدركه دراية
دار يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة
امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر لمحذوف قال صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر
حسنة سورة المطففين مختلف فيها وآيها ست وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم
ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف اي حقير روي
ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفي الحديث خمس بخمس ما نقض
العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر
وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات و

اخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر الذين اذا اكتالوا على الناس
يستوفون اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما ابدل على بمن
للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم واذا كالوهم او وزنوهم
اي اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك
اكمؤا وعساقلا بمعنى جنيت لك او كانوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا
يحسن جعل المنفصل تأكيد المتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف
حالهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها ويستدعي اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف
في نظائره الا يظن اولئك انهم مبعوثون فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح
فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم ليوم عظيم عظمه لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس
نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر لرب العالمين لحكمه وفي هذا الانكار
والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير عنه برب العالمين
مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه كلا ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب
ان كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي سجين كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين
كما قال تعالى وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه
لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما قيل تحت الارضين في مكان
وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ
للمكذبين بالحق او بذلك الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما يكذب
به الا كل معتد متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة
اثيم منهمك في الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها اذا
تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه على الانكار
لما عداها شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل كلا ردع عن هذا القول بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصي
بالانهماك فيه حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال
سبب لحصول الملكات كما قال عليه السلام ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء
حتى تسود قلبه والرين الصدأ وقرأ حفص بل ران باظهار اللام كلا ردع عن الكسب الران
انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا
لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك او قدر مضافا مثل رحمة ربهم او قرب
ربهم ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلون بها ثم يقال هذا الذي كنتم به
تكذبون يقوله لهم الزبانية كلا تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد
الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر او ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفي
عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر في نظيره يشهده المقربون

يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفي نعيم على الارائك على
الاسرة في الحجال ينظرون الى ما يسرهم من النعيم والمتفرجات تعرف في وجوههم نضرة
النعيم بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع يسقون
من رحيق شراب خالص مختوم ختامه مسك اى مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله
تمثيل لنفاسته او الذي له ختام اى مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائي خاتمه بفتح التاء
اى ما يختم به ويقطع وفي ذلك يعنى الرحيق او النعيم فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون
ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها عينا يشرب
بها المقربون فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لسائر اهل الجنة و
انتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم والكلام فيه كما في يشرب بها عباد الله ان الذين
اجرموا يعنى رؤساء قريش كانوا من الذين امنوا يضحكون كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين
واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم
انقلبوا فاكهين ملتذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء
لضالون واذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال وما ارسلوا عليهم على المؤمنين حافظين
يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون
حين يرونهم اذلاء مغلولين في النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا
وصلوا اليها اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم على الارائك ينظرون حال من يضحكون هل
ثوب الكفار هل اثيبوا ما كانوا يفعلون وقرأ حمزة والكسائي بادغام اللام في الثاء قال
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت بالغمام كقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام وعن على تنشق من المجرة واذنت
لربها واستمعت له اى انقادت لتأثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذى
يأذن للامر ويذعن له وحقت اى وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق
وحقيق واذا الارض مدت بسطت بان تزال جبالها واكامها والقت ما فيها ما في جوفها من
الكنوز والاموات وتخلت وتكلفت في الخلو اقصى جهدها حتى لم يبق شئ في باطنها واذنت لربها
في الالقاء والتخلية وحقت للاذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه
محذوف للتهويل بالابهام او للاكتفاء بما مر في سورة التكوير والانفطار او يدل عليه قوله
يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه اى
جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه ويا ايها الانسان انك كادح الى ربك اعتراض والكدح
اليه السعى الى لقاء جزائه فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش
فيه وينقلب الى اهله الى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين او اهله في الجنة من الحور مسرورا واما
من اوتى كتابه وراء ظهره اى يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه ويجعل يسراه

وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك ويصلى سعيرا وقرأ
الحجازيان وابن عامر والكسائي ويصلى كقوله وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كقوله ونصليه جهنم
انه كان في اهله في الدنيا مسرورا بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة انه ظن ان لن يحور
لن يرجع الى الله بلى ايجاب بعد لن ان ربه كان به بصيرا عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه
ويجازيه فلا اقسم بالشفق الحمرة التى ترى في افق المغرب بعد الغروب وعن ابى حنيفة انه البياض
الذى يليها سمى به لرقته من الشفقة والليل وما وسق وما جمعه وستره من الدواب وغيرها
يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا او طرده الى اماكنه من الوسيقة
والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة
وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب هى الموت ومواطن القيمة
واهوالها او هى وما قبلها من الدواهى على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بالفتح حالا
شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على
خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق او مجاوزين
له فما لهم لا يؤمنون بيوم القيمة واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون لا يخضعون او لا يسجدون
لتلاوته لما روى انه عليه الصلوة والسلام قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش
تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن
ابى هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها
بل الذين كفروا يكذبون بالقران والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في صدورهم من الكفر و
العداوة فبشرهم بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع
او متصل والمراد من تاب وآمن منهم لهم اجر غير ممنون مقطوع او ممنون به عليهم عن النبى صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج مكية وآيها اثنتان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج يعنى البروج الاثنى عشر
شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب
سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم
الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من
العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اى وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او المبالغة
في الكثرة كانه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبى وامته او امته وسائر الامم
او كل نبى وامته او الخالق والخلق او عكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده
او الملك الحفيظ والمكلف او يوم النحر او يوم عرفة والحجيج او يوم الجمعة والمجمع فانه يشهد له او كل
يوم واهله قتل اصحاب الاخدود قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب
محذوف كانه قيل انهم ملعونون يعنى كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت
لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق في الارض

بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول ... على معنى لتركبن ...

ونحوهما بنا ومعنى الخد والاخدود روى مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما
ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ
حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد
يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس الملك فابرأه فسأله الملك عمن ابرأه فقال
ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام
الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا فاجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت
السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهما
من كنانتي وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه ومات فآمن الناس
فامر باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست
فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس
خطب بالناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار فطرح فيها
من ابى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من لم يرتد
النار بدل من الاخدود بدل الاشتمال ذات الوقود وصف لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها
واللام في الوقود للجنس اذ هم عليها على حافة النار قعود قاعدون وهم على ما يفعلون
بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امر به او يشهدون على ما يفعلون
يوم القيمة حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم وما نقموا منهم وما انكروا الا ان يؤمنوا بالله العزيز
الحميد استثناء على طريقة قولهم ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه
بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله الذي له ملك السموات
والارض والله على كل شيء شهيد للاشعار بمن يستحق ان يؤمن به ويعبد ان الذين فتنوا
المؤمنين والمؤمنات بلوهم بالاذى ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق
العذاب الزائد في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ما
روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري
من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه ان بطش ربك لشديد
مضاعف عنفه فان البطش اخذ بالعنف لانه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق ويعيده او يبدئ البطش
بالكفرة في الدنيا ويعيده في الاخرة وهو الغفور لمن تاب الودود المحب لمن اطاع ذو
العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك المجيد العظيم في ذاته
وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجر حمزة والكسائي صفة لربك او للعرش
ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره هل اتيك حديث
الجنود فرعون وثمود ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت
تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما اصابهم بل الذين كفروا
في تكذيب لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم و

رأوا

رأوا آثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم والله من ورائهم محيط لا يفوتونه كما لا يفوت
المحاط المحيط بل هو قرآن مجيد بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى
وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ من التحريف وقرأ نافع محفوظ
بالرفع صفة للقرآن وقرئ في لوح وهو الهواء يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا
عشر حسنات سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
والسماء والطارق والكوكب البادي بالليل وهو في الاصل لسالك الطريق واختص عرفا
بالآتي ليلا ثم استعمل للبادي فيه وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب المضيء كانه يثقب
الظلام بضوئه فينفذ فيه او الافلاك والمراد الجنس او المعهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا
بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه ان كل نفس لما عليها اي ان الشأن كل نفس لعليها
حافظ رقيب فان هي المخففة واللام الفاصلة وما زائدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على
انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم فلينظر الانسان مم خلق لما ذكر
ان كل نفس عليها حافظ اتبعه بوصية الانسان بالنظر في مبدئه ليعلم صحة اعادته فلا يملي على
حافظه الا ما يسره في عاقبته خلق من ماء دافق جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذي دفق
وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين في الرحم لقوله يخرج من بين الصلب والترائب بين
صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم
الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان تتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها
عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها
ولذلك تشبهه ويسرع الافراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهي النخاع وهي في الصلب
وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب
بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب انه على رجعه لقادر والضمير للخالق و
يدل عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف وتميز بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الاعمال وما خبث
منها وهو ظرف لرجعه فما له فما للانسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه
والسماء ذات الرجع ترجع في كل دورة الى الموضع الذي تحرك عنه وقيل الرجع المطر سمي به كما
سمي اوبا لان الله يرجعه وقتا فوقتا او لما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه
الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب والارض ذات الصدع ما يتصدع عنه الارض
من النبات او الشق بالنبات والعيون انه ان القرآن لقول فصل فاصل بين الحق والباطل
وما هو بالهزل فانه جد كله انهم يعني اهل مكة يكيدون كيدا في ابطاله واطفاء نوره
واكيد كيدا واقابلهم بكيدي في استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون فمهل
الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم او لا تستعجل باهلاكهم امهلهم رويدا امهالا
يسيرا او التكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق

اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات سورة الاعلى مكية وآيها تسع عشرة
بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات
الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان
ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم
فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت
وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى خلق كل شي فسوى خلقه بان جعل له ما به
يتأتى كماله ويتم معاشه والذي قدر قدر اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها
وصفاتها وافعالها وآجالها وقرأ الكسائي قدر بالتخفيف فهدى فوجهه الى افعاله طبعا
او اختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات والذي اخرج المرعى انبت
ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته غثاء احوى يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي
اخرجه احوى من شدة خضرته سنقرئك على لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك قارئا بالهام
القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ مع انك امي ليكون ذلك آية اخرى لك مع الاخبار
به عما يستقبل ووعد كذلك ايضا من الآيات وقيل نهي والالف للفاصلة كقوله السبيلا
الا ما شاء الله نسيانه بان نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روي انه عليه السلام
اسقط آية في قراءته في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال نسيتها او نفي النسيان
رأسا فان القلة تستعمل للنفي انه يعلم الجهر وما يخفى ما ظهر من احوالكم وما بطن او جهرك
بالقراءة مع جبريل وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء
ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي او التدين ونوفقك لها ولهذه
النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف على سنقرئك وانه يعلم اعتراض فذكر بعدما استتب
لك الامر ان نفعت الذكرى لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول
الياس عن البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله وما انت عليهم بجبار الآية او لذم المذكرين
واستبعاد لتأثير الذكرى فيهم او للاشعار بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعه ولذلك
امر بالاعراض عمن تولى سيذكر من يخشى سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله فانه يتفكر فيها فيعلم
حقيقتها وهو يتناول العارف والمتردد ويتجنبها ويتجنب الذكرى الاشقى الكافر فانه
اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله في الكفر الذي يصلى النار الكبرى نار جهنم
فانه صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم او ما في الدرك الاسفل
منها ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه قد افلح من تزكى تطهر من الكفر والمعصية
او تكثر من التقوى من الزكاء او تطهر للصلوة او ادى الزكوة وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه
فصلى لقوله اقم الصلوة لذكري ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق
للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلوته بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون
ما يسعدكم في الآخرة والخطاب للاشقين على الالتفات او على اضمار قل او للكل فان السعي

للدنيا اكثر في الجملة وقرأ ابو عمرو بالياء والآخرة خير وابقى فان نعيمها ملذ بالذات خالص
عن الغوائل لا انقطاع له ان هذا لفي الصحف الاولى الاشارة الى ما سبق من قد افلح فانه
جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صحف ابرهيم وموسى بدل من الصحف الاولى قال
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله
على ابرهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلوة والسلام سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية
بسم الله الرحمن الرحيم هل اتيك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها
يوم القيمة او النار من قوله وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة
تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط
في تلولها ووهادها او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ تصلى نارا تدخلها وقرأ
ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة حامية
متناهية في الحر تسقى من عين آنية بلغت اناها في الحر ليس لهم طعام الا من ضريع يبيس الشبرق
وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء
والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم مما تتحاماه الابل وتتعافاه لضرره
وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من جوع والمقصود من الطعام احد الامرين وجوه
يومئذ ناعمة ذات بهجة او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ثوابه في جنة عالية
علية المحل او القدر لا تسمع يا مخاطب او الوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس
والتاء نافع فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم
فيها عين جارية يجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك
او القدر واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة بين ايديهم ونمارق وسائد
جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي وبسط فاخرة جمع زربية
مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل كيف خلقت خلقا دالا على كمال قدرته
وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة
بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش
الى عشر فصاعدا ليتأتى لها قطع البراري والمفاوز مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت
بالذكر لبيان الآيات المنبثة في الحيوانات التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب
ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة والى السماء كيف رفعت
بلا عمد والى الجبال كيف نصبت فهي راسخة لا تميل والى الارض كيف سطحت بسطت
حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب
والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق
فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال
فذكر انما انت مذكر فلا عليك ان لم ينظروا ولم يتذكروا اذ ما عليك الا البلاغ

لست عليهم بمصيطر بمتسلط وعن هشام بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام الا من تولى
وكفر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر يعني عذاب الاخرة وقيل متصل فان
جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكأنه اوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الاخرة وقيل
هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد
الاول انه قرئ ألا على التنبيه ان الينا ايابهم رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال
مصدر فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها في ديوان ثم الثانية
للادغام ثم ان علينا حسابهم في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا سورة الفجر مكية
وآيها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم والفجر اقسم بالصبح او فلقه لقوله والصبح
اذا تنفس او بصلوته وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر والاشياء
كلها شفعها ووترها او بالخلق لقوله ومن كل شئ خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن
فسرهما بالعناصر والافلاك والبروج والسيارات او شفع الصلوات ووترها او بيومي النحر وعرفة
وقد روي مرفوعا او بغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول ما رآه اظهر دلالة على التوحيد
او مدخلا في الدين او مناسبة لما قبلهما او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرأ حمزة والكسائي
والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر والليل اذا يسر اذا يمضي لقوله والليل اذا ادبر
والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من
قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة
الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق هل في ذلك
القسم او المقسم به قسم حلف او محلوف به لذي حجر يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل
سمي به لانه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف
وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد يعني اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام
ابن نوح قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم باسمه ارم عطف بيان لعاد على تقدير مضاف
اي سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمي اوائلهم وهم عاد الاولى اسم جدهم
ومنع صرفه للعلمية والتأنيث ذات العماد ذات البناء الرفيع او القدود الطوال او الرفعة
والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد
وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحاري عدن جنة
وسماها ارم فلما تم سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة
من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها التي لم يخلق مثلها في البلاد
صفة اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه
واتخذوه منازل لقوله وتنحتون من الجبال بيوتا بالواد وادي القرى وفرعون ذي الاوتاد
لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا

في البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون او ذم منصوب او مرفوع فاكثروا فيها الفساد
بالكفر والظلم فصب عليهم ربك سوط عذاب ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط
وانما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط
ما احل بهم في الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة من العذاب كالسوط
اذا قيس الى السيف ان ربك لبالمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده
كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب فاما الانسان متصل بقوله ان
ربك لبالمرصاد كانه قيل انه لبالمرصاد من الاخرة فلا يريد الا السعي لها فاما الانسان فلا يهمه
الا الدنيا ولذاتها اذا ما ابتلاه ربه اختبره بالغنى واليسر فاكرمه ونعمه بالجاه والمال
فيقول ربي اكرمن فضلني بما اعطاني وهو خبر المبتدأ الذي هو الانسان والفاء لما في اما من
معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير التأخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمني
وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه اذ التقدير واما
الانسان اذا ما ابتلاه اي بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه فيقول ربي اهانن لقصور نظره وسوء
فكره فان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين اذ التوسعة قد تفضي الى قصد الاعداء والانهماك
في حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل
فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون اهانة وقرأ
ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء في الوصل والوقف وعن ابي عمرو مثله ووافقهم نافع
في الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين
اي بل فعلهم اسوأ من قولهم وادل على تهالكهم بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة
ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وتأكلون التراث الميراث واصله وراث
اكلا لما ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم
او يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص
وشره كلا ردع لهم عن ذلك وانكار وما بعده وعيد عليه اذا دكت الارض دكا دكا
دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا وجاء ربك اي ظهرت آيات
قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته والملك
صفا صفا بحسب منازلهم ومراتبهم وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وفي الحديث
يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها يومئذ
بدل من اذا دكت والعامل فيهما يتذكر الانسان اي يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم
قبحها فيندم وانى له الذكرى اي منفعة الذكرى لئلا تناقض ما قبله واستدل به على عدم
وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة يقول يا ليتني قدمت لحياتي هذه او
وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله
فان المحجور عن الشيء قد يتمنى ان كان ممكنا منه فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد

الرأته الى لا يتولى عذاب الله وثاقه يوم القيمة سواه اذ الامر كله له او للانسان اى لا يعذب
احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائى ويعقوب على بنا المفعول يا ايتها النفس
المطمئنة على ارادة القول وهى التى اطمأنت بذكر الله فان النفس تترقى فى سلسلة الاسباب
والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغنى به عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها
شك او الامنة التى لا تستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بها ارجعى الى ربك الى امره او موعده
بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة فى عالم القدس او
البعث راضية بما اوتيت مرضية عند الله فادخلى فى عبادى فى جملة عبادى الصالحين
وادخلى جنتى معهم او فى زمرة المقربين فتستضئ بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرآة المتقابلة
او ادخلى فى اجساد عبادى التى فارقتها وادخلى دار ثوابى التى اعددت لك عن النبى
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قراها فى سائر الايام كانت له
نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية وآيها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول
فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه
كما تستحل تعرض الصيد فى غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما
احل له عام الفتح ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم او ابرهيم عليهما السلام وما ولد
ذريته او محمد صلى الله عليه وسلم والتنكير للتعظيم وايثار ما على من بمعنى التعجب كما فى قوله والله
اعلم بما وضعت لقد خلقنا الانسان فى كبد تعب ومشقة يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت
كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال فى شدة مبدأها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت
وما بعده وهو تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم بما كان يكابده من قريش والضمير فى ايحسب لبعضهم
الذى كان يكابد منه اكثر او يغتر بقوته كابى الاشد بن كلدة فانه كان يبسط تحت قدميه اديم
عكاظى ويجذبه عشرة فينقطع ولا تزل قدماه او لكل احد منهم او للانسان ان لن يقدر عليه
احد فينتقم منه يقول اى فى ذلك الوقت اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشئ اذا اجتمع والمراد
ما انفقه سمعة ومفاخرة او معاداة للرسول صلى الله عليه وسلم ايحسب ان لم يره احد حين
كان ينفق او بعد ذلك فيسأله عنه يعنى ان الله تعالى يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم قرر
ذلك بقوله الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما
فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين طريقى الخير والشر
او الثديين واصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اى فلم يشكر تلك الايادى باقتحام العقبة
وهو الدخول فى امر شديد والعقبة الطريق فى الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والاطعام
فى قوله وما ادريك ما العقبة فك رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا
ذا متربة لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فانها لا تقع الا
مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات

من سغب اذا جاع وقرب فى النسب وترب اذا افتقر وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى فك رقبة
او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدر كنه صعوبتها
وثوابها ثم كان من الذين آمنوا عطف على اقتحم او فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام فى
الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به وتواصوا بالصبر واوصى بعضهم بعضا بالصبر
على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله اولئك اصحاب
الميمنة اليمين او اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او
بالقرآن هم اصحاب المشأمة الشمال او الشوم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار
بالضمير شأن لا يخفى عليهم نار مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرأ
ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه
الله تعالى الامان من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحيها وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء
بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تليها تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر
او غروبها ليلة البدر او فى الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جليها جلى الشمس فانها تنجلى
اذا انبسط النهار او الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها والليل اذا
يغشيها يغشى الشمس فيغطى ضوءها او الآفاق او الارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو
الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب الفعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن
المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المقدمين ربط الواو لما بعدها فى قولك ضرب زيد عمرا
وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بنيها ومن
بنيها وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والشئ القادر الذى بناها ودل
على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام فى قوله والارض وما
طحيها ونفس وما سويها وجعل الماءات مصدرية تجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله
فالهمها فجورها وتقويها بقوله وما سويها الا ان يضمر فيه اسم الله للعلم به وتنكير
نفس للتكثير كما فى قوله علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى افهامهما
وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما قد افلح من زكيها انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف
اللام للطول وكأنه لما اراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على
العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذى هو اقصى درجات القوة النظرية
ويذكرهم عظائم الآيات ليحملهم على الاستغراق فى شكر نعمائه الذى هو منتهى كمالات القوة
العملية وقيل استطراد بذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله
على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دسيها
نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق واصل دسى دسس كتقضى وتقضض كذبت ثمود
بطغويها بسبب طغيانها او بما اوعدت به من عذابها ذى الطغوى لقوله فاهلكوا بالطاغية

اى او عدالله المصدقة بما قال قال مجاهد المطمئنة التى ايقنت ان الله ربها ... وقال عطية الراضية ... وقال الحسن المؤمنة الموقنة وقيل المطمئنة بذكر الله ... وقال الكلبى الآمنة من عذاب الله ... واختلفوا فى وقت هذه المقالة ... ارجعى الى الله راضية بالثواب مرضية عنك ... عند الموت فيقال لها

ای یطیق ... او لا تعد ...

واصل طغيا وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى اذ انبعث
حين قام ظرف لكذبت او طغوى اشقيها اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن مالأه
على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم
العقر فقال لهم رسول الله ناقة الله اى ذروا ناقة الله واحذروا عقرها وسقياها
فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا فعقروها فدمدم
عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم
بذنبهم بسببه فسويها فسوى الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير او ثمود
بالاهلاك ولا يخاف عقبيها اى عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض
الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة والشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر **سورة الليل مكية وايها احدى**
وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى اى يغشى الشمس او النهار او كل
ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس وما خلق الذكر
والانثى والقادر الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحوا وقيل ما مصدرية
ان سعيكم لشتى ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى تفصيل مبين لتشتت المساعي والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة
الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة التي تؤدي الى يسر
وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام واما من بخل بما امر به
واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى
للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار وما يغني عنه ماله نفي او استفهام انكار اذا تردى
هلك تفعل من الردى او تردى في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد الى
الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل وان
لنا للآخرة والاولى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين او فلا
يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصليها لا يلزمها مقاسيا شدتها
الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله
الذي كذب وتولى اى كذب الحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها الاتقى الذي اتقى الشرك والمعاصي
فانه لا يدخلها فضلا عن ان يدخلها ويصليها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها
ولا يلزمه ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق الذي يؤتي ماله يصرفه في مصارف الخير لو
يتزكى فانه بدل من يؤتي او حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد بايتائه
مجازاتها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع او متصل عن محذوف مثل لا يؤتي الا ابتغاء
وجه ربه لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضيه والآيات نزلت في ابي بكر رضي
حين اشترى بلالا في جماعة يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن
خلف

عن النبي

عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر
ويسر له اليسر **سورة والضحى مكية وايها احدى عشرة** بسم الله الرحمن الرحيم
والضحى ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه او لان فيه كلم موسى ربه والقي
السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اذا
سجى سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل في السورة
المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف ما ودعك ربك ما قطعك
قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم وما قلى وما ابغضك وحذف
المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روي ان الوحي تأخر عنه اياما لتركه الاستثناء
كما مر في سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان تحت سريره او لغيره فقال
المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وللآخرة خير لك من الاولى فانها
باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله
بالوحي والكرامة في الدنيا وعده ما هو اعلى واجل من ذلك في الآخرة او ولنهاية امرك خير
من بدايته فلا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد شامل
لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه
واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها
لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة
وان تأخر لحكمة الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما
مضى يحسن فيما يستقبل ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني او المصادفة ويتيما
حال ووجدك ضالا عن علم الحكم والاحكام فهدى فعلمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر
وقيل وجدك ضالا في الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت
بك لتردك على جدك فازال ضلالك عن عمك او جدك ووجدك عائلا فقيرا ذا عيال
فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ
فلا تكهر اى فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر واما بنعمة ربك فحدث
فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم
وسائل **سورة الم نشرح مكية وايها ثمان** بسم الله الرحمن الرحيم
الم نشرح لك صدرك الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق وكان غائبا حاضرا
او الم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقي الوحي بعد ما كان
يشق عليك وقيل انه اشارة الى ما روي ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه او يوم الميثاق
فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار
نفي الانشراح مبالغة في اثباته ولذلك عطف عليه ووضعنا عنك وزرك عبأك الثقيل الذي

انقض ظهرك اي اثقله حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو
ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام او حيرته او تلقي الوحي او ما كان
يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم في ايذائه حين دعاهم
الى الايمان ورفعنا لك ذكرك بالنبوة وغيرها واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة
وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في ملائكته وامر المؤمنين بالصلوة وخاطبه بالالقاب وانما
زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة فان مع العسر كضيق الصدر والوزر
المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم يسرا كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة
فلا تيأس من روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في ان مع من المصاحبة
المبالغة في معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقاربين ان مع العسر يسرا تكرير
للتأكيد او استيناف وعده بان العسر مشفوع بيسر اخر كثواب الاخرة كقولك ان للصائم
فرحتين اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين
فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد او الجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد
يغاير ما اريد بالاول فاذا فرغت من التبليغ فانصب فاتعب في العبادة شكرا لما عددنا
عليك من النعم السالفة ووعدنا بالنعم الاتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة
او فاذا فرغت من الصلوة فانصب بالدعاء والى ربك فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه
القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغب اي رغب الناس الى طلب ثوابه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ الم نشرح فكأنما جاءني وانا مغتم ففرج عني **سورة والتين مختلف فيها وآيها ثمان**
بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون خصهما بالقسم من الثمار لان التين فاكهة طيبة
لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر
الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدة الكبد والطحال ويسمن البدن وفي الحديث انه يقطع
البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع
انه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الاراضي المقدسة او مسجدا دمشق
وبيت المقدس او البلدان وطور سينين يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه السلام ربه عز وجل
وسينين وسيناء اسمان للموضع الذي هو فيه وهذا البلد الامين اي الآمن من أمن الرجل
امانة فهو امين او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة لقد خلقنا الانسان يريد به
الجنس في احسن تقويم تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات
ونظائر سائر الممكنات ثم رددناه اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل
السافلين وهو النار وقيل الى ارذل العمر فيكون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات منقطعا
فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له
فما يكذبك اي فاي شيء يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بعد بالدين بالجزاء بعد ظهور هذه
الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذي يحملك على هذا

الكذب

٤٩٥

الكذب أليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى أليس الذي فعل ذلك من الخلق و
الرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على
ما مر مرارا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله العافية واليقين
ما دام حيا فاذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة **سورة العلق مكية**
وآيها تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك اي اقرأ القرآن مفتتحا باسمه
او مستعينا به الذي خلق اي الذي له الخلق او الذي خلق كل شيء ثم افرد ما هو اشرف واظهر
صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال خلق الانسان او
الذي خلق الانسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته من علق جمعه
لان الانسان في معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى ذكر اولا ما يدل على وجوده وفرط
قدرته وكمال حكمته اقرأ تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثاني للتبليغ او في الصلوة ولعله
لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ وربك الاكرم الزائد في الكرم على
كل كريم فانه ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة الذي علم بالقلم
اي الخط بالقلم وقد قرئ به ليقيد به العلوم ويعلم به البعيد علم الانسان ما لم يعلم
بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه
مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا
لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل سمعا
كلا ردع لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ان رآه
استغنى اي رأى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله
ومفعوله ضميرين لشيء واحد وقرئ رأه بقصر الهمزة ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات
تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى
نزلت في ابي جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك
فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة
في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارأيت
تكرير للاول وكذا الذي في قوله ارأيت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى والشرطية
مفعوله الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسم له والمعنى
اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه او امر بالتقوى
فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما نقول
الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى ارأيت الذي ينهى عبدا
يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب
في الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والاخر اخرى
وكأنه قال يا كافر اخبرني ان كان صلوته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى اتنهاه وهل

ذكر الامر بالتقوى في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له في النهي لان النهي عن الصلوة والامر فاختصر على ذكر الصلوة لانه دعوة بالفعل ولان نهي العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهي لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولأسفعن وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطاء وهما لصاحبها على الاسناد المجازي للمبالغة فليدع ناديه اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس ينتدي فيه القوم روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار وهو في الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع او زبني على النسب واصلها زباني والتاء معوضة عن الياء كلا ردع ايضا للناهي لا تطعه واثبت انت على طاعتك واسجد ودم على سجودك واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله

سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذي انزل فيه بقوله وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله فيها بان ابتدأ بانزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه في فضلها وهي في اوتار العشر الاواخر من رمضان ولعلها السابعة منها والداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها ليالي كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روي انه عليه السلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم بيان لما له فضلت على الف شهر وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين من كل امر من اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت مطلعه اي طلوعه وقرأ الكسائي بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر

سورة البينة مختلف فيها وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله ومن للتبيين والمشركين عبدة الاصنام منفكين عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى تأتيهم البينة الرسول او القرآن فانه مبين للحق او معجزة الرسول باخلاقه والقرآن بافحامه من تحدى به رسول من الله بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدأ يتلو صحفا مطهرة صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها وقيل المراد جبريل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا يأتي ما فيها وانها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه بان آمن بعضهم او تردد في دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر الا من بعد ما جاءتهم البينة فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى وما امروا اي في كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لا يشركون به حنفاء مائلين عن العقائد الزائغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ولكنهم حرفوه وعصوا وذلك دين القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اي يوم القيمة او في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله تختلف لتفاوت كفرهما اولئك هم شر البرية اي الخليقة وقرأ نافع البريئة بالهمز على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفا بما تزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد رضي الله عنهم استئناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى امانيهم ذلك اي المذكور من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة زلزلت مختلف فيها وآيها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللائق بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس في الابنية فعلال الا في المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما في جوفها من الدفائن او الاموات جمع ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان ما لها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث اخبارها تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها بان ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اي تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها على الاخبار او انطقها

بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها
اذ لها في ذلك تشفٍّ من العصاة يومئذ يصدر الناس من مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا
متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يُره بالضم ولعل
حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب وقيل الآية
مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله
اشتاتا والذرة النملة الصغيرة والهباء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت اربع مرات
كان كمن قرأ القرآن كله **سورة والعاديات مختلف فيها احدى عشرة**
بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو
وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعل المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على
الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا والتي توري النار والايراء
اخراج النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات يغير اهلها على العدو صبحا اي وقته فاثرن
فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو
او بالنقع اي ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء روي انه عليه السلام بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم
خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار
المعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مثل انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن
به جمعا من جموع العليين ان الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة
كندة او لبخيل بلغة بني مالك وهو جواب القسم وانه على ذلك وان الانسان على كنوده لشهيد
يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب الخير
المال من قوله ان ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوي مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر بعث ما في
القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل جمع محصلا في الصحف او ميز ما في الصدور
من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم بهم يومئذ لخبير عالم بما اعلنوا واسروا فيجازيهم
وانما قال ثم قال بهم لاختلاف شانهم في الحالين وقرئ ان وخبير بلا لام عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وآيها عشر بسم الله الرحمن الرحيم
القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة سبق بيانه في الحاقة يوم يكون الناس
كالفراش المبثوث في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دل عليه
القارعة وتكون الجبال كالعهن كالصوف ذي الالوان المنفوش المندوف لتفرق اجزائها
وتطايرها في الجو فاما من ثقلت موازينه بان ترجحت مقادير انواع حسناته فهو
في عيشة راضية ذات رضى اي مرضية واما من خفت موازينه بان لم تكن له حسنة يعبأ بها

او ترجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية فمأواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك
قال وما ادراك ما هيه نار حامية ذات حمي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القارعة ثقل الله
بها ميزانه يوم القيمة **سورة التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان** بسم الله الرحمن الرحيم
الهيكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهي اذا غفل التكاثر التباهي بالكثرة
حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات
عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة
فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات
فكثرهم بنو سهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه
الهيكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو
اهم لكم وهو السعي لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان العاقل
ينبغي له ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف تعلمون
خطأ رأيكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون
تكرير للتاكيد وثم دلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر والثاني
عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم
ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم و
لا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد
واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما وقرأ ابن عامر والكسائي بضم التاء ثم لترونها تكرير
للتاكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة
وبالثانية الابصار عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب
اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم الذي الهيكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن
دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله من حرم زينة الله كلوا
من الطيبات وقيل يعمان اذ كل يسأل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ الهيكم لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم الله في دار الدنيا واعطي من الاجر
كانما قرأ الف آية **سورة العصر مكية وآيها ثلث** بسم الله الرحمن الرحيم
والعصر اقسم بصلوة العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب
والتعريض بنفي ما يضاف اليه من الخسران ان الانسان لفي خسر ان الناس لفي خسران في مساعيهم
وصرف اعمارهم في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق
بالثابت الذي لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي او على الحق او ما
يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا
على كماله ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا

بادة ما عداها مما يؤدي الى خسر ونقص حظا وتكرما فان الابهام في جانب الخسر كرم عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وآيها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز
الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة
يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعبة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة ولمزة بالسكون
على بناء المفعول وهو المسخرة الذي ياتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها في الاخنس
بن شريق فانه كان مغتابا او الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
جمع مالا بدل من كل او ذم منصوب او مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير
وعدده وجعله عدة للنوازل او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك
الادغام يحسب ان ماله اخلده تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال اغفله
عن الموت وطول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو
السعي للآخرة كلا ردع له عن حسبانه لينبذن ليطرحن في الحطمة في النار التي من شانها
ان تحطم كل ما يطرح فيها وما ادراك ما الحطمة ما النار التي لها هذه الخاصية نار الله
تفسير لها الموقدة التي اوقدها الله وما اوقده لا يقدر غيره ان يطفئه التي تطلع
على الافئدة تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما في
البدن واشده تألما او لانه محل العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة انها عليهم
مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته قال تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها
ابواب صنعاء مؤصدة في عمد ممددة اي موثقين في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر
فيها اللصوص وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي بضمتين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه

سورة الفيل مكية وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك
باصحاب الفيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن
شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكانه راها وانما قال كيف ولم يقل ما لان
المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله
فانها من الارهاصات اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وقصتها
ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها
القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف
ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ للدخول وعبأ
جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة
اخرى هرول فارسل الله طيرا كل في منقاره حجر وفي رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر
من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في راس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار

اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام الم يجعل كيدهم في تعطيل الكعبة
وتخريبها في تضليل في تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها وارسل عليهم طيرا
ابابيل جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل
لا واحد لها كعباديد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع
او اسناده الى ضمير ربك من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو
الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون
فجعلهم كعصف ماكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه
او كتبن اكلته الدواب وراثه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل اعفاه الله
ايام حياته من الخسف والمسخ

سورة لايلاف قريش مكية وآيها اربع

بسم الله الرحمن الرحيم
لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط
اذ المعنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم رحلة
الشتاء والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون
او المحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اي جعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش
ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة وقرئ ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش
ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق
الا بالنار فشبهوا بها لانها تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق
الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم وقرأ ابن عامر لالاف بغير ياء بعد الهمزة فليعبدوا رب
هذا البيت الذي اطعمهم من جوع اي بالرحلتين والتنكير للتعظيم [illegible]
عنه وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام وآمنهم من خوف خوف اصحاب الفيل او التخطف
ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لايلاف
قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع

بسم الله الرحمن الرحيم ارايت استفهام معناه التعجب وقرئ ريت
بلا همزة الحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل امرها وارايتك بزيادة حرف الخطاب
الذي يكذب بالدين بالجزاء او الاسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله فذلك
الذي يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يساله من مال
نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا فساله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة
او منافق بخيل وقرئ يدع اي يترك ولا يحض اهله وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقاده
بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
غافلون غير مبالين بها الذين هم يراءون يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون
الماعون الزكاة او ما يتعاور في العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة
باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التي هي عماد الدين والرياء

الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام احقاء بذلك ولذلك رتب عليها الويل والتسبيبة على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ارايت غفر له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية وآيها ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظما من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده او اتباعه او علماء امته او القران فصل لربك فدم على الصلوة خالصا لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا لانعامه فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلوة بصلوة العيد والنحر بالتضحية ان شانئك ان من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك واثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر

سورة الكافرون مكية وآيها ست

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل من الزمان فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم عابدون ما اعبد اي فيما يستقبل لانه في قران لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم اي في الحال او فيما سلف ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا عابده ويجوز ان يكونا تاكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او للمطابقة وقيل ما مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان لكم دينكم الذي انتم عليه لا تتركونه ولي دين الذي انا عليه لا ارفضه وليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا باية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الاخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكانما قرأ ربع القران وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

سورة النصر مدنية وآيها ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله اظهاره اياك على اعدائك والفتح وفتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله للمؤمنين والفتح فتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول

بالمجيء تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على ان رايت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل له حامدا له على نعمه روي انه لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات او فنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه السلام اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله انه كان توابا لمن استغفر منذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قراها بكى العباس فقال ما يبكيك قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهي كقوله اكملت لكم دينكم او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اذا جاء اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت مكية وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم تبت هلكت او خسرت والتباب الخسران الذي يؤدي الى الهلاك يدا ابي لهب نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم وقيل انما خصتا لانه صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخراه وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله وليجانس قوله ذات لهب وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وقرا ابن كثير باسكان الهاء وتب اخبار بعد اخبار وتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاديات وقد فعل ويدل عليه انه قرئ وقد تب والاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن عمل نفسه ما اغنى عنه ماله نفي لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكار له ومحلها النصب وما كسب وكسبه او مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك ثلثا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه سيصلى نارا ذات لهب اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا وامراته عطف على المستكن في سيصلى او مبتدأ وهي ام جميل اخت ابي سفيان حمالة الحطب يعني حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك

وحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بالنصب على الشتم
في جيدها حبل من مسد اي مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق اي مجدوله وهو ترشيح للمجاز
او تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشأنها او بيانا لحالها
في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب الزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف
في موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع
بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها اربع

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الضمير للشأن كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه
بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو او لما سئل عنه اي الذي سألتم عنه هو الله اذ
روي ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر ثان يدل
على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن
انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها
كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق
على انه لا بد منه في قل يا ايها الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرون مشاقة
الرسول صلى الله عليه وسلم او موادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما هذه فتوحيد
يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى الله الصمد السيد المصمود اليه في الحوائج من صمد اذا قصد
وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته وتعريفه
لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية
واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها لم يلد لانه لم يجانس ولم
يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده
ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله وليطابق قوله ولم يولد وذلك لانه لم يفتقر الى
شيء ولم يسبقه عدم ولم يكن له كفوا احد اي ولم يكن احد يكافئه او يماثله من صاحبة وغيرها وكان
اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديما
للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كفوا او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل
الثلث بالعطف لان المراد منها نفي اقسام الامثال فهي كجملة واحدة منبه عليها بالجمل وقرأ حمزة
ويعقوب ونافع في رواية كفؤا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال
هذه السورة مع قصرها جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء في الحديث انها تعدل
ثلث القرآن فان مقاصده محصورة في بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله
اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرؤها فقال وجبت قيل
يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق ما يفلق عنه اي يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى
مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل
كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه
من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة والاشعار بان من قدر
ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه ولفظ الرب هنا اوقع
من سائر اسمائه تعالى لان الاعاذة من المضار تربية من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة
عنه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي
كاحراق النار واهلاك السموم ومن شر غاسق ليل عظم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله
الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه
وغسق العين سيلان دمعه اذا وقب دخل ظلامه في كل شيء وتخصيصه لان المضار فيه تكثر و
يعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه
دخوله في الكسوف ومن شر النفاثات في العقد ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن
عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا سحر النبي صلى الله
عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض عليه السلام ونزلت المعوذتان
واخبره جبريل عليه السلام بموضع السحر فارسل عليا رضي الله عنه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ
آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا
به انه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار
من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف
كل غاسق وحاسد ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود
ضرر منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة في اضرار
الانسان بل الحيوان وغيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى
وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها
كانها تنفث في العقد الثلث وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا
عنه ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما
يعني المعوذتين

سورة الناس مختلف فيها وآيها ست

بسم الله الرحمن الرحيم
قل اعوذ قرأ ورش في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس لما كانت
الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة
في هذه السورة من الاضرار التي تعرض النفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثمة
وخصصها بالناس ههنا وكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك
امورهم ويستحق عبادتهم ملك الناس اله الناس عطفا بيان له فان الرب قد لا
يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة قادر
عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم اولا بما يرى عليه من النعم

النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل وذات
كل شئ له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غير
وتدرج في وجوه الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات
اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد البيان والاشعار
بشرف الانسان من شر الوسواس اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر
كالزلزال والمراد به الموسوس سمي بفعله للمبالغة الخناس الذي عادته ان يخنس اي
يتأخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس في صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر
ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة
خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذي الجر على الصفة او النصب او الرفع على الذم
من الجنة والناس بيان للوسواس او للذي او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم
من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم القبيلين وفيه تعسف
الا ان يراد به الناسي كقوله تعالى يوم يدع الداع فان نسيان حق الله يعم الثقلين
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلوة والسلام على سيد المرسلين

قد وقع الفراغ من كتابة هذا التفسير الشريف بعون الله الملك اللطيف
على يد افقر عباد الله تعالى عمر بن محمد بن خليل عاملهم الله تعالى
بلطفه الخفي وكرمه الجلي في شهر لستة ثلث وارعين
ومائة والف من هجرة من له العز والشرف
والحمد لله على التمام والصلوة والسلام
على رسوله سيد الانام

اللهم اشرح بتلاوة كتابك صدورنا واصلح بحلاوة خطابك امورنا وفرج بروح كلامك
كروبنا واستر بانوار وجهك عيوبنا واغفر باثار ذكرك ذنوبنا ونور بقراءته قلوبنا
وهب لنا ايمانا باياته وايمانا بمتشابهاته وعملا بمحكمه وتأملا في مبهمه وفهما الغرائب
ودراية لعجائبه واعتبارا بامثاله وتدبرا القصصه وتذكرا الوعده ووعيده آمنا به
وقلنا كل من عند ربنا متمسكين به معتصمين ببركاته طالبين النجاة به فوفقنا للقيام
بحقوقه واجعلنا من المطيعين لاوامره والمعرضين عن المعاصي بزواجره وذكرنا منه
ما نسينا وعلمنا منه ما جهلنا وآنسنا به من وحشة القبور واجعله نورا
بين يدينا يوم النشور وثقل به حسناتنا وكفر به سيأتنا وبيض به وجوهنا واهلنا
به لمرافقة الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا

واما الخاتمة فمشتملة على الاشيا المتعلقة بالقران فمنها بيان كيفية جمع القران
على هذا الوضع الذي نحن بصدده ايها العزيز اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ختم امره
وتوفي يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة احدى عشرة من هجرته من مكة الى المدينة
نقل حكم امور الدين الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فبينما في عهده وقعت واقعة اليمامة فقتل
خلق كثير من القراء وغيرهم فجاء عمر بن الخطاب الى ابي بكر الصديق رضي الله عنهما فقال ان القتل قد
وفي رواية قد استحر على قراءة القران في ايام اليمامة فقد خشيت ان يفوت القران عن المسلمين
فامر بان يكتبوا القران ليكون جامعا فقال كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه والله انه خير فعن قريب رضي به ابو بكر رض فقال لزيد بن ثابت
قد كنت دريت وتليت الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمع القران فاكتبه قال زيد
فوالله لو كلفتني نقل جبل من الجبال ما كان باثقل مما كلفتني به من جمع القران فلما بالغه
في ذلك فجعل يتتبع القران من صدور الرجال ومن مواضع المكتوب القران من الرقاع والرجال
فكتب كل سورة كما وجده في صحف مكرمة وتلك الصحف كانت عند ابي بكر رضي الله عنه حتى ختم
امره وتوفي ثم نقلت تلك الى عمر رضي الله عنه فكانت عنده الى ان قضى عليه الموت ثم نقلت الى حفصة رضي الله عنها
فبينما وقع اختلاف في بعض السور فارسل عثمان رضي الله عنه الى حفصة بان ارسلي الينا بالصحف
فنكتبها ثم نردها اليك فارسلت اليه بها فارسل عثمان رض الى زيد بن ثابت والى عبد الله
ابن الحارث بن هشام والى عبد الله بن عمرو بن العاص والى عبد الله بن الزبير والى عبد الله
ابن عباس والى عبد الرحمن بن الحارث والى سعيد بن العاص فقال لهم اكتبوه بلسان قريش
فانه نزل بلسانهم ففعلوا انبوبا على انبوب وجريا على ذلك الاسلوب فلما نقلوا السور
كما سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم قدموا الفاتحة على سبيل الصواب لانها بمنزلة الخطبة
في الكتاب اذ هي اجمال التفصيل في فصل الخطاب ثم ختموا الربع الاول بسورة الانعام
والربع الثاني بسورة الكهف والربع الثالث بسورة الفاطر ليكون اول كل ربع
واخره مشتملا على حمد الله تعالى شانه وعز برهانه ولهذا يقرؤن الفاتحة بعد كل ختم
ليكون آخر الربع الاخر مشتملا ايضا على حمد الله تعالى فلما فرغوا من ترتيب السور على هذا
النسق سموا المجموع المرتب مصحفا لانه مشتمل على الصحف التي ذكرها الله تعالى في قوله
رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة فهذا المصحف الاول هو امام المصاحف
الاخر التي رتب عثمان رضي الله عنه الى كل موضع من المواضع المشهورة واحدا منها وقد
قيل نقلوا اربع مصاحف باجماع هؤلاء السبعة المذكورة فبينما كانوا قد وقع بينهم خلاف
في كتابة بعض الكلمات مثل كلمة التابوت فسئلوا عثمان رضي الله عنه عنها فقال اكتبوها بالتاء ثم
الخلاف الذي وقع بين هؤلاء السبعة الذين هم بمنزلة التابعين لهؤلاء السبعة المتقدمين بسبب
المصاحف التي نقلوها بروايات مختلفة سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم ومنها بيان الوقوف اعلم
كل سورة من سور القران على انه قراءة كانت بعضها متعلق بالبعض تعلقا قويا او ضعيفا او بين بين

فكل موضع هو حسن للانتهاء والابتداء ابعده فالوقف هنالك تام وكل موضع هو قبيح
الانتهاء والابتداء ابعده فالوقف ثم قبيح فالوقف هنالك كاف وان كان بالعكس فالوقف ثم
حسن فهذه هي اصول الوقوف ينشعب منها شعب اخر سميت باسماء اخرى ولكل واحد من
هذه الاصول له طرف في الوقف كالاسكان في المتحرك والروم في المكسور والاشمام في المضموم
وكابدال النون بالالف في المنصوب المنون وفي اذن واضربن وابدال تاء التانيث هاء
والحاق هاء السكتة في مثل عمه وهلك عني سلطانيه وحذف اليا في مثل القاضي و
غلامي واثبات الواو والياء والالف في الفواصل فصيح وكل ما هو غير ذلك مما يستعمل
القراء المتاخرون من الامالة وتخفيف الهمزة والادغام مما هو حسن للكلام وليس
بواجب رعايته للانام فهو بمنزلة القشر والصدف لجواهر اسرار القران والحمد لله الحنان المنان
الذي وفقنا لادراك ايات القران ووفقنا على اجل بيان حكم القران ومنها بيان
الناسخ والمنسوخ اعلم ان كل سورة لا يكون فيها امر ولا نهي ولا ما يجري مجراها فلا ناسخ و
لا منسوخ فيها كاكثر السور الصغار وبعض السور الكبار مثل سورة يوسف ويونس والحجرات
والرحمن والحديد والصف والجمعة والتحريم واما سورة البقرة وال عمران والنساء والمائدة
والانفال والتوبة الى غير ذلك من السور ففيها الناسخ والمنسوخ اي المرفوع حكمه بسبب رفع
اهم منه فان الله تعالى فعال لما يريد كل يوم هو في شان لا يسال عما يفعل وهم يسألون
الا لله الامر واليه ترجعون وقوله ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها يدل على ان النسخ
جائز في بعض الاحكام من شرايع الاسلام وقد روي عن انس بن مالك انه قال كنا نقرا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة لا اعرف منها غير اية واحدة وهي لو ان لابن ادم واديين
من ذهب لابتغى ثالثا ولو ان له ثالثا لابتغى اليه رابعا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب
ويتوب الله على من تاب وقد يكون خطه منسوخا وحكمه باق كاية الرجم وروي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه قال والله لقد قرانا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترغبوا عن ابائكم
فان ذلك كفر بكم وكذا قرئ في عهده عليه السلام الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما وقد يكون
حكمه منسوخا وبقي خطه كما ذكر في موضعه في كل سورة وقع فيها النسخ **واما اصول الاحكام**
التي لا يقع فيها النسخ فهي ستة اجناس الجنس الاول المعتقدات وهي خمسة انواع كالتصديق بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر كما بينه عن ذلك قوله تعالى ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا والجنس الثاني العبادات وهي ثمانية انواع كالصلوة
والصوم والزكوة والحج والاعتكاف والقرابين والكفارات والجهاد والجنس الثالث للشهوات
وهو اربعة انواع كالمنكوحات والماكولات والمشروبات والملبوسات والجنس الرابع المعاملات
وهي اربعة كالدعاوى والبينات ومثل الامانات كالودايع والعواري ومثل التركات والوصايا
والمواريث والجنس الخامس المزاجر وهي خمسة انواع مزجرة لحفظ النفوس والاعضاء كالقصاص
والدية ومزجرة لحفظ الاعراض كحد القذف بالزنا والتعزير ومزجرة لحفظ الانساب

كالجلد

كالجلد والرجم ومزجرة لحفظ الاموال كالقطع في السرقة والصلب في قطع الطريق ومزجرة
لحماية بيضة البلاد كالقتل بالردة وقتال اهل البغي والجنس السادس كالاداب وهي ثلثة
انواع مثل الاداب الخلقية وهي التي تتعلق بالانسان في نفسه والاداب المنزلية وهي التي
تتعلق بجماعة مخصوصة في منزلها والاداب المدنية وهي التي تتعلق بجماعة متفرقة في المدينة
والاداب الخلقية اصولها اربعة تنشعب منها ستة واربعون الا فرعا فمن اراد تفصيلها
فعليه بانحاء علوم الدين او غيرها والاداب هي ادب الشرعيات والشرعيات هي ادب النبوة
والنبوة هي اصل الولاية وعند هؤلاء الجهلاء كل ذلك بالعكس وقوله تعالى وما يعقلها الا
العالمون اشارة اليها واشرف هذه الاجناس الستة المعتقدات وهي العلوم الخمسة الباقية
هي الاعمال الصالحة ولا شك ان مبدا العمل الصالح هو العلم ومبدا الشيء اشرف منه لانه
اصل يقوم به فرعه فان لم يكن علم لم يكن عمل صالح وهذه كلها شعب الايمان مجموعها اربع
وسبعون شعبة كما ذكر النبي عليه السلام الايمان سبعة بضع وسبعون شعبة ولا يقع
في الايمان نسخ ولا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد هذا وان كان
من جملة بيان القران فهو في الحقيقة مشتمل على بيان الايمان فان القران ظاهره انيق
وباطنه عميق ما تفنى غرائبه ولا تنقضي عجائبه فمن كان حظه في العلوم اوفر كان نصيبه
من القران اكثر ولا سبيل مع صحة الاعتقاد الى اقصى الارشاد في المعنى لانه لا يحيط به العقول
وليس لها ادراكه كما ينبغي الوصول مع ان معرفة جميع العارفين بالنسبة الى اسرار كلام رب العالمين
لهي اقل من قطرة بالنسبة الى البحر المحيط فان نسبتها اليه نسبة متناه الى غير متناه ونسبة
القطرة الى البحر نسبة متناه الى غير متناه وكل من عجز عن معرفة كلام الله تعالى لم يكن عارفا به
ومن لم يكن عارفا بالله كان جاهلا به والجهل بالله كفر ومن قال العجز عن المعرفة معرفة
كان كمن ادعى ان المعرفة ليست بمعرفة وان العارف ليس بعارف فيلزم التناقض و
كل من يقع عليه سمة الحدوث ورقم المعلومية وان كان من المعلقين المحققين في العلوم
الحقيقية كيف يدرك المبدا القديم على ما هو عليه وهو محيط به واذا لم يدركه كيف يفهم
اسراره على ما ينبغي تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والحمد لله حمدا كثيرا الذي بين لنا
اسرار اعجازه وفصاحة اشهابه وبلاغة ايجازه واطنابه والسلام على رسوله المبرز
في فصل خطابه محمد المصطفى صلى الله عليه وعلى اله وصحابه والله اعلم نقل هذا من خط الفاضل البيضاوي بو ناظم
خطا فا قلة عنه هدا الله تعالى اللهم اغفر لكاتبه
وقاريه ولمن دعا لهما

امين